الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة جيلالي ليابس-سيدي بلعباس
كلية الآداب و اللغات و الفنون
قسم اللغة العربية و آدابها

رسالة الدكتوراه في اللغة الموسوم بـــ

لغة قبائل بني هلال بين العامية والفصحى

-دراسة لقبائل الغرب الجزائرية تاريخية،أنثربولوجية ولغوية-

إعداد الطالبة:
بولغيتي فاطنة

إشراف الأستاذ الدكتور:
أ.د/ مونسي حبيب

أعضاء لجنة المناقشة

د/غروسي قادة..... جامعة سيدي بلعباس..... رئيسا
أ.د/ حبيب مونسي..... جامعة سيدي بلعباس..... مشرفا ومقررا
د/ قندسي عبد القادر..... جامعة سيدي بلعباس..... مناقشا
د/ فهيم الشيباني عبد القادر..جامعة معسكر..... مناقشا
د. مزاري عبد القادر..... جامعة مستغانم..... مناقشا

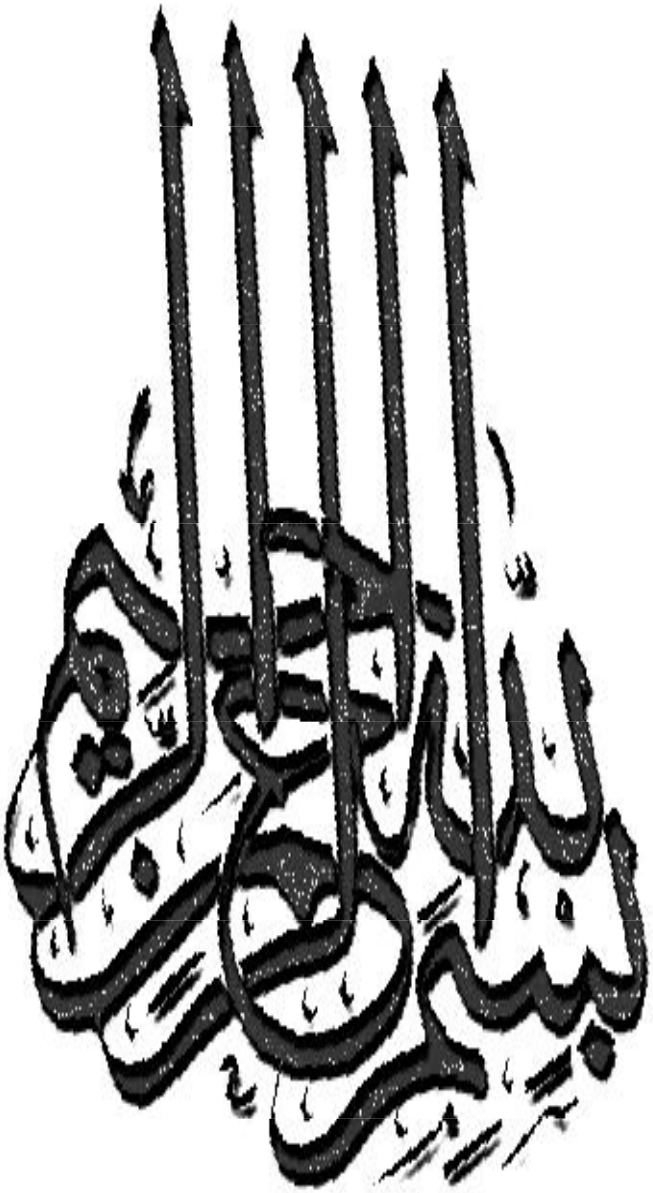

شكـر وعـرفــان

يسرني أن أتقدّم بشكري الجزيل إلى أستاذي الدكتور حبيب مونسي على قبوله الاشراف على الرّسالة، التي كان هو من اقترح موضوعها وعنوانها، وعلى ما قدّمه من صادق النّصح وسديد التّوجيه، وما قدّمه من آراء قيّمة كان لها دورها في إخراج البحث على ما هو عليه، سائلة الله أنّي كنت عند حسن ظنّه ووفّقت في إنجاز هذا البحث.

كما أشكر لجنة المناقشة، الأساتذة الأفاضل:

د. غروسي قادة – د.قندسي عبد القادر – د. فهيم الشيباني عبد القادر – د. مزاري عبد القادر – د. لطروش الشارف على تفضّلهم بمناقشة رسالتي، راجية أن تنال رضاهم وقبولهم.

وأخيرا أتقدّم بشكر خاصّ، إلى كلّ من مدّ لي يد العون من قريب أوبعيد، سواء في جمع مادة البحث أو في طباعته، دون أن أنسى من كان له الفضل الكبير في تيسير خطى مناقشة هذه الأطروحة، أخي عبد القادر فجزاه الله عني خير الجزاء.

والشّكر الموصول كذلك إلى من لم يحرمني من دعائه من الأهل والأحبّة والخلّان.

مقدمة:

اللّهجة كائن حيٌّ منبثق من روح الشّعب وأحاسيسه، يحمل بصمات كلّ مجتمع ينمو فيه، لذا لم تُقيّد بقوانين و لم تخضع لأحكام، وسارت على طبيعتها، فتميّزت بالمرونة والسّهولة في التّعبير، وهذا ما يجنح إليه كلّ متكلِّم أو مخاطَب. وهي مثل اللّغة في الهدف والغاية، وسيلة للتّخاطب والتّفاهم بين النّاس، ووظيفتها لا تقلُّ أهمِّية عن الفصحى، خاصَّة إذا ما أمعنَّا النّظر في الجانب الفعَّال الذي تقوم به، في خلق فاعلية شاملة بين كلِّ أفراد المجتمع وفئاته المتعلِّمة وغيرها، فهي الحبل الذي يصل بين عامَّة النّاس.

لقد عَرَفَتْ الدّراسة اللّهجية في القرن الأخير اهتمامًا كبيرًا من اللّسانيين، لإدراكهم أهمِّية هذا الميدان وما يمكن أن يقدِّمه للّغة نفسها، بعدما تبيَّنوا وأيقنوا أنَّ كلّ لغة في زمنٍ ما كانت لهجةً إقليميةً ارتقت إلى مستوى اللّغة، نتيجة تضافر عوامل مختلفة دينية واجتماعية واقتصادية وعسكرية وأدبية، مكَّنتها من اكتساب مستوى معيَّن لتصبح لغة رسمية، فهَمَّ اللّغويون ببذل جهودٍ كبيرة في دراستها، حتّى أصبحت عِلْمًا قائمًا بذاته وجديرًا بالدّراسة العلمية، شأنها شأن اللّغة لاسيما اللّهجات الحديثة التي رأوا أنَّه لا بدَّ من العناية بها، وإخضاعها لدراسة لسانية تضبط أحكامها الصّوتية والتّركيبية والدّلالية، حتَّى يتمكَّن دارسوها أن يعلِّلوا بطريقة جادَّة وصحيحة، ما إذا كانت اللّهجة تطوُّرًا أو انحلالا صوتيًّا.

إنَّ ميدان دراسة اللّهجات واسع وكبير، والبحث فيه مضنٍ وليس باليسير؛ لأنَّه ليس ثابتًا، فهو متغيِّر تبعًا لتطوُّر حركة المجتمع؛ لتأثُّر اللّهجة بمختلف التحوُّلات الاجتماعية والفكرية والنّفسية وغيرها. إذ لا يمكن النّظر إليها بمَعْزِل عن واقع الحياة، فمجرَّد كونها الأداة التّعبيرية والتّواصلية الخالية من القواعد والضّوابط، يعطيها صفة التّغيُّر، وبالتّالي طابع التّأثر والتّأثير.

وانطلاقًا من حيوية اللّهجة وأسرارها، حاولتُ أن أخوض رحلة مع لهجة قبائل بني هلال، متخذةً منطقة الغرب الجزائري ميدانًا رحبًا لدراستها. وهذا بالطّبع ليس بالأمر الهيِّن؛ فهو يحتاج إلى بحث دقيق ودراسة عميقة، وإلباس اللّفظة الواحدة أكثر من ثوب وإعطائها صفات عديدة، حتى نتمكّن من الوصول إلى الصّورة الأصلية، وبالتّالي تحديد مواطن الانحراف والتّغيّرات التي طرأت عليها طيلة عقود من الزّمن.

ولقد اخترت لهجة قبائل بني هلال دون سواها، لأسباب علمية وأخرى شخصية.

فالجانب التّطبيقي يتطلّب عملا ميدانيًّا، وحتّى تتيسَّر الدّراسة اخترتُ هذه اللّهجة بحكم انتمائي إلى المناطق التي تسري فيها، ولدرايتي بخبايا بعض جوانبها.

أمَّا الأسباب العلمية، فَتَكْمُنُ في محاولة العودة بلهجة قبائل بني هلال إلى اللّهجات العربية القديمة التي تصبُّ في بوتقة اللغة العربية الفصحى، وذلك باستخراج النّظام اللّغوي السّائد في هذه اللّهجة، وإثبات ما إن كانت هذه اللّهجة المعاصرة لا زالت تسير على نظام اللّغة العربية، بالرّغم من الهُوَّة الزّمنية الفاصلة بينهما، مع تبيان المسوِّغات التي من شأنها أن تؤدّي إلى حدوث بعض الظّواهر اللّغوية، ومن ثَمَّ محاولة وصل اللّهجة الهلالية الآنِيَّة باللّغة العربية الفصحى، من خلال الكشف عن التّطوُّرات والتّغيُّرات الصّوتية والتّركيبية التي مسَّتها، على أساس أنَّ اللّغة كائن حيّ ينمو ويتطوّر ويتأثَّر، وأنَّ أصوات اللّغة تميل إلى التغيُّر بشكل دائم ومستمر، وسرعان ما تحلُّ أصواتٌ مكان أخرى.

فهل الأمر نفسه حدث مع لهجة بني هلال في منطقة الغرب الجزائري؟

وهل المظاهر اللّغوية البادية على هذه اللّهجة، هي نفسها التي وُجِدت قديمًا؟

وإن كانت هي، فهل تجيزها الدّراسات اللّغوية الحديثة؟

ومع علاقة الأصوات الموجودة في لهجة بني هلال بأصوات العربية الفصحى؟

وهل ابتعدت اللّهجات المعاصرة عن اللّهجات العربية القديمة طيلة هذه الفترة الزّمنية المشوبة بالحروب والهجرات وتعدُّد المحتلِّين، باعتبار أنَّ لهجة بني هلال تنضوي تحت اللّهجات المعاصرة؟

وتسهيلا لمهمّة البحث والتّنقيب، فإنّني توجّهت إلى قبائل حميان[1]، كعيّنة لدراسة المجتمع الهلالي في وقتنا الحالي الذين رأيتهم ميدانا خصبا لهذه الدّراسة، باعتبارهم أكثر القبائل الهلالية انتشارا في النّواحي الغربية الجزائرية، ويسهل تتّبعهم واقتفاء آثارهم، وتحديد فروعهم وعروشهم التي لا يزالون يتعصّبون لها ويتفاخرون بها، ولازالت البداوة ظاهرة عليهم وإن كان جلّهم قد نزح إلى الاستقرار والتمدّن.

وهنا لابدّ من التّأكيد على أنّه بدراستي للهجة من لهجات العربية، فإني لأسعى جاهدة إلى إضافة شيء يستحقّ النّظر، ويُنْبِئ عن حبٍّ وولاء عميقين للغة العربية؛ فدراسة أيّة لهجة مندرجة ضمن لغةٍ، هو خدمةٌ لِلُّغة الأمّ وتقليب لجوانبها المتعدّدة، وإحياء لألفاظها وتحقيق لكثير من قضاياها وموضوعاتها. وإن كان لا بدَّ من التّنبيه كذلك أنّ هذه الدّراسة "ليست دعوة تحوّل إلى المستوى العامي، ولا إشارة إيجاب وقبول للقول فيه"[2]، لكنّها مَدٌّ لجسر التّواصل، وتَلَمُّسُ الجذور بين لهجة هذا الإقليم وآثار لهجات القبائل التي كانت سائدة في الجزيرة العربية، والكشف عن خصائصها الصّوتية والترّكيبية والدّلالية.

---

(1) هي قبائل هلالية تعود في نسبها إلى حميان بن عقبة بن يزيد بن عبس بن زغبة بن أبي ربيعة بن نميك بن هلال بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من صلب سيدنا اسماعيل بن ابراهيم. لها فرق عديدة متواجدة في مناطق مختلفة من وهران، تلمسان، سيدي بلعباس، وفي شمال ولاية البيض، في حين نجدها تسيطر على كامل تراب ولاية النّعامة =على وجه التّحديد. ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1959م.، ج6 ص55.

(2) عبد القادر عبد الجليل: الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، سلسلة الدراسات اللغوية، ط1 سنة 1997-1417هـ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عَمَّان -الأردن- ص8.

إنّ مثل هذه الدّراسات توقفنا على معرفة تأريخ العلاقة بين الفصحى والعامية العربية بعدما أثبت العديد من الدارسين أنّه "ليس كل ما تستعمله العامّة خطأ؛ إذ إنَّ في بعض مفرداتها طاقة تعبيرية خاصّة، في الإمكان استغلالها لإثراء الفصحى وتلقيحها"[1]، وأنّ "الازدراء والحيف الذي لحق بالعامية –باعتبارها صورة مشوّهة ولغة هشَّة لا ترقى إلى مستوى اللّغة الفصيحة– سبب هذا التّباعد وهذه الفجوة، وكأنّها وافدة دخيلة لا تَمُتُّ إلى العربية بأدنى صلة."[2]

من هذه المسلَّمة عقدتُ العزم على دراسة لغة قبائل بني هلال في الإقليم الغربي، هذه القبائل التي كان لها كلُّ الفضل في تعريب معظم أرجاء القُطْر، وصَبْغِهِ صِبغَةً عربية لم تَمْحُهَا الأزمان ولا تقلّباتها، وأسهمت في إرساء دعائم صرح اللّغة العربية طيلة قرون مضت، آملةً بهذا الوصولَ إلى تحقيق نتائج من شأنها أن تخدم الفصحى.

إنّ قبائل بني هلال اليوم تتربّع على مساحات واسعة من ربوع الوطن، ويغلب تواجدها على طول الشّريط الغربي الذي انحصرت دراستي فيه، والتي تمتدّ من بعض المناطق في أقصى غربيّ ولاية الشلّف مع مستغانم من جهة الشّرق، إلى غاية الحدود الجزائرية المغربية غربا وما يلي ذلك جنوبا إلى غاية أقصى الجنوب الجزائري.

والجدير بالذّكر أنَّ بني هلال هم قبائل بدوٍ رعاة، كانوا يعيشون حياة التّرحال والتّنقل الدّؤوب بحثًا عن سبل الحياة، فيما يسمّى بعملية الانتجاع، يغلب على نشاطهم تربية المواشي بشتّى صنوفها ويشتهرون بتجارتها، ويتميّزون بشدّة تكافلهم وتلاحمهم في الميادين الاجتماعية والاقتصادية، وقد جابوا البلاد طولا وعرضا بحثا عن أسباب الرّزق، فغَنِمُوا ولوَّنُوا حَيَاتَهم بشتّى الألوان، واكتسبت لهجتهم سماتٍ أكَّدت إرثهم الحميم لأسلافهم الذين قطنوا المنطقة، منذ تغريبتهم

---

(1) عارف الكندي: العربية بين الفصحى والعامية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد 44، ص59.

(2) محمود السعران: علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي– القاهرة– 1962م، ص43.

الشّهيرة المذكورة في كتب التّاريخ والتّراجم والأدب، قبل أن يأتي المستعمر ليحدّ من ظاهرة الانتجاع في مختلف أرجاء البلاد، وتبدأ هذه القبائل الميل نحو الاستقرار.

إذًا، فاللّهجة التي بين أيدينا ترسم ثقافة عريضة أصحابها كانوا رجال أدب وفروسية، يعشقون الحرّية ولا يهابون المخاطر، فالمستوى اللُّغَوِيُّ المدروس لهذه اللّهجة، هو المستوى العامِّي الذي يشترك في بنائه جميع فئات هذا المجتمع -نساءً ورجالًا-، ويستخدمونه في أمورهم اليومية من عمل وبيع وشراء وزواج وطلاق وقصص وأمثال وأشعار وزيارات وتحيّات ومخاصمات وحكايات وأدوات... إلخ.

ثمّ إنّ المنهج الذي توخَّيته في هذا البحث اللّهجي، يعتمد على أسس عدّة:

أولا: النّظر في القبيلة وأصلها نسبًا وموطنًا، ومن ثَمَّ محاولة تتبّع مراحل تنقّلها حَسَبَما تُوَفِّرُه لنا المراجع.

ثانيا: الوقوف عند النّسق الإيكولوجي لهذه القبائل، من خلال الكشف عن خصائص تراثها الثّقافي والحضاري بنوعيه المادّي والمعنوي.

ثالثا: دراسة اللّهجة المَحْكِيَّة ورصد ظواهرها وتفسيرها، والبحث في أصلها وما شابهها في لهجات العرب قديما وحديثا، وتحليل النّواحي الصّرفية والصّوتية والنّحوية والمعجمية التي تعتمد عليها الدّراسات اللّهجية، كلٌّ منها بحسب ما استوعَبَتْهُ وأدْرَكَتْهُ تجربتي، فقد يزيد بعضها طَورًا وينقص بعضها طورا آخر، محاولة أن لا يخلَّ ذلك بالمنهج العلمي في البحث.

وعليه، اقتضت طبيعة الدّراسة الاعتماد على عدّة مناهج مختلفة، منها: المنهج التّاريخي، المنهج الوصفي، المنهج التّحليلي والمنهج المقارن

اقتصرت في **الباب الأوّل** على المنهجين التّاريخي والوصفي، وهو باب تمهيدي تناولت فيه دراسة تاريخية لقبائل بني هلال من حيث نسبهم ومساكنهم قبل الهجرة وبعدها، ومراحل هجرتهم

بداية من شبه الجزيرة العربية، وصولا إلى الشّمال الإفريقي وتربّعهم بالأراضي الجزائرية، كما تناولت تراثهم ووقفت عند عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وآدابهم.

أمّا **الباب الثّاني** فقد اعتمدت فيه المنهج الوصفي والتّحليلي والتّقابلي. فالمنهج الوصفي هو الذي يقتصر على عرض الاستعمال اللّغوي لدى مجموعة من النّاس، في الزّمن الحالي وفي المكان المعيّن، وهو منهج يصف اللّهجة المدروسة كما هي، فيُبيِّن ما لها من خصائص وما بين عناصرها من علاقات، بهدف الوصول إلى القواعد العامّة التي تحكمها.

أمّا **المنهج التّحليلي**، فيعمل على دراسة البِنَى الوظيفية وسياقاتها وطبيعة فُونِيَماتِها التّركيبية وفوق التّركيبية، وكذلك تركيباتها المقطعية.

أمّا **المنهج التقابلي** فكان لعرض مفردات وتراكيب المادّة اللّغوية لِلَّهْجَةِ المدروسة، على اللّغة العربية الفصحى وعلى اللّهجات العربية القديمة، وتتبّع ظواهر هذه اللّهجة عندهم.

وعليه انتظمت هذه الدّراسة في مقدّمة وبابين وخاتمة على النّحو الآتي:

ففي **المقدّمة**: عرضت أهميّة الموضوع، ومنهج الدّراسة، والصّعوبات التي واجهتني، ووسائل جمع المادّة، والخطوات التي اتّخذتها، وتقسيم البحث.

أمّا الباب الأوّل فإنّه يتكوّن من فصلين:

الفصل الأوّل: يتناول الدّراسة التّاريخية لقبائل بني هلال.

الفصل الثّاني: يتناول الدّراسة الأنثروبولوجية.

في حين يتناول **الباب الثّاني**: الدّراسة اللّغوية، ويتكوّن من ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: عنونته بالخصائص الصّوتية في لغة قبائل بني هلال

وعرضت فيه صفات الأصوات ومخارجها في لهجة بني هلال في منطقة الغرب الجزائري، وتحقيق الصّوامت عبر التّقابل الدّلالي، مع ذكر المقاطع الصّوتية التي جاءت عليها اللّهجة، وأنواعها، وعددها، كما تعرّضت لظاهرة النَّبْر والمقاطع الصّوتية التي تُنْبَر وموقعها في الكلمة، وتعرّضت لظاهرة المماثَلَة الصّوتية بين الأصوات المتجاورة، وأنواع التّأثير، ودرجات التّأثر، وذكرت أحوال الهمزة في هذه اللّهجة؛ مُبَيِّنةً متى تُحقَّق، ومتى تُسهَّل ومتى تُحذَف.

أمّا الفصل الثّاني، فوسمته بالخصائص الصّرفية في لغة بني هلال

وتناولت فيه صيغ الأفعال، وصيغ الأسماء، وصيغ المصادر في لهجة قبائل بني هلال، وتحدّثت عن المشتقّات: (اسم الفاعل، اسم المفعول، الصّفة المشبّهة، اسم الآلة، اسْمَا الزّمان والمكان، وأسلوبي التّفضيل والتّصغير)، وكيف تصاغ في اللّهجة، وعلاقتها بالمشتقّات في العربية الفصحى.

كما ذكرت في هذا الفصل الضّمائر وأنواعها، وإضافة الاسم الظّاهر إلى الضّمائر، وإسناد الأفعال إلى الضّمائر. وتحدّثت عن أسماء الإشارة وأنواعها في اللّهجة، والأسماء الموصولة وأنواعها.

في حين عنونت الفصل الثّالث: بالخصائص النّحوية في لغة بني هلال

وتناولتُ فيه بعض الظّواهر النّحوية في اللّهجة، منها بناء الجملة وأنواعها، وتحدّثت فيه عن أقسام الجملة: الجملة البسيطة (الجملة الاسمية والجملة الفعلية)، كما تناولت مطيلات الجملة الاسمية والفعلية، وتحدّثت فيها عن: الأدوات والحروف: (النّفي، الإيجاب، حروف الشّرط، النّداء، والاستفهام)، وأدوات أخرى.

وفي **الخاتمة**: تناولت النّتائج التي تمّ التّوصل إليها في البحث.

ثمّ إنّ مادة هذه الدّراسة وفقا للمناهج المذكورة، اعتمدَت على الأساس العلمي الذي شَمِلَ الملاحظة والتّجربة والاستنباط والوصف والتّحليل للمادّة المجموعة.

أمّا **وسائل التّسجيل** التي استخدمتها فهي: الملاحظة والتّسجيل على النّحو الآتي:

أ- الملاحظة: وتنقسم إلى ملاحظة بصرية، وملاحظة سمعية، هذا باعتبار العضو المستخدم فيها، وتنقسم باعتبار آخر إلى:

- ملاحظة ذاتية: محورها محاكاة المساعد اللّغوي وتقليده.

- ملاحظة خارجية: وفيها اتّخذت من غيري راويًا، وتوجيهه إلى تكرار نطق صيغة معينة أو رواية قصّة معيّنة.

ب- التّسجيل: وهي الوسيلة الثّانية التي كنت قلّما استخدمها، فعلى قدر ما لها من ميزات، لها من العيوب ما يجعل الباحث يتحاشى استعمالها؛ فمن عيوب التّسجيل:

أوّلا: أنّه يصعب المقارنة بالصّوت الحقيقي الصّادر عن جهاز النّطق عند الإنسان، وخاصّة إذا كان التّسجيل غير واضح.

ثانيا: أنّ الاهتمام بتسجيل تلك اللّغة يجعل المتكلّم -المساعد اللغوي- قَلِقًا؛ لمحاولته التّحسين من أدائه اللّغوي في حالة ما لاحظ أنّ أحدا ما يراقب حديثه أو يسجّله.

وقد استطعت من خلال الوسيلتين السّابقتين جمع المادّة اللّغوية وتسجيلها وتوثيقها، وذلك مشافهة من خلال الأحاديث والمحاورات المباشرة مع مجموعات -المساعدين اللّغويين-، من مختلف مناطق الغرب الجزائري والذين ينتمون إلى قبائل بني هلال. كما التزمت بالشّروط التي وضعها اللّغويون، والتي لا بدّ من توافرها في المساعد اللّغوي -الرّاوي- ليكون ممثّلا صحيحا لبيئته اللّغوية، وهي:

1- أن يكون من أبناء اللّهجة المدروسة.

2- أن يكون خاليا من العيوب النّطقية.

3- أن لا يكون من أصحاب الثّقافة اللّغوية، حتّى لا تؤثّر ثقافته في لغته تأثيرا كبيرا.

4- أن لا يكون قد مكث في غير منطقته مدّة طويلة، بحيث يخلط في كلامه بين أكثر من لهجة.

5- أن لا يكون طفلا؛ لأنّ لغته لم تكتمل بعد.

ثمّ قمت بفرز هذه المادّة اللّغوية وتصنيفها بعد دراستها، وتحليلها من خلال وصف الظّواهر الصّوتية فيها، وكذلك الظّواهر الصّرفية والنّحوية والظّواهر الدّلالية، وتأصيلها ما أمكن، واستنتاج القواعد التي تحكم علاقاتها الدّاخلية، واستخلاص العلاقات القائمة بين هذه اللّهجة واللغة العربية الفصحى.

وكانت مصادر هذه الرّسالة ومراجعها كثيرة ومتنوّعة بتنوّع مباحثها بين التّاريخ واللّغة. ففي التّاريخ اعتمدت على أهمّ المصادر من جملتها أذكر: "العِبَرَ" لابن خلدون، "جمهرة أنساب العرب" لابن حزم، "البيان المُغْرِب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب لابن عذارى، "إغاثة الأمّة بكشف الغمة" للمقريزي، الذي استمتعت جدّا بقراءته لما يحتويه من حقائق غريبة، أقلّ ما يقال عنها: إنّها أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة. دون أن أنسى كتاب"الشّخصية الجزائرية.. الأرضية التّاريخية والمحدّدات الحضارية" للدكتور سليمان عشراتي الذي قرّب إليّ فهم الشّخصية الجزائرية، وما يكتنفها من غموض حيال مسائل الهويّة والتّاريخ، من خلال طرحه لأفكار تحدّد بعض الشّواهد والمظاهر الاجتماعية والفكرية الجزائرية.

أمّا في الباب اللّغوي، فقد بدأتُ بقراءة كتب بعض المُحْدَثِين التي جعلتها مفتاحًا لِوُلُوجِ أبواب هذا الموضوع، كالتّطوُّر اللّغوي التّاريخي لإبراهيم السَّامرائي، التّطوُّر اللّغوي مظاهره وعلله وقوانينه لرمضان عبد التوَّاب، الإبدال في ضوء اللّغات السّامية لكمال ربحي وغيرها، كما كانت لي وقفات ببعض كتب النّحو التي لا غنى لأيّ طالب عنها، من أمثال: النّحو الوافي لعباس حسن، جامع الدروس للعربية الشيخ الغلاييني، المعجم الوافي في أدوات النّحو العربي لعلي توفيق الحمد – يوسف جميل الزعبي. ثمَّ استعنتُ بما كتبه أئمَّة اللّغة، كالكتاب لسيبويه، والخصائص وسرِّ الصناعة لابن جني، وبعض كتب شروح ألفية ابن مالك، وكذلك كتب القراءات القرآنية، منها النّشْرُ في القراءات العشر وتحبير التّيسير في قراءات الأئمَّة العشرة لابن الجزري. وكانت المعاجم العربية

كاللّسان لابن منظور والقاموس المحيط للفيروزبادي والمخصَّص لابن سِيْدَه، زادًا قويًّا في اختراق حدود مبنى ومعنى ألفاظ لهجة بني هلال، والتّغلغل في خباياها لكشف صورتها الأصلية.

أهداف دراسة الموضوع وأهمّيته:

– دراسة اللّهجات العربية الحديثة تساعد على رصد التحوّلات والتغيّرات على مسيرتها منذ القدم.

– اللّغة كائن حيّ تخضع لنواميس الحياة من نموّ وهرَم، فليس أفضل من درس اللّغة الحيّة العامية لفهم ذلك، وعامية أيّ شعب لغة حرّة متطوّرة.

– توثيق اللّهجة من أفواه المتحدّثين بها يلقي الضّوء على الأنشطة الثّقافية والاجتماعية المختلفة لأفراد لمجتمع، وفَهْمِ مستواه الثّقافي والحضاري والخُلقي.

– تساعد دراسة اللّهجات العربية على تفسير كثير من الظّواهر اللّغوية، في اللّغات السّامية عامّة، واللّغة العربية الفصحى على وجه الخصوص.

– تضييق الفجوة بين اللّهجات الجزائرية الحديثة، عن طريق معرفة وإدراك مواطن التّباعد بينها وبين الفصحى والتّركيز عليها.

– إن دراسة اللّهجات العربية –إذا قامت على حسن النّية– تقرّب بين العرب وتؤجّج الرّوح القومية بينهم.

صعوبات البحث:

كلّ باحث تواجهه صعوبات خاصّة أثناء مسيرته، ومن الصّعوبات التي كانت تعيقني وكادت تحطُّ من عزيمتي، النّقدُ اللّاذع التي كنت أتلقاه من بعض الجاهلين بقيمة هذه الدّراسات، والذين كانوا يحاولون أن يقفوا حَجَرَ عَثْرَةٍ أمام العمل في هذا الميدان المهمّ من ميادين الدّراسة اللّغوية، على أنّ هذا النّوع من الدّراسات لا حاصل منه، وأنّ أيّ عمل ينطوي تحت لواء الثّقافة الشّعبية هو مضيعة للوقت، لكنَّ إيماني العميق بأهميّة هذا العلم وما يقدِّمه للفصحى لم يَزِدْنِي إلا إصرارا للمُضِيِّ قُدُمًا في النّهل من ينابيعه، فأنا إذ أقدّم هذا البحث لأرجو من الله العون والسّداد، وأن أقدّم ما ينفع ويفيد، ويحقّق الهدف المنشود من إجراء بحث لغوي؛ إذ هو خدمة بالدّرجة الأولى للّغة العربية وحسبي بذا دافعًا ومحفزًّا.

وآمل أن أكون قد أسهمت بدراستي هذه في خدمة لغتنا العربية الجميلة، هذه اللّغة التي أكرمها الله وخصّ بها آخر كُتُبِهِ المتزَّلة، وآمل أيضًا أن أكون قد ساهمت في الردِّ على كلِّ مَنْ يريد أن يشكّك في عروبتنا وأصالتنا. ﴿وَمَا تَوفِيقِي إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود: 88].

الباب بنو هلال-السيرة والمسيرة
الفصل الأول بنو هلال في التاريخ

1: نسب بني هلال وبطونهم

تعتبر شبه الجزيرة العربية الموطن الأوّل للعرب، وقد عاشوا فيها إلى أن اضطّرهم الظّروف الاقتصادية والمناخية للهجرة إلى أطراف الجزيرة والأقاليم المجاورة لها. ولعلّ من أشهر الهجرات العربية في كتب التاريخ، هجرة بني هلال في القرن 5هـ/ 11م إلى شمال إفريقيا التي كانت تضمُّ مجموعات من القبائل العدنانية والقحطانية.

والحديث عن نسب القبائل الهلالية التي دخلت المغرب، يبدو أمرا عسيرا دون التوقّف عند نسب هذه القبائل، وتحديد مواطنها الأصلية، ومعرفة ما المقصود بالهجرة الهلالية؟

1.1- طبقات العرب:

يجدر بنا قبل أن نشدّ الرّحال إلى بني هلال أن نشير إلى طبقات العرب؛ حتى نتمكّن من تحديد الطّبقة التي تنتمي إليها فروع بني هلال.

إنَّ النّسابين العرب يقسِّمون الأنساب إلى عدّة طبقات وفروع، ويختلفون فيما بينهم في ترتيبها وفي عددها وفي التّمثيل لها، كأن يمثّل أحدهم لطبقة بشخص معيّن، ويمثّل الآخر بحفيد له، وأشهر هذه التّقسيمات هي على النّحو الآتي:[1]

---

[1] أبو العباس أحمد القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط بغداد، ص 14، وينظر: صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية -1959- ج1 ص 308-309، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، الطبعة رقم 1، دار الكتب الحديثة 1963، ص14- 15. محمد أمين البغدادي السويدي: سبائك الذهب في معرفة قبائل

1- الشّعب: وهو النّسب الأبعد كعدنان.

2- القبيلة: وهي ما انقسم فيها الشّعب، كربيعة ومضر.

3- العِمارة: وهي ما انقسم فيها أقسام القبيلة.

4- البطن: وهو ما انقسم فيه أنساب العمارة، كبني عبد مناف وبني مخزوم.

5- الفَخِذ: وهو ما انقسم فيه أنساب البطن، كبني هاشم وبني أمية.

6- الفصيلة: وهي ما انقسم فيها أنساب الفخذ كبني العباس.

7- العشيرة: وزادها بعض النَّسابين وهي دون الفصيلة، مثل أولاد المنصور.[1]

كما يجب التّنويه إلى أمر مهمّ استوقفني مليًّا، وأنا في ثنايا التّنقيب عن نسب هذه القبيلة الشّهيرة، التي ذاع خبرها في مشارق الأرض ومغاربها، ألا وهو كثرة الأنساب واختلاطها في الكتب اختلاطا كبيرا يقف الواحد أمامها مذهولا، حتى بدا لي أنَّ التّاريخ القديم لمنطقة الجزيرة العربية، وللعرب عموما يكتنفه بعض الغموض؟!

فالثّابت في كتب التّاريخ والأنساب أنَّ العرب أمَّة سامية (نسبة إلى سام بن نوح) استوطنت الجزيرة في العصور الغابرة، فتفرَّعت عنها القبائل والبطون، وهم ثلاث فئات:

- بائدة أو الهالكة: انقرضت وكانت شعوبا عديدة منهم عاد وثمود.

- العاربة أو القحطانية: هم سكان اليمن وما جاورها من ولد يَعْرُبِ بن قحطان، وكانت لهم حضارة شامخة ودول قديمة عاصرت فراعنة مصر وملوك بابل، ومن أشهرها دولة حمير أو التبابعة.

- المستعربة أو الإسماعيلية: وهم سكان الحجاز ونجد من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل، ويسمَّوْن أيضا "عدنانية" نسبة إلى عدنان أحد أجدادهم.

العرب، دار الكتب العلمية، ط1، 1995، ص5.

[1] محمد بن موسى الحازمي: عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق: عبد الله كنون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط2، 1393ه-1973م، ص6.

لكن الغريب في الأمر، أنَّ المتمعِّن في ما أُلِّف في التّاريخ والأنساب منذ الرّعيل الأوّل وحتّى الآن، أنَّ جُلَّهم يتّفق أنَّ العرب بائدة وعاربة ومستعربة، لكنّهم يختلفون في أصلهم وتفرّعهم، فهم يرون أنَّ العرب الباقية تتكوّن من قحطان وعدنان[1]، ومرّة يقولون إنَّها من قحطان ومعد[2]، وهناك من يراها تتكوّن من قحطان وعدنان وقضاعة[3] وهذه الأخيرة – قضاعة– نجدها تنتسب عند بعضهم إلى معد بن عدنان[4] في حين نجدها عند آخر تنتسب إلى القحطانيين[5] والبائدة لا يعرف عنها شيئا إلا ما ذكر في القرآن.

وما أثار حيرتي... هو كيف وعلى أيِّ أساس قسَّم النسّابون المتقدّمون العرب إلى بائدة وعاربة وتابعة للعرب ومستعربة؟ ولماذا سار المتأخّرون على نهجهم وكأنّها مسلّمة؟ ثمّ على أيِّ أساس قُسِّم العرب إلى قحطانيين وعدنانيين، إذا كان هؤلاء القحطانيون لم يستقرّوا في اليمن حيث كانت منازلهم الأولى، بل هاجر كثير منهم بعد سيل العَرِمِ إلى أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة[6]، و لم يكن العدنانيون مستقرين في الحجاز، بل هاجر منهم من هاجر إلى اليمن (نفسه) وكان بعض الذين هاجروا من هنا، أخذوا ينتسبون إلى من كان هناك[7] على كلٍّ –في رأيي– إنَّ هذا التّقسيم يحتاج إلى إعادة نظر، وإن كنا مجبرين على القبول به وعلى استعمال مصطلحات التّصنيف والتّفريع، على الأقلّ كأسماء قبائل حتّى نتمكَّن من تحديد المواطن الأصلية لبني هلال،

---

(1) المبرد: نسب عدنان وقحطان، القاهرة 1936م، ص 1و18

(2) المسعودي: مروج الذهب، القاهرة، 1283هـ، ص 1- 232

(3) العِبَر: لابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1959م ج1ص 25 و27.

(4) ابن هشام: السيرة النبوية، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، ص 1- 7.

(5) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، المعارف، 1948، ج1 ص8

(6) القلقشندي: قلائد الجمان: ص12.

(7) ابن هشام: السيرة النبوية، ص 206.

والمناطق التي كانت تنتشر فيها منازلها من شبه الجزيرة العربية، وبالتّالي التوصُّل إلى نسبها الصّحيح، فلا شكَّ أنَّ معرفة منازل القبائل في الجزيرة في العصور الأولى، يعيننا على معرفة أنسابها.

2.1 نسب بني هلال:

يتبيّن من خلال تتبّع تاريخ تلك القبائل الشّهيرة في كتب التّاريخ، بتغريبتها من الجزيرة العربية إلى بلاد المغرب العربي، أنَّها تقتصر على ثلاثة قبائل[1] وهي: بنو هلال، بنو سليم وبنو معقل. إلا أنّ اسم "هلال" غلب عليها جميعا، والسّبب في ذلك ربّما لأنّ زعامة هذه الجماعات كانت لهم في ذلك الحين، وربّما لأنّ لفظ "هلال" سهل التّداول، فكثر دورانه على الألسن، وبذلك شاع اسم بني هلال على جميع تلك القبائل.

و"أمّا بنو هلال وبنو سليم قبائل تنتمي إلى الفرع العدناني الشّمالي ما يسمّى بعرب الشّمال، وقد ذكرها ابن خلدون وأبو الفداء ضمن القبائل المسمّاة "العرب التّابعة للعرب"[2] وهي الطّبقة الثّالثة من العرب، بينما اعتبرها القلقشندي من طبقة "العرب المستعربة"[3]؛ فهلال وسليم هم من سلالة واحدة.

أمّا عن بني معقل، فقد اختلف في نسبهم كما أكَّد ذلك ابن خلدون عندما قال: "وأمّا أنسابهم عند الجمهور فخفيَّة ومجهولة، ونَسَّابة العرب من هلال يعدّونهم من بطون هلال وهو غير صحيح... والصّحيح -والله أعلم- من أمرهم أنّهم من عرب اليمن؛ فإن فيهم بطنين يسمّى كلّ واحد منهما بالمعقل"[4]، أمّا الذين دخلوا المغرب بصحبة بني هلال بن عامر، فيرجعون إلى بنو معقل وهو ربيعة بن الحارث بن كعب بن جلد بن مذحج؛ فهم بطن من مذحج من القحطانية، كانوا في القرن الثّامن الهجري من أوفر القبائل العربية، وهم ثلاث بطون: ذوي عبيد، ذوي

---

[1] ابن خلدون:كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1959م، ج6 ص120، وينظر المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة "تاريخ المجاعات في مصر" مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980، ص53.

[2] ابن خلدون: العبر ج1 ص 494.

[3] القلقشندي: نهاية الأرب، ص 11 و 12.

[4] ابن خلدون: م س، ج6 ص

منصور، ذوي حسان.[1] ثمّ انتقلت فروع من هذه القبائل الثّلاث في فترات مختلفة، كان آخرها وأشهرها انتقال قسم كبير منهم إلى المغرب، وهذا ما عرف عند أهل عصرنا بتغريبة بني هلال، وقد فصَّل ابن خلدون جوانب من أخبار هذا الانتقال، ولا شكّ أنه بقي منهم بقية في مواطنهم القديمة، قد تكون دخلت من حيث الانتساب في سكان هذه المواطن في عصرنا، أو بقيت معروفة بنسبها القديم.

إلا أنَّ اهتمامنا سينصبّ على قبيلة بني هلال بن عامر دون غيرها، فهي موضوع بحثنا، كونها القبيلة الأكثر تمركزا في منطقة الغرب الجزائري، فمن هم بنو هلال؟ وكيف وصلوا واستوطنوا أراضي الجزائر؟

يوجد في العرب أكثر من بطن يدعى بني هلال، ولكنَّ أشهرها وأقواها وأبعدها أثرًا وعددًا، وصولةً وجولةً، ونفوذًا وانتشارًا، هو الفرع العامري الهوازني القيسي المُضَرِي في الجاهلية والإسلام، بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن المضري القيسي الهوازني، نسبة إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة العزيز بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من نسل نبي الله إسماعيل الذّبيح بن إبراهيم خليل الرّحمن -عليهما السّلام- أهل التّغريبة والهجرة الشّهيرة، فهي فرع عدناني مضري قيسي خصفي عكرمي منصوري هوازني معاوي صعصعي عامري شهير.[2]

3.1- بعض الفروع من العرب ممّن يطلق عليهم اسم بني هلال:

لكنْ... ليس كل من يقال لهم بنو هلال، هم بنو هلال أصحاب التّغريبة المشهورون الذين تكلّمت عنهم كتب التّاريخ، وروى عنهم الأدب في سِيَرِهِ وملاحمه، وجرت أخبارهم وبطولاتهم على ألسنة الحكواتيين، والعامَّة من النّاس في مجالسهم وليالي سمرهم، وإنَّما يشترك مع بني هلال

---

[1] ابن خلدون: العبر، ج6، ص77. وينظر عمر كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة -بيروت- ط3، 1402هـ- 1982م ، ط1، دار الفكر العربي، ج3 ص1123.

[2] الزِّرِكْلِي: الأعلام ص92. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص273- 274. النويري شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان- 1424هـ - 2004م، ط1 ج2 ص337- 338.

أصحاب التّغريبة عدَّةُ قبائل في الاسم، وجب إحصاؤها حتّى نتجنَّب أي لبس قد يشوب بني هلال أصحاب التّغريبة، فهناك:

1- بنو هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عوف بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النَّمِر بن قاسط، بطن من النمر في ربيعة بن نزار.[1]

2- بنو هلال بن عامر بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد بن ضبة، بطن عدناني مُضَرِي ضَبِّي.[2]

3- بنو هلال بن جُشَم بن القَيْن بن جَسْر، بطن قضاعي قَيْنِي.[3]

4- بنو هلال بن عمرو بن جُشَم بن عَوْف بن النَّخَع من مِذْحَج، بطن مذحجي نخعي قحطاني، وهؤلاء هم الذين جاوروا بني سلول (من هوازن) في أعالي منطقة بيشة، ثم رحلوا ودخلوا بالحلف في قبيلة يام القحطانية الكبرى سنة 320ه، وهو الذي اعتمده البكري في كتابه "معجم استعجم."[4]

5- بنو هلال بن عمرو بن كعب بن الغِطْريف الأصغر، وهو الحارث، ابن عبد الله بن الغِطْرِيف بن بكر بن يَشْكُر بن مبشّر، بطن من قبيلة الأزد.[5]

6- بنو هلال بن عفر من قيس عيلان، بطن عدناني مضري قيسي.[6]

---

[1] ابن حبيب أبو جعفر محمد: مختلف القبائل ومؤتلفها، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ص47، وينظر: ابن الأثير. عز الدين الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر للطباعة والنشر، 1980، ط1، ج2 ص545. أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ود. عبد الحليم عويس الرياض: بنو هلال أصحاب التغريبة في التاريخ والأدب، دار العلوم، شارع الستين 1981م، ص17.

[2] ابن حبيب: م س، ص48.

[3] ابن حبيب: م س، ص48.

[4] م س ص.

[5] ابن حبيب: م س، ص48.

[6] أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ود. عبد الحليم عويس: م س، ص17.

7- بنو هلال بن أُهَيْب بن ضبّة بن الحارث بن فهر من قريش، فرع عدناني مضري خندفي مدركي كناني نضري قرشي فهري حارثي، ولعلّهم الذين كانوا في أعالي وادي فاطمة قرب مكّة في القرن السّابع الهجري، منهم الصّحابي الجليل وأحد العشرة المبشرين بالجنّة، وأمين هذه الأمّة أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجرّاح بن هلال بن أهيب ابن ضبّة بن فهر.[1]

8- بنو هلال بطن قضاعي خولاني حيداني النّسب صعدي المهجر.[2]

9- بنو هلال أيضًا بطن من قبائل خولان بن عمرو بن الحافي بن قضاعة.[3]

10- بنو هلال بن مالك بن ضبّة بن الحارث بن فهر، بطن عدناني مضري منهم: سهل وصفوان أبناء وهب بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن مالك ابن ضبّة، شَهِدَا بدرًا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وأمّهما بيضاء، وهي دعد بنت جحدم بن عمرو بن عامر بن عائش بن ظَرِب بن الحارث بن فهر، وعياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال صحابي، شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق، وساهم في فتوح الجزيرة، وهو أوّل من اجتاز الدّرب إلى الروم، ولّاه عمرُ جُنْدَ حمص فلم يزل واليًا عليها حتى وفاته سنة 20هـ.[4]

أمّا نسب بني هلال الذين اتّجهوا إلى الغرب فجدّهم الذي ينسبون إليه هو "عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن؛ فمن بطون عامر: بنو هلال بن عامر بن صعصعة."[5]

---

(1) جمهرة النسب للكلبي، تحقيق: د. ناجي حسن، ط1، 1407هـ- 1981، ط1، ص371.

(2) إبراهيم بن أحمد المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 2004، ط4، ج2 ص1825.

(3) الهمذاني: الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير- الجزء العاشر، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، 1987م، ط2، ج1 ص 294 و321.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى مع الفهارس، دار الكتب العلمية، 1997، ط2، ج7 ص 123. الطبري: تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، دار الكتاب العربي، 2005م، ط1، ج3 ص346. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت 1412هـ- 1992م،ج3، ص: 50.جمهرة النسب للكلبي: ص125- 126.

(5) ابن حبيب: مختلف القبائل، ص48. وينظر: المقريزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب مع دراسة في تاريخ

ويتحدّث ابن حزم الأندلسي عن هذا النّسب عندما يقول: "هؤلاء بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن نضر"[1]، ويقول خير الدّين الزرّكلي في نسبهم: "هلال بن عامر بن صعصعة من هوازن عدنان."[2] ويتحدّث عزّ الدّين بن الأثير عن قبيلة بني هلال، فَيُنَوِّهُ بكثرتها وبكثرة ما أنجبته من العلماء فيقول: "الهِلالي، بكسر الهاء، هذه النّسبة إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، قبيلة كبيرة ينسب إليها كثير من العلماء."[3]

4.1- بطون بني هلال النّازحة إلى المغرب:

لقد تحدّث الزّركلي عن بطون بني هلال، فذكر أنّ أسماء تلك البطون ترجع إلى أبناء هلال الجدّ المشترك للقبيلة الذي أنجب -حسب رأيه- خسمة أبناء، كلّ واحدا منهم جدٌّ لإحدى بطون القبيلة وهم "شعبة، وناشرة، ونهيك، وعبد مناف، وعبد الله"[4]، ويشتمل هذا الشَّعب على عدد كبير من القبائل، منها ما ينتمي إليه حقيقة بالنّسب، وبعضها نَسَبُهُ في غيره ولكنّه محسوب منه ومضاف إليه، كما تدخل في إطاره قبائل عَفَتْ وتَنَاسَلَتْ ونَمَتْ، وبذلك أصبح لها البطون والأفخاذ الكثيرة لترتفع من رتبة القبائل إلى رتبة الشّعوب، وعلى ذلك يمكن حصر شعوب بني هلال المضافين والأصليين فيما يلي:

العروبة في وادي النيل" تحقيق د. عبد المجيد عابدين، القاهرة: دار النشر، 1961، ص28. ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، بيروت: دار الكتاب العربي، ص 354.

[1] جمهرة أنساب العرب: ابن حزم الأندلسي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار المعارف، 1962، ج1 ص384.

[2] الأعلام: قاموس تراجم لأكثر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، القاهرة: دار الفكر، ج9 ص92.

[3] ابن الأثير: م. س، ج 3 ص 396.

[4] الزركلي: م. س، ج9 ص 92.

أ) **الأثبج:** يقول ابن خلدون: "كان هؤلاء الأثبج من الهلاليين أوفر عددا وأكثر بطونا[1]، ومن بين بطون الأثبج الكثيرة نعرض لتلك التي كان لها وجود مؤثر في إفريقية خلال القرن الحادي عشر للميلاد، نذكر:

– **دريد:** وهم أعز قبائل الأثبج، وعرفوا برئيسهم الذي دخل بهم إفريقية وهو الحسن بن سرحان بن وبرة إحدى بطون دريد، والمواطن التي نزلوها بالمغرب ما بين بلاد العناب (عنابة) إلى قسنطينة.[2]

– **كرفة:** "وكان لهم جَمْعٌ وقوة كانوا أحياء غزيرة من جملة الهلاليين الداخلين لإفريقية، وكانت مواطنهم حيال جبل أوراس من شرقية"[3].

– **لطيف:** من بين بطون هذا الأخير "اليتامى وهم أولاد كسلان بن خليفة بن لطيف بنو ذوي مطرف وذوي أبي الخليل وذوي جلال بن معافى، ومنهم اللقامنة أولاد لقمان، ونزار بن معن بن محيا بن جرير بن علوان، وجرير يزعمون أنّهم من محيا بن جرير، ومزنة من ديفل بن محيا، وإليه يرجع نسب بني مزني الولاة بالزّاب لهذا العهد"[4]، وعن كثرة بطون لطيف يذكر ابن خلدون "وكانت لِلَطيف هؤلاء كثرة ونجعة، ثم عجزوا عن الظّعن وغلبهم على الضواحي الدَّوَاوِدَة من بعدهم لَمَّا قَلَّ جمعهم وافترق ملوكهم."[5]

---

[1] ابن خلدون: العبر، تحقيق: خليل شحاذة- سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1421ه-2000م، ج6 ص 30.

[2] ابن خلدون: م. س، ج6 ص30-32.

[3] ابن خلدون: م. س، ص32.

[4] ابن خلدون: العبر، ج6 ص34.

[5] م س ص.

– **الضّحاك**: وهم بطون كثيرة[1] وعن استقرارهم كان بمنطقة الزّاب كما ذكر ابن خلدون "ثم عجزوا عن الظّعن ونزلوا الزّاب واتّخذوا بها المدن فهم على ذلك لهذا العهد."[2]

– **العاصم**: "وهم أبناء عاصم بن مشرف بن أثبج، كانوا من القبائل التي انضمّت إلى بني غانية فنقلهم الموحّدون إلى المغرب ببسيط تامسنا.[3]

– **العمور**: "ويغلب على الظّن أنّهم ولد عمرو بن عبد مناف بن هلال إخوة قرة بن عبد مناف."[4]

وعن مواطن العمور يذكر ابن خلدون أنّ "موطنهم ما بين جبل أوراس شرقا إلى جبل راشد، وكان كلّ ذلك من ناحية الحضنة والصّحراء. وأمّا التّلول فهم مدفوعون عنها بقلّتهم وخوفهم من حامية الدّول، فتجدهم أقرب إلى مواطن القفر والجدب."[5]

وما ينسب إلى بني هلال أيضا:

ب) جشم: وهم "جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن"[6] نقل الموحّدون جمهورهم إلى المغرب الأقصى، وأسكنهم بسيط تامسنا والحوز ما بين سلا ومراكش، فتخلّوا منذ ذلك التّاريخ عن عادة النّجعة والرّيادة واستقرّوا متمسّكين بفِلْحِ الأرض."[8] ولجشم بطون كثيرة منها:

– **بنو جابر بن جشم**: الذين يقول عنهم النّاصري صاحب كتاب الاستقصاء إنّهم كانت لهم شوكة، من مواطنهم نذكر سفح جبل تادلة ويبتعدون أحيانا إلى البسيط، ويعودون إلى قمم

---

[1] م س: ج6 ص33.

[2] م س:ج6 ص34.

[3] م س: ج6 ص43. وينظر: عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، المطبعة الوطنية، 1962، الرباط، ج1 ص 419.

[4] ابن خلدون: العبر م س: ج6 ص 34.

[5] م س: ج6 ص 35.

[6] م س: ج6 ص37-39.

الجبال والهضاب عن تهديدهم، وإن تناوب الرّئاسة عليهم إلّا أنّهم في أيّام دولة بني مرين تولاها وردِيقة.[1]

– **الخلط:** فيعدّون أيضا من جشم، ويذكرهم ابن خلدون "هذا القبيل يعرف بالخلط وهم في عداد جشم هؤلاء، لكن المعروف أنّ الخُلَّطَ بنو المنتفق من بني عامر بن عقيل بن كعب كلّهم شيعة للقرامطة بالبحرين."[2] ولقد استقرّ الخلط في المغرب وخاصّة بسائط تامسنا، وعرفوا بكثرة العدد وقوّتهم، ومن الذين تولّوا الرّئاسة عليهم شيخهم هلال بن حميدان بن مقدم بن محمد بن هبيرة بن عواج.[3]

– **سفيان:** وعن المواطن والرّئاسة في هؤلاء يذكر ابن خلدون "وكان سفيان هؤلاء حيًّا حُلُولًا بأطراف تامسنا ممّا يلي آسفي، وملك بسائطها الفسيحة عليهم الخلط، وبقي من أحيائهم الحرث والكلابية ينتجعون أرض السّوس وقفاره، فبقيت فيهم لذلك العهد شدّة وبأس ورئاستهم في أولاد مطاوع من الحرث."[4]

وما ينسب إلى بني هلال كذلك:

ج) قبيلة رياح: هذه القبيلة من أعزّ قبائل هلال وأكثرهم جمعا عند دخولهم إفريقية، وينسبون إلى رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، وتولّى الرّئاسة عنهم موسى بن يحيى الصّنبري من بطون مرداس بن رياح.[5]

---

[1] ابن خلدون: العبر، ج6 ص42. عبد الوهاب بن منصور: م س، ص 420.

*وردِيقة أو ورديفة: وردت بكلا الصّيغتين في المصادر.

[2] م س: ج6 ص40.

[3] ابن خلدون: العبر م س: ج6 ص40.

[4] م س: ج6 ص39.

[5] م س: ج6 ص43.

وقبائل رياح كثيرة كانت كلّ واحدة منها ترتقي إلى مرتبة شعب "وأمّا الخضر فيقولون إنّهم من ولد خضر بن عامر، وليس عامر بن صعصعة."[1] ويعدّ من بطون رياح أيضا:

– **مرداس:** وعرفوا بكثرة العدد والرّئاسة على رياح أثناء دخولهم إفريقية في صنبر، ثمّ صارت للدواودة أبناء داود بن مرداس بن رياح.[2]

– **أولاد سعيد:** و"رئاستهم لأولاد يوسف ابن زيد منهم في ولد ميمون بن يعقوب بن عريف بن يعقوب بن يوسف، وأردافهم أولاد عيسى بن رحاب بن يوسف، وهم ينسبون –بزعمهم– إلى بني سليم في أولاد القوس من سليم، والصّحيح من نسبهم أنّهم من رياح بالحلف والموطن."[3]

وما ينسب إلى بني هلال كذلك نذكر:

د) زغبة: و"هذه القبيلة إخوة رياح، فهم أبناء أبي ربيعة بن نهيك ابن هلال بن عامر هكذا نسبهم."[4] كانت لهم عزّة وكثرة عند دخولهم إفريقية، وتغلّبوا على نواحي طرابلس وقابس."[5]

كما قد شملت على قبائل كبيرة مثّلت كلّ منها شعب، نذكر ومنها:

– **بنو يزيد:** "وعرفوا في زغبة بكثرة عددهم وشرفهم، ونالوا العناية من الدّول إذ أقطعوهم التّلال والضّواحي.[6]وعن مواطنهم بالمغرب، يذكر ابن خلدون أنّ الموحّدون أنزلوهم أرض حمزة في بجاية، وذلك بالقرب من مواطن رياح والأثابج فاستقرّوا هنالك.[7]

---

[1] م س: ج6 ص48.

[2] م س: ج6 ص44.

[3] م س: ج6 ص54-55.

[4]ابن خلدون: العبر م س:: ج6 ص54-55.

[5] م س: ج6 ص54-55.

[6]م س: ج6 ص55-57.

[7] م س: ج6 ص55-57.

– **حصين بن زغبة:** و"كانت مواطنهم بجوار بني يزيد إلى المغرب عنهم"[1] وهي بدورها تنقسم إلى بطنين عظيمين: جندل وخراش.[2]

فمن البطن الأولى –جندل– هناك:

- أولاد سعد خنفر بن مبارك بن فيصل بن سنان بن سباع ابن موسى بن كمام بن علي بن جندل، والرّئاسة فيهم لبني خليفة بن سعد لعلى، وسيدهم أولاد خشعة بن جندل.[3]

ومن البطن الثّانية —خراش– هناك:

- أولاد مسعود بن مظفر بن محمّد الكامل، ورياستهم كانت في ولد رحاب بن عيسى بن أبي بكر بن زمام بن مسعود.[4]
- أولاد فرج بن مظفر، ورياستهم في بني خليفة بن عثمان بن موسى بن فرج.[5]

- أولاد طريف بن معبد بن خراش، ويعرفون بالمعابدة، ورياستهم في أولاد عريف.[6]

– **بنو مالك:** يقول ابن خلدون: "وأمّا بنو مالك بن زغبة فهم بطون ثلاثة: سويد بن عامر بن مالك، وهم بطنان العطاف بن ولد عطاف بن رومي بن الحارث. والدّيالم من ولد ديلم بن حسن

---

[1] م س: ج6 ص58.

[2] م س: ج6 ص59.

[3] م س: ج6 ص59.

[4] م س: ج6 ص59.

[5] م س: ج6 ص59.

[6] م س: ج6 ص59.

بن إبراهيم بن رومي"[1]، وكانت رئاسة بني مالك في "أولاد عيسى بن عبد القوي بن حمدان، وكانوا ثلاثة: مهدي وعطية وطراد."[2]

– **بنو عامر بن زغبة:** ومواطنهم في آخر مواطن زغبة القاطنة في المغرب الأوسط، وكانت موطنهم من قبل ذلك إلى الشّرق من مواطن زغبة[3]، ومن بطونهم الشّهيرة والمعروفة ثلاث بطون "بنو يعقوب بن عامر، وبنو حميد ابن عامر، وبنو شافع بن عامر، وهم بنو شقارة وبنو مطرف. ولكل واحد من البطنين الآخَرَيْن أفخاذ وعمائر، ولِبَني حميد فصائل أخرى فمنهم: بنو حميد، ومن عبيد الحجر، وهم بنو حجاز بن عبيد، وكان له من الولد حجوش وهجيش ابني حجاز، وحجوش حامد ومحمّد ورباب."[4]

– **عروة بن زغبة:** وهم بطنان: النّضر بن عروة وخميس بن عروة، ولهذا الأخير ثلاثة: عبيد الله وفرغ ويقظان، ومن بطون فرغ بنو قائل أحلاف أولاد يحيى من المعمور القاطنين بجبل راشد، يقظان وعبيد الله أحلاف لسويد، وتولّى الرئاسة على هؤلاء أولاد عابد من بطن راشد نفسه.[5]

وهناك من يرى أنّ من بطون بني هلال "بنو قرّة، وبنو بعجة الذين بين مصر وإفريقية وبنو حرب الذين بالحجاز"[6]، وهو ما سنتحدّث عنه لاحقا، المهمّ ما ينبغي التّأكيد عليه – إضافة إلى ما تقدّم– أنّ هناك بطونا وعشائر كثيرة تنسب إلى بني هلال، يصعب حصرها وتعدادها.

2. منازل بني هلال قبل التّغريبة:

---

[1] ابن خلدون م س: ج6 ص59.

[2] م س: ج6 ص60.

[3] م س: ج6 ص68.

[4] م س: ج6 ص68.

[5] م س: ج6 ص78.

[6] ابن حزم: م س، ص275.

لم يكن في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، مدن كبيرة تستحقّ أن يكون لها الاستقلال من النّاحية الإدارية، وإنّما كانت الجزيرة العربية ميدانا لعدد من القبائل العربية كانت تعيش في أرجائها، وتنتقل بين فَلَوَاتِها فيختصُّ كلٌّ منها بموارد المياه، وينسِب إليها أصحابُ المعاجم ما كان في مناطق نفوذها من أعلام جغرافية كالجبال والأودية وغيرها، كما أنَّه من عادة العرب لا تعرف الاستقرار ولا تحديد مكان الإقامة؛ نظرا لظروف العصر وحركة التّنقل والارتحال؛ نتيجة للحروب ولظروف الحياة الصّحراوية التي قد تدفعهم دوما إلى البحث عن موطن الكلأ والماء، وهذا ينطبق على قبيلة بني هلال، فهي لم تستقرّ في موضع واحد فقط، بل تنقلّت وسكنت في مواضع عديدة ذكرها الرّواة وأصحاب المعاجم.

تعدّدت مواطن هذه القبائل عبر التّاريخ، فكانت لها مواطن في شبه الجزيرة العربية في الجاهلية، ثمّ مواطن أخرى بعد ظهور الإسلام، فقد أثَّرت الأحداث والتّحوُّلات التي عرفتها جزيرة العرب والعالم الإسلامي في تغيُّر مواطنها، كما أثَّرت تلك التّحوُّلات على الخريطة البشرية في مناطق متعدّدة من البلدان التي وصلها الفتح الإسلامي.

وعن أولى مواطن تلك القبائل –كما ترويها المصادر– أنَّها كانت تقطن الجزيرة العربية في نجد والحجاز مع بطون هوازينية أخرى، ثم كانت هجرتها إلى الشّام والعراق ومصر، ومنها انتقلت تلك القبائل العربية إلى المغرب.[1]

فمنازل بني هلال هؤلاء مع قومهم العامريين، كانت في العهد الجاهلي تشمل أوسع مساحة في سفوح الجبال الشّرقية الجنوبية، حتّى مشارف جبال عارض اليمامة الجنوبية، مساحة في الأودية المنحدرة من السَّرَاةِ[2] صوب نجد، وممتدّة في هذه البلاد نحو الشّمال والشّرق حتّى بلاد بني تميم في غرب الوشم.[3]

---

(1) ابن خلدون: م س، ج6 ص17-30.

(2) بسين مفتوحة وراء وآخره تاء مربوطة، هي جبال متصلة على نسق واحد من أقصى اليمن إلى الشّام. ينظر الهمذاني: صفة جزيرة العرب، ص35-62. وابن الحربي: كتاب "المناسك"، ص533.

(3) بفتح أوّله، وإسكان ثانيه: موضع بنجد، ينظر البكري: معجم ما أستعجم، ج4 ص1379. وعمر كحالة: م. س، ج3 ص1221. وفي معجم البلدان لياقوت: الوشم: موضع باليمامة، ج5 ص378.

ويظهر أنّ بني هلال في صدر الإسلام لا يجمعهم موطن واحد، بل كانوا متفرّقين مع قومهم يشاركون بعض بطونهم في المنازل، ونجد ذلك صريحًا في الكلام على تربة[1] وعلى بيشة[2] وعلى وادي كراء[3] في العديد من المصادر؛ حيث يشارك الهلاليون الضّباب وبني سلول وغيرَهم.[4]

ولو أردنا أن نبحث عن منازلهم، لوجدناها متداخلة في منازل بطون هوازنية من قومهم، فبينما نجد من مياههم في صدر الإسلام مرَّان وعنا، وهذان الماءان يقعان شرق ركبة مران في طرف الحرة (حرة كثب) و"عَنْ" يقع جنوب جبل حضن على مقربة منه، إذا بنا نرى أنّ المكان الذي يجتمعون فيه للزّكاة هو تربة.[5] ثم نراهم يشركون بني سلول في بيشة.[6] ونرى صاحب كتاب "المناسك" يعدّ ذات عرق[7] لبني هلال ويشركون معهم الضِّباب وعامر ابن ربيعة

---

(1) بضم التاء المثناة فوق وبعد الراء موحدة ثم هاء، وادٍ من أودية الحجاز الشرقية طويل، ذو مياه وزروع وقرى، أعلاه لغامد، ووسطه للبقوم، وأسفله لسبيع. وبه بلدة عامرة تقع شرق الطائف على قرابة (200) كيلومترا، تعرف بتربة البقوم، وينصرف الاسم اليوم إليها. ابن الحربي: المناسك، ص346، البكري: معجم ما أستعجم، ج1 ص294.

(2) بكسر الباء الموحدة، بعدها ياء مثناة تحتية، ثم شين معجمة مفتوحة، وآخره هاء، واد فحل كثير القرى والنخيل والسكان، ترفده أودية فحول عظام تجعل سيله يشبه خليجا من البحر. البكري: معجم ما أستعجم، ج1 ص90، ج1 ص294،

(3) وادي كراء من الأودية المعروفة في عالية نجد، ويقع هذا الوادي في جنوب شرق محافظة تربة، وله روافد وشعاب كثيرة يتميز بعذوبة مياهه التي أهلته أن يكون مكان سكن للإنسان، منذ القدم وطبيعته الجغرافية المتنوعة من مجرى الوادي إلى الشعاب إلى الهضاب ذات الصخور. ينظر البكري: معجم ما استعجم، ج3 ص875.

(4) الهمذاني: صفة جزيرة العرب، طبعة ليدن، 1982، ص121، وينظر: اليعقوبي: البلدان ص103، القلقشندي: صبح الأعشى: ج1 ص341، ابن دريد: الاشتقاق، تحقيق العلامة عبد السلام هارون، طبعة دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى:1991م، ص38، البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م، ج1 ص290-294.

(5) البكري: معجم ما أستعجم، ج3 ص787 – ج4 ص1236.

(6) البكري: معجم ما أستعجم، ج3 ص787 – ج4 ص1236.

(7) ذات عرق فصل ما بين تهامة ونجد والحجاز. وقيل لاهل ذات عرق :أمتهمون أنتم أم منجدون ؟ قالوا: لا متهمون ولا

وهوازن[1] وكان هذا في القرن الثّالث للهجري. ثم نجد الهمداني يذكر أنّ أرض عكاظ في عهده لبني هلال،[2] كما يعد وادي جلدان من مساكنهم[3] أيضا، وليس من المعقول أنّ قبيلة بني هلال تسيطر على جميع البلاد الواقعة بين تلك المواضع، ثم نجد الإدريسي يذكر "أنّ الغالب على نواحي مكّة مما يلي المشرق، بنو هلال وبنو سعد في قبائل من هذيل".[4]

ويبدو أنّ الهلاليين توغّلوا في الحجاز منذ القرن الثاني الهجري، حيث نجد البكري ينقل عن محمد بن عبد الملك الأسدي –وهذا أدرك أوّل القرن الثالث الهجري– يقول: "جُلُّ هلالٍ في الحجاز[5] ولا شكّ أنّ بني هلال كغيرهم من القبائل العربية التي شاركت في الفتوحات الإسلامية، مشاركة كان من أثرها استيطان أناسٍ منهم في الأمصار التي فُتحت، كالعراق والشّام وبلاد فارس وغيرها.[6]

ولهذا نرى بعض المتقدّمين يشير إلى استقرار بعض بني هلال في تلك الأقطار، كالحازمي في كتابه فإنّه لمـــّا ذكرهم قال: "وهم بالبصرة"[7] ولا شكّ أنّه يعني طائفة منهم؛ إذ أكثرهم في عصر الحازمي –القرن السّادس الهجري– قد نزح إلى المغرب، كما أخبرنا صاحب "نشوة الطّرب" "فأمّا

منجدون. ينظر البكري: معجم ما أستعجم، ج1 ص9

[1] إبراهيم الحربي: كتاب "المناسك" وأماكن طرق الحجّ ومعالم الجزيرة: تحقيق: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، المملكة العربية السعودية، 1389ه-1969م، ص 351-352.

[2] الهمذاني: صفة جزيرة العرب، ص386.

[3] الهمذاني: صفة جزيرة العرب م س، ص233.

[4] الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،عالم الكتب، بيروت، ط1409،1ه، ج1 ص145.

[5] البكري: معجم ما أستعجم، ج1 ص90 – ج3 ص875.

[6] حمد الجاسر: بنو هلال قديما وحديثا، مقال منشور في مجلة العرب، عدد رجب 1406هـــ، ج1و2.

[7] أبو بكر الحازمي: عجالة المتبدي وفضالة المنتهى في النسب، ص72.

هلال بن عامر رهط حميد بن ثور الشّاعر، فافترقوا على جذمين عظيمين: زُغبة ورياح، وهما بالمغرب في عدد كثير ولا ذكر لهما بالمشرق، وفيهما يقول الشّاعر حين كان بصعيد مصر وبَرْقَةَ:

إِنْ كُنْتَ تَكْلَفُ بِالْمَكَارِمِ فَلْتَزُرْ *** وَلَدَيْ هِلَالٍ زُغْبَةً وَرِيَاحَا

لَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ شُحِّ نِسَائِهِمْ *** وَمِنَ الْمَكَارِمِ أَنْ يَّكُنَّ شِحَاحَا[1]

ويذكر ابن خلدون قائلا: "أمّا هلال بن عامر، فبطون كثيرة كانوا في الجاهلية في نجد، ثم ساروا إلى الدّيار المصرية في حروب القرامطة، ثم ساروا إلى إفريقية في خلافة المستنصر العبيدي لحرب المعزّ بن باديس.[2]

ويذكر أيضًا: "كانت بطون هلال وسليم من مضر لم يزالوا بادين منذ الدّولة العبّاسية، وكانوا أحياء ناجعة محلّاتهم من بعد الحجاز بنجد، فبنو سليم ممّا يلي المدينة، وبنو هلال في جبل غزوان عند الطّائف، وربّما كانوا يطوفون في رحلة الصّيف والشّتاء أطراف العراق والشّام."[3]

لقد فصّل ابن خلدون أخبار الهلاليين الذين انتقلوا إلى المغرب تفصيلًا وافيًا، إلا أنّ ممّا يؤخذ عليه وقبله ابن سعد الأندلسي في "نشوة الطّرب"، القول بأنّهم انتقلوا كلّهم من مواطنهم كما يفهم من كلاميّهما، فلا بدّ وأن تكون لهم بقية، ولكن فعلا يوجد شحّ في المعلومات للوصول إلى الحقيقة.

أمّا قول ابن حزم إنّه "من بطون بني هلال بنو قرّة وبنو بعجة اللذين بين مصر وإفريقيَّة، وبنو حرب الذين بالحجاز وبنو رياح الذين أفسدوا إفريقية،[4] فهو ناشئ عن جهله بنسب قبيلة حرب،

---

[1] ابن سعد الأندلسي: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ص500.

[2] ابن خلدون: م س، ج6 ص18.

[3] ابن خلدون: م س، ج6 ص18.

[4] ابن حزم الأندلسي: م. س، ص 275.

وأنّها من خولان من قحطان كما أوضح ذلك نسّابة اليمن أبو محمد الهمداني، وهو أعلم من ابن حزم بأنساب القبائل العربية وأقدم منه.[1]

خلاصة ما تقدّم، أنّ قبيلة بني هلال كانت منتشرة في أعالي نجد وما يليها من بلاد الحجاز، حول الطّائف إلى ما يقرب من مكّة، مخالطة فروعًا من هوازن كَبَنِي جُشَمَ وغيرهم للقرابة وللتّجاور في المنازل.

أمّا بنو سليم فهم كذلك كانوا مقيمين قبل ظهور الإسلام في نجد رفقة أبناء عمومتهم بني هلال، وهذه المنطقة كثيرة الأودية والهضاب، وعرفت باعتدال مناخها وندرة أمطارها.[2]وعن تلك المواطن يتحدّث ابن خلدون "كانت بطون هلال وسليم من مصر لم يزالوا بادين منذ الدّولة العبّاسية، وكانوا أحياء ناجعة بمجالاتهم من فقر الحجاز بنجد: فبنو سليم ممّا يلي المدينة، وبنو هلال في جبل غزوان عند الطّائف، وربّما كانوا يطوفون رحلة الصّيف والشّتاء أطراف العراق والشّام..."[3]

كما سُمّيت باسم بني هلال مواطن كثيرة، منها بنو هلال قرية قديمة من أعمال الشّرقية، وبنو هلال بالبحيرة تابعة لمركز دمنهور، وبنو هلال بقسم سوهاج.[4] وكانت القبائل الهلالية في أغلبها قبائل بدوية ظاعنة، تنتقل ما بين البصرة ومكّة من ناحية، وما بين مكّة ويثرب من ناحية أخرى.[5] وقد كان بنو سليم "يسكنون عالية نجد قرب خيبر، في أماكن تسمّى الحرّة[1] مثل حرّة

---

[1] الهمذاني: الإكليل: م. س، ج1 ص149.

[2] عمر رضا كحالة: معجم ما استعجم، ج1 ص345. الراضي دغفوس: مراحل تاريخ الهلالية في المشرق: مسار قبائل بني هلال وبني سليم من الحجاز ونجد إلى إفريقية والمغرب، المؤرخ العربي، (بغداد: الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب العراق عدد (11)، ص212.

[3] ابن خلدون: كتاب العبر، م. س، ج6 ص18.

[4] المقريزي: كتاب البيان والإعراب: ص28.

[5] ابن الحربي: المناسك، ص334.عبد الحليم عويس: بنو هلال أصحاب التغريبة في التاريخ والأدب، النادي الأدبي الرياضي

بني سليم.[2] كما يذكر صاحب المناسك أنّ العُمَق والمعدن كانا لبني سليم كذلك، وبينهما مسافة اثنان وعشرون ميلا، وفي كلّ منهما قصر ومسجد إلا أنّ العُمَق كان يمتاز بكثرة آباره وببركة نائية عن الطّريق.[3] ويقول البعض بأنّ لسليم وهلال مواطن في العراق، ومن ذلك أنّ مجموعة منهم اتّخذوا لهم محلةً بِوَادي الكوفة حوالي 120هـ، وكان هذا المكان يعرف بمسجد بني هلال.[4] كما استوطن بنو هلال بنواحي حلب والموصل، ونزلوا المنازل التي كانت قبلهم لربيعة وكهلان.[5]

3: بنو هلال في الجاهلية

1.3- ديانة بني هلال في الجاهلية:

لم تكن المجتمعات العربية قبل الإسلام إلحادية تنكر وجود الله، ولا مجتمعات تجهل أنَّ هناك ربًّا خالقًا رازقًا، بل كان العرب في الجاهلية يعتقدون بوجود الله ويؤمنون به، لأنّه كان منهم بقايا من دين إبراهيم، كما أنّ علاقتهم باليهود والنّصارى كانت موجودة، حيث كانت الجزيرة العربية منذ أقدم الأزمنة معبرًا للقوافل وعلى اتّصال وثيق بجيرانها، إلا أنّهم عبدوا الأصنام والأوثان

السعودي، 1401هـ-1981م، ص79.

(1) الحرّة :الأرض ذات الحجارة السود النخرة. و المراد بالحرّتين :حرة بني سليم و حرة بني هلال بالحجاز. أي هو مقصد الأشراف من القبائل تأتيه وفودها فيما يلم بها.أبو فرج الأصفهاني: الأغاني، ج4 ص401. ابن الحربي: المناسك، ص335.

(2) ابن الحربي: المناسك، ص334. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، ج2 ص544. المجموع اللفيف: ابن هبة الله، ج1 ص140. راضي دغفوس: مراحل تاريخ الهلالية في المشرق: ص45.

(3) المناسك: ص332-333

(4) القلقشندي: صبح الأعشى، ج1 ص395. عبد الحليم عويس: ص45.

(5) م. س.ص

والأنصاب التي جعلوها أندادا لله عزَّ وجلَّ، اعتقادا منهم أنّها وسائط بينهم وبين الله تقرِّبهم إليه، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1]، فهذا يدلّ على إقرارهم بأنّ الله هو الخالق، وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[2]، وهناك آيات عديدة تدلّ على إيمانهم بتوحيد الرّبوبية، وإنّما كان شركهم في الألوهية كما يقول عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[3] أي يقولون: ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله. وكانت الأصنام التي عبدوها على أشكال متنوّعة، منها ما هو على صورة إنسان أو حيوان أو طير، ومن أشهرها: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا، واللّات والعزّى، ومناة، وهُبَل...[4].

ولا شكَّ أنّ قبائل بني هلال أيضا عبدت بعضا من هذه الآلهة، وإن لم نعثر في مصادرنا ما يشير بشكل واضح إلى صنم معيّن كان خاصّا بها، لكن هناك من يؤكِّد "أنَّ قريشًا وجميع العرب كانت تعبد وتعظِّم اللاّت"[5] وجواب الرّسول -عليه الصّلاة والسّلام- لشيخ بني هلال لمـــّا سأله في بداية الدّعوة: ((لِمَا تدعو؟ فأجابه: أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن تخلع الأنداد،

---

[1] سورة الزخرف: الآية: 87.

[2] سورة العنكبوت الآية: 61.

[3] سورة الزمر: الآية: 3.

[4] قال تعالى: (وقالوا لا تذرن ءالهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) سورة نوح الآية: 23. جاء في التفسير هي أصنام عبدوها فكان (ودٌّ) لكلب، و(سواع) لهذيل، و(يغوث) لغطفان، و(يعوق) لهمذان، و(نسر) لآل ذي الكلاع من حمير. ينظر ابن حبيب: المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، بيروت المكتب التجاري للطباعة والنشر، 1961، ص315. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف أسعد داغر، بيروت، دار الأندلس للطباعة، 1981، ج2، ص 102.

[5] ابن الكلبي: الأصنام، الدار القومية للطباعة، ط1، 1995م، ص34-35.

وتكفر باللّات والعزّى...)) فهذا يدلّ - على أقلّ تقدير- أنّ بني هلال عبدت هذين الصّنمين، وإلّا ما وجَّه النّبي الكريم كلامه مباشرة لهذا الشّيخ وأمره بالكفر باللّات والعزّى[1]، وإن كانت بعض الرّوايات تذكر أنّهم كانوا يعبدون صنم ذا الخُلَصَة مع خثعم وبجيلة، قال ابن حبيب في مخبره "كان ذو الخلصة بيتًا تعبده بجيلة وخثعم والحارث بن كعب وجَرم وزبيد والغَوث بن مر بن أد وبنو هلال بن عامر، وكانوا سدَنته بين مكّة واليمن بالعَبلاء على أربع مراحل من مكّة وهو اليوم بيت قَصار فيما أخبرت."[1]

كما تذكر لنا المصادر أنّ زعماء بني هلال كانوا متحمّسين لدينهم ومتشدّدين فيه، وإلّا ما دخلوا مع قريش في فكرة الحُمْسِ* التي تعني التشدّد في الدّين، حيث كانوا إذا زوَّجوا امرأة منهم لغريب عنهم -أي لمن كان من الحلّة- اشترطوا عليه أن كلّ من ولدت له فهو أحمسي على دينهم.[2]

ويظهر أنّ "الحُمْسَ"، لم يكونوا قريشًا وحدهم وسكان الحرم، وأنّهم لم يكونوا جماعة قامت وظهرت على رابطة الدّم والنّسب كما هو الحال بالنسبة إلى القبيلة، بل هم قريش وكل من نزل الحرم وسكن مكّة، وطوائف من العرب شاركت قريشًا في مناسك حجّها وسارت على نهجها، وشاطرتها الرّأي في دينها، وقد ذكر "الجاحظ" أنّ "عامر بن صعصعة"، و"خزاعة" و"ثقيفًا"،

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، 1964، ج2، ص 164. وينظر ابن الكلبي: الأصنام، ص 34- 35.

[2] ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت، 1347هـ- 1955م، ج2 ص383.

*والأَحْمَسُ :الوَرِعُ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَشَدَّدُ فِي دِينِهِ .والأَحْمَسُ :الشَّدِيدُ الصُّلْب فِي الدِّينِ وَالْقِتَالِ، وَقَدْ حَمِسَ، بِالْكَسْرِ، فَهُوَ حَمِسٌ وأَحْمَسُ بَيِّنُ. ابن منظور: اللسان، ج6 ص58. معنى الحمس: التشدّد، وكانوا قد ذهبوا في ذلك مذهب التزهّد والتألّه فكانوا إذا أحرموا لا يطبخون قطُّ، ولا يأكلون السّمن ولا يسألونه ولا يمخضون اللّبن، ولا يأكلون الزّبد، ولا يلبسون الوبر ولا الشّعر ولا يستظلون به ما داموا حُرُمًا، ولا يغزلون الوبر ولا الشّعر ولا ينسجونه، وإنما يستظلون بالأدم (الجلود)، ولا يأكلون شيئًا من نبات الحرم. وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ولا يغفرون فيها الذمة ولا يظلمون فيها. السهيلي: الروض الآنف، ج1 ص299-230. سيرة ابن هشام: ج1 ص199- 200.

والحارث بن كعب كانوا ديَّانين، أي على رأي ودين، وكانوا على دين قريش. وقال غيره: "وصارت بنو عامر من الحمس وليسوا من ساكني الحرم؛ لأنّ أمّهم قرشية، وهي مجدة بنت تميم بن غالب بن فهر."[1] وفكرة الحمس هذه التي ابتدعتها قريش، لا يعلم تاريخها إن كان ذلك قبل الفيل، أم بعده.[2]

2.3- أيّام بني هلال:

بنو هلال من القبائل البدوية الظّاعنة، "امتدّت منطقة تنقلاتها ما بين البصرة ومكّة من ناحية، وما بين مكّة ويثرب من ناحية أخرى"؛ بحثا عن المراعي التي تحتاجها مواشيهم، فهم بدو رحّل "وربّما كانوا يطوفون رحلة الشّتاء والصّيف أطراف العراق والشّام"[3] وليس ذلك بالغريب؛ فحياة الصّحراء تحمل طابع التحرّك في كلّ جانب من جوانب الحياة البشرية، والطّبيعة هي التي صيَّرت العرب على هذه الحال، وهي التي غلَّبت عليهم البداوة، "وصيَّرت من وُلِدَ فيها إنسانا قَلِقًا هائما على وجهه ينتقل من مكان إلى مكان بحثا عن الكلأ والماء."[4]

لكنَّ حياة هؤلاء القبائل وإن كانت قائمة على التنقّل، لم تكن ارتحالا متّصلا وضربا في الأرض على غير هُدًى، وإنّما كانت لهذه القبائل منازلها ومراعيها المحدّدة التي ترتادها في مختلف فصول السّنة، ومياهها الخاصّة بها والتي تنسب إليها، وكنا ذكرنا سابقا أنّ بني هلال كانوا يملكون عدَّة بقاع مثل عبلة، بريق، مران وعكاظ، كما كان لهم عدَّة أودية مثل وادي تربة وجلذان،

---

[1] جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج11 ص366. وينظر: دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة محمد ثابت الأفندي وآخرين، طبعة عام 1933، ج8 ص 103. ابن حبيب: ص 312- 313. الروض الأنف: ج1 ص 351- 353. سيرة ابن هشام: ج1 ص127- 128. ابن منظور: اللسان، ج6 ص58. الأزهري: تهذيب اللغة، ج4 ص206.

[2] المقريزي: امتاع الأسماع، ج2 ص353. ابن هشام: ج1 ص216.

[3] ياقوت الحموي: م. س، ج 4 ص479 ، وينظر ابن خلدون: العبر، ج6 ص17-18.

[4] يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر، ط1، 1900م. ص72.

وجبال مثل جبل بيشة والكفاء، ونقط ماء كالبقعاء [1]، وكانت الأرض التي تعيش عليها وتنزل بها تعتبرها ملكا لها، فتنتشر فيها بطونها وعشائرها، يضربون بها خيامهم وتقيم بها وتصير لها وطنا، ولا تسمح لغريب بالنّزول أو المرور بها إلا بموافقتها.

وبالرّغم من الانتشار الواسع لقبائل بني هلال على مشارف الحجاز ومكّة، فهم على طرق مكّة جميعها ممتلكين بواديها غير بعيدين عن مركز التّجارة والتّقاطع القبلي، إلّا أنّهم ظلوا بداة تحافظ بيئتهم الاجتماعية على أبرز خصائص القبيلة العربية، بما فيها العصبية القبلية التي توجب عليهم شعور الالتزام بمناصرة بعضهم لبعض، فهي بطون تشكّل اتّصالا وثيقا يقوم على التّماسك ووحدة الرّوابط، الأمر الذي جعلها في تناحر دائم وحروب متّصلة، تثور لأتفه الأسباب كحرب البسوس وحرب داحس والغبراء وغيرها من أيّام العرب قبل الإسلام، بل كانت قبائل بني هلال من أكثر العرب أيّاما في الجاهلية، يوم لها ويوم عليها، وهي جديرة بالتّعرف عليها؛ لأنّها تصوّر جانبا من حياتهم وتشغل قسما كبيرا من تاريخهم. وأسباب أيّامهم كثيرة ومتنوّعة: منها النّزاع على المراعي، فقد تخصب بلاد تميم وتَمحُل بلاد بني عامر، فتضطّر بنو عامر إلى طلب المرعى فتقع الحرب بين القبيلتين، وقد يكون سببها التّنازع على المياه، فتشعل الحرب بسبب صدِّ ناقة عن الماء، كما قد يكون بسبب العصبية والانتصار للقبيلة والأخذ بالثّأر، والمحافظة على الشّرف والرّياسة.

وأيّام بني هلال أكثر من أن تذكر، فقد خاضت صراعات وحروبا مع قبائل عربية أخرى تحت لواء القبيلة الأم "عامر" التي تعدُّ من أكبر قبائل عدنان في العصر الجاهلي، فهي من أخذ لطيمة* النّعمان ابن المنذر وهزموه في "**يوم السّلان**" الذي يذكر فيه الأخباريون أنّ سببب وقوعه هو أنّ "بني عامر بن صعصعة كانوا قومًا حمسًا، أي متشدّدين في دينهم، لقاحًا لا يدينون للملوك، وكان من عادة النّعمان بن المنذر أن يجهز كل عام لطيمة لتباع بعكاظ، فتعرَّض لها بنو عامر، فغضب النّعمان وبعث عليهم وَبْرة الكلبي أخاه لأمّه ومعه الصّنائع والوضائع، وجماعة من بني ضبة بن أدّ والرّباب وتميم، وانضمّ إليهم ضرار بن عمرو وأولاده، وهم فرسان شجعان، وحبيش ابن دلف، وطلب منهم أن يذهبوا إلى عكاظ فإذا فرغوا من البيع، وانسلخت الأشهر

[1] عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، ج3 ص1221- 1222.

الحرم، قصدوا بني عامر بنواحي السّلّان[1] فلما فرغوا من عكاظ. علمت بخطّتهم قريش، وأرسل عبد الله بن جُدعان قاصدًا أخبر بني عامر بغرض القوم، فحذروا وتهيّئوا للحرب. وتحرّزوا ووضعوا العيون، وسلّموا قيادتهم لفارس شهير معروف هو عامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنة، فلما التقوا تغلّبوا على قوّة النّعمان وهزموها، وأخذوا وبرة أسيرًا، ولم يفكّوه من أسره إلّا بألف بعير وفرس."[2]

وبنو هلال هم من اجتمعت العرب عليهم جميعا في **"يوم شعب جبلة"**[3] وهو من أعظم أيّام العرب وأشدّها، بل أعظمها إطلاقا، اليوم الذي برزت فيه هذه القبيلة على مناوئيها من القبائل العربية المشهورة: كتميم، كِنْدَة، أسد، حنظلة، وغَطَفَان، واستطاعت هزيمتهم هزيمة نكراء، وكان ذلك اليوم قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة،[4] وإن كان **"يوم رحرحان"**[5] الأوّل: الذي كان بين بني دارم وبني عامر بن صعصعة، والثاني: الذي قيل أنّه كان لبنى عامر بن صعصعة على بنى تميم، هو أقدم من يوم جبلة بسنة واحدة،[6] إلا أنَّ دور بني هلال لم يكن بارزا كما كان في هذه الأخيرة. وهناك وقائع أخرى مشهورة لها، نذكر منها:

---

(1) بضم أوّله، وتشديد ثانيه، على وزن فعلان: موضع بين البصرة واليمامة. البكري: معجم ما أستعجم، ج3 ص749.

(2) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج10 ص23. ج5 ص275. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج1 ص639.

(3) جبلة ويقال :شعب جبلة الموضع الذي كانت فيه الوقعة المشهورة بين بني عامر وتميم وعبس وذبيان وفزارة، وجبلة هذه: هضبة حمراء بنجد بين الشّريف (ماء لبني نمير) و(الشرف) ماء لبني كلاب، طولها مسيرة يوم، وعرضها مسيرة نصف يوم. وقيل: جبلة :جبل طويل له شعب عظيم واسع. وقيل موضع بالحجاز. ياقوت الحموي: ج2 ص104. جواد علي: المفصّل، ج10 ص49.

(4) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2 ص104. جواد علي: المفصّل، ج10 ص49.

(5) اسم جبل قريب من عكاظ خلف عرفات قيل هو لغطفان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3 ص36.

(6) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3 ص36. الجواد علي: المفصّل، ج10 ص45.

– **يوم الوندة** وهي بالدّهناء، أغارت بنو هلال على نعم بني نهشل، فأنزلتهم بنو نهشل بالوندة، فما أفلت من بني هلال إلا رجل واحد.[1]

– **يوم الفلج**[2]:كانت فيه وقعتان، الأولى لبني عامر على بني حنيفة، والأخرى لبني حنيفة على بني عامر.[3]

– **يوم فيف الرّيح**: بين ديار عامر بن صعصة وديار مذحج وخثعم، وفيه أغارت قبائل مذحج وخثعم ومراد وزبيد، ورئيسهم ذو الغصّة الحصين ابن يزيد الحارثي، على بني عامر وهم منتجعون فيه، فأغنت يومئذ بنو عامر، ورئيسهم ملاعب الاسنة، وفقئت عين عامر بن الطفيل[4]. ويقال: فيف الرّيح هو موضع بأعالي نجد[5].

– **يوم ذات الحرمل**: كان لبني عامر على بني عبس.[6]

---

(1) عمر كحالة: معجم قبائل العرب، ج3 ص1221.

(2) فلج: قيل: واد بين البصرة وحمى ضرية من منازل عدي بن جندب. وقيل: طريق تأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4 ص272.

(3) عمر كحالة: معجم قبائل العرب، ج2 ص709.

(4) البكري: معجم ما أستعجم، ج3 ص1038.

(5) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4 ص285.

(6) القلقشندي: نهاية الإرب، ج1 ص459.

– **يوم الرَّقْم**[1]: كان بين بني فزارة من غَطَفان على بني عامر، عُقِرَ فيه قُرْزُلٌ فرس طُفَيْلِ بن مالك.[2] غزت بنو عامر غطفان وعليهم عامر بن الطفيل شابًا لم يرأس بعد، فخرجت إليهم بنو مرّة بن عوف، وأشجع، وناس من فزارة، وكلهم من غطفان، فقاتلوا بني عامر، وتغلبوا عليهم. وفرّ عامر بن الطفيل، وشنق الحكم بن الطفيل نفسه، ليتخلّص بذلك من الأسر. ويروي الأخباريون لعروة ابن الورد وللنّابغة الذّبياني ولعامر بن الطّفيل شعرًا ذكروا أنّهم قالوه في هذا اليوم.[3]

– **يوم النّتاءة**:[4] كان لعبس على بني عامر، حيث خرجت بنو عامر تريد أن تدرك بثأرها يوم الرّقم، فجمعوا على بني عبس بالنّتأة وقد أنذروا بهم، فالتقوا وعلى بني عامر: عامر بن الطّفيل، وعلى بني عبس: الرّبيع بن زياد، فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزمت بنو عامر، وقتل منهم صفوان بن مرة، قتله الأحنف بن مالك، ونهشل بن عبيدة بن جعفر، قتله أبو زغبة بن حارث، وعبد الله بن أنس بن خالد، وطعن ضبيعة بن الحارث عامر بن الطفيل فلم يضرّه ونجا عامر، وهزمت بنو عامر هزيمة قبيحة.[5]

– **يوم الوقد**: كان لبني تميم على بني عامر بن صعصعة.[6]

---

(1) وهو ماء لبني مرة. ابن عبد ربّه: العقد، ج6 ص26.

(2) قرزل اسم فرسه، وكان طفيل يسمى: فارس قرزل، وقرزل القيد سمى الفرس به كأنه يقيد ما يسابقه، وطفيل هذا هو والد عامر بن الطفيل، عدو الله وعدو رسوله وأخو طفيل هذا: عامر ملاعب الأسنة.

(3) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج10 ص34. ابن عبد ربّه: العقد، ج6 ص26.

(4) النتاءة نخلات لبني عطارد وهو النُّتَأَة كهُمَزَة في القاموس، وفي ابن الأثير هو يوم النبأة، وفي معجم البلدان والأغاني النتاءة.

(5) ابن عبد ربّه: العقد، ج6 ص26.

(6) وَادٍ قُرْبَ مَاوَانَ، وَمَاوَانُ عَلَى طَرِيقِ حَاجِّ الْبَصْرَةِ شَمَالَ شَرْقِيِّ مَعْدِنِ بَنِي سُلَيْمٍ. عاتق البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ج1 ص311.

– **يوم النفراوات:** [1] كان لبني عامر على بني عبس.[2]

– **حروب الفِجَار:** وهي أربعة، كانت بين قريش ومَن معها من كِنانَةَ، وبين قَيْس عَيْلان ومنهم بني عامر، التي كان لها فيها اليد الطول. وإنّما سَمَّتْ قريشٌ هذه الحرب فِجَارًا؛ لأنّها كانت في الأَشهر الحرم، فلمّا قاتلوا فيها قالوا: قد فَجَرْنا فسمّيت فِجارًا.[3]

– **يوم هراميت:**[4] كان للضّباب على بني جعفر وكلاهما من بني عامر، كان القتال بسبب بئر أَراد أَحدهما أَن يحفرها.[5]

– **يوم ذي نجب:**[6] كان لبني تميم على بني عامر وكان هذا اليوم بعد مرور عام على يوم جبلة.[7] وكان من حديث يوم ذي نجب أنّ بني عامر لما أصابوا من تميم ما أصابوا يوم جبلة رجوا أن يستأصلوهم، فكاتبوا حسان بْنُ مُعَاوِيَةَ الكنديّ وكان ملكا من ملوك كندة، فدعوه إلى أن يغزو معهم بني حنظلة من تميم، فلما كان وجه الصبح وصل الكندي فيمن معه وقد استعدّ القوم، فاقتتلوا مليا فضُرب الملك على رأسه فمات. وقُتل عبيدة بن مالك بن جعفر، وانهزم طفيل بن

---

[1] والنفراوات هكذا ذكره أبو الفرج في الأغاني، أما ابن عبد ربه فسماه النقراوات، وقال البكري في كتابه معجم ما استعجم: نفرى بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده راء مهملة مقصور على وزن فَعْلَى ويمد: موضع في بلاد غطفان.

[2] النويري: نهاية الإرب: ج15 ص346. ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج6 ص5.

[3] جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب، ج10 ص52.

[4] الهراميت: آبار مجتمعة بناحية الدهناء. وقيل: هي ثلاث آبار يقال لها هراميت الحموي: معجم البلدان، ج5 ص396.

[5] الحموي: معجم البلدان، ج5 ص396.

[6] وَادٍ قُرْبَ مَاوَانَ، وَمَاوَانُ عَلَى طَرِيقِ حَاجِّ الْبَصْرَةِ شَمَالَ شَرْقِيِّ مَعْدِنِ بَنِي سُلَيْمٍ. عاتق البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ج1 ص311.

[7] ذو نجب: واد قرب ماوان في ديار بني محارب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، 5 ص261.

مالك على فرسه قرزل، وقتل عمرو بن الأحوص بن جعفر وكان رئيس عامر، وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن كبشة.[1]

– **يوم المروت:**[2] كان بين بني قُشَيرٍ بن عامر وتَميم.

– **يوم النِّسَار:** بكسر النّون والسّين غير المعجمة، كان بين بني ضَبَّةَ وبني تَمِيم مع بني عامر، حين قاتلت تميم وعامرا بني أسد، والرّباب، وبني ذبيان بسبب غارات بني تميم على الرّباب: ضبّة وغيرها وهم عمومتهم، ويقال إنّ رئيسهم كان خالد المهزول الأسدي، فاستحرّ القتل ببني عامر، وانهزمت تميم. [3]

– **يوم دَارَة مأسِل:**[4].فكان لضبّة على بني عامر، غزا "عتبة بن شُتير بن خالد الكلابي" بني ضبّة، فاستاق نعمهم. وقتل "زيد الفوارس" "حصن بن ضرار الضبي"، وكان يومئذ حدثًا لم يذكر. فجمع أبوه ضرار قومه، وخرج ثائرًا على بني عمرو بن كلاب، فأفلت منه "عتبة بن شُتير" وأسر أباه "شُتير بن خالد" فأمر ضرار ابنه "أدهم" أن يقتله.[5]

– **وهناك يوم آخر** لم تتناوله المصادر بالقدر الكافي، وإن كان بعضها لم يلتفت إليه أصلا وهو يوم **خروجها على أبرهة** وجيشه الكبير، والثّورة في وجهه في العام الذي يعرف عند الإخباريين بعام الفيل، والأهمّ من ذلك توجيه أبرهة أبا جبر على رأس قبيلة بني سعد لتأديب بني عامر –

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج1 ص595.

(2) وهو قُشَيْرُ بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة ابن مُعَاوية بن بكر بن هوزان. غيره: وبنو قُشَير من قيس. المروت: موضع في ديار بني تميم، وقيل: المَرُّوتُ، بالتشديد: اسم وادٍ.

(3) النسَار: جبالٌ صِغَار كانت الوَقْعَة عندها، وقَالَ بعضهم: هو ماء لبني عامر بن صعصعة، وقال بعضهم :النسار جبل في ناحية = حمى ضرية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5 ص283. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج10 ص49. البلاذري: أنساب الأشراف، ج11 ص173.

(4) مأسل: قيل ماء ونخل في ديار بني عقيل. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2 ص429.

(5) جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب، ج10 ص51. ابن عبد ربّه: العقد، ج6 ص43.

الذين منهم بنو هلال- في موطنهم تربة[1]، الأمر الذي يدلّ على شدّة بأس هذه القبيلة، وعظم نخوتها وسرعة نجدتها، وأنّه كان لها دورها في تحريك الأحداث آنذاك، وإلا ما ثارت في وجه قائد مثل أبرهة، ولما أعارها اهتمامه ووجّه لها حملته. وإن كانت المصادر لم تُفصِح عن السّبب الحقيقي لثورتهم، هل كانت احتجاجا على أبرهة الذي كان يسعى لتحويل وجهة العرب من الحجّ إلى بيت الله في مكّة وصرفهم إلى كنيسته في اليمن؟ أم لسبب آخر نجهله؟ لكنّها تبقى قبيلة أقلّ ما يقال عنها إنّها ناطعت العرب والعجم، كيف لا وهي من القبائل العِظَامِ في عدنان التي اختصّت بإخراجها الفرسان والأنجاد، والأبطال المشهورين والشّعراء البارزين التي حاربت بها قيس.

3.3- فرسان وشعراء بني هلال:

في خطبة ألقاها الأحنف بن قيس[2] أمام معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- لما سأله عن العرب فإنّه أشاد بقيس، واسترسل قائلا: " قال: كانوا لا يفرحون إذا أُدِيلوا[3]، ولا يجزعون إذا ابتلوا، ولا يبخلون إذا سئلوا، قال: فأخبرني عن أشرافهم في الجاهلية، قال: غطفان بن سعد وعامر بن صعصعة وسليم بن منصور؛ فأما غطفان فكانوا كرامًا سادة، وللخميس[4] قادةٌ، وعن

---

(1) جواد علي: ج6 ص 185-186. وأحمد صالح العلي: محاضرات في تاريخ العرب، دار الكتب للطباعة والنشر، 1981، ج1 ص263.

(2) الأحْنَفُ بنُ قَيْس الأحنف بن قيس بن معاوية ، أبو بحر التّميميّ السّعديّ ، والأحنف لقب له لحَنَفٍ) الحَنَفُ في القَدَمينِ : إقبال كلّ واحدة منهما على الأُخرى بإبهامها . فقد كان أحنف الرجلين لسان العرب : مادة (حنف).

(3) أُدِيلوا: انتصروا.

(4) الخميس: الجيش. سمي بذلك لأنه خمس فرق: المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والمؤخرة.

البَيْض[1] ذادَةٌ ؛ وأما بنو عامر فكثيرٌ سادتهم، مخشيةٌ سَطوتُهم، ظاهرة نجدتُهم؛ وأما بنو سليم فكانوا يدركون الثأر، ويمنعون الجار، ويعظّمون النّار[2]،..."[3].

وذكر أنّه افتخر رجلان بباب معاوية بن أبي سفيان: أحدهما من بني شيبان، والآخر من بني عامر بن صعصعة، فقال العامري: أنا أعدّ عليك عشرة من بني عامر، فعد علي عشرة من بني شيبان، فقال الشيباني: هات إذا شئت، فقال العامري: خذ عامر بن مالك ملاعب الأسنة، والطفيل بن مالك قائد هوازن وفارس قرزل، ومعاوية بن مالك معوذ الحكماء، وربيعة بن مالك فارس ذي علق، وعامر بن الطفيل، وعلقمة بن علاثة[4]، وعتبة بن سنان، ويزيد بن الصعق، وأربد بن قيس، وهو أربد الحتوف.[5]

وكانوا قومًا لا يدينون للملوك، بل هم كثيرًا ما كانوا يعترضون لَطَائِمَ[6] النعمان بن المنذر ويغنمونها"[7]، وهذا يعني أنّ بني عامر الذين منهم بنو هلال، كانوا مولعين بالحرّية وهذه صفة العرب، ويرفضون أن يتزعّمهم شخصا من خارج القبيلة.

---

(1) البيضة: حوزة كل شيء وساحة القوم، وبيضة الدار: وسطها.

(2) كناية عن الكرم.

(3) ابن أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2 ص366-367.

الأحْنَفُ بنُ قَيْس الأحنف بن قيس بن معاوية ، أبو بحر التّميميّ السّعديّ ، والأحنف لقب له لحَنَفٍ) الحَنَفُ في القَدَمينِ : إقبال كلّ واحدة منهما على الأُخرى بإبهامها . فقد كان أحنف الرجلين لسان العرب : مادة (حنف).

(4) بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري وله صحبة مع النبي.

(5) ابن الرشيق: العمدة، ج2 ص221.

(6) اللطائم جمع لطيمة وهي الناقة عليها أحمال المسك، أو هي القافلة التي تحمل التجارة النفيسة إلى الأسواق، وقد كان ملوك الحيرة يرسلون لطائمهم إلى الأسواق لتتاجر بالطيب، ومنهم النعمان بن المنذر الذي كان يبعث بها إلى سوق عكاظ. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج10 ص23.

(7) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج10 ص23.

فكانت تنزل بأي مكان من الجزيرة ولا تخاف من أحد، وتتوغّل في عمق الصحراء حتّى تصل الدّهناء[1] التي كان بها أحد أيّامها، وهذا دليل على كبر هذه القبيلة وأيضا قوّة بأسها في الحروب، وعلى شجاعة أفرادها، ويكفي بفرسانها فخرًا، فقبيلة أخرجت **عامر بن الطّفيل** فارس بني عامر وسيّدهم[2] وهو من قال فيه الرّسول -صلّى الله علية وسلم- ((والذي نفسي بيده لو أسلم فأسلمت بنو عامر لزاحموا قريشا منابرهم)).[3]

كذلك الفارس المغوار **ملاعب الأسنة عامر بن مالك**، خال عامر بن الطفيل الذي يضرب به المثل "أفرس من ملاعب الأسنة"، فاخر بنفسه حينما انتُخِب رئيسا لبني عامر أنّ سيادته لهم لم تأتِ عن وراثة، وإنما عن جدارة؛ لما فيه من خصال السّادة الأشراف:[4]

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيِّدِ عَامِرٍ *** وَفَارِسَهَا الْمَشْهُورَ فِي كُلِّ مَوْكِبِ

فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ *** أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلَا أَبِ

وَلَكِنَّنِي أَحْمِي حِمَاهَا وَأَتَّقِي *** أَذَاهَا وَأَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكِبِ

---

(1) الدّهناء: بفتح أوله، يمد ويقصر قال ابن حبيب :الدهناء: رمال في طريق اليمامة إلى مكة، لا يعرف طولها ؛ وأما عرضها فثلاث ليال، وهى على أربعة أميال من هجر. ويقال في المثل: أوسع من الدهناء. البكري: معجم ما أستعجم، ج2 ص559.

(2) عامر بن الطفيل" من "بني عامر بن صعصعة" من الشعراء الذين أدركوا الإسلام، وقد وفد على الرسول، وهو يريد الغدر به، ثم رجع كافرا فمات وهو في طريقه إلى دياره بالطاعون. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج18 ص66.

(3) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج18 ص67.

(4) هو "عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب"، "أبو براء"، وهو ممن اشتهر بالفروسية كذلك. وكان سيدًا في قومه. ذكر أنه أخذ أربعين مرباعًا في الجاهلية. وفي ذلك دلالة على ما كان له من مقام في قومه. قيل إنه سمي "ملاعب الأسنة" بقول أوس بن حجر: ولاعب أطراف الأسنة عامر ... فراح له حظ الكتيبة أجمّ وقد عرف بـــ"ملاعب الرماح" كذلك جواد علي: م س، ج10 ص60 و ج18 ص66-67.

ومنهم: **عويمر بن أبي عدي بن ربيعة**، الشّاعر والفارس الذي دعا فارس العرب الشّهير عنترة بن شداد إلى المبارزة قائلًا له: ابرز إليَّ أيّها العبد، فإن قتلتك فلا أخيفن أصحابك بعدك! وإن قتلتني رجعتَ بإبل قومي! فلم يُقْدِم عنترة على مبارزته..."[1]

كذلك **معاوية بن مالك**[2]. عمّ لبيد بن ربيعة الملقّب بمعوذ الحكماء لقوله:

أُعَوِّذُ مِثْلَهَا الْحُكَمَاءَ بَعْدِي *** إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْأَشْيَاعِ نَابَا[3]

وكان فارسا وشاعرا، وهو من شعراء المفضليات.[4] وربيعة بن مالك فارس ذي علق، وعلقمة بن علاثة وعتبة بن سنان ويزيد بن الصّعق وإربد بن قيس وهو إربد الحتوف وغيرهم من الفرسان المشهورين في الجاهلية والإسلام -كما سيأتي-[5]، ممّا يدلّ على أنّ تاريخ هذه القبيلة حافل قبل الإسلام، ولعلّها ستظلّ على هذه الطباع فيما بعد -كما سنشهد- ناهيك عن شعرائها الذين تميزّوا بقدرة شعرية فائقة في إبراز دور قبيلتهم، والتّغني ببطولتها وأمجادها وتبيان مكانتها، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- الشّاعر **لبيد بن ربيعة بن هلال العامري** الذي قال الشّعر وهو صغير، ونبغ في الدّفاع عن قبيلته وقد رآه النّابغة الذّبياني وهو غلام عند النّعمان بن المنذر، وشهد له بأنّه أشعر بني عامر بل أشعر

---

(1) ابن حزم: الجمهرة: ج1 ص290-291. هوعويمر بن أبي عدي بن ربيعة بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، شاعر وفارس بنى عقيل.

(2) اسمه معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب. علي جواد: المفصّل في تاريخ العرب، ج18 ص113. المرزباني: معجم الشعراء، ج1 ص291.

(3) هكذا بالنُّون وَالْمُوَحَّدَة، من نابَه الأَمرُ، إذا عَرَاهُ، وَفِي بعض النّسخ: بانَا، بِتَقْدِيم الموحّد على النُّون، أَي ظهرَ، وَفِي أُخرى: إِذا مَا الأَمر، بدلَ الحقّ. وَفِي بعض الرِّوَايَات: إِذا مَا مُعْضِلُ الحَدَثَانِ نَابَا. الزبيدي: تاج العروس، ج8 ص447.

(4) رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، ج1 ص96.

(5) الألوسي: بلوغ الأرب، ج 1 ص283.

قيس كلّها.[1] شعره مثال للفخامة والقوّة والمتانة والبداوة، فتراه فخم العبارة قويّ اللّفظ، قليل الحشو مزدانا بالحكمة العالية والموعظة الحسنة. ومن النّقاد من يقدّمه على أنّه أفضل الشّعراء في الجاهلية والإسلام.[2]

- كذلك الشّاعر **النّابغة الجعدي**، الذي سُمّي بالنّابغة لنبوغه في الشّعر في عهد الإسلام بعد أن كان قد أحجم عنه دهرا، وكان جلّ شعره قبل الوحي في التّوحيد والبعث والجنّة، لذا عندما بدأت الدّعوة المحمّدية كانت استجابته للدّين الجديد سهلة يسيرة.[3]

- الشّاعر **حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري**، وهو شاعر مخضرم وفد على النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- وقال بحضرته:[4]

أَصْبَحَ قَلْبِي مِنْ سُلَيْمَى مُقْصَدا إِنْ خَطَأً مِنْهَا وَإِنْ تَعَمَّدَا

حَتَّى أَرَانَا رَبُّنَا مُحَمَّدَا يَتْلُو مِنَ اللَّهِ كِتَابًا مُرْشِدَا

فَلَمْ نُكَذِّبْ وَخَرَرْنَا سُجَّدَا نُعْطِي الزَّكَاةَ وَنُقِيمُ الْمَسْجِدَا

- كذلك الشّاعر **تميم بن أبيّ بن مقبل** من بني العجلان من عامر بن صعصعة وهو شاعر مخضرم، رثى عثمان بن عفان ومات في خلافة معاوية بن أبي سفيان.[5] إلى جانب الشّاعر عبيد بن حصين

---

[1] جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1964، ص107.

[2] الأعلم الشنتمري: أشعر الشعراء الستة الجاهليين، ج1 ص107.

[3] عبد الرحمن عفيف: معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، بيروت، دار العلوم للطباعة والنشر، 1983، ص357. وينظر علي الجواد: المفصّل في تاريخ العرب، ج18 ص13و16-17.

[4] العسقلاني ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، 1939، ج1 ص355.

[5] ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980م، ج1 ص52.

حصين من بني نمير من عامر بن صعصعة المعروف بـــ**الرّاعي النّميري** الذي لُقّب بالرّاعي لكثرة وصفه للإبل وجودة معرفته بها[1] والشّاعر **قيس بن الملوّح** المجنون العامري والشّاعرة ليلى الأخيلية من بني عقيل من عامر بن صعصعة، التي اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير، جعل النّقاد طبقتها في الشّعر تلي طبقة الخنساء.

4: بنو هلال في الإسلام:

1.4- موقف بني هلال من الإسلام:

عند ظهور الإسلام أظهر كلّ من بني هلال وأبناء عمومتهم بني عامر، شيئا من العداوة تجاه العقيدة الجديدة، فقاوموا المسلمين وساهموا في المعارك التي خاضها أعداء الإسلام ضدّ النّبي وأتباعه، ولم تكن مقاومتهم للإسلام على أنّه مجرد دين عقيدة فقط، بل قاوموه على أنّه نظام اجتماعي يريد أن يسلبهم امتيازاتهم التي كانوا يتمتّعون بها، كالثّراء الفاحش على حساب الفقراء، وسلبيتهم تجاه المرأة، وعدم المساواة بين القويّ والضّعيف، وتسلّطهم وجبروتهم...[2]

وكان بنو عامر بن صعصعة من ضمن القبائل التي عرض النّبي -صلّى الله علية وسلم- نفسه عليها في عكاظ، الذي يعدّ منبر العرب آنذاك، تلتقي فيه القبائل من جميع أنحاء الجزيرة، وذلك قبل أن يهاجر إلى المدينة المنوّرة، فدعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد وعدم الإشراك به، وطلب منهم أن يسلموا فقال رجل منهم -يقال له بيحرة بن فراس[3]-: "والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب" ثم قال: "أرأيتَ إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال عليه السّلام: "الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء" فقال له:

---

(1) ديوان الراعي النميري: شرح: واضح الصّمد، دار الجيل بيروت، ط1، 1416ه-1995م، ص9-10. هلال ناجي: شعر الراعي النميري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1980م-1400ه، ص46.

(2) فاروق عمر: تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1979، ص 53.

(3) بيحرة بن فراس :بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. ابن كثير: البداية والنهاية، ج3 ص171.

"أفتهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك فأبوا عليه."[1] فلما صدر النّاس، رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كانت أدركته السّن ولا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدّثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قَدِمُوا عليه سألهم عما كان في موسمهم فقالوا: "جاءنا فتى من قريش أحد بني عبد المطلب يزعم أنّه نبيّ يدعونا إلى أن نمنعه، ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا، فوضع الشّيخ يديه على رأسه ثم قال: يا بني عامر هل لها من تَلَافٍ؟ هـــل لذناباها من مطلب[2]، والذي نفس فلان بيده ما تقوَّلها إسماعيلي قطّ وإنّها لَحَقٌّ فأين رأيكم كان عنكم[3]!" لكن عامر بن الطّفيل أحد سادة القبيلة وفارسها الذي كان يطمح لسيادة العرب حال بين قومه والإسلام، فقد طلب منه النّاس أن يسلم فقال: "والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتّى تتّبع العرب عقبي، أفأنا أتّبع عقب هذا الفتى من قريش؟".[4]

2.4- سرايا الرّسول -صلى الله عليه وسلم- لبني هلال:

لم تقطع بنو عامر اتّصالها بالرّسول الكريم بالرّغم من معاداته، ربّما لأنّهم أحسّوا بقوّة الإسلام التي غلبت مشركي مكّة ببدر ووقفت لهم في أحد[5]، وإلّا ما قَدِمَ أبو براء عامر بن مالك بن جعفر العامري ملاعب الأسنة الذي لم يسلم ولم يبعد- على رسول الله -صلّى الله عليه

---

[1] ابن كثير: البداية والنهاية، ج3 ص171. والسّيرة النبوية: ج2 ص158. الإمام السهيلي: الروض الأنف، ج2، ص240-241.

[2] هذا مثل يضرب للتندم على ما فات، وأصله ذنابي الطير إذا أفلت من الحبالة فطلبت الاخذ به. ابن كثير: البداية والنهاية، ج3 ص171.

[3] ابن كثير: البداية والنهاية، ج3 ص171. والسّيرة النبوية: ج2 ص158. الإمام السهيلي: الروض الأنف، ج2، ص240-241.

[4] ابن كثير: البداية والنهاية، ج5 ص68. والسيرة النبويّة، ج4 ص109.

[5] إحسان عباس: مقدمة شرح ديوان لبيد، الكويت 1962م، ص 25.

وسلم- بالمدينة ليعرض عليه أن يبعث جمعا من المسلمين ليدعوا أهل نجد، لكنّ الرّسول الكريم -صلّى الله عليه وسلّم- أبدى تحفظه من هذه الدعوة خشية على رجاله، غير أنّ أبا براء بدّد مخاوف الرّسول الكريم حين قال: "أنا لهم جار" وقد كان رجلا مسموع الكلمة في قومه[1]، فبعث إليهم أربعين صحابيا من حفظة القرآن وقيل سبعين، وهذا ما يؤكّد عظم هذه القبيلة ومدى أهميتها بين قبائل العرب، وإلّا ما أرسل لها هذه السّرية. فَلَمَّا وصل أفراد السّرية إلى بئر معونة من أرض نجد أرسلوا حرام بن ملحان الأنصاري[2] بكتاب رسول الله **-صلى الله عليه وسلم-** إلى عامر بن الطُّفيل، فلمَّا أتاه لم ينظر في كتابه حتَّى عدا عليه فقتله، ثمَّ استصرخ بني عامر لقتل صحابة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، فأبوا الاستجابة إلى ما دعاهم إليه؛ حفاظا لعهد أبي براء؛ هذا لأنّهم قوما شرفاء لا يرتضون الغدر ولا الخيانة، فاستصرخ عليهم قبائل من بنِي سليم من عُصَيَّة ورعل وذكوان، فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتَّى غَشَوْا القوم فأَحاطوا بهم في رحالهم، فلمَّا رأَوهم أخذوا سيوفهم ثمَّ قاتلوهم حتَّى قتلوا إلى آخرهم، إلَّا عمرو بن أميّة الضّمري فقد وقع أسيراً في أيديهم، وهي الوقعة التي تعرف في كتب السّيرة بحادثة **بئر معونة**[3] أو غزوة بئر معونة.[4]

---

[1] وتذكر الرواية أن أبا براء قدم إلى الرسول الكريم بالمدينة في شهر صفر السنة الرابعة، وأهدى له فرسين وراحلتين، فلم يقبلها منه لأنه كان مشركا، ثم عرض عليه أمر دعوة أهل نجد للإسلام. ابن كثير: البداية والنهاية، ج4 ص83-84. الإمام السّهيلي: الروض الأنف، ج3 ص 379 - 380.

[2] أخو أم سليم خال أنس بن مالك رضي الله عنه. ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج2 ص42.

[3] قيل: بين أرض بني عامرة وحرّة بني سليم. وقيل :بئر معونة بين جبال يقال لها أبلى في طريق المصعد بين المدينة إلى مكة وهي لبني سليم. وقيل: بئر معونة ماء لبني عامر بن صعصعة.ياقوت الحموي: معجم البلدان ج1/ص 302. وتسمى أيضا بسرية القراء كانت هذه السرية في شهر صفر في السنة 4ه/سنة 625 م) على رأس أربعة اشهر من أحد.

[4] السّهيلي: الروض الأنف، ج3 ص 381، كذلك ينظر محمد مصطفى الأعظمي: مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم: =عروة بن الزبير، الرياض، منشورات مكتبة التربية العربي، 1918م، ص 187. محمّد رضا: محمّد صلى الله عليه وسلّم، ج1 ص314. المقريزي: إمتاع الأسماع، ج13 ص285.

ولمـــّا بلغ ذلك أبا براء، كره هذه الفعلة النّكراء التي ارتكبها عامر بن الطّفيل وما أصاب أصحاب رسول اللّه **–صلى الله عليه وسلم–** بسببه وجواره، ونزل به الموت، فحمل ربيعة بن أبي براء لما وصله الخبر على عامر بن الطّفيل وهو في نادي قومه فطعنه بالرُّمح فوقع في فخذه فأشواه ووقع عن فرسه. فقال عامر: هذا عمل عمّي أبي براء، و لم يجرؤ على الثّأر منه.[1] وأرسل أبو براء لبيد بن الرّبيعة إلى رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– ومعه هدية[2]، لعلّها اعتذار عما حدث، ممّا يدلّ على استمرار العلاقة بين الرّسول الكريم وقبيلة بني عامر، التي أبدى لها رسول الله اهتماما بالغا، بوصفها قوة عظمى لاشتهارها بالقوّة والشّجاعة والكثرة. فهي من أكبر القبائل عددا وبطونا حتى أطلق على كلّ منها اسم قبيلة مثل "بني هلال" التي كانت بطنا رئيسيا لها، فأصبحت

---

[1] وفي رواية أخرى يقول عامر بن الطفيل بعد طعنه: إن مت فدمي لعمي، فلا يتبعن به وإن أعش فسأرى رأيي فيما أتي إلي. ينظر الإمام السهيلي: م. س، ج3 ص 384. وجاء في فتح الباري، ((أن الرسول بعث وفدًا برئاسة "المنذر بن عمرو الخزرجي"–رضي اللّه عنه– في سبعين رجلًا من خيار المسلمين فيهم عامر بن فهيرة وحرام بن ملحان –رضي اللّه عنهما–، وأنه استشهد جميع أفراد السرية ما عدا عمرو بن أمية الضَّمْري –رضي اللّه عنه–، فأسروه فلما أعلمهم أنه من مضر أطلقوه، وكعب بن زيد –رضي اللّه عنه– فقد تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل في غزوة الخندق. وقد حزن الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ما أصاب أفراد السرية، وقنت شهرًا يدعو اللّه على تلك القبائل، وقام ربيعة بن أبي براء فقتل عامر بن الطفيل انتقامًا لجوار أبيه)). ينظر: العسقلاني: فتح الباري بشـــرح صحيح البخاري: رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصى أطرافه، ونبَّه على أرقامها في كل حديث: محمد فؤاد عبد الباقي، المجلد السابع، المكتبة السلفية، دط، دت. كتاب المغازي 7/ 385 إلى 391، وينظر: محمّد رضا: محمّد صلى الله عليه وسلّم، ج1 ص314.

[2] في رواية: أقبل أبو براء فبعث ابن أخيه لبيد بن ربيعة بفرس هدية لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فرده وقال: لا أقبل هدية مشرك، قال: فإنه قد بعث يستشفيك من وجع به وكانت به الدبيلة (داء في الجوف) فتناول النبي صلّى اللّه عليه وسلّم مدرة من الأرض فتفل فيها ثم ناوله وقال: دفها (أخلطه وأذبه) بماء ثم اسقها إياه. ففعل فبرأ. ويقال: بعث إليه بعكة (وعاء من الجلد خاص بالسمن أوعسل) فلم يزل يلعقها حتى برأ، وشق على أبي براء ما فعل عامر بن الطفيل. المقريزي: امتاع الأسماع، ج1 ص184. ابن عبد البرّ: الانباه على قبائل الرواه، ج1 ص87.

تُدعَى "قبيلة بني هلال"، قال أبو عمرو بن العلاء[1]: "جاء الإسلام وأربعة أحياء قد غلبوا على النّاس كثرة: شيبان بن ثعلبة، وجشم بن بكر، وعامر بن صعصعة، وحنظلة بن مالك، فلما جاء الإسلام طما بنو شيبان وعامر بن صعصعة، وخمد جشم وحنظلة...[2] فلو قُدِّرَ لهذه القبيلة أن تسلم لعظُمَ شأنها وكبر دورها، وما قصدها الرّسول إلّا لأنّها مهمّة ويريد أن يكسبها ليضرب بها قريشا، لا سيما وأنّها داخلة بفكرة الحمس معها، فلو أسلمت لكان البرهان أنصع والحجَّة أقوى، وأعطى ردود فعل حسنة للإسلام والمسلمين، وشجَّع القبائل الأخرى على الدّخول فيه، كيف لا وجمجمة عظيمة هي حليفة لقريش قد دخلت الإسلام.[3]

ويبدو هذا الاهتمام واضحا في توجيه الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– في سرايا أخرى لبني عامر، قادها من العظماء.

ففي شعبان السنة 7ه بعث الرّسول أبا بكر رضي الله عنه في سرية إلى بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بنجد ناحية ضرية، [4] التي كان شعارها "أَمِتْ أَمِتْ" فأغارت عليهم، فقتلت وأسرت بعضهم، وغنمت منهم الماشية.[5]

---

(1) أحد القراء السبعة، كان أعلم النّاس بالقراءات والعربية وأيّام العرب، والشّعر وأيّام النّاس. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3 ص466.

(2) **حيان**: على قيد الحياة. **طما**: فاض وارتفع ماؤه. أبو عبيدة: الديباج، ج1 ص20. ابن عبد البرّ: الانباه على قبائل الرواه، ج1 ص87.

(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ص216. سيرة ابن هشام: ج2، ص289، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، العراق، مطبعة المدائن، 1993. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، د ت، ص 36.

(4) ويقال: أنّ السارية كانت إلى بني فزارة. الواقدي: المغازي، تـــ: مارسدن جونس، مؤسسة الطباعة، بيروت، ج2 ص722. وينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار الصادر، بيروت، 1968، ج2 ص118.

(5) دروزة: تاريخ العرب في الإسلام تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم، المكتبة المصرية، بيروت، 1961، ص201

وفي نفس الشّهر من نفس السّنة، بعث عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلا إلى هوازن بتربة[1] لموقفهم العدائي من الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-، وكان معه دليل من بني هلال، فكان يسير في اللّيل ويكمن في النّهار، فلما أتى الخبر هوازن هربوا، فجاء عمر رضي الله عنه فلم يجد أحدا منهم، فعاد إلى المدينة.[2]

وفي شهر ربيع الأوّل من السّنة 8ه بعث الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- شجاع بن وهب في سرية من أربعة وعشرين رجلا إلى بني عامر، يسيرون ليلا ويمكنون نهارا فأغاروا عليهم وأصابوا نعما كثيرة.[3]

وتأخّر دخول بني هلال إلى الإسلام واستمرّوا في حياتهم الأولى، وكانوا ممن خاض في نجد الحجاز مع بني سليم وبني عامر يغيرون على قوافل الحجيج والقبائل، ثم إنّهم استمرّوا على تلك الحالة حتّى بعد أن علت راية الإسلام، وكانوا فيمن شارك في الهجوم على المسلمين يوم حنين شوال 8هـــ، التي اجتمعت هوازن وثقيف كلّها ونصر وجشم وسعد بن بكر، وكان نتيجتها اندحار هوازن وإسلامها فيما بعد.[4]

يرى البعض أنّ سبب ابتعاد بني عامر -الذين منهم بني هلال- عن الدّين الجديد، وتأخُّر دخولهم في ظلّ رايته، هو ابتعادهم عن مكّة والتزام أطرفها العالية، كما يفسّر استمرارهم في حياتهم الأولى اضطراب موقفهم من تعاليمه[5]، في حين يرى آخرون أنّ تفسير هذا التّأخير هو

---

[1] الواقدي: م س ص 535. ابن كثير: السيرة النبوية، ج3 ص418.

[2] م س ص 722. ابن كثير: السيرة النبوية، ج3 ص418.

[3] م س 753. ابن كثير: السيرة النبوية، ج3 ص453.

[4] ابن الأثير: الكامل، ج2 ص177، وينظر الطبري: التاريخ م س، ج3 ص70. العسقلاني: الفتح الباري، ج8 ص27 وج8 ص43. ابن كثير: البداية والنهاية: ج4 ص 321 و344.

[5] مونسي حبيب: بنو هلال المسيرة والتاريخ، مجلة ثقافة بلا حدود.

دخولهم مع قريش بفكرة الحمس.[1] لكن هذا التّأخير لا ينفي وجود أفراد من بني عامر أسلموا وفي وقت مبكر من الدّعوة، مثل لبيد بن ربيعة[2] الذي يعدُّ أوّل من أسلم من رجال بني عامر، وضباعة بنت عامر بن قرط[3] التي كانت قد سبقته فيمن أسلم بمكّة، حين كانت في زيارة لأهلها عندما جاء الرّسول الكريم يدعو بني عامر بسوق عكاظ.[4]

بعد فتح مكّة في العام 8ه وسقوط آخر المعاقل المقاومة لدولة الإسلام، وظهور نتائج الصّراع بين الحقّ والباطل وبين التّوحيد والشّرك في غزوة تبوك (رجب 9ه) توطَّد الإسلام في أرجاء الأرض وبادرت قبائل العرب إلى إسلام، بعدما أيقنت أنّه لا طاقة لها في خوض الحرب ضدّ إمام المرسلين، قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصرُ ٱللَّهِ وَٱلفَتحُ * وَرَأَيتَ ٱلنَّاسَ يَدخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفوَاجا * فَسَبِّح بِحَمدِ رَبِّكَ وَٱستَغفِرهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَا**﴾[5] وأقبلت الوفود إلى النّبي –صلّى الله عليه وسلم– من كل حدبٍ وصوب، التي بلغ عددها في ذلك العام ستّين

---

[1] إحسان عباس: م. س، ص 15.

[2] بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة الكلابي الجعفري، أبو عقيل الشاعر المشهو.: كان فارسا شجاعا شاعرا سخيا، قال الشعر في الجاهلية دهرا، ثم أسلم، ولما كتب عمر إلى عامله بالكوفة: سل لبيدا والأغلب العجليّ ما أحدثا من الشعر في الإسلام، فقال لبيد :أبدلني اللّه بالشعر سورة البقرة وآل عمران، فزاد عمر في عطائه. ابن حجر: الأصابة في تمييز الصحابة، ج5 ص501.

[3] بن قرط بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة شاعرة صحابية. كانت زوجة هشام بن المغيرة، في الجاهلية ولها قصيدة في رثائه وأسلمت بمكة في أوائل ظهور الدعوة. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج8 ص221.

[4] سيرة ابن هشام: ج2 ص991، ابن عبد البر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1912، =ج4 ص343،: ابن حجر العسقلاني: الإصابة م. س، ج4 ص344، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، القاهرة: مكتبة الشعب، 1970، ج4 ص344، قصص العرب: القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1962،ج1 ص23.

[5] سورة النصر: الآيات 1، 2، 3.

وفدًا، حتّى سمّيت سنة تسعة من الهجرة سنة الوفود كما تشير مصادر التّاريخ.[1]

ومن أهمّ تلك الوفود وفد بني عامر الذي استقبله النّبي -صلّى الله عليه وسلم- وأحسن ضيافته، فأعجبوا بأخلاقه عليه الصّلاة والسّلام فأسلموا جميعًا، وأعلنوا تأييده وبالغوا في مدحه، فقد جاء على لسان أبو العلاء العامري رضي الله عنه عن أبيه[2] قال: (انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله -صلّى الله عليه وسلم- فقلنا: أنت سيدنا، فقال: السّيد الله تبارك وتعالى، قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا، فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرئنّكم الشيّطان).[3]

---

[1] السهيلي: الروض الأنف: ج4 ص336، ابن كثير: البداية والنهاية، ج5 ص49، ابن هشام: السيرة ج2 ص 560، محمد بن عبد الوهاب: مختصر السيرة، ص159.

[2] هو يزيد بن عبد الله بن الشّخير وأبوه هو الصحابي، وهو الوافد. ابن حجر: الإصابة، ج7 ص257.

[3] ابن حجر: الإصابة، ج7 ص257.

وكان في ذلك الوفد عامر بن الطفيل رفقة إربد بن قيس[1] وجبار بن سلمي[2]، لكنَّهم لم يأتوا مهاجرين إلى الله ورسوله وما كان في نيّتهم الإسلام، بل قَدِمُوا متآمرين يريدون الغدر برسول الله –صلى الله عليه وسلّم– فكفاه الله شرّهم.[3]

وقَدِمَ وفدٌ فيه علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، وهوذة بن خالد بن ربيعة وابنه، وكان عمر جالسا إلى جنب رسول الله فقال له رسول الله: أوْسِع لعلقمة، فأوْسَعَ له وجلس إلى جنبه، فَقَصَّ عليه شرائع الإسلام وقرأ عليه قرآنا فقال: يا محمد إنّ ربّك لكريم، وقد آمنت بك وبايعت على عكرمة بن خصفة، وأسلم هوذة وابنه وابن أخيه.[4]

---

(1) أَرْبَد بن قيس أَخو لبيد لأمّه والمعروف بأربد الحتوف.

(2) جبار بْن سلمى بْن مَالِك بْن جَعْفَر بْن كلاب بْن ربيعة بْن عَامِر بْن صعصعة.

(3) وكان هؤلاء الثلاثة أشراف القوم وشياطينهم، قدم عامر بن الطفيل وهو يريد الغدر برسول الله صلي الله عليه وسلم، =فاتفق مع إربد على أن يشاغل رسول الله صلي الله عليه وسلم ويعلوه إربد بسيفه. وراح عامر يشاغل رسول الله صلي الله عليه وسلم ولكن إربد لم يفعل. ولما خرجوا قال عامر لإربد: ويلك أين ما اتفقنا عليه؟ قال: والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلتَ بيني وبين الرجل حتي ما أري غيرك. أفأضربك بالسيف؟ إنها إرادة الله وعظمته وحكمته وحمايته. لقد أنزل قرآنًا يتلي يقول فيه مخاطبًا حبيبه المصطفي صلي الله عليه وسلم﴿... وَٱللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ...﴾ المائدة: 67. أي لن يصل إليك شر من بشر. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عامر بن الطفيل ليؤمن ولكنه أبى فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى إربد بن قيس. فما إن خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينما هم في الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة بغي من بني سلول ليكون ذلك عارًا وانتقامًا. ولما سألوا إربد عما وراءه. قال: لقد دعانا محمد إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله. فخرج بعد يوم من مقالته تلك معه جمل له يتبعه فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما (ينظر ابن هشام: السيرة ج2 ص562-568، وينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى: ج 1 ص 10-118، والسهيلي: الروض الأنف ج 4 ص346.

(4) ابن سعد: الطبقات، ج2 ص 10- 118. النويري: نهاية الإرب، ج18 ص58.

وقدم وفد آخر إلى النّبي الكريم فيه أبو جحيفة السّوائي،[1] فوجدوه بالأبطح[2] في قبة حمراء فسلّموا عليه، فقال: من أنتم؟ قالوا: بنو عامر بن صعصعة، قال: أنتم مني وأنا منكم.[3]

ومن وفود بني عامر على الرسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وفد بني هلال فيهم عبد عوف بن أصرم بن عمرو بن شعيبة بن الهزم بن رؤيبة، أسلم وسمّاه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عبد الله، ومنهم قبيصة بن المخارق –له حديث في الصدقات–[4] وفد مع زياد بن عبد الله بن مالك الذي عندما دخل المدينة مرَّ بمترل خالته ميمونه بنت الحارث، وعندما دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم– مترله رآه فغضب ورجع، فقالت: يا رسول الله إنه ابن أختي، فدخل ثم خرج إلى المسجد ومعه زياد فصلّى الظهر، ثم أدنى زيادا فدعا له ووضع يده على رأسه، ثم حدَّرها على طرف أنفه فكانت بنو هلال تقول: "ما زلنا نتعرف على البركة في وجه زياد" وقال الشّاعر لعلي بن زياد بن عبد الله:[5]

---

(1) أبو جحيفة السّوائي: صاحب النّبي – صلى الله عليه وسلم – واسمه وهب بن عبد الله، ويقال له: وهب الخير، من صغار الصحابة لما توفي النبيّ – صلّى الله عليه وسلم – كان وهب مراهقا – هو من أسنان ابن عبّاس – وكان صاحب شرطة عليّ رضي الله عنه. وقيل: إنّ علي بن أبي طالب كان إذا خطب، يقوم أبو جحيفة تحت منبره.

(2) الأَبْطَحُ مَسِيل واسِع فيه دُقاقُ الحَصى. ابن سِيدَة: وقيل بَطْحاءُ الوادي تراب لَيِّنٌ مما جَرَّتْه السُّيُولُ، والجمع بَطْحاواتٌ وبِطاحٌ. يقال: بِطاحٌ بُطَّحٌ، كما يقال: أَعوامٌ عُوَّمٌ، فإِن اتسع وعَرُضَ، فهو الأَبطَحُ، والجمع الأَباطِحُ. ابن منظور: اللسان، مادة (بطح).

(3) النويري: نهاية الإرب، ج18 ص58. البغدادي: الطبقات الكبرى، ج1 ص311.

(4) هو قبيصة بن المخارق بن عبدالله بن شداد بن معاوية بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة، ورد أنّه قال: لرسول الله: إنّي حملت عن قومي حمالة فأعني فيها، قال: ((هي لك في الصدقات إذا جاءت)). ينظر العسقلاني: الإصابة ج 3 =ص 215. وابن الأثير: أسد الغابة ج 4 ص 384 – البغدادي: الطبقات، ج7 ص35.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية، ج5 ص92.

يَا ابْنَ الَّذِي مَسَحَ الرَّسُولُ بِرَأْسِهِ ... وَدَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ عِنْدَ الْمَسْجِدِ

أَعْنِي زِيَادًا لَا أُرِيدُ سِوَاءَهُ ... مِنْ غَائِرٍ أَوْ مُتْهِمٍ أَوْ مُنْجِدِ

مَا زَالَ ذَاكَ النُّورُ فِي عِرْنِينِهِ ... حَتَّى تَبَوَّأَ بَيْتَهُ فِي مُلْحَدِ

3.4- زوجات الرّسول صلّى الله علية وسلّم من بني هلال:

تلتقي قبيلة بني عامر مع الرسول صلى الله علية وسلم في مضر بن نزار، وقد أثنى عليهم -صلى الله عليه وسلم- عندما قال: ((أنتم منّي وأنا منكم))[1] وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (ذكرت القبائل عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فسألوه عن بني عامر، فقال: ((جمل أزهر يأكل من أطراف الشّجر))[2]، وقد صاهر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بني عامر بن صعصعة، فتزوّج عدّة نساء، هنّ:

1- أمّ المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وعرفت بالجاهلية والإسلام بأمّ المساكين لشدّة عطفها عليهم ورأفتها بهم، وكانت تطعمهم وتتصدّق عليهم، زوَّجَهُ إياها قبيصة بن عمرو الهلالي، بعد استشهاد زوجها عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف في يوم بدر، وكانت قبله عند عبيدة ابن عمّها جهم بن عمرو بن الحارث، وأصدقها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أربع مئة درهم، وبنى بها في شهر رمضان، وهي الزّوجة الرّابعة بعد أمّ المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب، فمكثت عنده أقلَّ من سنة وتوفيت في حياته -صلى الله عليه وسلم-، في آخر شهر ربيع الثاني على رأس تسعة

---

[1] البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف: القاهرة، 1939، ص 455. النويري: نهاية الإرب، ج18 =ص58. البغدادي: الطبقات الكبرى، ج1 ص311.

[2] الطبراني: المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة ، 1415هـ-1995م، ج8 ص138-139، رقم الحديث: 8206. وينظر: الخطابي: غريب الحديث للخطابي، ج1 ص461.

وثلاثين شهرا من الهجرة، وصلّى عليها الرّسول –صلى الله عليه وسلم–، ودفنت بالبقيع في المدينة المنوّرة عن عمر يقارب الثلاثين سنة.[1]

2– أمّ المؤمنين ميمونة بنت الحارث بنت حزن بن بجير بن هزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، أخت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة لأمّها، وكان اسمها برّة، فغيّره رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، زَوَّجَهُ إيّاها العباس بن عبد المطلب، وأصدقها عن رسول الله أربع مئة درهم وكان ذلك سنة سبع في عمرة القضاء؛ إذ بعث جعفر بن أبي طالب بعد عودته من أرض الحبشة ليخطبها له بعد أن تأيّمت، فجعلت أمرها إلى العباس عمّ الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–، وزوج أختها لأبويها لبابة الكبرى أمّ الفضل بنت الحارث الهلالية، وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد العزّى بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، ويقال: بل هي التي وهبت نفسها للنبي –صلى الله عليه وسلم–، وذلك أنَّ خطبة النّبي –صلى الله عليه وسلم– انتهت إليها وهي على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله. فأنزل الله تبارك وتعالى:﴿**وَٱمرَأَة مُّؤمِنَةً إِن وَهَبَت نَفسَهَا لِلنَّبِيِّ إِن أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَستَنكِحَهَا خَالِصَة لَّكَ مِن دُونِ ٱلمُؤمِنِينَ**﴾[2] وهي آخر امرأة تزوّجها الرّسول –صلى الله عليه وسلم– بعد صفية بنت حيي[3]

---

[1] ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1424ه-2003م.ج1 ص 103 و110. وينظر: السهيلي: الروض الأنف م. س، ج4، ، ابن هشام: السيرة، ج2 ص674، الواقدي: السير والمغازي، ج2 ص 534-535، أبو عبيدة معمر بن المثنى: تسمية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأولاده، تحقيق: ناصر الحلاوي، مطبعة حداد، بغداد، 1969، ص 37، الطبقات الكبرى لابن سعد: ج2 ص 115، أنساب الأشراف للبلاذري: ص 429، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير: ج7، ص 129، بنت الشاطئ: سيدات بيت النبوة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967، ص303- 306.

[2] سورة الأحزاب: الآية 50. ويقال إن التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، ويقال: أم شريك غزية بنت جابر بن وهب من بني منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي، ويقال: بل هي امرأة من بني سلمة بن لؤي فأرجأها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ينظر ابن هشام: السّيرة، ج2 ص674.

[3] م س ص.

ماتت بسرف سنة إحدى وخمسين ودفنت بها، مما يدلّ على أنها انتقلت بعد وفاة النّبيّ -صلى الله عليه وسلم- إلى قبيلتها بني هلال في سرف، وهو موضع على ستة أميال من مكّة.

كان لميمونة عدد من الأخوات الشقيقات ولأمّ تحت نفر كرام من أعمام وأصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهنّ:

أ) أخواتها الشّقيقات:

1. أمّ الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب، وقد أسلمت بفضل خديجة أم المؤمنين، وكانت تزور الرّسول -صلى الله عليه وسلم- وَرَوَتْ عنه أحاديث كثيرة، ولدت ستة رجال لم تلد امرأة مثلهم، منهم: الفضل الذي أردفه النبي -صلى الله عليه وسلم- وراءه في حجّة الوداع وكانت تُكْنَى به، عبد الله حبر الأمّة الذي روى عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أحاديث كثيرة، وعبيد الله ومعبد الذي استشهد بأفريقيا، وعبد الرحمن واستشهد بالشّام، وقُثَم استشهد بسمرقند.[1] وفيها يقول عَبْد الله بن يزيد الهلالي:[2]

ما وَلَدَتْ نَجيبَةٌ من فحْلِ ** كستَّةٍ من بَطنِ أم الفَضْلِ

أكرِمْ بها من كهلةٍ وكهلِ ** عمِّ النَّبِيّ المصطفى ذي الفضْلِ

وقد أرضعت الحسين بن علي رضي الله عنهما.[3]

2. لبابة الصغرى زوج الوليد بن المغيرة سادة قريش، وأمّ خالد بن الوليد سيف الله المسلول.

3. عصماء بنت الحارث كانت تحت أَبَيّ بن خلف الجمحي.

---

[1] ابن الأثير: أسد الغابة م. س، ج7 ص 252- 254، وينظر ابن عبد الرب: الاستيعاب، ج4 ص385، وابن حبيب: المحبر، ص107.

[2] ابن عبد الرّبّ: الاستيعاب، ج4 ص386.

[3] العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج4 ص 461.

4. عزّة بنت الحارث كانت تحت زياد بن عبد الله بن مالك الهلالي.

فهؤلاء أخوات ميمونة بنت الحارث الأشقاء، وأمّهنّ هند بنت عوف أكرم امرأة في الأرض أصهارًا: أصهارها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأبو بكر الصّديق، وحمزة والعبّاس ابنا عبد المطلب وجعفر وعلي ابنا أبي طالب.[1]

ب. أخواتها لأمّها:

1. أسماء بنت عميس كانت تحت جعفر بن أبي طالب، فولدت له عبد الله، وعونًا، ومحمدًا، ثم خلفه عليها أبو بكر، فكان نِعْمَ الخلف، فولدت له محمدًا، ثم خلف عليها علي، فأنْعِمْ به وأكْرِمْ، فولدت له يحيى، ولهذا كانت تعرف بزوجة الشهداء.

2. سلمى بنت عميس الخثعمية، وكانت تحت حمزة بن عبد المطلب، فولدت له أمة الله بنت حمزة، ثم خلف عليها بعده شداد بن أسامة بن الهادي الليثي فولدت له عبد الله وعبد الرّحمن.

3. وسلامة بنت عميس، كانت تحت عبد الله بن كعب بن منبه الخثعمي.

وممّن عقد عليهنّ رسول الله من نساء بني عامر وفارقهن:

1- العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن عبد بن بكر بن كلاب الكلابية، تزوّجها رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ومكثت عنده ما شاء الله، ثم طلّقها، وتزوّجت ابن عمّ لها وذلك قبل أن يحرم على النّاس نكاح أزواج النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-[2]، وقيل إنّه طلّقها حين أدخلت عليه فرأى بكشحها بياضًا، فقال: (البسي ثيابك، والحقي بأهلك) وأمر لها بالصّداق.[3]

---

[1] ابن الأثير: أسد الغابة، ج7 ص 253.

[2] ابن الأثير: م س، ج 7 ص188، وينظر ابن عبد البر: الاستيعاب، ج 4 ص1881.

[3] الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ط9- 1413هـ 1993م، ج 2/ 254، وينظر ابن سعد: الطبقات، ج8 ص100-102، العسقلاني: الإصابة، ج4 ص359. المقريزي: الإمتاع، ج6 ص97-

2- عمرة بنت يزيد العامرية، وكانت حديثة عهد بكفر فلما دنا منها رسول الله -□- استعاذت منه، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لقد عُذْتِ بعظيم، الحقي بأهلك) فَرَدَّها إلى أهلها. وفي رواية أخرى كان رسول الله قد دخل بها، ولكنه لما خير نساءه اختارت قومها ففارقها فكانت تلتقط البعر وتقول أنا الشقيّة.[1]

فبنو عامر بن صعصعة أخوالٌ لعدّة رجال من كبار قريش ووجهائهم، كما أنّ هناك الكثير من الصّحابة -رضوان الله عليهم- من بني عامر.

وعلاقة قريش ببني عامر بن صعصعة قديمة، فبنو عامر بن صعصعة أمُّهم مجد بنت غالب القرشية -كما سبق وأن ذكرنا-.

4.4- بنو هلال وموقفهم من حروب الردّة:

لمـــّا توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اتّسع نطاق الرّدة، ونجم النّفاق في كلّ مكان إلّا ما كان من المدينة ومكّة والطّائف. وقد دلّت روايات تاريخية عديدة على أنّ معظم القبائل العربية التي حاربها الخليفة لم يكن بسبب ردّها عن الدّين، وإنّما بسبب رفضها دفع الزكاة أو تريّثها في ذلك؛ لارتيابها بشأن الخلافة التي تنازعها المهاجرون والأنصار، واختلاط الأمر على هذه القبائل في مدى أهلية الحكومة الجديدة، واعتقادها أنّ من سيقوم مقام الرسول -صلى الله عليه وسلم- في حراسة الدّين وسياسة الدّنيا لن يصل إلى منزلته في العصمة من الخطأ، فخافوا على مستقبلهم في ظل الحكم الجديد "فلا يبعد أن يُعْلِي مركز الخلافة من شأن القبيلة التي ينتمي إليها الخليفة، ويغضّ من شأن غيرها من القبائل، فيميل ميزان العدل بين النّاس."[2]

وكان من القبائل العربية التي ارتدّت قبيلة بنو عامر، باستثناء بطنها الأساسي بني هلال[3]؛ فإنّهم لم يرتدّوا عن الإسلام، وما يؤكّد هذا ما ورد في رواية للبلاذري أنّ خالد بن الوليد بعث

.98

[1] المقريزي: الإمتاع، ج6 ص95. ابن سعد: الطبقات، ج8 ص141- 142.

[2] الحسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، دار إحياء التراث العربي، ج 1 ص 344.

[3] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3 ص 262، وينظر ابن الأثير: الكامل، ج2 ص 236.

إليهم هشام بن العاص بن وائل السّهمي، فلم يقاتلوه وأظهروا الإسلام والأذان، فانصرف عنهم.[1]

ويفسّر بعض الدّارسين عدم ردّة بني هلال، أنّه ضربٌ من التريّث حتّى ترى ما ستفعله القبائل الأخرى[2]، أو لأنّها أرادت أن تمسك أموالها لديها مثلما صرَّح به قرّة بن هبيرة أحد وجهاء بني هلال، عندما قبل بشروط خالد بن الوليد التي اشترطها على قبيلتهم.[3] وهناك من ذهب إلى خلاف ذلك ورأى أن بني هلال في حروب الرّدّة، كان إسلامهم إسلام المتربّص على من تدور الدائرة ولمن تكون الغلبة، فلما انهزم المرتدّون أصبح بنو هلال حُمْسَ الجاهلية حُمْسًا في الإسلام[4]، أو ربّما أنّ بني هلال لم يشاركوا في حركة الردّة -رغم كلّ الإضرابات التي قاموا بها آنذاك- لتخوّفهم من بطش جيوش أبي بكر -رضي الله عنه- لا سيما وأنّ تلك الجيوش قد أثبتت مدى قدرتها على قمع كلّ الحركات التي قامت في الجزيرة، مثل حركة الأسود العنسي في اليمن وحركة مسيلمة باليمامة إلخ...

1: انتشار بني هلال (مسيرة بني هلال من الجزيرة العربية إلى المغرب الأوسط)

1.1- مشاركاتهم في الفتوحات الإسلامية:

إنَّ تَتَبُّع خُطَى سير قبيلة بني هلال ليس بالأمر السّهل، فالأخبار الواردة عنهم قليلة، ولا يمكن الاستناد عليها في رسم منحى تحرّكاتهم، بشكل يوضِّح مسيرتهم منذ أن اشتركوا في الفتوحات وتركوا موطنهم الأصلي في شبه الجزيرة العربية، واستقرّوا في الأمصار الجديدة.

---

[1] البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، بيروت: دار الكتب العلمية، 1978، ص106.

[2] دروزة محمد عزة: تاريخ العرب في الاسلام تحت راية الخلفاء الراشدين، بيروت: المكتبة العصرية، دت، دط، ص39.

[3] البلانسي الكيلاعي: تاريخ الرّدّة، اقتبسه وهذبه خور رشيد أحمد فاروق، الهند: مطبعة أميرة وشركائها، 1982، ص25-26.

[4] عبد المنعم عبد العظيم: قراءة في ملف الدابودية والهلالية، موقع الحوار المتمدّن، بتاريخ: 06/ 07/ 2014م.

فبعد إخماد فتيل الردّة شارك بنو هلال في الفتوحات الإسلامية، مشاركة كان من أثرها استيطان أناسٍ منهم في الأمصار التي فُتحت كالعراق والشّام وبلاد فارس وغيرها، وانتقلوا مع جيش الفتح من جدب الجزيرة العربية الى رخاء الشّمال، وأهَّلهم تراثهم الحربي وكثرة نسلهم واحترافهم للقتال إلى الانخراط في تلك الجيوش التي اجتمعت على نصرة دين الله، فأوغلت في الأرض حتّى نصبت أعلامها وملأتها فتحا ونصرا، وأهمّ مشاركة لبني هلال في هذه الفتوحات، كانت مساهمتهم في فتح إفريقية سنة 27هـ/ 647م، أي في عهد عثمان بن عفّان، الفتح الذي اتّسع نطاقه في القرن الأوّل للهجرة، وعرف مشاركة واسعة للقبائل العربية.[1]

ولـــمّا جاءت الفتوحات الإسلامية في فارس والرّوم ساهم بنو هلال مع بقية قبائل العرب، وولَّى الحَجَّاجُ قطن بن قبيصة بن مخارق[2] فارسَ وكرمانَ، وهو الذي انتهى إلى نهر فلم يقدر أصحابه على عبوره فقال: من جازه فله ألف درهم فجازوه؛ فوفَّى لهم، وكان ذلك أوّل يوم سمّيت الجائزة جائزة،[3] فقال الجحاف بن حكيم- السّلمي- في ذلك:[4]

فِدًى للأَكْرَمِينَ بَنِي هِلالٍ *** عَلَى عِلَّاتِهم، أَهْلي وَمَالِي

هُمُ سَنُّوا الجَوائز فِي مَعَدّ *** فَصَارَتْ سُنَّةً أُخْرى اللَّيالي

رِمَاحُهُمُ تَزِيدُ عَلَى ثَمانٍ *** وَعَشْرٍ حِينَ تَخْتَلِفُ العَوَالِي

ما عدا ذلك، تبقى أخبار بني هلال في عهد الخلافة الرّاشدة قليلة جدا، والمصادر التي بين أيدينا تبخل علينا بالكثير من المعطيات خلال هذه الحقبة، فلا نكاد نسمع لها صوتا، ربّما فقدانها

---

(1) أبو العرب الخشني: كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس، ط 1914م، الجزائر، ص 14 وينظر: أبو بكر عبد الله، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، طبعة القاهرة، 1951م، ص51.

(2) هو قطن قبيصة بن المخارق بن عبد الله بن شداد بن معاوية بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال ابن عامر بن صعصعة الهلالي، كان شريفا. وكنيته هي أبو سهلة. البداية والنهاية، ج7 ص242.

(3) البداية والنهاية، ج7 ص242.

(4) الجحّاف بن حكيم بن عاصم بن قيس السلمي، هو من قاد قومه وأغار على بني تغلب بموضع يسمى البشر بين الفرات والشام فقتل منهم مقتلة عظيمة، وقد لحق الجحاف بعد يوم البشر إلى أرض الروم، ثم استأمن ورجع وتنسّك نسكا تامّا صحيحا إلى أن مات. جمهرة ابن حزم: الجمهرة، ص264.

للمكانة التي كانت تتمتّع بها سابقا قلّل من ذكرها[1]، اللّهم إلا ما جاء في أحداث 36ه/ 656م في عهد علي بن أبي طالب، أنّ جماعة من أبناء بني عمومتهم من بني سليم على رأسها مجاشع بن مسعود السّلمي[2]، قد شاركت في الحرب التي خاضها الخليفة علي -كرَّم الله وجهه- ضد طلحة والزّبير وعائشة -رضي الله عنهم أجمعين- في وقعة الجمل.[3]

ثمّ إنّه ورد أنّ بني هلال وأبناء عمومتهم آزروا أهل المدينة وآووهم في حربهم أثناء صراعهم ضد جيوش بني أمية، التي أرسلت ضدّهم[4]تحت قيادة بسر بن أرطأة[5]، ولا ندري سبب هذه المؤازرة للعلويين في حياة علي -كرّم الله وجهه- ثم بعد موته؟ ربما قد تكون تعبيرا عن اقتناعهم المطلق بالمبادئ العَلَوِيَّة، أو ربما هي مساندة مرحلية موجهة ضد النظام الأموي.[6]

على كلٍّ التّاريخُ حافلٌ بالمشاهد الغامضة والتّساؤلات التي لا مَرَدَّ للإجابة عنها، والمصادر تشحّ علينا بإجابة كافية شافية عن هذه الإشكالية، فأجزاء من التّاريخ تظهر، وأحداث ووقائع تختفي. وما ينبغي التّنبيه إليه أنّ انتشار بني هلال في الأرض لم يكن بالفتح فقط، ولكنّهم تفرّقوا أيضا بالمهاجرة بأهلهم وخيامهم وأنعامهم، التماسا لسعة العيش في البلاد العامرة التي فتحت.

فقد جلت العديد من البطون الهلالية والقبائل العربية في صدر الإسلام، يطلبون الغيث والمرعى مثلما كانوا يفعلون ذلك قبل الإسلام إذا أجدبت أرضهم، حتّى كانت لهم أعوام خاصة يجلون فيها

---

(1) الراضي دغفوس: مراحل تاريخ الهلالية في المشرق، ص 40.

(2) هو مُجَاشِع بن مَسْعود بن ثَعْلَبَة بن وَهْب بن عائذ بن رَبيعة بن يربوع بن سَمَّال بن عوف بن امرئِ القيس بن بَهْثَة بن سُلَيم بن منصور. ورد كان يوم الجمل مع عائشة أميراً على بني سليم، فقتل قبل المعركة، ودفن بالبصرة. عبد السلام الترمانيني، " أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين: الجزء الأول من سنة 1 هـ إلى سنة 250 هـ"، المجلد الأول (من سنة 1 هـ إلى سنة 131 هـ) دار طلاس ، دمشق، ط1، 1414ه-1994م.

(3) الطبري: التاريخ: ج3 ص458.

(4) الطبري: تاريخ الطبري، ج4 ص134 أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج4 ص134.

(5) قيل: اسمه أبي أرطاة عمير، وقيل عويمر العامري، من بني عامر بن لؤي بن غالب بن فهر، وينسبونه بسر بن أرطاة بن عويمر. ابن عبد البرّ: الاستيعاب، ج1 ص158.

(6) الراضي دغفوس: م س، ص 41.

يسمّونها "**أعوام الجلاء**"،[1] ولكنّهم كانوا لا يقيمون هناك بل يرجعون إلى بلادهم خوفا من الذلّ الذي قد يلحق بهم في سلطان دولة أعجمية، أمَّا بعد الإسلام فكان المقام يطيب لهم في بلاد فتحها آباؤهم وأجدادهم. فاستقرَّ أفراد من بني هلال في العراق وخاصة في وادي الكوفة حوالي 120ه، وكان هذا المكان يعرف بمسجد بني هلال، كما استقرَّت مجموعة أخرى في الشّام نواحي حلب والموصل، ونزلوا المنازل التي كانت قبلهم لربيعة وكهلان[2]، ومع ذلك كانوا أميل للفوضى وأقرب للتعصّب والتمرّد والثّورة، ويذكر التّاريخ كيف نجح معاوية بن أبي سفيان في جمع كلمة بني هلال، بحلمه وطول أناته وكياسته طوال فترة حكمه وحكم ابنه يزيد، ثم لم يلبثوا أن شقّوا عصا الطّاعة على معاوية بن يزيد، وانضمّوا إلى صفوف عبد الله بن الزبير المطالب بالخلافة، وحاربوا تحت راية الضّحّاك الشّيباني، حتّى هزمهم مروان بن الحكم أبو عبد الملك.[3]

2.1- بنو هلال في مصر:

تبدأ هذه الفترة في أيّام هشام بن عبد الملك سنة 109هـ/727م، عندما تمَّ استقدام قبائل قيسية من الحجاز ونجد إلى الدّيار المصرية بما فيهم قبائل بني هلال. وعن كيفية هذا الانتقال تذكر لنا المصادر أنّ "عبيد الله بن الحبحاب لما ولّاه هشام بن عبد الملك مصر قال: "ما أرى لِقَيْسٍ فيها حظًّا إلّا لناس من جديلة وهم فهم وعدوان. فكتب إلى هشام: إنّ أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرَّف هذا الحيّ من قيس ونعشهم، ورفع من ذكرهم، وإنّي قدمت مصر فلم أر لهم فيها حظّا إلا أبياتا من فهم، وفيها كُوَرٌ ليس فيها أحد، وليس يضرّ بأهلها نزولهم معهم ولا يكسر خراجا وهو بلبيس[4]، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُنْزِلها هذا الحيّ من قيس فليفعل. فكتب إليه هشام: أنت وذلك[5] فبعث

---

(1) الأصفهاني: الأغاني: ج12 ص395.

(2) ابن خلدون: العبر، ج6 ص18.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، ج10 ص27. عبد المنعم عبد العظيم: قراءة في قضية الهلالية والدابودية، موقع الحوار المتمدّن، 2014/7/6م.

(4) هي بلدة تقع على بُعْدِ عشرين ميلا من الفسطاط. ينظر ياقوت الحموي: البلدان، ج1 ص712.

(5) وردت هذه الجملة عند المقريزي بصيغة: "أنت ورأيك" ينظر المقريزي: الخطط للمقريزي: طبعة القاهرة، 1959، ج2 ص 143-

إلى البادية فقدم عليه مئة أهل بيت من بني مضر[1]، ومئة أهل بيت من بني عامر، ومئة أهل بيت من أفناء هوازن، ومئة أهل بيت من بني سليم فأنزلهم بلبيس وأمرهم بالزّرع، ونظر إلى الصّدقة من العشور فصرفها إليهم، فاشتروا إبلا فكانوا يحملون الطّعام إلى القلزم، وكان الرّجل يصيب في الشّهر عشرة دنانير وأكثر وأقلّ كما أمرهم بشراء الخيول..."[2]

وهناك رواية مشابهة للمقريزي، يذكرها ابن تَغْرِي أن: "القيسيين قدموا مصر سنة 109ه/ 727م أيّام كان الوليد بن رفاعة بن خالد بن ثابت بن طائع الفهمي واليا عليها[3]، وكان الخليفة هشام قد سمح له أن ينقل ثلاثة آلاف من قيس، وينقل ديوانهم إلى مصر بشرط ألّا يستوطنوا بالفسطاط[4] ولذلك وقع توطينهم بالحوف الشّرقي."[5] الأمر الذي يدلّ على بداية نزوع هذه القبائل نحو الاستقرار، بعد أن كانوا بَدْوًا رحّلا ينتجعون في الأرض، حيث أصبحوا بعد استقرارهم وإقامتهم في مصر يعملون كجمالين في النّشاط التّجاري، الذي يربط بين الفسطاط والقلزم، واشتروا

143- 144. والبيان والإعراب عمّا بأرض المصر من أعراب، ج1 ص39-40.

[1] جاء في الخطط للمقريزي ج2 ص144 مئة أهل بيت من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن. وينظر: البيان والإعراب عمّا بأرض المصر من أعراب، ج1 ص40-41.

[2] المقريزي: الخطط م. س، ج2 ص143-144 و202 و323. البيان والإعراب عمّا بأرض المصر من أعراب، ج1 ص40-41.

[3] الوليد بن رفاعة بن ثابث الفهمي وليّها من قِبل هشام وقدمها فى سنة 109هـ إبريل 727م، وتوفي وهو والٍ عليها في جُمَادَى الآخرة سنة 117 هـ / يونيو 735م، فحكم مصر حوالى تسع سنوات. ينظر المقريزى: الخطط م. س، ج2 ص60- 167.

[4] المقريزي: البيان والإعراب، ج1 ص39، والخطط: ج1 ص143. الفسطاط: هي المدينة التي بناها عمرو بن العاص عقب فتح مصر عام 641م، تقع في إقليم مصر على ساحل النيل في طرفه الشمالي الشرقي، قبل القاهرة بحوالي ميلين، وكان النيل عندها ينقسم إلى قسمين. وموضعها كان فضاءً ومزارعَ بين النيل والجبل الشرقي ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن بابليون الذي يطل على النيل من بابه الغربي الذي يعرف بباب الحديد.

[5] الحوف الشّرقي: هو جهة من جهات مصر يبدأ من ناحية الشّام بينما ينتهي الحوف الغربي قرب دمياط. ينظر ياقوت الحموي: البلدان م. س، ج1 ص322. وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة ليدن، 1909، ج2 ص265. وينظر المقريزي: البيان والإعراب، ج1 ص39، والخطط: ج1 ص143.

الخيول التي كانوا يطعمونها هي وإبلهم من مراعيهم التي قيل عنها إنّها تميّزت بالجودة العالية.[1] هذا الانتقال كان مع بداية القرن الثّاني للهجرة. والجدير بالذّكر كذلك، أنّ استيطان هذه المجموعات انعكس على المجموعات الأخرى التي بقيت قابعة بالجزيرة تشكو شظف العيش، الأمر الذي دفع بهذه الأخيرة إلى مغادرة البادية، والهجرة إلى مصر للاستيطان بالقرب من القبائل الأخرى.[2]

وبانضمام المجموعة القيسية الثّانية إلى الأولى أصبح عدد القيسيين بمصر كبيرا، فحسب ما ذكر المقريزي "صار ببلبيس ألف وخمس مئة أهل بيت من قيس عند موت هشام[3]حتّى إذا كان زمن مروان بن محمد، وَوَلَّى الحوثرَةَ بنَ سهيل الباهلي مصر مالت إليه قيس، فمات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت، ثم توالدوا وقَدِمَ عليهم من البادية مَنْ قَدِمَ، حتّى أصبح عدهم يناهز الخمسة آلاف وذلك في عهد ولاية محمد بن سعيد على مصر.[4]

ممّا لا شك فيه أنّ جلب هذه المجموعات القيسية من بادية الحجاز إلى بلبيس مصر في عهد الأمويين، له أهمّية كبيرة، وإن كان الحديث عن الأسباب –أو بالأحرى الأهداف– الكامنة وراء جلب هذه القبائل البدوية يكتنفه بعض الغموض، فالمصادر التي بين أيدينا لا تُفْصِح عن ذلك، والتّساؤلات تطرح نفسها: هل يعود قرار هشام في نقل هذه القبائل القيسية إلى رغبة الأمويين في تعمير منطقة بلبيس بالسّكان والنهوض بها، وبالتّالي استخلاص الضّرائب وتنظيم الدّفاع عنها في حالة قيام بعض الحركات السّياسية، مثلما يرى أحد المستشرقين الفرنسيين؟[5] أم أنّ الأمويين

---

(1) المقريزي: البيان والإعراب، ج1 ص40-41. والخطط، ج2 ص 375.

(2) المقريزي: البيان والإعراب، ج1 ص40-41. الراضي دغفوس: مراحل تاريخ الهلالية م. س، ص44.

(3) الحوثرة بن سهيل الباهلي وليها من قِبل مروان بن محمد قدمها فى محرم 128هـ/ أكتوبر 745م ، ثم صرف عنها فى جمادى الأولى = 131هـ/ يناير 749م.

(4) الكندي: كتاب الولاة م س، ص75 و77 و88 و92.

(5) Gaston Wie: Histoire de la nation Egyptienne، Paris 1937, p:4 57

أرادوا وضع حدّ لتكاثر العناصر القحطانية في تلك الجهة، وإقامة نوع من التّوازن العددي بين عرب الشّمال وعرب الجنوب؟[1]

خلافا لهؤلاء، يرى المقريزي أنّ جلب القبائل القيسية لمنطقة بلبيس، يعود لكون العنصر العربي لم يكن يلعب دورا كبيرا في هذه المنطقة، كما أنّ الإسلام لم ينتشر فيها بصفة كاملة قبل قدوم عبد الله بن الحبحاب.[2]

من خلال هذه المعطيات يمكن أن نقدّم تفسيرا شاملا لهذه النّقلة القبائلية، ألا وهو تدعيم الحكم الأمويّ في كلّ الجهات المفتوحة -بما فيها مصر- بالاعتماد على العناصر العربية، التي كانت لا تنعم بظروف معيشة مريحة في الجزيرة العربية، وبالتّالي يكون الأمويون قد برهنوا على قدرتهم في قمع الحركات الانتفاضية التي قامت في مصر،[3] وفي غيرها من البلدان المفتوحة كثورة البربر في إفريقيا، وعلى فرض الضّرائب واستخلاصها بكل السّبل، بالإضافة إلى أسباب اقتصادية منها إيجاد مراعي لحيواناتها. بالإضافة إلى كلّ هذا، هناك خاصّية أخرى تتجسّد في القبائل نفسها، ألا وهي طبيعتهم في الارتحال والانتجاع، لذلك لم يستقرّ لهم قرار في مكان.[4]

لكن تجب الإشارة إلى أنّه رغم التحاق مجموعات قيسية بالذين سبقوهم إلى مصر، إلا أنّه هناك مجموعات من القبائل الهلالية وأبناء عمومتها من بني سليم -في ذلك الوقت- ما زالت تسكن في الجزيرة العربية، وتقوم بتنقّلات واسعة في الشّام والعراق، بهدف البحث عن وسائل عيش ملائمة لها ولمواشيها[5]، والذين ظلّوا يحاربون الدّولة الأموية حينا ويهادنونها حينا آخر، ولم تهدأ روح التمرّد والعصيان في نفوسهم ولكنّها زادت أيّام حكم العباسيين.

---

(1) عبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، بيروت، 1961م، ص64 و65.

(2) المقريزي: الإعراب: ج1 ص40.

(3) مثل ثورة الأقباط ضد الحكم المركزي الأموي ما بين سنة 725ه و750ه.

(4) راضي دغفوس: مراحل تاريخ الهلالية، ص 46.

(5) م س ص.

3.1- بنو هلال والدّولة العباسية:

تميّزت هذه الفترة بتشتّت قبائل بني هلال في كل من الشّام والعراق والجزيرة ومصر، فقد كانت لهم تنقلّات واسعة النّطاق "مع ماشيتهم في صحاري الحجاز بحثا عن مراعي لأغنامهم"[1] - فظروف الحياة الصّعبة تجعل القبائل في تنقل مستمرّ-، وكثيرا ما يصلون إلى حدود الشّام والعراق التي كان لهم بها محلّات في حواضرها، في حين استقرّ بعضهم في نجد و لم يغادروها، فظلّوا هناك حتّى القرن الرّابع الهجري."[2]

في هذه الأثناء كانت القبائل الهلالية تقوم رفقة ابنة عمّها السّليمية باضطرابات متكرّرة، "فكانتا تزعجان قوافل الحجيج حول مكّة والمدينة ويغيرون على القبائل المجاورة لهم[3] فيفسدون فيها وينهبون ويَسْبُونَ"[4]، ممّا دفع بالخلفاء العباسيين إلى مراقبتها ومقاومتها والتّصدي لها بجيشهم النّظامي، وأسر عدد كبير من أبنائها عقابا على تمرّدهم، وعلى علميات السّلب والنّهب ضدّ المسافرين والحجّاج وأهل المدينة، ولقد بلغ الحذر والتخوّف من هذه القبائل درجة جعلت الخليفة المنصور، يوصي ولده وخليفته المهدي على "ألا يستعين برجل من بني سليم ولا يقربه إليه."[5]

---

[1] ابن خلدون: العبر، م س، ج6 ص18.

[2] أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، ود. عبد الحليم عويس: م س، ص45.

[3] نذكر خاصّة غارتهم على قبيلتي كنانة وباهلة في جمادى الآخرة من سنة 230هـ/ 844م، فقد أرسل والي المدينة آنذاك محمد بن صالح بن العباس الهاشمي، بسرية تتركّب من الجيش النّظامي وبعض العناصر من قريش والأنصار للتّصدي لتلك الأعمال، لكنّ السّلميين الذين =كانوا بقيادة أشهب بن دويكل بن يحيى بن حمير العوفي، وعزيزة بن قطاب السّلمي اللبيدي وقد كان عددهم ستمئة وخمسين رجلا، بالإضافة إلى خمسمئة رجل ومئة وخمسين فرسا قدموا مددا لنجدتهم، فتمكّنوا من قتل حمّاد بن جرير الطبري قائد الجيش، ومن إلحاق الهزيمة بقوّاته ثم الحصول على غنيمة هائلة كراع وثياب وسلاح. كما أنّهم نهبوا بعد ذلك كل القرى الواقعة بين المدينة ومكّة، وقطعوا الطّرق الرابطة بين الحرمين الشريفين. يسمّى هذا الموضع الذي دار فيه القتال بين بني حماد وبني سليم، "الرويثة" وهو يقع على ثلاث مراحل من المدينة. ينظر الطبري: تاريخ الطبري، ج7 ص322-323.

[4] ابن خلدون: العبر م س، ج6 ص141. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7 ص265.

[5] ابن خلدون: التاريخ، ج3 ص257 وج4 ص204. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6 ص19.

وبرغم تشدّد بني العباس ضدّهم، حتّى إنّهم "استعانوا بالعناصر الأجنبية من فرس وأتراك وديلم"[1] لقمعهم، إلا أنّ ذلك لم يمنعهم من مواصلة العنف والتّطاول على النّاس طوال القرن الرّابع للهجرة، الأمر الذي أكسبهم سمعتهم في القتال والصّبر عليه، وقَوَّى في نفوسهم روح الثّورة والتمرّد، وهم الجنود المحترفون أصحاب العصبية التي لم تستطع الأقطار البعيدة أن تقضي عليهم، ولا الوقائع أن تخمدهم مثل باقي القبائل العربية، حتّى ظهرت الثّورات فانضمّ معظم بني هلال الذين في العالية ونجد لهم.

4.1- بنو هلال وثورة الزّنج:

اعتبارا من منتصف القرن الثّالث الهجري ابتدأت الأزمات تتجمّع في سماء الدّولة العباسية، بعد أن بدأت قبضة الدّولة المركزية تضعف؛ ممّا أدّى إلى حدوث الاضطرابات والفتن، فضلا عن أنّ توقُّف الفتوحات أدّى إلى انخفاض موارد خزينة الدّولة، وانعكس ذلك على اقتصادها، وأدّى انخفاض الأعطيات التي كانت تتلقاها القبائل المقاتلة، إلى انتشار عمليات السّلب والنّهب وإضعاف الأمن، بل وانعدامه كما زادت جمهرة الولّاة والجبأة من استغلال العوام عن طريق فرض الضّرائب التي ترهق كاهلهم. وكان مما زاد ضعف الدّولة زيادة الصّراعات بين العرب والأتراك والفرس، ثم زيادة نفوذ الأتراك في عاصمة الدّولة بغداد، على حساب العرب والفرس، حيث أخذ الخدم والجنود الأتراك في قصر الخلافة يُغَيِّرون الخلفاء وفقا لمشيئتهم، بل ويقتلونهم ويستبدلونهم بآخرين من بني العباس، ممّا جعل خيبة أمل النّاس تصل مداها في الخلافة والخلفاء بل وفي كلّ الدّولة. كلّ ذلك دفع بالعامّة من النّاس إلى الانخراط بالحركات الثّورية المناهضة للسّلطة المستبدّة التي أصبحت لا تحكم لا بالقانون ولا بالشّريعة، وشكّل البذرة الأولى لمحاولة تحطيم الدّولة المركزية، وبناء دولة أخرى تسود فيها قوانين العدل والمساواة، فنشطت الطّوائف الباطنية وانتشر الرّفض في البلاد الإسلامية.

---

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7 ص265.

- **الديلم** أو **الديالمة**: هم إحدى الشعوب الإيرانية التي عاشت في شمال الهضبة الإيرانية، وقد جاء ذكرهم على ألسنة المؤرخين حتّى حقبة بدايات انتشار الإسلام.

ففي سنة 255هـ، الفترة الحرجة التي كانت تمرّ بها الخلافة العباسية ظهر صاحب الزّنج واسمه علي بن محمد وادّعى نسبه العلوي[1] ليقود ثورة كبرى عرفت باسم **ثورة الزّنج**، هدّدت كيان الدّولة العباسية أكثر مما هدّدها الأتراك، وهؤلاء الزّنج كانوا جماعات من العبيد السّود المجلوبين من أفريقيا الشّرقية، للعمل في استصلاح الأراضي الواقعة بين مدينتي البصرة وواسط، وكان عددهم كبيرا يُعدُّ بالألوف ويعملون في جماعات، ويحيون حياة سيّئة ولا يتقاضون أجورا يومية، فقد كان قوتهم اليومي لا يتجاوز قليلا من الطّعام.[2] استغلّ "علي بن محمد" هذه الأوضاع لمهاجمة الدّولة العباسية، وكان رجلا طموحا مغامرا فنجح في استمالة الزّنج إليه، بل وحتّى بعض القبائل العربية من البدو الذين كانوا يعيشون ظروفا قاسية، مستغلّا أوضاعهم السّيّئة، فَمَنَّاهم بالتّحرّر من العبودية وتمكينهم من الوصول إلى السّلطة، ثم اشتطّ في دعوته فادّعى صفات النّبوة، وأعلن أنّه مرسل من الله لإنقاذ النّاس مما يعانون من بؤس، وانتحاله نسب آل البيت جعل العديد من النّاس يلتفون حوله ويناصرونه، والنّزر اليسير الذي نعرفه هو محاولة بني هلال في بدء أمرهم الاتّصال به، وهذا ليس بالغريب، لأنه من جملة الأخطاء الفادحة التي ارتكبتها الدّولة العباسية في حقّ العرب والبوادي، إهمالهم والتّقصير في تعليمهم دينَهم والنّظر في حاجاتهم؛ ما جعل القبائل العربية تَحْنَق على العباسيين، وتقع فريسة للثّوار على الدّولة من الزّنادقة وقطاع الطّرق والمرتدّين من الباطنية والرّافضة وغيرهم، ولا يبعد أن يكون دافع بني هلال للالتحاق بصاحب الزّنج، هو إمحال باديتهم في نجد والحجاز، وحالة البؤس والفقر والإهمال والإحساس بالتّفرقة، مثلما دفعت بها إلى أن تخرج على طرق القوافل،

---

[1] قال الطبري: من بني عبد القيس وقال غيره من الفرس وأن أصله من إيران نجح صاحب الزنج في فترة قصيرة (255ه- 261هـ/ 869م- 875م) من أن يسيطر على البصرة وما حولها بعد نجاحه في هزيمة جيش الدولة، ثم امتد نفوذه ليشمل الأهواز وعبادان وواسط، وكانت سياسته تجنح إلى العنف والإرهاب وإراقة الدماء؛ فدمر المدن التي احتلها وأباد كثيرا من أهلها وعاث فيها فسادا، والذي فعله بالبصرة خير دليل على ذلك؛ حيث ذكر المؤرخون أن الزنج قتلوا أكثر من 300 ألف إنسان بالبصرة وحدها، وأسروا عددا كبيرا من النساء والأطفال وقد استمرت ثورته "خمسة عشر سنة" حتى قضى عليها الموفق العباسي سنة 270هـ. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج3 ص1743-2019. ينظر ابن الأثير: الكامل م س، ج 7 ص 205، سهيل زكار: أخبار القرامطة، ص127، حسن أحمد حمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977م. ص274.

[2] الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج3 ص1743-1748.

متحدّية نظام العباسيين وعلى استعداد كامل للانضمام تحت أي ثّورة، وهو ما حصل بعد ذلك عند بدء ظهور القرامطة، ممّا يعبّر أحسن تعبير على نزعة العنف والتمرّد لديهم.[1]

5.1- بنو هلال والقرامطة:

إنّ الشدّة التي مارسها بنو العباس في سياستهم ضدّ القبائل الهلالية، دفعت بهذه الأخيرة إلى المساهمة في الحركات والثّورات التي نشبت لمقارعة النّظام العباسي، فقد ساند بنو هلال القرامطَةَ في حركتهم وانتفاضتهم ضدّ الدّولة العباسية، التي ظهرت على أعتاب ثورة الزّنوج التي كانت محطّ أنظار الفرق المنحرفة، إن لم نَقُلْ إنها وُلِدَت من رحمها، وأضحت امتدادا لها واستمرارا لبعض من مبادئها خاصّة الدّعوية لمن يسّمونه بـــ"المهدي المنتظر". ولا يمكن بأيّ حال تقييم مساهمة بني هلال وغيرها من القبائل العربية في حركة القرامطة، إلا إذا كشفنا الغطاء عن ظروف نشأة هذه الحركة، وتعاليمها وأساليبها. فمن هم القرامطة؟

بدأت القرامطة كحركة إسلامية في أوّل العقد التّاسع من القرن الثّالث للهجري، بانتفاضة حمدان قرمط[2] في جهة واسط، وهي عبارة عن حركة دينية ذات طابع شيعي تنادي بوجود إمام علوي مُخْتَفٍ، كما أنّ لها صبغة اجتماعية حيث إنّ القرامطة ينادون بالعدالة الاجتماعية،

---

[1] عبد الفتاح عليان: قرامطة العراق بين القرنين الثالث والرابع الهجري، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970، ص5. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص2013 ــ 2019 .

[2] ورد أنّهم يرجعون إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر بن علي، ونسبوا إلى قرمط؛ وهو حمدان بن الأشعث، كان بسواد الكوفة، وإنما سّمي قرمطًا؛ لأنه كان رجلًا قصيرًا وكانت رجلاه قصيرتين، وكان خطوه متقاربًا؛ فسمي بهذا السبب قرمطًا... وذكر بعض العلماء أنّ لفظة قرامطة: إنما هي نسبة إلى مذهب يقال له: (القرمطة) خارج مذاهب الإسلام، فيكون على هذه المقالة عزوُه إلى مذهب باطل لا إلى رجل: ينظر: (المقريزي: المقفى الكبير، ج 3 ص 300. سهيل زكار: الجامع، ص 277) ثم إن الرأي الأخير يتوافق مع ما ذهب إليه بعض الباحثين المعاصرين بأن كلمة "قرمطة" هي كلمة آرامية تعني العلم السري. ينظر ابن الأثير: الكامل ، ج7 ص 447، وكارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، دار العلم للملايين، ط. 16، 2005م، ص 229. سهيل زكار: مقدّمة الجامع في أخبار القرامطة، ص 29.

ويستعملون لذلك شعارات مأخوذة من القرآن تنطبق على كل الأجناس وكلّ الفرق، وتعتمد خاصّة على التّسامح والعقل والعدالة.[1]

وقد كانت القاعدة الجغرافية لهذه الحركة عمان والبحرين، حيث قامت بعض العناصر السّلمية وبعض مجموعات أخرى من قبيلة ربيعة بن عامر، من مناصرتها ضدّ الحكم العباسي ومنذ ذلك الوقت انتشرت بصفة تدريجية، خاصّة بعد موت الخليفة العباسي المعتضد (289ه) واستقطبت في الشّام والعراق عناصر قبلية أخرى، نذكر من بينها العناصر الهلالية التي كانت موجودة هناك، وتمكّنت من إقامة دولة مترامية الأطراف لتبلغ اليمن وإيران.[2]

بمساندة القبائل البدوية نجح أبو سعيد الحسن البهرام الجنابي كبير القرامطة[3] الذي كان استولى على البصرة والكوفة 301ه/ 913م، في إنشاء دولة مستقلّة في البحرين والخليج الفارسي 894م، وكان بصدد الاستعداد لمهاجمة الحرمين الشّريفين. وبالفعل تمكّن من الاستيلاء على مكّة وذلك في شهر ذي الحجة سنة 317ه/ 930م، وتحصّلوا على غنائم هامّة منها نزع الحجر الأسود من الكعبة، وأخذه إلى عاصمتهم في الأحساء حيث بقي طوال 30 سنة.[4] وقد مضت جيوشهم إلى مصر وعسكرت في عين شمس قرب القاهرة، ثم انحسر سلطانهم وزالت دولتهم وسقط آخر معاقلهم في الأحساء والبحرين.

لعلّ من أهمّ أسباب نجاح حركة القرامطة في تلك الفترة، وانتشار مذهبهم التشيّعي، والتفاف الآلاف من القبائل البدوية والفرس والعرب حولهم ما يلي:

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية: مقالة قرامطة، ج1 ص813- 818.

[2] م س: ص815 وينظر: ابن خلدون: العبر، ج4 ص119، حسن أحمد محمود: م س، ص 462. كارل بروكلمان: م س، ص230.

[3] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6 ص630.

[4] ابن الأثير: الكامل، ص 449.

– أولًا لقد كان للضعف الذي ألمَّ بالدّولة العباسية أثر واضح في ظهور هذه الحركة، التي استغلّت الأوضاع الاجتماعية وظروف النّاس المعيشية المتدنية المتدهورة، والأحوال الاقتصادية المزرية والنّزاعات السّياسية، فبثوا فكرة الإمام المهدي المنتظر الذي سيحرّر النّاس من الظّلم والطّغيان، ومن كافّة الأغلال والقيود. وعن طريق هذه الفكرة تغلغل تأثيرهم الموجّه إلى محيط العامّة وجميع الفئات المهمّشة اجتماعيًّا –خاصّة في البدو– وبعثوا في نفوسهم الأمل بدنوِّ النّصر وقرب ساعة التّحرير.[1]

– اتّخذوا الدِّينَ مَطِيَّة لبلوغ أهدافهم التي يزعمون أنهم يقاتلون من أجلها، فنادَوا بأنّهم يقاتلون من أجل آل البيت، كما اعتمدوا على المقولات الدينية –ولا سيما القرآنية– في كثير من أفكارهم برفع شعارات برّاقة؛ فعندما ثاروا سنة 315هـ كانت لهم أعلام بيض مكتوب عليها ﴿ونذ ـمن ـ ـنجـ ـعـلـ ـهم أ ـ ـيمـة ونجـ ـعـلـ ـهم ٱلـ ـوارثين ـ﴾[2] مستغلّين بذلك عواطف النّاس الملتهبة للإصلاح.[3] فكانوا يدعون إلى تأسيس نظام اجتماعي يقوم على مبادئ العدل والمساواة، لا وجود فيه لفقراء أو اغنياء، بل كان نظام حكمهم يختلف عن غيرهم من أصحاب التسلّط، فقد كانوا غالبا يحكمون بالعدل فيما بينهم ويقسمون بالسّوية، ولديهم نظام اجتماعي تكافلي يضمن سير بعض الشّؤون اليومية للنّاس، كرعاية الفقراء والمعوزّين، وعلاج المرضى،... كما كانت الحكومة تُقْرِض النّاس الأموال للتّجارة بها، ثم تقسطها عليهم بدون فوائد.

– النّاس لا يدفعون ضرائب ولا عشورا للدّولة، فكلّ مُوَاطِن يُخرِج زكاة ماله بطريقته الخاصّة.
– كلّ من يفتقر يُعْطَى قرضا حتّى تستقيم أحواله.
– يُعطَى كلُّ غريب يترل بهم أدوات حرفته، ومبلغا من المال حتى تتحسّن حالته.
– كلّ مواطن يتهدّم بيته تقوم الدّولة ببنائه، وكذلك كلّ من يقع عليه ضرر في مقرّ نشاطه، كبئر مزارع، أو مخبز، أو مطحنة... إلخ، تقوم الدّولة برعايته حتّى يعود وضعه على ما كان عليه سابقا.

---

[1] المقريزي: المقفى،ج 3، ص 300، سهيل زكار: الجامع في أخبار القرامطة (الأحساء – اليمن – الشام – العراق)، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007م، ص29 و277.

[2] القصص/ الآية 5.

[3] ابن الأثير: الكامل م س، ج 6 ص 194. النويري: نهاية الإرب ج25 ص296.

وعليه فإن انضواء قبائل الأعراب الرّحل في بادية الشّام وشمال الجزيرة العربية إلى الحركة -بما فيهم بنو هلال وأبناء عمومتهم- له ما يبرره ماديًّا ومعنويًّا، لا سيما وأنّ الأعراب عموما -كما سبق الذّكر- لا يملكون موارد قارَّة، كما أنّ لها مبرّرها الأيديولوجي؛ فالحركة تبدو حركة مساواتيه من خلال نظامها، ترمي إلى تطبيق العدل ظاهريا، وخَلْقِ المساواة بين النّاس من خلال التّنازل عن الملكية الفردية للجماعة، وقد وجد الثّائرون في هذه القوّة مناسبة للتخلّص من ظلم السّلطة العباسية، لاسيما في عصرها الثاني (عصر الضعف) عندما أصبحت السّيطرة العسكرية لغير الخلفاء على مركز الخلافة الإسلامية. فتارة يسيطر الجنود الأتراك، وتارة يسيطر الفرس وكُلٌّ يدير الحكم على مراده. والأهمّ من ذلك أنّ مبدأ الحركة شيعي علوي، وكنا تحدّثنا فيما سبق عن مساندة بني هلال للعلويين أيّام علي –كرّم الله وجهه- وبعد موته.

من هنا يمكن لنا أن نربط بين مساندة الهلاليين للحركة العلوية في القرن الأوّل، ومناصرتهم في القرنين الثّالث والرّابع لصاحب الزّنج وللقرامطة الذين كانوا إسماعيليين.

لكن السّؤال يبقى مطروحا هل هذه المناصرة هي بالفعل تعبير عن اقتناع بالمبادئ العلوية؟ أم أنّها مناصرة مرحلية أيضا، خرجت على مُلْكِ بني العباس الغاشم في ذلك العهد، فتبعها خلق كثير من بني هلال، لا حُبًّا في منهجها وإنما ثورة على الظّلم؟

ومن باب القسط يجدر بنا أن نشير إلى أنّ المصادر ذكرت لنا، أنّه طوال هذه الفترة ظلّ بنو هلال على سجية العنف، و لم يمتنعوا عن مهاجمة القوافل التّجارية والتّطاول على المسافرين والحجّاج للحصول على الغنائم والسّبي.[1] لكن هذا السّلوك له ما يبرّره، فالقرامطة لم تكن دولة بالمعنى الصّحيح، ولكنّها كانت كيانًا منظمًا يعتمد على البدوّ في تغطية نفقاتها، وسدّ النّقص في موارد الدّولة الذي يتمّ عن طريق أسلوب الغزو والنّهب والسّلب؛ إذ كانوا يشنّون الغارات على البصرة والكوفة تارة، وعلى الحجاز تارة أخرى، ويعترضون قوافل الحجاج في طريق مكّة؛ فينهبون الأموال، ويَسْبُونَ النّساء[2]، ويتمّ كذلك فرض الإتاوات والغرامات التي كانت تدفعها مدن وقرى

---

[1] ابن خلدون: التاريخ، ج6 ص18.

[2] النويري: نهاية الأرب م. س، ج25 ص 176، 284، 285. وينظر: سهيل زكار: م. س، ص 157.

العراق وبلاد الشّام.[1] وتعود الجيوش بغنائمها إلى مركزها في الأحساء والبحرين الذين كانوا جلّهم من الأعراب البدو بما فيهم بنو هلال[2] الذين كانوا يمثّلون طبقة الأحرار في المجتمع القرمطي.

ولم يكد ينتهي أمر القرامطة حتّى ظهرت قوّة جديدة وهي الدّولة الفاطمية في مصر، وانخرط بنو هلال في سلكهم بسبب مذهبها الشّيعي آنذاك، وتغيّرت الملامح السّياسية للعالم الإسلامي تغيّرا جذريا بانتقال الفاطميين من إفريقية إلى مصر سنة 362ه/ 973م.[3]

6.1- بنو هلال والدّولة الفاطمية:

كانت علاقة القرامطة بالفاطميين أو العبيديين علاقة مذهبية في أوّل الأمر، ولمـــّا أصبح العبيديون حكّام مصر تدهورت[4] العلاقات بينهم، وبدأ القرامطة يشنّون الغارات على مصر والشّام التي لعبت فيها القبائل العربية دورًا بارزًا، وكانت لها شوكة ومنعة وعدّة وعتادا.[5]الأمر الذي أدّى بالخليفة العزيز بالله إلى معاقبة هذه القبائل التي كانت في صفّ القرامطة، ومنها بنو هلال

---

[1] مصطفى غالب: الحركات الباطنية في الإسلام، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1980م ص172.

[2] مثل: بني الأضبط من كلاب -بن ربيعة بن عامر بن صعصعة-، وبني عقيل -بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة- وبني سنبر (من مرداس من بني رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة. ينظر: المقريزي: المقفى، ج 3 ص289، والطبري: تاريخ = =الملوك، ج10 ص71، وابن كثير: البداية والنهاية، ج11 ص92.

[3] انتقال مركز الخلافة تمّ بالفعل عندما توجّه الخليفة المعز إلى مصر ودخل القاهرة في 7 رمضان 362هـــ/ 11جوان 973م. ينظر دائرة المعارف الاسلامية: ج2 ص870 و871.

[4] هذا التدهور هو نتيجة حتمية لتضارب المصالح بين الفرقتين، ففي البداية ناصر الفاطميون القرامطة لأسباب عدّة منها: أنهما كلاهما إسماعيليون شيعيون، ولهم عدو مشترك هو النظام العباسي، لكن انتقال الخلافة إلى مصر أصبح خطرا على مصالح القرامطة الذين أصبحوا في صراع مزدوج، ضد العباسيين ثم ضد الفاطميين. كما أن الفاطميين كانوا يريدون نشر مبادئهم وفرض سيادتهم على عدة جهات من العالم الاسلامي بما في ذلك الشام والعراق واليمن والحجاز، ومثل هذه السياسة لا تتماشى وسياسة التحالف مع القرامطة الذين كانوا قد تغلبوا على أمصار الشام وما زالت لهم طموحات أخرى. راضي دغفوس: ص52.

[5] خاصة سنة 974م/ 363ه عندما هاجم القرامطة القاهرة تحت قيادة اللأعصم. ينظر: دائرة المعارف الاسلامية: ج2 ص874، =وينظر سهيل زكار: م س، ص57و 63.

وأبناء عمومتهم بني سليم، وقرَّر نقلها من الحجاز إلى مصر وتوطينها في جهة الصعيد، وكان ذلك سنة 368ه/ 978م[1]، مما زاد في حدَّة الاضرابات في تلك المنطقة؛ لأنّ بني هلال لم يفقدوا تماما "طباعهم البدوية الهائجة."[2]

هناك أمر لا بدّ من توضيحه حول نقل بني هلال وأبناء عمومتهم بني سليم إلى الصّعيد المصري، فمن خلال المصادر المتاحة وهي كثيرة، لم تتضّح لي الأسباب الحقيقية خلف هذه النّقلة لبني هلال وأبناء عمومتهم بني سليم إلى الصّعيد المصري، فهل هم من قرّر الخروج من البحرين، بعد انهزام القرامطة أمام بني المنتفق*[3] أم أنّ نقلتهم كانت لها صلة بانهيار دولة القرامطة في البحرين، وبتغيّر سياسة الفاطميين إزاء الحركة القرمطية في النّصف الثّاني من القرن الرّابع؟ أم أنّ قرار النّقل كان نابعا من السّياسة الفاطمية التي كان هدفها الأساسي، وضع حدّ للخطر الذي يمثّله هؤلاء الأعراب؟[4]

يرى بعض الباحثين [5] أنّ الأمير العبيدي هو من جلبهم إلى الصّعيد المصري، واستطاع أنّ يقرّبهم له بالعطايا والهدايا والأموال، لحرصه الشّديد على وجود العنصر العربي في دولته، فاستجابت

---

[1] كان القرامطة قد اشتبكوا في حرب سنة 359هـ مع الخليفة الفاطمي العزيز نزار في فلسطين ومدخل مصر، وكانت تؤازرهم قبيلتا سليم وهلال اللّتان كانتا تزعجان قوافل الحجاج حول المدينة، فلما انتصر عليهم العزيز أنزل هاتين القبيلتين في الصحراء الشرقية بالصعيد بين النيل والبحر الأحمر. ينظر: ابن خلدون: العبر م. س، ج6 ص18. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات: الجزائر- المغرب الأقصى- موريطانيا- السودان)، دار المعارف، ط1، 1995م، ص 111.

[2] ابن خلدون: العبر، م س، ج6 ص18.

[3] ابن الأثير: الكامل، ج7 ص409 و423. وج9 ص58. النويري: نهاية الإرب، مج25 ص317.

* بني المنتفق هم بطن من عامر بن صعصعة، اشتهروا باسم أبيهم فقيل لهم المنتفق. ابن حزم: الجمهرة، ج1 ص291. ابن خلدون: ج6 ص16.

[4] أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تح: محمد الناصري-جعفر الناصري، ج2 ص164.

[5] علي محمد الصلابي: الدّولة الفاطمية: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ط1، 1427هـ-2006م، ص99. محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، ج1 ص283.

القبائل العربية لطرح الخليفة العبيدي الذي أعطته ولاءها، وفي المقابل أعطتهم الدّولة العبيدية أراضي خصبة على ضفاف النّيل[1] أي أنّ الهلاليين دخلوا مصر الفاطمية بدعوة من حكّامها وعاشوا في الصّعيد حياة بدويّة، الغزو أحد مقوّماتها، وَكَانَ لَهُم أضرار بالبلاد، فما لبث الفاطميون أن فكّروا في دفعهم إلى المغرب ليقفوا في وجه البربر من صنهاجة الذين ثاروا على التّبعية للفاطميين.[2]

بصفة إجمالية نرى أنّ هجرة القبائل الهلالية إلى مصر، ثمّ إلى الصّعيد المصري ترتبط بسببين على الأقلّ: "أنّ الفاطميين اضطروهم إلى الصّعيد لعلمٍ منهم بأنّهم يشكّلون قوّة ضاربة في أيدي القرامطة، خاصّة عندما عزم القرامطة على قطع صلتهم بالفاطميين، كما أنّ استقرار الفاطميين بمصر قد خلق فيهم ارستقراطية، أبعدتهم عن المبادئ الأولى التي من أجلها كانت مزاعمهم تتّجه نحو الجماهير الشّعبية المستضعفة، غير أنّ الغرض الحقيقي الذي ينبثق عن السّببين، هو محاولة إضعاف هذه القبائل ببعثها إلى أرض قاحلة، لا تجد فيها جموعُها ما تقوم به لوحدها، وبالتّالي أصبح عدد القبائل العربية في صعيد مصر، والتي بعضها يرجع للفتح الإسلامي، قد ازداد بعد تركهم للجزيرة العربية ومجيئهم إلى مصر في زمن العزيز العبيدي."[3] وكانت –في تلك الفترة لا تزال هذه القبائل تحافظ على طابعها البدويّ الأصيل، في معاشها وفي حلّها وترحالها، كما استطاعت أن تحافظ على عروبتها، التي لم تستطع السّنين وأحداثها ولا الأيّام ومستجداتها، أن تطعن فيها أو تغيّر في شكلها أو مضمونها. لقد كان لهذه الميزة مفعولها الحيّ في نقل العروبة إلى البقاع التي انتجعتها القبائل الهلالية، ومنها منطقة المغرب العربي التي ستتواصل نقلتها إليها، وذلك في منتصف القرن الخامس، وهنا نصل إلى المرحلة الأخيرة من تاريخ مسيرة بني هلال، أو ما تعرف بتغريبة بني هلال.[4]

---

(1) علي محمد الصلابي: الدّولة الفاطمية، ص99. محمود فهمي حجازي: علم اللّغة العربية، ج1 ص283.

(2) ابن خلدون: التاريخ، ج6 ص19.

(3) لمعلومات أكثر حول إقامة بني هلال في الصعيد المصري ينظر المقريزي: البيان م. س، ص27و28، والخطط م س، ج2 ص344و345، وينظر ابن خلدون: العبر م. س، ج6 ص17و18 و19.

(4) عبد الرحمان قيقة: الملحمة الهلالية، تونس 1968م.

7.1- أسباب هجرة بني هلال إلى المغرب العربي:

"لقد امتدَّ سلطان الفاطميين في القسم الأوّل من عهد المستنصر على بلاد الشّام وفلسطين والحجاز وصقلية وشمال إفريقية، وكان اسمه يذاع على كافّة منابر البلاد الممتدّة من الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا."[1] وبقي المستنصر بالله في الخلافة ستين سنة وبضعة أشهر، وفي ظلّ خلافته لم تتمتّع مصر طوال هذه المدّة بالرّخاء والطّمأنينة غير مدّة قصيرة، وسرعان ما جرت فيها أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية، أدّت إلى تزعزع مركز الخلافة الفاطمية، والتي كان لها الدّور الفعّال في تحريك الجموع الهلالية، والسّبب المباشر في هجرتها -أو بالأحرى- تهجيرها إلى المغرب.

أ) الأزمة الاقتصادية في مصر في عهد المستنصر: (427هـ/ 487هـ)

لقد تعرّضت مصر خلال عهدة المستنصر لأزمة عاتية امتدّت لسنوات مستمرّة، بلغت ذروتها في الفترة الواقعة بين سنتين 446- 454هـ؛ حيث عمَّت الأزمة البلاد الإسلامية من مصر إلى سمرقند، "وتخلّلتها مجاعات أعنف وأشد، نذكر من بينها "مجاعة سنة 444هـ- 1052م، ثم مجاعتَيْ 447هـ- 1055م، ومجاعة سنة 457هـ- 1065م"[2] التي دُوِّن عنها قصص مرعبة رهيبة، حتّى قيل إنّه كان يموت بمصر كلّ يوم عشرة آلاف نفس، ويذكر المؤرّخون أنّ النّاس لما عضَّهم الجوع بِنَابِهِ، أكلوا لحم الكلاب والقطط وأكل بعضهم بعضا، "وأنه جلا من مصر خلق كثير لما حصل بها من الغلاء الزّائد عن الحدّ، والجوع الذي لم يعهد مثله في الدّنيا"[3]، "وليس أدلّ على الفوضى التي سادت مصر في ذلك العهد، من تقلّد أربعين وزيرا الوزارة في تسعة سنوات بعد قتل اليازوري في سنة 450هـ، ثم عاد القحط والغلاء وما أعقبه من الوباء والموت في سنة 459هـ، وظلّت الحال

---

[1] حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط3، 1964م، ص170.

[2] المقريزي: إغاثة الأمة م س، ص80.

[3] ابن تغري: النّجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، دار الكتاب المصرية، ج5 ص15.

كذلك إلى سنة 464هـ"[1]، ما جعل هذه القبائل تقصد المغرب تماشيا مع حياة البداوة، التي تقتضي التّرحال وتغيير المواطن.

وترجع أسباب تلك المجاعات حسب ما أورده المقريزي إلى:

1- انحدار وزن الدّينار[2]: فقيمة النّقود تعكس ضمنيا الوضع الاقتصادي الذي كانت عليه مصر إبّان الهجرة الهلالية إلى الغرب، ويتجلّى الوضع الاقتصادي من خلال ارتفاع وانخفاض قيمة العملة، فزيادتها تدلّ على غنى الدّولة ورفاهيتها ممّا يكسب الدّولة ثقة الرّعية وطاعتها وانصياعها لها، أمّا انخفاض العملة فيرمز إلى تدهور الحالة الاقتصادية في البلاد، ويَنْجَرُّ عنه تردي الأوضاع المعيشية للسّكان؛ فتنخفض رواتب الموظفين ويزيد مقدار الضّرائب. وتبيّن دراسة أحد الباحثين تطور الدّينار خلال هذه الحقبة حيث إنّ "الحدّ الأقصى له وصل 4,39 غرام سنة (451هـ/ 1059م)، وحدُّه الأدنى بلغ 2,90 غرام سنة (429هـ/ 1037م)، ومن ناحية أخرى "فإنّ وزنه انحطّ إلى مستوى 3,88 غرام سنة (444هـ/ 1052م) وهو وزن ضعيف بالنّسبة للمعدل العام". كما شهد الدّينار انخفاضا سنة (445هـ/ 1053م) حيث وصل إلى 3,88 غرام، عقبه استقرار في الوزن فاستمرّ إلى حدّ سنة (451هـ/ 1059م) حيث وصل وزنه إلى 4,39 غرام، وبعد ذلك انحدر الوزن من جديد بداية من سنة (456هـ/ 1063م) إذ بلغ 3,49 غرام وبقي الحال على ذلك."[3]

2- تقلّبات مياه النيل[4]: ساهم النّيل باعتباره النّهر الوحيد الحيوي الذي يعبر مصر في التّأثير على حياة الأهالي، "فَتَرَاجُعُ مياهه وقصرها خاصة سنة 444هـ أدّى إلى خلوّ المخازن السّلطانية من التّموين، فعمَّ الغلاء وارتفعت الأسعار، بالإضافة إلى سياسة الاحتكار وعمليات المضاربة التي كان

---

[1] المقريزي: م. س، ص23- 24.

[2] تاريخ الدولة الفاطمية: حسن ظاظا، القاهرة، 1964، ص605.

[3] الراضي دغفوس: م س، ص169.

[4] المقريزي: إغاثة الأمة، ص41.

يقوم بها التّجار والخبّازون، على حساب الفلّاحين والرّعيّة خاصّة خلال وزارة اليازوري."[1] ويتجلّى أثر النّيل من خلال تقلّبات مياهه، فالمعروف عنه أنّ زيادته تكون في شدّة الحرّ وعند نقص الأنهار الأخرى، وبداية نقصانه عند زيادة الأنهار وفيضانها، وأوّل زيادة لنهر النّيل تكون من بداية يونيو، ومعدّل الماء 16 ذراعا إذا ارتفع عن ذلك ذراعا كان العام خيرًا وصلاحًا للسكان، وإذا ارتفع ذراعين فإنه يضرّ بالمزروعات. أمّا إذا نقص مردود النّيل بذراعين عن المعدّل المذكور، يتضرّر السّكان بذلك. وهنالك معدّل مثالي تصله مياه النّيل، ويكون بذلك الرّخاء للسلطان والرّعيّة. وقد حدّثتنا المصادر عن تقلّبات مياه النّيل في عهد المستنصر بالذّراع والأصابع[2]، فعن زيادة مياه النيل أيّام الهجرة يمكن القول: إنّه في 440هـ تساوي 17,17 ذراعا، وفي سنة 441هـ يساوي 17,9 ذراعا، وفي سنة 442هـ يساوي 17,16 ذراعا، وفي سنة 443هـ يساوي 17,12 ذراعا، أمّا في سنة 444هـ يساوي 17,16 ذراعا. وكذلك الحال بالنّسبة لسنة 452هـ حيث بلغ 16,9 ذراعا. أمّا بين 440هـ والسّنة المذكورة سابقا فإنّ مستوى المياه لم ينزل عن 17 ذراعا، وخلال هذه السّنوات كانت الهجرة الهلالية قد بدأت من مصر إلى إفريقية، أي أنّه هنالك توافق بين سنوات فيضان النّيل ولاسيما سنة 441هـ و444هـ و446هـ وسنوات الغلاء في مصر من ناحية، وسنوات انطلاق هجرة بني هلال وبني سليم إلى إفريقية من ناحية أخرى.[3]

ولتقابل هذه المعايير المادّية للاقتصاد المصري (مياه النّيل، وزن الدّينار...) يتّضح لنا الدّور الفعّال الذي لعبه الوضع الاقتصادي، في هجرة قبائل بني هلال إلى المغرب العربي[4]، خاصّة إذا علمنا أنّ تلك القبائل كانت تقطن في الصّعيد المصري، وأنّ مورد رزقها زراعة الأرض منذ أن نزلوا ببلبيس في عهد هشام بن عبد الملك "الذي أمرهم بالزّرع، ونظر إلى الصّدقة من العشور فصرفها إليهم، فاشتروا إبِلًا فكانوا يحملون الطّعام إلى القلزم."[5] وفي ظلّ التّراجع المتتالي لمياه النّيل، وما نجم عنه من

---

[1] المقريزي: إغاثة الأمة، ص18-21 وينظر ابن تغري: م س، ج5 ص13و17-18.

[2] حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية م س، ص572.

[3] الراضي دغفوس: م س، ص162.

[4] المقريزي: البيان والإعراب م س، ص27.

[5] المقريزي: رسائل المقريزي، ج1 ص152. الراضي دغفوس: م. س، ص153.

الانعكاسات السّلبية على المستوى الزّراعي، فإنّ تلك القبائل أصابتها المجاعة كغيرها، وبذلك عادت إلى عادتها القديمة وهي قطع الطّرق وأخذ أمتعة النّاس.

ب) الأسباب السّياسية والدّينية:

إذا كان العامل الاقتصادي يعتبر من بين العوامل الهامّة، التي دفعت الهجرة الهلالية إلى المغرب، فقد كانت هناك عوامل أخرى كانت بمثابة المكمِّل والمتمِّم لهذا العامل، ألا وهو العامل الدّيني والصّراع بين الشّيعة والسّنة في العالم الإسلامي. فلقد أعلنت منطقة الحجاز استقلالها عن الدّولة الفاطمية، وأصبح أئمّتها في خطبهم المنبرية يدعون للعبّاسيين[1] ولاسيما بعد أن عجز المستنصر بالله الفاطمي عن كساء الكعبة، من جرّاء الأزمة الاقتصادية التي مرّت بها مصر. وعلى نمط هذه القطيعة سار الشّمال الإفريقي، فقام بقطع الخطبة للمستنصر بالله الفاطمي في زمن المعزّ بن باديس في سنة 441هـ.[2]

هذه القطيعة التي امتدّت من المشرق وبلغت المغرب، أربكت المستنصر نفسيا، إذا ما أضفنا إلى ذلك الأزمة الاقتصادية التي كان يتخبّط فيها الحكم المصري، ممّا جعله يشجّع القبائل الهلالية على الهجرة إلى المغرب العربي، خاصّة أنّه كان قبل قدومه إلى مصر يفكّر في توحيد المغرب والمشرق تحت سلطانه، غير أنّه –وفي حين غفلة– وجد البلاطُ الفاطميُّ خصمَه العباسيَّ قد كسب معركة الولاء.[3]

1. تدهور العلاقة بين الفاطميين والزّيرين وانتصار المالكيين على الشّيعة:

كان رحيل العبيديين إلى مصر بعد أن عمَّروا في تونس ولا سيما عاصمتهم المهدية التي أسّسوها سنة 303هـ- 921م، والتي منها عمَّ سلطانُ الفاطميين كامل الشّمال الإفريقي تقريبا، وأصبح الجميع يدين لهم –ولو شكليا– بالولاء، وبعد ذلك أرادوا أن يكون لدعوتهم صدى عالميا،

---

(1) ابن خلدون: التاريخ، ج4 ص79.

(2) ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج5 ص20. ابن خلدون: ج5 ص62. المقريزي: الخطط، ج2 ص160.

(3) م س ص.

فتوجّهوا إلى مصر خاصّة بعد اتجاه قائد جيوشهم جوهر الصّقلي[1] إليها سنة 358ه- 969م، وأسّس الفاطميون عاصمة جديدة هي القاهرة وانتقلوا إليها سنة 361ه-972م."[2] وكان انتقالهم إلى مصر مبني على أمل أن يتولّوا زعامة العالم الإسلامي، بعد افتكاك مصر من الدّولة العبّاسية.

عندما انتقل الفاطميون إلى مصر سنة 972م سلّموا أمر إفريقية إلى بلكين بن زيري بن مناد[3]، الذي كان اختياره يرتكز على موالاته للشّيعة، فاستخلفه على المغرب وجميع إفريقية، وفوّض إليه أمر البلاد وإدارة شؤونها. وظلّ حكم إفريقية في يد بني زيري وبعده جاء ابنه المنصور، وبعد موت المنصور جاء ابنه بادين بن المنصور، وخلفه على الحكم ابنه المعز بن باديس[4]، وكان هذا الأخير قد تولّى السّلطة وهو ابن ثماني أعوام وقيل ابن سبعة أعوام [5]، وفي صغره تَرَكَ أبوه تربيته لوزيره أبي الحسن بن أبي الرّجال (361هـ/ 973م)، وكان ورعا زاهدا، وكانت إفريقية كلّها والقيروان على مذهب الشّيعة. فحرص ابن أبي الرّجال على تعليم المعزّ ابن باديس وتأديبه، ودلّه على مذهب مالك وعلى عقائد السّنة والجماعة، والشّيعة لا يعلمون ذلك ولا أهل

---

(1) القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله، المعروف بالكاتب، الرومي؛ كان من موالي المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي صاحب إفريقية، =وجهّزه إلى الديار المصرية ليأخذها بعد موت الأستاذ كافور الإخشيدي، وسير معه العساكر، وهو المقدم، وكان رحيله من إفريقية يوم السبت 14 شهر ربيع الأول سنة 385ه، وتسلّم مصر يوم الثّلاثاء لآثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان من السنة المذكورة، وصعد المنبر خطيبا بها يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان ودعا لمولاه المعزّ، فأقيمت الدعوة للمعزّ في الجامع العتيق. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1 ص375.

(2) المقريزي: الاتعاظ، ج1 ص4. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1 ص375.

(3) أبو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي؛ وهو جد باديس، ويسمى أيضاً يوسف، لكن بلكين أشهر، وهو الذي استخلفه المعز بن المنصور العبيدي على إفريقية عند توجهه إلى الديار المصرية، وكان استخلافه إياه يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة 361ه، وأمر الناس بالسمع والطاعة له، وسلم إليه البلاد، وخرجت العمال وجباة الأموال باسمه، وأوصاه المعز بأمور كثيرة، وأكدّ عليه = في فعلها، ثم قال: إن نسيت ما أوصيتك به فلا تنس ثلاثة أشياء: إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية، والسيف عن البربر، ولا تول أحداً من إخوتك وبني عمك، فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك، وافعل مع أهل الحاضرة خيراً، وفارقه على ذلك، وعاد من وداعه، وتصرف في الولاية. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1 ص286.

(4) المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، صاحب إفريقية وما والاها من بلاد المغرب، وكان الحاكم صاحب مصر قد لقبه شرف الدولة، وسير له تشريفاً وسجلاً يتضمن اللقب المذكور، وذلك في ذي الحجة سنة407ه. وكان ملكاً جليلاً عالي الهمة، محباً لأهل العلم كثير العطاء، حكم من 406هـ/ 1008م إلى 454هـ/ 1062م.

(5) ابن عذاري: بيان المغرب،ج1 ص273-274.

القيروان."[1]ذلك الاتّباع الذي كاد أن يكلّفه حياته، لو لم يَهُبَّ عبيده ورجاله ومن كان يكتم المالكية من أهل القيروان لنجدته وحمايته من الشّيعة، الذين انقضّوا عليه ليقتلوه لـــمّا سمعوه يستغيث بأبي بكر وعمر –رضي الله عنهما– عندما وقع من على فرسه ذات يوم، حينها أعلن المعزّ اعتناقه لمذهب مالك بن أنس، الذي كان له أثر طيّب في نفوس أهل القيروان ممّن كانوا يخفون مذهبهم السّني، وقام أهل القيروان بقتل الشّيعة ، فقُتل منهم ما يزيد عن ثلاثة آلاف.[2]

ورغم الحماية الصّورية التي قدّمها المعزّ لصالح الشّيعة، إلا أنّ أهل السّنة استمرّوا في التّنكيل بهم انتقاما لما لحقهم على أيديهم من اضطهاد وظلم"، وتمادى الأمر على ذلك حتّى قطع أهل القيروان صلاة الجمعة فرارا من دعوتهم، وتبديعا لإقامتها بأسمائهم –أي العبيديين–، فكان بعضهم إذا بلغ إلى المسجد، قال سرّا: اللّهم أشهد اللّهم أشهد! ثم ينصرف فيصلي ظهرا أربعا[3]، واستمرّ الحال حتّى لم يحضر الجمعة من أهل القيروان أحد، فتعطّلت الجمعة مدّة من الزمن إلى أن توّج انتصار المالكية في إفريقية (المغرب الأدنى) بإعلان المعزّ بن باديس قطع دعوة العبيدية، فبارك المالكيون ذلك التحوّل الذي انتظروه طويلا، فكان بالقيروان لذلك سرور عظيم."[4]

ولم يَكْتَفِ المعزُّ بذلك، بل أمر بلعن العبيديين ونبذ مذهبهم على المنابر وخلعهم، وقطع كلّ صلة بهم بترع أسمائهم من الرّايات والبنود، وإلباس القضاة والفقهاء وخطيبي القيروان والمؤذّنين أثوابا سوداء، والدّعاء للخليفة العباسي القائم بأمر الله.[5]

---

[1] لسان الدين بن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق: أحمد المختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، ص65. ابن عذاري: بيان المغرب،ج1 ص273-274.

[2] ابن عذاري: بيان المغرب، ج1 ص274.

[3] ابن عذاري: م س: ج1 ص277.

[4] م س: ج1 ص277-278.

[5] م س: ج1 ص279-280.

*القائم بأمر الله: هو الخليفة العباسي السادس والعشرون في ترتيب خلفاء الدولة العباسية، أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله، المولود سنة 391هـــ ببغداد أيام خلافة أبيه القادر بالله، وقد تولى الخلافة سنة 422هـــ بعد وفاة أبيه، وشهد عهده تحوّلات عالمية خطيرة أثرت على خريطة العالم الإسلامي والخارجي على حد السّواء.

2. موقف الخليفة الفاطمي من الاستقلال الزّيري (المذهبي والسّياسي):

لما علم الخليفة المستنصر بالله[1] بخبر خروج إفريقية عن السّيادة الفاطمية، اهتزّ وعظم عليه الأمر، وعدَّ ذلك تمرّدا وعصيانا من نوابهم في القيروان، "وكتب إلى المعزّ يتهدّده فأغلظ المعزّ في الجواب،"[2] فأحسَّ الأمير حينئذ بأنّهم فقدوا إقليما واسعا من دولتهم، فعمل كلّ ما في وسعه لإرجاع هذا الجزء من مملكته إلى حظيرته، إلا أنّ ذلك لم يكن بوسعه لبعد المسافة ولكثرة المصائب التي حلَّت به، واستعصى حلّها عليه. ففي الدّاخل تفاقمت الأزمة الاقتصادية، وفي الخارج خروج سلطان الحجاز عليه وإعلانه الولاء للعبّاسيين، وتمرّد بني زيري عليه كذلك، الأمر الذي جعله يفكّر في الانتقام.

استغلّ الوزير الفاطمي أبو محمد الحسن بن علي اليازوري الفرصة للانتقام من المعزّ بن باديس[3] ومن أهل إفريقية، فأوغر صدر المستنصر بالله عليه "وأشار عليه أن يأذن للعرب المنتشرين في الصّعيد، بالعبور إلى غرب النّيل -وكان قبل ذلك ممنوعا عليهم- وتسريبهم إلى بلاد المغرب وإغرائهم بملكها، بأن يتقدّم لهم "بالاصطناع، ويستميل مشايخهم بالعطاء وتولية أعمال إفريقية، وتقليدهم أمرها بدلا من صنهاجة الذين بها، لينصروا الشّيعة ويدافعوا عنهم، فإن صدقت المخيلة في ظفرهم بابن باديس وقومه صنهاجة، كانوا أولياء للدّولة وعمالا بتلك القاصية وارتفع عدوانهم من مساحة الخلافة، وإن كانت الأخرى فلها ما بعدها، وأمر العرب على كلّ حال أهون على الدّولة من

---

[1] هو المستنصر بالله: هو أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بن العزيز بن المعز لدين الله العبيدي الفاطمي، تولى الخلافة العبيدية الفاطمية خلفًا لوالده وهو ابن سبع سنين في النصف من شعبان سنة 427هـ / 1036م، وأقام بها ستين سنة إلى 487هـ / 1094م. وأشهر أحداث عصره الشدة المستنصرية أو ما يعرف في كتب المؤرخين بـ "الشدة العظمى"، وهي مصطلح يطلق على المجاعة والخراب الذى حل بمصر لمدة سبع سنوات عجاف (457هـ - 464هـ / 1065م - 1071م.

[2] ابن الأثير: الكامل، ج9 ص566. المقريزي: الاتعاظ، ج2 ص212-213.

[3] يمكن القول إنّ الخلاف اشتدّ بين المعز بن باديس والمستنصر بالله الفاطمي عند تولي اليازوري الوزارة، إن المستنصر استوزر الحسن بن علي اليازوري و لم يكن من أهل الوزارة إنما كان من أهل التبانة والفلاحة فلم يخاطبه المعز كما كان يخاطب من قبله الوزراء كان يخاطبهم بعبده فخاطب اليازوري بصنيعته فعظم ذلك عليه وعاتبه فلم يرجع إلى ما يحب فأكثر الوقيعة في المعز وأغرى به =المستنصر. ينظر المقريزي: الاتعاظ، ج2 ص212-113. ابن الأثير: الكامل، ج9 ص566.

أمر صنهاجة الملوك."[1] وبذلك يحقّق الفاطميون هدفين: أولهما مؤكّد وهو الاستراحة من العرب الذين "عمَّ ضررهم، وأحرق البلاد والدّولة شررهم"[2]، خاصّة وأنّ تلك القبائل اشتهرت في صعيد مصر بفعل القلاقل وإشاعة الفوضى في البلاد، وثانيا الانتقام من المعزّ بن باديس دون أن يكلّفهم ذلك شيئا كثيرا.

استحسن الخليفة الفكرة وعمل على تنفيذها، فأرسل الوزير اليازوري إلى أحياء العرب المرابطة بالصّعيد المصري هدايا قيّمة وجوائز ثمينة إلى أمراء القبائل، وفضوا النّزاعات التي كانت موجودة بين قبائل زغبة ورياح وصَالَحَ بينهم، وممّا يسرّ في ذلك الصّلح، هو وعده لهم بأنّ الدّولة الفاطمية تتحمّل ديّة القتلى من الطّرفين. وخرجت القبائل وعبرت النّيل، وهي تحمل عقود إقطاع من المستنصر بالله الفاطمي قصد التّنكيل بالمعزّ بن باديس، وتمّ العبور بعد أن أمدّهم ببعير ودينار لكلّ واحد، إضافة إلى أنّ كل واحد عبر النّيل أقسم على أن يعامل المعزّ معاملة العدوّ[3]، وقال المستنصر لهذه القبائل: "قد أعطيناكم المغرب وملك ابن باديس العبد الآبق فلا تفترقون بعدها."[4] عبر العرب نهر النيل أفواجا أفواجا، وكان إقليم برقة وما والاه أوّل موطن نزلوه، ولما شرع العرب في العبور كتب اليازوري إلى المعزّ: "أما بعد فقد أرسلنا إليكم خيولا، وحملنا عليها رجالا فحولا، ليقضي الله أمرا كان مفعولا."[5]

---

[1] ابن خلدون: العبر، ج6 ص19. ابن الأثير: الكامل، ج9 ص566. المقريزي: الاتعاظ: ج2 ص216. وينظر: ألفريد بيل BEL ALFRED: الفرق الاسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981، ص210-212. وينظر: رابح بونار: المغرب العربي - تاريخه وثقافته – ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص192، عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها، دار الفكر العربي، ط1، 1998م، ص 223.

[2] ابن خلدون: العبر، ج6 ص19.

[3] ابن الأثير: الكامل، ج9 ص566. المقريزي: الاتعاظ، ج2 ص216. ابن خلدون: العبر، ج6 ص19.

[4] ابن خلدون: العبر، ج6 ص20. أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا، ج2 ص165. محمود فهمي: علم اللغة العربية، ج1 ص283 الطّاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المدار الاسلامي، ط1، 2004م، ص 294.

[5] المقريزي: الاتعاظ، ج2 ص217. ابن الأثير: الكامل، ج9 ص566. ابن خلدون: ج6 ص20.

وعندما وصلوا إلى برقة وجدوا بلادا كثيرة المرعى، خالية من الأهل، لأنّ زناتة كانوا أهلها فأبادهم المعزّ، فاستباحوا البلاد لكثرة خيراتها وجودة مرعاها، فراسلوا إخوانهم في شرق النّيل يدعونهم ويرغّبونهم في القدوم، فاجتاز هؤلاء النّيل بعد أن دفعوا مقابل عبورهم على كلّ رأس دينارين، فأخذ منهم المستنصر أضعاف ما أنفقه على غيرهم[1]، فسيطرت هذه القبائل على برقة بدون مقاومة تذكر، وواصلت زحفها إلى طرابلس وضواحي تونس وكان تعدادها أربعمائة ألف، ولحقت بها أفواج أخرى، وإن كان المؤرّخون قد اختلفوا في عددها، فمنهم من يقدِّر عددهم بحوالي ثلاثة آلاف نسمة، ومنهم من حصر العدد بين ألفين إلى نصف مليون، ثم بدأوا في التّزايد إلى أن كوّنوا طبقة اجتماعية بارزة في المجتمع المغربي.[2] ويذكر بعض المؤرّخين أنّ العدد الكلّي وصل إلى مليون نسمة على مراحل متعدّدة.[3]

ومن أشهر هذه القبائل العربية التي زحفت على ملك المعزّ بن باديس من غير قبيلة بني هلال وبني سليم، نذكر: فزارة وأشجع من بطون غطفان، وجشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، وسلول بن مرة بن صعصعة بن معاوية، والمعقل من بطون اليمنية، وكلّهم مندرجون في بني هلال وفي الأثبج على الخصوص؛ لأن الرّياسة كانت عندهم للأثبج وهلال فأُدخِلوا فيهم، وكانت الأثبج من الهلاليين أوفر عددًا وأكثر بطونًا، وكان التقدّم لهم في حملتهم، وكان لهم القوّة، وكانوا أحياء غزيرة من جملة الهلاليين الدّاخلين لإفريقية. وبقيت القبائل الهلالية بالجبال والسّهول القريبة من أرض طرابلس، حتّى شهر الرّبيع ترعى أغنامها بتلك السّهول والجبال معجبين بكثرة الأعشاب.[4]

---

[1] يقول ابن أبي دينار في ذلك: "وأباح لهم من برقة إلى ما بعدها وأعانهم على ذلك بمال وهم رياح وزغبة وعدي بطون من بني عامر بن صعصعة، فلما وصلوا إلى إفريقية عاثوا فيها كيف شاؤوا وملئت أيديهم من النّهب، فتسامعت بنو عمهم بذلك فطلبوا من الخليفة اللحاق بمن تقدمهم فمنعهم من ذلك إلا أن يعطوه شيئا من أموالهم فأخذ منهم أضعاف ما أعطاه لبني عمّهم." ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ص84. ابن خلدون: ج6 ص20.

[2] توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص 138. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983م، ص125.

[3] ابن الأثير: الكامل، ج9 ص568. ابن خلدون: ج6 ص21. حسن حسني عبد الوهاب: م س، ص81-82. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص184.

[4] المقريزي: الاتعاظ، ج2 ص217. ابن خلدون: ج6 ص22. الطاهر الزاوي: م س، ص297.

3. خلاف المعزّ بن باديس ومؤنس بن يحيى الرّياحي:

اتّصل بالمعزّ بعض أمراء بني هلال ففرح بهم وقرّبهم إليه، وكان أوّل من استقبله منهم هو مؤنس بن يحيى بن مرداس، سيد قبيلة رياح أحد بطون بني هلال، فأكرمه المعزّ وأحسن في ضيافته[1]، وكان المعزّ يريد من استقدامه توظيف العرب القادمين من مصر لصالحه، لأنّه كان متخوّفا من جيشه المتكوّن من العناصر البربرية الصّنهاجية، لاسيما وأنّ العلاقة بين بني زيري وقبيلة صنهاجة لم تكن متينة منذ تأسيس دولة بني حماد في القلعة، و"شاوره في اتّخاذ بني عمّه جندا "فأشار عليه بأن لا يفعل وحذّره من ذلك، بحجّة "قلّة اجتماع القوم على الكلمة، وعدم انقيادهم إلى الطّاعة "وأصرَّ على اعتراضه، حتّى ظن المعزّ بن باديس أنَّ مؤنسا بن يحيى يريد الاستئثار بالأرض لقبيلته، دون غيرها من القبائل قائلا: "إنما تريد انفرادك حسدا منك لقومك"[2]، ولمـــّا رأى مؤنس بن يحيى إلحاح المعزّ عليه، رجع واستنفر القبائل وحثّهم على دخول إفريقية واصفا لهم ترحيب المعزّ، إضافة إلى خيراتها وصلاحية مرعاها لمواشيهم؛ ما رغّبهم في الإسراع بالرّحيل، فانسابوا في أرض إفريقية في جموع لا يدرك أوّلها ولا ينتهي آخرها يريدون الوصول إلى

---

(1) ابن الأثير في الكامل: م س، ج8 ص56، ابن خلدون: المقدمة م س، ج6 ص31. المقريزي: الاتعاظ: ج2 ص217. ابن عذارى: البيان، ج1 ص289. تذكر لنا بعض الرّوايات أنّ المعزّ بن باديس زوّجه ابنته وأنزله القيروان. ينظر: ابن خلدون: ج6 ص211. وعبد الرحمن قيقة، من أقاصيص بني هلال، رواية شفوية نقلها الطّاهر قيقة، الدار التونسية للنشر، ط4. ص21.

(2) وفي رواية أخرى تذكر أن مؤنسا قال للمعز: "إنهم قوم لا طاقة لك بهم" فقال له المعز: "هم دون ذلك" فاعتبرها مؤنس إهانة للعرب، وظن المعز مؤنسًا لا يريد أن يكون لغيره سلطان على قومه، وصارحه بذلك. ينظر: الطاهر الزاوي: م س، ص295. ابن عذاري: م س،ج1 ص 288- 289 وينظر عبد الرحمان قيقة: من أقاصيص بني هلال م س، ص21.

القيروان.[1] ولمـــّا انتهوا إلى قرية، تنادوا: "هذه القيروان" ونهبوها من حينها[2].

ولما تناهى خبر القيروان وعلم به المعزّ غضب وقال: "إنّما فعل مؤنس هذا ليؤكّد قوله ويظهر نصحه"[3] ودون أن يتبيّن، أمر بالختم على دار مؤنس والقبض على أهله. ولمـــّا علم مؤنس بما جرى لأهله غضب وجدَّ في الثّأر والانتقام. وقال: "قدّمت النّصيحة فحاق الأمر بي، ونُسِبَت الخطيئة إليّ"[4]، ولمـــّا تفاقمت الأمور استشعر الأمير الخطر القادم إليه، أرسل إليهم وفدا من الفقهاء لإخبارهم بأنّ الأمير قد أطلق سراح أهل مؤنس، وأنّه يرغب في المصالحة لحسم الفتنة، فقبل العرب بالشّروط وتعهّدوا بالرجوع إلى الطّاعة، لكن ما لبثوا أن نقضوا ما أبرموه، وأخذوا يخرّبون ويدمّرون ويشيعون الرّعب والهلع في نفوس الأهالي، فاضطّر المعزّ حينئذ للنهوض إليهم ومحاربتهم.

4. صراع بني هلال مع الزّيريين:

اشتدَّ الصّراع بين صنهاجة والعرب ودارت بينهما وقائع كثيرة، كانت الغلبة فيها للعرب، ولعلَّ من أهمّ تلك الوقائع نذكر:

. **وقعة جبل حيدران:** بين مدينتي قابس والقيروان (443هـ/ 1052م)، حيث استعدّ المعزّ ليردّ القبائل إلى مواقعها في جيش من ثلاثين ألفا، بما فيهم العبيد وعرب الفتح وصنهاجة، وجيش القبائل الهلالية يساوي ثلاثة آلاف حتّى أتى جندران[5] "وعندما رأى العرب كثرة جيش المعزّ المتكوّن من

---

[1] ابن عذارى: البيان، ج1 ص288-289. الطاهر الزاوي: م س، ص295. ورد في الأخبار أنّه عندما رحلت بنو رياح والأثبج وبنو عدي إلى إفريقية يريدون اللحاق بالقيروان، قال لهم مؤنس: ليس هذا برأي يحتاج إلى تدبير، فقالوا له: وماذا نصنع؟ فقال: ائتوني ببساط فأتوا به، فبسطه وقال لهم: من يدخل إلى وسط البساط من غير أن يمشي عليه؟ فقالوا: ومن يقدر على ذلك؟ فقال: أنا، فطوى البساط وأتى طرفه وفتح منه مقدار ذراع ووقف عليه، ثم فتح شيئًا آخر ودخل إليه وقال: هكذا فاصنعوا ببلاد المغرب، املكوها شيئًا فشيئًا حتى لا يبقى عليكم إلا القيروان فأتوها فإنكم تملكونها، فقال له رافع بن حماد -وهو أحد رؤساء العرب-: "صدقت يا مؤنس، والله إنك لشيخ العرب وأميرها، فقد قدمناك على أنفسنا، فلسنا نقطع أمرًا دونك." النويري: نهاية الإرب، ج24 ص213.

[2] ابن عذاري: م س، ج1 ص289.

[3] م س ص.

[4] م س ص.

[5] جندران: هو جبل على مسيرة ثلاثة أيام من القيروان كما ورد في نهاية الإرب لنويري: ج24 ص214. والكامل لابن الأثير: ج9

صنهاجة وعرب الفتح والعبيد، استبعدوا النّصر والتّغلب على المعزّ بن باديس وجيشه، إلّا أنّ زعيمهم مؤنس بن يحيى قال لهم: "إن هذا اليوم ليس يوم فرار"، واستعدّوا إلى ذلك بعد أن لبسوا ملابس الحرب وتشاوروا بينهم في طريقة القتال: فقال لهم أن يكون الطّعن في أعينهم، فسمّي ذلك اليوم "**يوم العين**."[1]

وفي معركة حيدران آثر بقايا عرب الفتح الذين كانوا في جيش المعزّ، الانحياز إلى صفوف بني هلال، كما اتّفقت جموع من صنهاجة وزناتة، على التّخلي عن المعزّ وتركه وعبيده داخل المعركة، فساهم خروج هؤلاء في الإسراع بالهزيمة.[2]

وقتل في تلك المعركة جمع كبير من صنهاجة، ورجع المعزّ إلى القيروان مهزوما وحزينا على كثرة من مات في المعركة، وما أخذته العرب من الخيل والخيام والمال وغير ذلك. وفيه يقول بعض الشّعراء:[3]

وَإِنَّ ابْنَ بَادِيسَ لَأَفْضَلُ مَالِكٍ *** وَلَكِنْ لَعَمْرِي مَا لَدَيْهِ رِجَالُ

ثَلَاثُونَ أَلْفًا مِنْهُمُ غَلَبَتْهُمُ *** ثَلَاثَةُ آلَافٍ إِنْ ذَا لَمُحَالُ

. **معركة يوم النّحر**: تعتبر من أهمّ المعارك التي دارت بين المعز بن باديس والعرب، حيث جمع المعزّ سبعة وعشرين ألف فارس، وسار إليهم وهاجمهم وهم في صلاة العيد، فركب العرب خيولهم ونشب القتال حتّى انهزمت صنهاجة فقتل منهم خلق كثير، وعن ذلك تحدّث ابن عذاري المراكشي "لما كان ثاني عيد الأضحى في هذه السّنة، كانت الدّاهية العظمى والمصيبة الكبرى، وذلك أنّ

ص567. أمّا عند ابن خلدون فقد ذكر أنّ إسمه **"حيدران"** ينظر: العبر، ج6 ص211.

(1) ذكر ابن الأثير أنه سمّي بـــ **"يوم العين"**. ينظر الكامل: ج9 ص568. أما في نهاية الإرب لنويري، ج24 ص215. فقد سمّي ذلك اليوم بـــ "أبا العينين".

(2) يرى بعض المهتمين أنّ سبب تخلي هؤلاء عن المعزّ، هو الخلافات القائمة بينهم بسبب غضب العناصر البربرية، من استئثار العبيد ببعض المناصب، في حين أنّ مصادرنا تشحّ علينا بالمعلومات الكافية عن سبب هذا التخلي فقد ذكر ابن الأثير ومن بعده النويري، أن صنهاجة اتفقت على الهزيمة وترك المعزّ مع العبيد حتى يرى فعلهم، ويقتل أكثرهم !!؟؟ و لم نفهم المقصود. ابن الأثير: الكامل، ج9 ص568. النويري: نهاية الأرب، ج24 ص215.

(3) ابن الأثير: الكامل، ج9 ص568. النويري: نهاية الأرب، ج24 ص215. ابن خلدون: ج6 ص21. ابن عذارى: البيان، ج1 ص290.

السّلطان عَيَّدَ يوم الاثنين، ومشى صباح اليوم إلى ناحية قرية تعرف ببني هلال، فلما كان نصف النّهار أتته الأخبار أنّ القوم قد قربوا منه بأجمعهم، فأمر بالنّزول في أوعار وأودية، فلم يستتم النّزول، حتّى حمل العرب حملة رجل واحد فانهزم العسكر.[1]

. **وقعة باب تونس:** ضدّ عامّة القيروان وهي تندرج بين الوقعتين المذكورتين، في وقت كان العرب على مقربة من العاصمة الإفريقية، حيث جرت بين "العرب المسلّحين بالسّيوف والرّماح، والعامّة فيهم من كان بغير سلاح، ومنهم من بيده عصا لا يدفع بها أضعف الكلاب"[2]، وقد وصف يوم هذه الوقعة بأنه كان "يوم مصائب وأنكاد ونوائب، و لم يَرَ الناسُ مثله في سائر الأمصار فيما مضى من الأعصار."[3] فالأمير انقطع عن العاصمة –القيروان– وتعطّلت الأسواق، وأمسك العرب جميع من أسروه فلم يطلقوا أحدا إلّا بالفداء مثل أسرى الرّوم، وأمّا الضّعفاء والمساكين فأمسكوهم لخدمتهم."[4]وفي سنة 444هـ بني سور زويلة والقيروان، وفي سنة 446هـ حاصرت العرب القيروان، وملك مؤنس بن يحيى مدينة باجة، وأشار المعزّ على الرّعية بالانتقال إلى المهدية لعجزه عن حمايتهم من العرب.[5] ولما يئس المعزّ بن باديس وانهزم في معاركه مع القبائل العربية، ركن إلى الصّلح على رفع الحرب مع الأعراب، بعد أن أمر سكان القيروان باخلائها والانتقال إلى المهديَّة التي سبق أن ولّى عليها ابنه تميمًا، "وبعد يومين من ذلك، وفي أوّل يوم من رمضان من سنة (449هـ/ 1057م) انتهبت القبائل العربية مدينة القيروان[6]، في حين "انتقل كثير من أهلها إلى

---

[1] ابن عذاري المراكشي: بيان المغرب، ج1 ص289-290. النويري: نهاية الإرب، ج24 ص215-216.

[2] م س: ج1 ص291.

[3] م س، ج1 ص291.

[4] م س، ص291

[5] ابن الأثير: الكامل، ج9 ص569. النويري: نهاية الإرب، ج24 ص217.

[6] ابن أبي دينار: م س، ص84. ابن عذاري: البيان، ج1 ص294. ابن الأثير: الكامل، ج9 ص569. النويري: النهاية، ج24 ص217.

بلاد بني حمّاد، لكونها جبالا وعرة يمكنها الامتناع من العرب، فعمرت وكثرت أموالهم وفى نفوسهم ما فيها من الضغائن والحقود من باديس وبنيه."[1]

وهكذا غيَّرت نصيحة الوزير "اليازوري" للخليفة الفاطمي، والمتعلّقة بإرسال قبائل بني هلال إلى المغرب- مجرى تاريخ المغرب من ناحية، كما أنّها أتاحت للخليفة الفاطمي فرصة ذهبية للتخلّص من هذه القبائل، والانتقام من عدوّ الدّولة – المعزّ بن باديس الصّنهاجي- وقهره والتّشفي منه. واستطاع الهلاليون في فترة وجيزة، من السّيطرة على إفريقية وعلى مدنها الدّاخلية والسّاحلية، بحيث انحصر ملك تميم على منطقة ساحلية حول المهدية، والتي مات بها إثْرَ ذلك بعهد قصير. ويذكر ابن خلدون أنّ العرب اقتسموا بلاد المغرب العربي سنة 446ه، فكان لزغبة طرابلس وما يليها، ولمرداس بن رياح باجة وما يليها[2]، ثم اقترعوا على البلاد ثانية، فكان لهلال من تونس إلى الغرب وهم: رياح وزغبة والمعقل وجشم وقرّة والأثبج والخلط وسفيان.[3]

وبذلك ساهم وجود قبائل بني هلال في تقليص سلطة بني زيري فأصبحت تتلاشى إلى أن اندثرت، لتطبع العرب المنطقة بطابع خاص بعد الأحداث التي جرت لها، وليشرعوا بعد ذلك في الانتشار نحو الغرب أي في اتجاه المغرب الأوسط -الجزائر- حيث توجد دولة بني حماد في القلعة وقبائل الزّناتة.

2: بنو هلال في المغرب الأوسط (الجزائر)

1.2- دخول قبائل بني هلال إلى الجزائر:

إنّ المصادر التي بين أيدينا تَشِحُّ علينا بالوقائع التي جرت عند دخول بني هلال إلى الجزائر، والوارد أنّه بعد هزيمة بني زيري تدفّقت سيولهم في الأراضي الجزائرية، بعد مشادّات مع القبائل

---

[1] ابن الأثير: الكامل، ج10 ص45. النويري: النهاية، ج24 ص221.

[2] ابن خلدون: العبر: م. س، ج6 ص21.

[3] م س: ج6 ص22

البربرية، خاصّة زناتة وصنهاجة الذين عجزوا عن مدافعتهم، فقد نازلوا النّاصر بن علناس الحمّادي صاحب القلعة وكانت الغلبة لهم.[1]

وعن وقائع هذه المنازلة تذكر لنا المصادر أنّه في الوقت الذي أعلن فيه المعزّ القطيعة للفاطميين، أعلن كذلك بني حمّاد قطيعتهم، إلّا أنّهم عادوا وجدّدوا الولاء للفاطميين إثر هزيمة المعزّ خوفا من عرب بني هلال.[2] واشتدَّ العداء بين تميم بن المعزّ ملك الدّولة الزّيرية، وبين النّاصر بن علناس ملك الدّولة الحمّادية[3]، هذا الأخير الذي كان يذمُّ تميمًا في مجلسه ويعزم على المسير إليه لمحاصرته في المهدية[4]، وعمل كل منهما على جذب بطون بني هلال، فتحالف كلّ منهما مع فريق منهم، فتحالف النّاصر بن علناس مع صنهاجة وزناتة وعدي والأثبج ليعينوه على محاصرة مدينة ابن المعزّ، ولما علم المعزّ بنوايا النّاصر، اتّصل بدوره ببني رياح وأقنعهم أنّ هدف النّاصر هو الإيقاع بهم، فتقبّلوا رأيه وطلبوا منه المعونة، فأعطاهم المال والسّلاح، فتحالفوا بينهم واتّفقوا على لقاء النّاصر، ثم أرسلوا إلى بني هلال الذين كانوا مع هذا الأخير يقبحون عندهم، مساعدتهم له ويخوّفونه منه أنّه إن قويَ سيهلكهم بمن معه من زناتة، فأجابهم بنو هلال بالموافقة بأنّهم سينهزمون بالنّاس في أوّل نزلة، على أن يكون لهم ثلث الغنيمة. كما اتصل ابن المعزّ بقومه الذين كانوا في جيش النّاصر فوعدوه أيضا بالانهزام.[5]

---

[1] ابن الأثير: الكامل، ج10 ص44. النويري: نهاية الإرب، ج24 ص220.

[2] راضي دغفوس: دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1425هـ/ 2005م، ص211، وينظر عبد الحليم عويس: الدولة الحمادية، ص125.

[3] إن هذا العداء له جذور تمتدّ إلى السّنوات الأولى من القرن 5هـ/ 11م التي كانت مسرحا لمعارك طويلة دارت بين بني زيري الذين يحكمون تونس، وبني حماد الذين أحبّوا تكوين إمارة مستقلّة بهم في الجزائر منذ تأسيسهم للقلعة، بعد أن كان بنو زيري يحكمون تونس والجزائر معا.

[4] ابن الأثير: الكامل م. س، ص45-46.

[5] ابن الأثير: الكامل، ج10 ص45-46.

وفي سنة (457هـ/ 1065م) التقى الجمعان "بسبتة"[1]، فانهزم جيش النّاصر وقُتِلَ أخوه القاسم بن علناس، كما قتل من أصحابه خلق كثير، وغنمت العرب ما كان في المعسكر من مال وسلاح ودواب، فلحق النّاصر بقسنطينة ثم لحق بالقلعة، لكنّ بني هلال لحقوا بقلعته فنازلوها ودخلوها، فهجرها واختطَّ بالسّاحل مدينة بجاية ونقل إليها ذخيرته وأعدَّها لسكنه.[2]

وتمكّنت قبائل بني هلال من التسرّب إلى الجزائر، لتدخل في صراع مرير مع قبائل زناتة –سكان المنطقة– والذين اجتهدوا في مدافعتهم للقبائل العربية، بقيادة وزير صاحب تلمسان أبو سعد خليفة اليفرني، فكانت بينهم وبينه حروب طويلة إلى أن هزموه وقتلوه بنواحي الزّاب وتفرّقت جيوشه، وكان ذلك في أواسط القرن الخامس الهجري. ولم يكن أمام البرابرة سوى الفرار، فاتّخذوا الجبال والمرتفعات الوعرة حصونا لهم، أمّا القبائل الهلالية وبعض عشائر سليم، اقتسموا السّهول الخصبة التي احتلّوها، واستقرّوا فيها شمالي البلاد وأواسطها[3]، وبمرور الزّمن اختلطوا بالبربر وصاهروهم، وأصبح التّعايش مضرب الأمثال بينهم.

2.2– انتشار قبائل بني هلال في ربوع الأراضي الجزائرية:

يمكن القول إنّ الجزائر ستكون المحطّة الأخيرة لمسيرة بني هلال، ففيها سيحطّون رحالهم إلى الأبد، وتبدأ حياة الاستقرار تتمكّن منهم بعد مشقّة وعناء شديدين، وتصبح الأراضي الجزائرية مفتوحة على مصراعيها لاحتضانهم، فكان دخولهم إليها من ثلاث جهات هي:

الجهة الأولى: جهة السّواحل حيث تقطن كتامة ويضعف نفوذ صنهاجة أو يكاد ينعدم، تقدّموا إليها من نواحي "باجة" بتونس فانتشروا على ضواحي القالة وعنابة وقسنطينة إلى القل إلى جبال بابور بنواحي سطيف (يقع في الشّمال الغربي لسطيف)، وتقدُّم الهلاليين في هذه النّاحية أسبق من في

---

[1] تقع مدينة سبيبة في الوسط الغربي للبلاد التونسية.

[2] ابن خلدون: ج6 ص27.

[3] ابن خلدون م س: ج6 ص22.

سواها. ولم نجد خبرًا لمقاومة كتامة لهم، وحدثت هناك علاقات طيّبة بين الهلاليين وسكان هذه المناطق، لتقارب العادات والتّقاليد ونمط المعيشة وأسلوب الحياة.[1]

الجهة الثّانية: جهة الهضاب من بين الأطلس التّلي والصّحراوي حيث الدّولة الحمّادية، تقدّموا إليها من ناحية تبسة الحالية ومنطقة الأربس (تقع بالجهة الغربية من البلاد التونسية)، وانتهوا إلى الوادي السّاحل وجبال البيبان (سلسلة تقع جنوب ولاية بجاية)، وانتشروا حتّى وصلوا إلى منطقة سعيدة الحالية، وتضم ولاية سطيف وقالمة والبرج والمسيلة وجزء من بسكرة.[2]

الجهة الثّالثة: جهة الصّحراء حيث تكثر خيام زناتة الخاضعة لبني حمّاد، تقدّموا إليها من ناحية سبيبة (في تونس) إلى تبسة، وانتشروا جنوب أوراس على قرى الزّاب، ووصلوا إلى ورجلان (ورقلة)، وتفاعلوا مع سكان هذه المناطق تفاعلا إيجابيا، ووصلوا إلى منطقة غرداية والأغواط وأفلو ومشرية وعين الصّفراء والنّعامة وجنين بورزق، وما زالت عاداتهم وتقاليدهم واضحة إلى اليوم.[3]

ولما ضعفت الدّولة الموّحدية، نقلت بعض عشائر بني هلال من المغرب الأوسط إلى الشّمال الغربي لمراكش بالمغرب الأقصى.[4]

ما يجدر التّذكير به، أنّه ليست قبيلة بني هلال الوحيدة التي دخلت إلى المغرب العربي وتسرّبت إلى الجزائر، والصّواب هو أنّ القبائل الهلالية لفظ عام يشمل مجموعة من القبائل، فقد ذكر ابن خلدون ضمن هذه الهجرة قبائلَ عديدة، حيث يقول: " وكان فيهم من غير هلال كثير من فزارة وأشجع من بطون غطفان، وجشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، وسلول بن مرة ابن صعصعة بن معاوية، والمعقل من بطون اليمنية، وعمرة بن أسد بن ربيعة بن

---

[1] مبارك محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976م، ج2 ص182. عبد الحميد الخالدي: الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003م، ص170.

[2] مبارك محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2 ص182.

[3] مبارك محمد الميلي م س: ج2 ص183.

[4] م س: تاريخ الجزائر، ج2 ص192. شوقي ضيف: م س، ص112.

نزار، وبني ثور بن معاوية بن عبادة بن ربيعة البكاء بن عامر بن صعصعة، وعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان، وطرود بطن من فهم بن قيس،..."[1]، إلّا أنّ اسم هلال غلب عليها، ربّما لترجيح انتقال الرّياسة إليهم آنذاك، أو ربّما لأنّ لفظ هلال سهل التّداول على الألسنة؛ فشاع بذلك اسم بني هلال على جميع تلك القبائل.

وعن تلك الأحلاف، فإنّ المصادر لم تعن بأخبارهم كثيرا، ما عدا المعقل التي أُختلف في نسبها[2] قيـــل عنها أنّها "انحازت إلى بني هلال منذ عهد قديم، وأنّ عددهم لم يكن يتجاوز المائتين لمـــّا دخلوا معهم المغرب، ونزلوا غربيهم فانتشروا في الصّحاري، وملكوا قصور الصّحراء التي اختطّها زناتة بالقفر مثل قصور السّوس* غربا، ثم توات* ثم جودة* ثم تامنطيت، ثم واركلان ثم تاسبيبت* ثم تيكورارين* شرقا، وكلّ واحد من هذه وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وأنهار"[3]، فكانت مواطنهم تمتدّ من قبلة تلمسان إلى المحيط الغربي إلى سجلماسة ودرعة حيث يجاورون الملثّمين.[4]

أمّا بنو سليم[5] التي أثبتت الدّراسات التّاريخية أنّهم كانوا أكثر من الهلاليين عددا، "فهم بطن متّسع من أوسع بطون مضر وأكثرهم جموعا[6]، ومنهم من دخل في أحلاف جديدة بأسماء جديدة،

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج6 ص23. مبارك محمد الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص192.

(2) يرى ابن خلدون أنّ أنسابهم عند الجمهور فخفية ومجهولة، وسلافة العرب من هلال يعدّونهم من بطون هلال وهو غير صحيح، وهم يزعمون أنّ نسبهم في أهل البيت إلى جعفر بن أبي طالب، وليس ذلك أيضا بصحيح، لأنّ الطالبيين والهاشميين لم يكونوا أهل بادية ونجعة. والصّحيح والله أعلم من أمرهم أنّهم من عرب اليمن، فإن فيهم بطنين يسمّى كل واحد منهما بالمعقل. ابن خلدون: العبر: ج6 ص78. في حين نجد مبارك الميلي يؤكّد انتسابهم لجعفر بن أبي طالب. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص194.

(3) ابن خلدون: العبر: ج6 ص78.

(4) مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص193.

(5) بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس، وفيهم شعوب كثيرة ورياستهم في الجاهلية لبني الشريد ابن رياح بن ثعلبة بن عطية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهنة بن سليم، وعمرو بن الشريد عظيم مضر، وأبناؤه :صخر ومعاوية، فصخر أبو الخنساء وزوجها العباس ابن مرداس صحابي حضرت معه القادسية. ابن خلدون: العبر، ج6 ص94.

(6) ابن خلدون: العبر، ج6 ص94.

أجازهم المستنصر إلى إفريقية مع الهلاليين على يد وزيره اليازوري -كما ذكرنا- فأقاموا في أوّل حلّهم ببرقة وجهات من طرابلس مدّة طويلة، ثمّ تحرّكوا صوب تونس كما تذكر لنا المصادر[1]، وكانوا في ذلك العهد أربعة بطون: زغب، ذياب، هبيب وعوف،[2] هذه الأخيرة هي من قيل عنها أنّها تقدّمت إلى الجزائر، وبالضّبط إلى عنابة وذلك في القرن الثّامن الهجري[3]، فأصبحت تملك المناطق الممتدّة من عنابة شرقا، إلى قابس التونسية غربا، وكان لهم جرمان عظيمان هما مرداس وعلاق.*[4]

فالعرب الذين استوطنوا الجزائر بعد العرب الفاتحين، هم الهلاليون وأحلافهم، الذي كان انتشارهم في الجزائر واسع النّطاق، غطّى تقريبا كلّ مناطق القُطْرِ الجزائري، وتمركزهم كان كالتّالي:

– **بعمالة الجزائر:** قبائل الثّعالبة والمعقل في سهول متيجة./ نزليوة، عبيد وعمراوة حول بلاد جرجرة./ ولاد ماضي، رياح، بنو منصور، خشنة، موسى، جواب، مربع، يزيد، وسليمان حول مدينة سور الغزلان./ البراز، جندل والعطاف حول جنوب مليانة وفي سهول الشلف./ أولاد نايل، في نواحي الصّحراء بالجلفة وبو سعادة والمسيلة وبسكرة./ زغبة بين مصبّ جبل راشد والأغواط./ الصّحارى، بنو زيان في نواحي الصّحراء أيضا./ أمّا قبائل الشّعانبة التي تعدّ أكبر قبائل الصّحراء الجزائرية بعد قبائل ولادنايل، فأصولها تعود إلى بني سليم، وهم يتواجدون أساسا في غرداية، ورقلة ووادي سوف.[5]

---

(1) م س: ج6 ص94.

(2) م س: ج6 ص94-95.

(3) مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص192

(4) ابن خلدون: العبر، ج6 ص96. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص356.

= *وقيل: علاف، (بالفاء) ولها بطنان: بنو يحيى وحصن. والجرم: هو مجموعة من القبائل.

(5) توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص139. عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ص215-259.

– **عمالة وهران**: بنو عامر، الدّوائر والزّمول: ما بين مدينتي وهران وتلمسان./ الغرابة: نواحي وهران أيضا./ البرجية: في الجنوب الشّرقي من وهران./ بنو هاشم: غربي مدينة معسكر./ المجاهر: قرب مستغانم./ صهيب: قرب الأصنام./ فليته: جنوب الأصنام./ المهايه، الجعافرة، بني مطهر، خلافات، ولاد خالد، اولاد الشّريف: ما بين السّاحل وفرندة وسعيدة./ اولاد فارس: بين تيارت وسور الغزلان./ بنو مسلم: في الجنوب الغربي من اولاد فارس./ حميان، زغبة: في الجنوب، كما نجدها ترتاد السّهول والهضاب العليا./ اولاد سيد الشّيخ: قبيلة عتيدة حديثة التّكوين مؤلّفة من مختلف القبائل العربية، وبقايا القبائل البربرية.[1]

– **عمالة قسنطينة**: المخادمة، أولاد جلال، فارس، أولاد السّعيد، عامر: في الهضاب العليا والصّحراء./ ومنهم عتبة بنواحي بجاية./ ورياح بنواحي قسنطينة والمسيلة والزّاب."[2]

وتذكر لنا بعض المصادر أنّ هناك قبائل عربية لم تحافظ على أصولها القحّة، بحكم جوارها ومصاهرتها لبعض القبائل البربرية، فتمازجت وتجانست. وأشهرها: بنو مرداس قرب عنابة./ دريد: بين وادي الزناتة وتبسة./ كرفة: قرب عين البيضاء./ عطية: نواحي جيجل./ أولاد ماضي: قرب بوعريريج./ أولاد صولة: في الزاب./ الذواودة: بين الزاب والحضنة.[3]

3.2– بنو هلال في الغرب الجزائري:

من المعلوم ونحن نتحدّث على القبائل الهلالية التي استوطنت الغرب الجزائري، سنركّز على قبائل: الاثبج، رياح، زغبة وقرّة بن عبد مناف[4]، وكلّهم أبناء أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة، على اعتبار أنّه جدّ القبائل التي تقطن اليوم كافّة الغرب الجزائري المُخالِطة للقبائل

---

(1) م س ص: 139- 140.

(2) م س ص: 139.

(3) توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص: 140.

(4) قرّة بن عبد مناف نقلهم بنو عبد المؤمن إلى المغرب الأقصى، كما نقلوا العمارتان العاصم ومقدم الاثبجية. مبارك محمد الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص192.

البربرية، كهوارة ومديونة وكتامة وبني سنوس وغيرها، والتي لها فروع وقبائل انحدرت عنها، تمّ إحصاؤها قبل الاستعمار الفرنسي وهي موضّحة في المخطّط الآتي كما يلي:[1]

هذه القبائل سنجدها تمتدّ على طول الشّريط الغربي للجزائر من الشّمال إلى الجنوب، وإن كان يصعب في وقتنا الحالي حصر هذه القبائل بمناطق محدّدة، في ظل اتجاه المجتمعات في مسارها العام إلى التمدّن من جهة، وفي ظل الانفتاح السّريع من جهة أخرى.

على كلّ ستكون مجموعة هذه القبائل هي وجهتنا -أو بالأحرى- الميدان الرّحب في دراستنا لطبيعة المجتمع الهلالي واللّهجة الهلالية.

3: آثار الزّحف الهلالي على المغرب العربي والمغرب الأوسط (الجزائر)

لقد كان لزحف بني هلال تأثير بالغ الأهمّية في مختلف جوانب الحياة، السّياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، وحتّى الثّقافية بما فيها الجانب اللّغوي على وجه التّحديد، والذي امتدّ من برقة وطرابلس بالجماهيرية اللّيبية حتّى حدود المغرب الأقصى، بحيث اكتست هذه الأرجاء حُلَّة جديدة مزدانة بطابع مشرقي هلالي، يعدُّ امتدادا للفتوحات التي نشرت الإسلام على نطاق واسع ونشرت معه اللّغة العربية، هذا ما سنحاول الكشف عنه من خلال عرض صور آثار الزّحف الهلالي على جميع الأصعدة.

1.3- على الصّعيد السّياسي:

لقد حدثت اضطرابات سياسية كثيرة غيّرت وجهة نظر المجال السّياسي بشكل عامّ، وساهمت في تحديد معالم سياسة المغرب الإسلامي لاحقا، نذكر منها:

- انقطاع الصّلات السّياسية بين المغرب والمشرق (مصر).

[1] ينظر: توفيق المدني: تاريخ الجزائر، ص32-33-34. ابن خلدون: ج6 ص54-76. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص199-201.

– تطويق صرح الدّول التي كانت قائمة آنذاك، فانحصر ملك الدّولة الصّنهاجية في إفريقية إلى السّاحل، بسبب الضّغط الذي كانت تمارسه قبائل بني هلال على المدن الدّاخلية، فاكتفى المعزّ بالمهدية، في حين عمل النّاصر بن علناس على بناء مدينة بجاية على السّاحل، واستقلّ حمو بن مليل البرغواطي في سفاقس، بعدما تحالف مع العرب من زغبة ورياح وعدي والأثبج. أمّا ابن خرسان[1] فاستقرّ بتونس سنة 458ه، واستقلّ موسى بن يحيى بقابس، واستقلّ حاكم قفصة الزّيري بها بعد خروجه عن سيّده، واستعانته بالعرب لتوسيع نفوذه في مقابل جزية سنوية.[2]

– تشكيل إمارات عربية صغيرة، مثل إمارة أسرة جامع بن دهمان من بني علي[3] بمدينة قابس البحرية، وراحت تقيم علاقات تجارة مع جيرانها.[4] وكذلك تمكّن بنو الورد اللّخميون من إقامة إمارة بمدينة بترت 442هـ/ 554مـ، في ظلّ حماية جيرانهم بني مقدّم من الأثبج ودهمان من رياح.[5] كما أقام حمّاد بن خليفة من عرب لخم إمارته الصّغيرة بإقليم زغوان، توارثها أبناؤه من بعده، واستمرّت بفضل حماية العرب لها، إلى أن فتح الموّحدون إفريقية، فقضوا عليها كما قضوا على غيرها من الإمارات.[6]

---

(1) عبد العزيز بن عبد الحق بن عبد العزيز ابن خراسان :ثاني أمراء هذه الأُسرة في تونس. وليها بعد وفاة أبيه، سنة 488 هـ وكانت في شبه استقلال، تتراوح طاعتها بين صاحبي المهدية وقلعة حماد. واستمر إلى أن توفي. ويوصف بالضعف. الزركلي: الأعلام، ج4 ص18.

(2) ابن خلدون: العبر، ج6 ص211.

(3) بنو علي هم أبناء علي بن رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعه بن معاوية بن بكر بن هوازن، وأميرهم ابن جامع من الدهمان وهو محمد بن رشيد بن كامل بن جامع بن دهمان بن علي بن رياح الهلالي، وآخر من ملك منهم مدافع بن رشيد بن كامل بن جامع. انظر ابن خلدون: العبر، ج6 ص 221 في خبره عن بني جامع الهلاليين.

(4) عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، ص57.

(5) ابن خلدون: العبر، ج6 ص225.

(6) م س: ج6 ص227.

– كان لبني هلال دور لا يستهان به في الدّولة الحفصية، التي سعت كثيرا في استجلاب ودِّ القبائل العربية، لاسيما في بداية نشوئها عندما خرجت قبيلة رياح بزعامة الزّوادة عن طاعتها، ما جعلها تلتجئ إلى بني سليم الذين صاروا حلفاء لهم على بني رياح، وتمكّنوا من طردهم من شرق إفريقية إلى غربها، ورغم ذلك ظلّوا حريصين على كسب ودِّهم، فقد نزل الأمير أبو يحيى بن سلطان أبي زكريا إلى أحياء الزّواودة بعد وفاة أبيه على زعيمهم يعقوب بن علي، وأصهر إليه في ابنة أخيه سعيد وعقد له عليها[1]، وأصبحت الدّولة الحفصية تعتمد على القبائل العربية في الحفاظ على سلطتها، فولّت فضل بن علي بن مزني ولاية الزّاب، وولّت أخاه قسنطينة، وازداد تغلغل نفود العرب، حتى بات الحفصيون لا يقدرون على الاستغناء عن مساعدات القبائل العربية لهم، خاصّة بعد الظّروف التي ألمّـــت بها من جَرَّاء الصّراع الذي كان قائما بين أمرائها من جهة، وتهديد الممالك المجاورة لها من بني عبد الواد بتلمسان، وبني مرين بفاس من جهة أخرى.[2] ولمـــّا ضعفت الدّولة الحفصية، استقلّت العائلات العربية القوية المستقرّة بالزّاب وبلاد الجريد[3] بإمارتها، فظهرت بنو مزني بالزّاب وبنو العابد بقفصة.[4]

– لعبت قبائل بني هلال دورا أساسيا في تأسيس الدّولتين المرينية والزّيانية، فقد تحالف بنو عبد الواد مع القبائل التي استقرّت بالجزائر، نذكر منها بطون زغبة من يزيد وحصين ومالك وعامر وعروة وغيرهم، كما تحالفوا مع أبناء عبد الله من المعقل المجاورين لبني عامر بن زغبة المستقرّين بنواحي تلمسان.[5]

---

[1] م س: ج6 ص541.

[2] ابن خلدون: العبر، ج6 ص453.

[3] بلاد الجريد: منطقة بالجنوب الغربي للبلاد التونسية.

[4] ابن خلدون: ج6 ص586 و598.

[5] مصطفى أبو ضيف أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص139.

– كما أسند يغمراسن إلى عمر بن مهدي شيخ عرب سويد بن مالك بن زغبة، ولاية تلمسان وما تبعها شرقا، ليزداد بسط نفوذهم على الجزائر خلال عهدة السّلطان أبي حمو في بداية النّصف الثاني من القرن 8هـ.[1]

– عند قيام الدّولة المرينية بفاس صاهر زعماؤها بني هلال، فتزوّج أبو سعيد عثمان الذي تولّى الحكم في الفترة (710هـ/ 731م)، من ابنة زعيم بني حميد عامر بن إبراهيم بن يعقوب من قبيلة عامر بن زغبة، الذي أقام معه حلفا بعد مفارقته لبني زيان بتلمسان.[2]

– أيضا نَجِدُ حضور قبائل الأثبج في الصّراع المريني الزّياني، خاصّة في عهد السّلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحقّ، فقد روى المؤرّخون أنّ شيوخ قبائل سفيان والخلط والعاصم وبني جابر بطون جشم من الأثبج، وذوي حسّان والشّبانات من المعقل وقبائل رياح وغيرهم، قد بذلوا مساعي كبيرة لإزالة الخلاف بين بني مرين وبني عبد الواد، وإقرار الصّلح بين مليكيهم يعقوب ويغمراسن.[3]كما لعبت قبائل الأثبج المستقرّة ببلاد تامسنا وتادلة بالمغرب الأقصى، دورا هامّا في صراع البيت المريني حول السّلطة لمجاورتها مراكش، وتأثّرها بما يدور فيها من أحداث، فبعد اغتيال السّلطان يوسف بن يعقوب في 707هـ/ 1308م أثناء محاصرته لتلمسان، وتولي حفيد أبي ثابت عامر الحكم، قاصرت قبائل الأثبج منافسه على السّلطة الأمير عثمان بن أبي العلاء بن عبد الحق.[4]

الحقيقة أنّه لا يمكن إحصاء الأدوار التي لعبتها قبائل بني هلال على الصّعيد السّياسي، منذ أن ثبّتت أقدامها في الشّمال الافريقي، لكن يكفي أننا أعطينا بعض النّماذج الحيّة التي تصوّر مدى قوّة هذه القبائل، وآثارها البارزة التي غيَّرت ملامح سياسة المغرب العربي.

2.3– على الصّعيد الحربي:

---

[1] م س: ص141.

[2] عبد الرحمن الجيلالي: م. س، ص284 وينظر: عبد الحليم عويس: دولة بني حماد م. س، ص141.

[3] ابن أبي دينار: المؤنس م س، ص45.

[4] عبد الرحمن الجزائري: م س، ص284.

إنّ مشاركة بني هلال في العمليات الحربية والجهادية يشهد لها التّاريخ منذ عهد المرابطين والموحّدين وحتّى القرن الجاري، "فما أسهم في رفض جند الأندلس إلّا هؤلاء القوم، وما صمد أمام التّحدّيات القومية في أواخر القرن الثّامن عشر إلّا هؤلاء القوم، وما رفض الذّوبان والانصهار في بوتقة المستعمر الفرنسي إلّا هؤلاء القوم"[1]، ثم لا ننسى أنّ هؤلاء القبائل عرفوا كجند منذ الفتح الإسلامي.[2]

– لما اشتدّت الأزمات بالمسلمين في الأندلس في عصر الطّوائف وبات ضعف المسلمين ظاهرا للعيان، خاصّة بعد أن اضطروا إلى دفع الإتاوات لمملكة قشتالة، فإنّه لم يكن أمامهم سوى الاستنجاد بالقبائل العربية بالمغرب العربي بما فيهم قبائل بني هلال، التي لم تتوان في تلبية نداء الواجب المقدّس (الجهاد)، والانضمام إلى قوات المرابطين وشاركت في حروب الأندلس بالأخصّ في عهد علي بن يوسف وابنه تاشفين.[3]

– إنّ للقبائل العربية –بني هلال وبني سليم– دور فاعل في الهزيمة التي ألحقت بالنّورمان في جزيرة الأحاسي وقصر الديماس في صيف عام 517هـ/ 1122م، حيث ما إن نزل القسم الكبير من النّورمانيين إلى البرّ في جزيرة الأحاسي، حتّى تصدّت لهم طائفة من العرب، وكشفوا من كان بها من الرّوم عن مواضعهم وقتلوا منهم قوما وأخذوا بعض أسلحتهم، وأحاط العرب بقصر الدّيماس وكان قد اعتصم به نحو مئة من جند النّورمان، إلى أن نَفِذ ما في الحصن من ماء وطعام فاضطروا للخروج من الحصن، فتخطّفتهم سيوف بني هلال وبني سليم، بعد أن تسرّبت إليهم من كلّ فوج فقتلوهم عن آخرهم.[4]

---

[1] محمود الربداوي: دراسات في اللغة والأدب والحضارة، القسم1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م، ص49.

[2] ينظر صفحة 44 من الرسالة.

[3] مجلة البحث العلمي: أصول المغاربة (الهلاليون بالمغرب الأدنى والأقصى)، مقال لـــ: العلوي التقي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، العدد 35، 1935م، ص391.

[4] التجاني أبو محمد: رحلة التيجاني: تح: حسن حسني عبد الوهاب، تونس، المطبعة الرسمية، 1958م، ص336-337. وينظر ابن الأثير: الكامل م س، ج8 ص312.

– في سنة 537هـ/ 1142م تعرّضت مدينة طرابلس الغرب لهجوم النّورمان من البحر، وكادوا أن يستولوا عليها لولا النّجدة السّريعة التي وصلت إلى المدينة من القبائل العربية الهلالية، لا سيما قبيلة زغبة التي كانت قد استقرّت في أحواز طرابلس الغرب التي قوي أهلها بهم، فخرجوا إلى الأسطول وحملوا عليهم حملة منكرة، فانهزموا هزيمة فاحشة، وقتل منهم خلق كثير ولحق الباقون بالأسطول، وتركوا الأسلحة والأثقال والدّواب والآلات، فغنمها العرب وأهل البلد ورجع الفرنج إلى صقلية.[1]

– في عهد الدّولة الموحّدية، بعد أن فتح عبد المؤمن إفريقية (تونس) سنة 555هـ/ 1160م ضمَّ عددا من القبائل الهلالية إلى الجيش الموحّدي، وكان مراده في ذلك الاستفادة من طاقتهم في قتال الرّوم في الأندلس، خاصّةً بعد أن اشتدَّ عدوان النّصارى وحلفائهم من المسلمين على ولايات الموحّدين الأندلسية[2]، واستجاب لندائه الجمُّ الغفير من القبائل الهلالية. ففي عام (جبل الفتح) رتّب بعضهم في نواحي قرطبة وإشبيلية، ونقل أعدادا إلى المغرب.[3] وفي استعداده لغزو نصارى الأندلس، نقل إلى المغرب ألفا من كلّ قبيلة من قبائل جشم.[4]

– أيضا تذكر المصادر أنّ الهلاليين كانوا دائما مع الموحّدين في حربهم ضد بني غانية[5] وقراقوش[6]، وقراقوش[6]، ففي سنة (555هـ/ 1160م) دعا عبد المؤمن رؤساء العرب من رياح، بأن يقدّموا له

---

(1) ابن الأثير: الكامل م. س، ج9 ص125. ابن عذارى: البيان، ج1 ص309.

(2) ابن الأثير: الكامل، ج11 ص246، النويري: نهاية الأَرَب، ص211، وابن عذاري: البيان، ج3 ص18.

(3) عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ/ 1991م، ص223.

(4) م. س.ص

(5) بنو غانية: أسرة بربرية قادت ثورة في إفريقية من 580هـ/ 1148م إلى 631هـ/ 1233م، هدفت إلى إحياء دولة المرابطين والقضاء على دولة الموحدين، بقيادة يحيى ومحمد ابنا علي بن يحيى المسوفي الذي حظي بمنزلة رفيعة في الدولة المرابطية، اشتهرا بابني غانية نسبة إلى أمهما غانية. ينظر: دائرة المعارف الإسلامية: ج 1 ص 246.

(6) قراقوش: المجاهد العظيم والقائد العسكري المميز والوزير المخلص لصلاح الدين الأيوبي، الذي بنى قلعة الجبل (قلعة صلاح الدين) في = = القاهرة أعظم أثر إسلامي في القاهرة، وبنى سور القاهرة العظيم، وسور مجرى العيون لإمداد القلعة بالمياه من النيل. وهوالذي مهد القاهرة والشام لقتال الصليبيين. أما انضمامهم إلى ابن غانية، فقد قيل إنه تم بتوجيه من صلاح الدين الأيوبي، الذي راسله

له عشرة آلاف مجاهد لمساعدته في الحرب ضدّ المسيحيين بالأندلس[1]، وأجابوا دعوته على قدر استطاعتهم، فكان عدد الخيول الواصلة إلى مراكش أربعة آلاف فرس، ومئة وخمسين جملا. وبعد وصولهم إلى مراكش عبروا إلى الأندلس للجهاد الذي أبلوا فيه بلاءً حسنا.[2]

– من جهة أخرى تذكر لنا المصادر أنّه في فتنة بني غانية، تحالف بنو سليم وهلال اللذين بإفريقية مع بني غانية ليقتفوا الموحّدين الفارّين، حيث التقوا بهم بجوار مدينة بجاية فانسحبت مجموعة القبائل العربية التي كانت في صفوف الموحّدين، وانضمّوا إلى بني غانية متزلين بالموحّدين هزيمة شنعاء.[3]

– في الدّولة المرينية نجد القبائل الهلالية تحتلّ مكانة مرموقة في ترتيب طبقات الجيش المريني، إن لم نقل هي دعامته، فقد وجدوا في القبائل الهلالية خير نصير لِرَاسِهِم الكبير في الحرب، فضمّ الجيش المريني من القبائل المستقرّين بالمغرب مجموعة تضمّ بني حسّان، العاصم، بني جابر، الخلط، رياح، سويد، بني عامر وبني سليم.[4]

– أمّا في الدّولة الحفصية، فإن الملك الحفصي أبا زكريا لما عزم الزّحف على تلمسان وغيرها من مناطق الجزائر، فإنه استنهض معه فروعا من بني هلال وبني سليم، وتمكّنوا من الاستيلاء على تلمسان.[5]

الخليفة العباسي راجيًا مد يد العون والمساعدة لابن غانية، الذي يعتبر انتصاره انتصارًا للدولة العباسية، لأنه يدين لها بالولاء والطاعة. ينظر: السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، بيروت، 1981م، ج 2، ص803.

[1] جورج مارسي: دول المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة: مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة، المعارف، الإسكندرية، 1991م، ص117.

[2] السلاوي أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتب، المغرب، 1954م، ص61.

[3] ابن أبي دينار: المؤنس، ص29.

[4] محمد المنوني: مدخل إلى تاريخ القرويين الفكري، الكتاب الذهبي، الدار البيضاء، 1960م، ص26.

[5] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص405.

– وإذا عدنا إلى دولة بني عبد الواد، فإنّنا نجد الهلاليين كان لهم دور كبير في بقاء هذه الدّولة، "فعندما انبرى يغمراسن ملك تلمسان لمناوأة الملك يعقوب المريني، زحف عليه بحملة قويّة كان فيها كثير من قبائل العرب، ونشط أبو حمو موسى في سبيل استعادة مُلْكِ آبائه في تلمسان في أواسط القرن 8هـــ، وكان بنو عامر بن زغبة الهلاليين من أقوى حلفائه.[1]

3.3– على الصّعيد الاجتماعي:

يعتبر الزّحف الهلالي على الشّمال الإفريقي ذا تأثير واضح على الحياة الاجتماعية، إن لم نقل إنّه أحدث طفرة على بنية الهيكل المغربي، كيف لا وهذا الحشد القبلي القليل استطاع أن يتكاثر ويتزايد وسط الملايين من البربر، ليُكَوِّن مجتمعا مغربيا كبيرا طابعه عربي هم أسياده، ممّا يدلّ على أنَّ هناك تمازجا عميقا، وتعاونا راقيا كان حاصلا بين البربر والعرب.

ذلك أنّ العرب لم يحتقروا البربر كجنس و لم يقلّلوا من قيمتهم، بل رأوا فيهم أندادا لهم وأصحاب شكيمة، فتزوّجوا منهم، وخير دليل على ذلك بعض من أهالي وادي ميزاب بالجنوب الجزائري، الذين يعدّون كتلة ممتازة بين العنصر العربي والبربري.

إنّ الزّائر للمغرب العربي ليتعجّب من اختلاط القبائل العربية بالقبائل الأمازيغية، وقيام أحلاف كبرى بين الهلاليين والأمازيغ جعل العديد من الأمازيغ ينتسبون إلى الهلاليين أو العرب بصفة عامّة[2]، لكنّ الظاهرة التي تستحقّ الوقوف عندها والتي تعبّر عن مدى التّداخل الذي أحدثته التّغريبة الهلالية، هو دخول العديد من القبائل الهلالية تحت قبائل أمازيغية كبرى وتقليدهم في اللّغة والعادات والتّقاليد، ونضرب مثلا على ذلك ما يحدث عندنا في الجزائر، فالزّائر لجبال الأوراس الشّامخة، يميّز من أوّل وهلة أنّ سكانها أمازيغ، إذا ما أمعن النّظر في لغة تخاطبهم ولباسهم وعاداتهم، لكن العديد من الدّراسات المدقّقة كشفت أنّ العديد من سكان هذه الجبال هم قبائل عربية هلالية[3] لكنّها تتحدّث

---

[1] م س: ج2 ص373 و375.

[2] توفيق المدني: الجزائر، ص126-127. مبارك الميلي: التاريخ، ج2 ص187.

[3] توفيق المدني: كتاب الجزائر،: ص140.

بالأمازيغية وتتبنى العادات والتّقاليد الأمازيغية. وعند الرجوع إلى تونس الشّقيقة، فإنّنا نلاحظ انصهار الأمازيغ تماما في العرب الهلاليين، وهذه الظّاهرة تكاد تشمل جميع القطر التّونسي، إلّا بعض المناطق الضيّقة التي نجد قد غلب عليها الطّابع الأمازيغي، وهي: مدينة مطماطة ومدينة الكاف.

ولعل مَرَدَّ اختلاط وتعايش الهلاليين مع أهالي البلاد التي دخلوها، يعود إلى بساطة الحياة الاجتماعية التي كان يتميّز بها سكان المغرب العربي، والتي تشبه إلى حدٍّ كبير بساطة عيش بني هلال، فالمجتمع البربري من خلال تاريخه هو قبلي كالمجتمع العربي فيه الحضر والبدو، ويعيش بدوه كالعرب في طلب الكلأ وتربية المواشي والأغنام، واقتناء الدّواب للركوب والتّوالد.
وللقبيلة في المجتمع البربري كالعربي مكانة خاصّة باعتبارها وحدة اجتماعية متميّزة، ولا تلبث هذه القبيلة بحكم التّكاثر وتزايد الأفراد أن تنقسم إلى قبيلتين أو أكثر، وإلى مجموعة من الأفخاذ والبطون، وتفرض عليها الأحداث والأوضاع التي تعيشها أن تدخل مع غيرها في اتحادات تحت قيادة زعيم أو شيخ واحد. بالإضافة إلى التّشابه الكبير في السّجية والنّفسية والذّهنية (العقلية)، هذا التّشابه الذي لخّصه موسى بن نصير في قوله للخليفة الأموي السّابع سليمان بن عبد الملك: "إنّهم أشبه العجم بالعرب لقاء ونجدة وصبرا، وفروسية وسماحة وبادية."[1] كلّ هذه العوامل سهَّلت عملية انصهار المغاربة في العرب، وجعل منهم مجتمعا واحدا يتقاسم البيئة المغربية، ويعمل من أجل استمرار الحياة في هذه البقعة الشاسعة من العالم الإسلامي.

4.3 – على الصّعيد الاقتصادي:

حتّى نكون أكثر موضوعية مع القبائل الهلالية لا بدَّ من الحديث عن الآثار السّلبية والإيجابية معا التي خلَّفها نزوحها على الشّمال الإفريقي.

أ- **الآثار السّلبية:** مما لا شكّ فيه أنّ قبائل بني هلال ساهمت في إحداث بعض الضّرر باقتصاد المغرب آنذاك؛ فنتيجة الحروب القائمة من جراء مقاومة المغاربة للهلاليين -بما فيهم الصّنهاجيين وبعدهم الحمّاديين-، تقلّصت المساحات الزّراعية في المنطقة بسبب هجران بعض النّاس مزارعهم، ولجوئهم لزراعة بعض الأراضي المجاورة للمدن الحصينة، وكثيرة هي

[1] ابن عذارى: البيان، ج2 ص21.

المدن التي ضاع إنتاجها الزّراعي مثل: تيهرت، الشّلف، متيجة، مرسى الحجاج والقليعة، ممّا أدّى إلى قِلّة الإنتاج الفِلَاحِي وبالتّالي انتشار الغلاء.[1] كذلك انعدام الأمن نتيجة للغارات التي كانت تشنُّ على الطّرق العامّة والطّرق التّجارية بشكل خاصّ، فقد اختفت قلعة بني حمّاد التي كانت تعدّ مركزا تجاريا مهمّا، كما أضحت القيروان ممرّا عابرا، وقلَّ الإنتاج الزّراعي والصّناعي داخل المدن الدّاخلية الحصينة مثل قفصة وقسنطينة، في حين قَلَّتْ التّجارة البحرية على مستوى المدن السّاحلية مثل بجاية والمهدية.[2]

ب- الآثار الإيجابية:

كان هناك نشاط واسع واهتمام كبير بالزّراعة وبتربية المواشي، ففي سبيل جلب عاطفة القبائل الهلالية وتوطيد الحلف معها وكسب ولائها وطاعتها، قامت الحكومات البربرية (الحفصية، الزيانية والمرينية) باقتطاعها الأراضي السّهلية الخصبة، مقابل مساندتها وطاعتها في السّلم والحرب.[3]

كما كان هناك نشاط دائب في جباية الضرّائب، ففي القرن 8هـ كان عرب بني عبيد الله وهم من بطون بني المعقل المتواجدين في مدن الملوية والمناطق السّاحلية، يقبضون الضّرائب من قبيلة بزناسن ومغراوة البربريتين.[4]

أيضًا اهتمّوا بتربية الحيوانات وخاصّة الخيول التي ازدهرت تربيتها، والحصان العربي يعتبر بلا منازع أجمل الخيول الموجودة على الإطلاق، وكان قد ساهم فتح أرض مصر عام 20هـ في دخول

---

(1) حسن حسني عبد الوهاب: ورقات تونسية، تونس، المطبعة الرسمية، 1960م، ص182.

(2) م س: ص182.

(3) مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص191.

(4) م س: ج2 ص190 و357.

سلالة الخيول العربية شمال أفريقيا، لكنْ بدخول قبائل بني هلال في هجرتهم الكبرى ومعهم خيولهم العربية، فإنّهم زادوا من انتشار هذه السّلالة في مصر وشمال أفريقيا، فعندما انتقلت قبائل رياح والخلط وسفيان والأثبج إلى المغرب، وزحفت عرب المعقل إلى المغرب الأقصى وانتشرت بأوديته، واستقرّت رياح ببلاد السّبط والقبائل الباقية ببلاد تامسنا وتادلا، فقد نقلوا معهم الخبرة العربية في تربية الخيول، حتّى قيل إن بني سليم تميّزت في هذا المضمار، وتأثّرت بعض القبائل الزّناتية بهم وأخذوا عنهم هذه الحرفة، بيد أنّ عرب ذياب المستقرّين بين بوقة وقابس، كانوا متخصّصين في تجارتها ونقلها من بلاد المغرب إلى الدّول المملوكية بمصر.[1]

وبالنّسبة للتّجارة، فإنّ القبائل الهلالية سيطرت على الطّرق التّجارية وأحسنت استغلالها ومراقبتها، فسيطرت عرب بني حسان على الطّريق السّاحلي عبر حوض السّينغال، وهو الطّريق الذي سبق وأن سلكه المرابطون، كما سيطرت مختلف القبائل العربية بالمغرب على الطّريق الثّاني الخاص بواحات الصّحراء، فالجزء الأوّل منه سيطرت عليه قبيلة الدواودة من رياح على مجالات الزّاب وريغ ووارکلان (ورقلة) وما وراءها من القفار، واشترك معهم بنو عامر بن زغبة لقطعهم الطريق الرّملي ونزولهم القلعة، أمّا بالنّسبة للجزء الثّاني فقد ورث عربُ المعقل قصورَ الزّناتة بالصّحراء، فكان لإمارة بسكرة العربية مواصلات تجارية مع أهالي السّودان وما حولها من الأوطان.[2]

كما يشهد التّاريخ للقبائل الهلالية أنّهم هم من جعلوا الصّنهاجيين يفكّرون ولأوّل مرّة، – عندما انعدم الأمن في الطّرق التّجارية البريّة– إلى الاهتمام بإنشاء الأساطيل البحرية لغرض التّجارة هذه المرّة.[3]

---

[1] مصطفى أبو ضيف: م. س، ص309-310.

[2] عبد الحميد الخالدي: م. س، ص193.

[3] النويري أحمد عبد الوهاب: تاريخ المغرب الاسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأَرَبِ في فنون الأدب، تحقيق: مصطفى أبو ضيف، بغداد، دار النشر المغربية، 1985م، ص136.

3. 5 – على الصّعيد اللّغوي: هنا تبرز أهم مآثر هؤلاء الهلاليين، أنّهم ربطوا المغرب العربي ببقية العالم العربي لغة وشعبا، ذلك أنّ العرب –عرب الفتح– قبل الهلاليين كان عددهم قليلا ومستقرّين في الحواضر الكبرى كتونس والقيروان، وكانت اللّغة الغالبة على السّكان هي الأمازيغية، ولما جاء الهلاليون بأعدادهم الهائلة، وانتشروا في جميع أصقاع المغرب العربي، وتصاهروا مع سكانه، عرَّبوا البلاد، فأصبح المغرب العربي عربيّا خالصا من حيث اللّغة، ومن حيث كثرة السّكان العرب والأمازيغ المستعربين، الذين باتوا ينتشرون في غالبية مناطق الشّمال الإفريقي، حتّى أصبح من العسير التمييز بين العربي والمغربي.

كما أضحوا يشكّلون أغلب سكان الجزائر اليوم، إذ دحروا قبائل صنهاجة إلى رؤوس الجبال، وقبائل زناتة إلى الغرب (بنو زيان إلى تلمسان وبنو مرين إلى المغرب الأقصى)، فتقلّص عدد البربر وغلب العنصر العربي على التّركيبة السّكانية، وانضمّ إليهم إخوانهم من عرب الفتح فابتلعوا بقايا البربر بالمصاهرة أو المجاورة،[1] وأصبح البربر المحافظون على خصوصيتهم أقليّة بعدما كانوا الأغلبية التي تغطي الشّمال الإفريقي، وأضحت الجزائر عربية الدّم واللّسان بفضل بني هلال.

إنّ ترسيخ العربية في هذه البقعة الممتدّة من برقة شرقا إلى المحيط الأطلنطي غربا، جعلت من هجرة بني هلال قضية ملازمة لعملية تعريب المغرب العربي، فما من مؤرّخ إلا وأشاد بدور قبائل بني هلال الحاسم في تعريب هذا القطر، فهناك من أقرَّ بأن "الهجرات العربية التي تركت أثرا واضحا في حياة المغرب، هي هجرات الهلاليين وأحلافهم، هذه الهجرات التي كان لها الفضل في نشر الدّم العربي واللّسان العربي في المغرب العربي"[2]، وبهذا قال أحد المؤرّخين: "أنّ تغريبة بني هلال هي التي طبعت المغرب بطابعه الأبدي الخالد، طابع العروبة والإسلام، فانضمّ المغرب العربي الإسلامي ليكون العالم العربي الممتدّ من المحيط إلى الخليج."[3] ولا يختلف عنهم مؤرّخنا عثمان

---

[1] توفيق المدني: الجزائر، ص126-127. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص187.

[2] حسن أحمد محمود: تاريخ المغرب الكبير، بيروت، دار النهضة، 1981م، ص26.

[3] موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م، ص241.

سعدي عندما يقول: "أكَّدَ التّاريخ أنّ هجرة بني هلال وبني سليم للمغرب كانت إيجابية؛ لأنّها ساهمت بحسم في تعريب أقطار المغرب العربي."[1]

وعن تعريب الجزائر بشكل خاصّ، يرى توفيق المدني أنّ " هجمة هؤلاء الأعراب -بني هلال وبني سليم- هي التي طبعت البلاد الجزائرية بالطّابع العربي أبديًّا، وركزت فيها اللّغة العربية والعقلية العربية على أساس متين."[2]

وإن كان هذا التشييد لا يخلو من الحيرة والتّساؤل لدى البعض عن السّرعة التي تمّت بها عملية التّعريب، وكيف كان التّاريخ -بأحداثه وصراعاته وحروبه...- يسير في هذه الأصقاع ومعه العربية تتوطّد على أرضيته؟ ولماذا لم يستطع العرب الأوّلون (الفاتحون) تعريب البلاد، فظلت بربرية اللغة؟

6.3 عوامل تسهيل عملية تعريب المغرب: هناك عدّة أسباب تضافرت وعملت على تسهيل عملية تعريب المغرب، نذكر منها:

– إنّ القبائل الهلالية تمكّنت من اختراق كلّ أماكن تواجد البربر، بفضل استقرار قبائلهم القويّة في مختلف سهولها وهضابها، فبينما "كان العرب الفاتحون يؤثّرون في المدن فقط، فإنّ تأثير بني هلال كان في المدن والبوادي معا"[3]، واقتنع البربر بأنّ العرب باقون، ولن يتزحزحوا خصوصا بعد تدفقّهم غرب النّيل، وأنّهم أصحاب دور في الكيان الجديد مع إخوانهم الفاتحين، على غرار حالهم تحت حكم الرّومان الذين كانوا يعاملونهم كالغرباء في بلادهم.

– كما ساعد تثبيت العربية على ألسنة المغاربة، الحاجة الدّينية وذلك للتعبّد، فالعربية مقترنة بالإسلام ﴿ قرءانا عربيا لعلكم تعقلون ﴾[4]،والحاجة الدّنيوية كذلك للتّعامل مع العرب،

---

[1] عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التاريخ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م، ص81.

[2] أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المؤسَّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984م، ص26.

[3] دائرة المعارف الإسلامية: مادة "هلال".

[4] سورة الزخرف: الآية 3.

لاسيما بعد عملية التمدّن والانتقال التي شهدتها المنطقة، والهجرة من الدّواخل إلى المدن ومن المدن إلى مناطق أخرى، نتيجة الصّراعات التي كانت قائمة آنذاك، ممّا جعل البربر يضطرون إلى التعرّب للتّفاهم مع الأجواء الجديدة.

– أيضا الخطوات الجبّارة التي خَطَتْهَا العربية إبَّان الدّولة المرينية، التي عملت على توحيد اللّغة القومية باستعمال العربية الفصحى على نطاق واسع[1] لتحذو الدّولة الموحّدية حدوها وتلغي اللّهجات المغاربية من خطبة الجمعة والأذان للصّلاة، وتترك المجال أمام اللّغة العربية التي حظيت باحترام كبير من قبل المغاربة –أيّما احترام– على وجه العموم، وقد اعتبروها لسان الأدب ولغة العلم وعنوان الثّقافة، فانبلج بالتّالي في القرنين الخامس والسّادس الهجريين "عصر جديد أصبحت فيه اللّغة العربية ربّة المنزل، وصاحبة الأمر والنّهي على القرائح والعقول."[2]

– كذلك الشّعور بوحدة المصير، والمتمثّل في شعور البربر والعرب بخطر النّصارى والمستعمر الأوروبي عموما، وسعيه في استرجاع الشّمال الإفريقي وقلع جذور الإسلام منه، دفع بهما إلى تضييق مساحة الخلاف والاختلاف بينهم، وإيجاد أرضية مشتركة للتّعايش، هذا الشّعور ساهم بشكل آخر في تعريب البربر.

– إضافة إلى استقدام النّظام القبلي العربي الذي يشجّع إقامة الأحلاف بين القبائل، ومن ثمّة دخول العديد من الأمازيغ تحت مِظَلَّة هذه القبائل، ويذكر أحد كبار سنّ حادثة تجعل المرء يتصوَّر أنّ هذا هو النّظام الذي اعتمده الهلاليون لتذويب الأمازيغ على مَرِّ القرون، حيث يروي هذا الشّيخ أن جدَّه روى له أنّ عرشهم (يقصد بطن أو فرع القبيلة) كانوا على ترحال دائم بين الأرياف، خيامهم على ظهورهم يتتبّعون الكلأ، وحدث مرّة أن صار بينهم وبين إحدى القبائل الأمازيغية ممّن كانوا يضربون في تلك المناطق، مناوشات وقتال، ولمـــّا اجتمعوا لحلِّ المشكل وصار بينهم اتّفاق، عقدوا قران عدد من شباب وبنات العرش (القبيلة) على نظرائهم من أهل تلك المنطقة. وربّما هذه العادة هي التي

---

[1] عبد الحميد الخالدي: م س، ص197.

[2] عوض السيد حنفي: قرية بني هلال بين المسار التاريخي والواقع الاجتماعي، القاهرة، دار المعارف، 1977م، ص83.

دأب عليها الهلاليون طيلة قرون، وساهمت في عدم وجود طوائف متناحرة بالبلاد، وفي ذوبان العرب والأمازيغ في بوتقة واحدة.

فتصوَّروا لو كان هناك إلى الآن قبائل أمازيغ وأخرى عربية، وكلّ منها تنازع الأخرى العداء لكان الحال غير الحال!!!

فمهما يكن من الآثار السّلبية التي خلّفتها هذه القبائل، في الحياة السّياسية والاقتصادية والعمرانية في المغرب العربي، فإنّها كانت من النّاحية الثّقافية أكبر العوامل المؤثّرة في تعريب الثّقافة المغربية. فقد أثَّرَتْ لغة التّخاطب لقبائل بني هلال وبني سليم في اللّسان البربري، الذي كان طاغيًا على اللّسان العربي في الأرياف وفي المدن أيضًا، وكان من مظاهر انتشار التعريب آنذاك، شيوع قصائد هؤلاء العرب في أوساط المغاربة. وسارت عملية الاستعراب تبعًا لعملية المزج والاحتكاك في الحياة العملية اليومية، وبدأ المغرب يدخل في عِدَادِ الدول المعرَّبة فعلا، وقد "سبقت تونس إلى ذلك ثم تبعتها الجزائر، أمّا المغرب الأقصى فقد تأخّر عنهما تأخرا نسبيا خلافًا في الدّرجة، لا في المظهر الحضاري العام!!"[1] وهكذا استطاع العرب أن يؤثّروا في البربر، وأن يستبدل البربر لهجتهم باللّغة العربية.

7.3 – على الصّعيد الفكري والثّقافي: لقد استطاع الطّابع العربي أن يغلب على الثّقافة المغربية منذ مطلع القرن الرّابع الهجري بقدوم بني هلال، وساعد على ذلك أنّ الثّقافة العربية جزء من الإسلام الذي هو عقيدة الأمّة، وأنّ المغرب العربي محاط من كلّ أطرافه بثقافات عربية، سواء من ناحية الشّمال حيث الأندلس الإسلامية، أو من الشّرق حيث منابع الثّقافة الإسلامية.. ممّا يجعلنا نطمئنّ إلى القول بأنّ الثّقافة العربية الإسلامية، قد نجحت في أن تَكُونَ الثّقافة "الأمّ" والأولى، ونجحت في أن تكون مناط عناية الدّول المغربية، على اختلاف منازعاتها واتجاهاتها السياسية الرّسمية[2]، ومن ثَمَّ كان للمغرب الإسلامي دور فاعل في تاريخ وحضارة الدّولة العربية الإسلامية، لاتّصاله الوثيق بالمشرق من جهة، وبالأندلس من جهة أخرى.

من عناصر التّكوين الثّقافي التي لا يمكن تجاهل تأثيرها في هذا الطّور بعد ترسيخ اللّغة العربية، زحف مذهب "مالك بن أنس" بدءًا من التّأثير الذي أحدثته "مدرسة القيروان" التّونسية، ومرورًا

---

[1] عبد الحميد الخالدي: م. س، ص197.

[2] عبد الحليم عويس: م س، ص255.

بالقسم الغربي في العالم الإسلامي كلّه، وهو القسم الذي انتظم فيه الأندلس وبلدان المغرب العربي، وعبورًا إلى القارّة الإفريقية، حيث لا يزال مذهب مالك هو المذهب الغالب في هذه البلاد.[1]

ثمّ أنّ احتكاك المغرب بالأندلس وهجرة بعض الأندلسيين والأفارقة والصّقليين وغيرهم إليها، وإسهام هؤلاء في رقيّ وازدهار الحركة الثّقافية المغربية بما حملوه من علوم وآداب، فانتشرت ظاهرة التّنافس الثّقافي، فكانت المهدية عاصمة البحوث الكيميائية، وبجاية عاصمة الرّياضيات، وأصبحت فاس مركزا ثقافيا إسلاميّا هامّا، وصارت مراكش هي الأخرى عاصمة علم ثانية، حيث إنّها كانت تسمّى ببغداد المغرب.[2]

وقد ساعد على هذا التّنافس وعطائه الحضاري، ما كان يلتزم به الحكّام من رعاية للملتصقين بهم من العلماء والأدباء والشّعراء، فعلى سبيل المثال، فإن "حكّام المغرب الأوسط (الجزائر) خلال القرن الخامس والسّادس للهجرة، كانوا يَرْعَوْنَ العلماء والشّعراء، ويُغْرُونَهُم بالقدوم عليهم، ويجودون عليهم بالعطاء جودًا حاتميًّا، وكان أبرز حكّام الجزائر على الإطلاق خلال القرن الخامس الهجري "النّاصر بن علناس الحمّادي أطول الملوك باعًا في هذا المضمار، فقد كان يؤمّه الأدباء ويقصده الشّعراء، فيغدق صِلَاتِه عليهم. وكان الأمير "المنصور بن النّاصر بن علناس" الذي خلّف أباه النّاصر على حكم الجزائر، يكتب ويقول الشّعر ويشجّع الأدباء والشّعراء [3]، فازدهر الأدب الفصيح أيَّمَا ازدهار، وإلى جانبه ازدهر الأدب الشعبي بشتّى ألوانه، الذي أصبح باستقرار بني هلال يكوِّن عنصرا هامّا في حياة النّاس، ولا يزال إلى الوقت الحاضر يلعب دوره في السّاحة الأدبية، ولا يفوتنا هنا أن نتحدّث عن التّشابه الموجود بين القصيدة الشّعبية والقصيدة العربية القديمة، وننوّه إلى أنّ بني هلال هم من حملوا معهم هذه التّقاليد الفنية التي تحمل بين طيّاتها سيمات موغلة في القدم.

لعلّ من أهمّ الآثار الأدبية الشّعبية التي خلّفها –أو بالأحرى– ولّدها قدوم بني هلال إلى بلاد المغرب، السّيرة الهلالية التي هي واحدة من السّير الشّعبية العربية الأقرب إلى ذاكرة النّاس، والأكثر رسوخا في الذّاكرة الجماعية؛ فقد كانت وما زالت هذه تتردّد على أفواه النّاس في مجالسهم وأوقات

---

[1] م س ص.

[2] عبد الحميد خالدي: م. س، ص 220.

[3] عبد الحليم عويس: الوحدة والتّوحيد أساس بناء الحضارة الإسلامية، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية، شبكة الألوكة ، الموقع الشخصي للأستاذ عبد الحليم عويس.

سمرهم، يرويها الحفظة من كبار السّن في تلك المناطق، ويستمتع بها الكبار والصّغار لما فيها من مآثر وأحداث كثيرة، تزخر بالكثير من القيم والفوائد الأخلاقية والتّربوية. وتبلغ هذه السّيرة نحو مليون بيت شعري، وهي عبارة عن ملحمة طويلة يتداخل فيها الخيال والحقيقة، وتتأرجح أحداثها بين التّاريخ والأسطورة، تغطي مرحلة تاريخية كبيرة في حياة بني هلال وهجرتهم من جزيرة العرب ووصولهم إلى "أرض الحلم" تونس. تتفرّع منها قصص كثيرة، مثل قصة الأمير أبو زيد الهلالي وأخته شيحة المشهورة بالدّهاء والاحتيال، وقصّة الأمير ذياب بن عامر الهلالي وحسن بن سرحان، وقصة جازية المرأة الفاتنة والشُّجاعة رمز البطولة والتّضحية،... وغيرها من القصص المتراصّة التّي تشكّل في مجموعها ما يعرف بسيرة بني هلال، التي تنتهي بوفاة هؤلاء الأبطال، بعد استيطان جموع القبائل الهلالية في تونس الخضراء والجزائر والمغرب كله.

كلّ هذه العناصر وربّما غيرها التي نبعت إثر حلول بني هلال بإفريقية، ساهمت في تكوين الملامح الأساسية للشّخصية الثّقافية المغربية، وساعدت على إبرازها في صورة حضارية خاصّة ذات إطار خاصّ، كما أنّ هذه العناصر في الوقت نفسه قد ساعدت على رقيّ الثّقافة المغربية وازدهارها عامّة.

4: آثار بني هلال في الجزائر

إنّ دور قبائل بني هلال في المغرب العربي وفي الجزائر على حدّ سواء، هو مرتبط نتيجة للظّروف السّياسية والاجتماعية والاقتصادية المشتركة التي كانت سائدة قبل مجيئهم، وفي أثناء تواجدهم أيضا. أمّا إذا جئنا واقتصرنا الحديث عن أثر بني هلال في الجزائر، فإنّنا لا نَغْفُلُ أبدا عن الإشادة بالدّورين البارزين اللّذين لعبهما، وما زالت آثارهما وملامحهما باقية جلية إلى اليوم، وستظلّ إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، ألا وهو تعمير الصّحراء الجزائرية، ومقاومتهم الباسلة للمستعمر.

1.4- دور بني هلال في تعمير الصّحراء:

صحراء الجزائر هي جزء من الصّحراء الكبرى في إفريقية، والتي تغطّي مساحة واسعة تقدّر بأكثر من ثمانية ملايين كيلومتر مربّع، وتشترك فيها كلّ من جنوب المغرب الأقصى والجزائر وتونس وليبيا ومصر في الشّمال، وموريطانيا والصّحراء الغربية من الغرب، ومالي والنّيجر والتّشاد والسّودان

في الجنوب. والصّحراء الجزائرية تمثّل لوحدها 80% من المساحة الكليّة للجزائر، فهي تشغل حيّز الجنوب بكامله، وقد دلّت الدّراسات الأثرية على تواجد بشري، وقيام حضارات عريقة تعود إلى آلاف السّنين، كانت بهذه الأراضي المترامية الأطراف، "لكنَّ هذه المناطق لم تكن في تلك الفترة صحراء قاحلة، بل كانت مناطق ذات أمطار غزيرة ونباتات كثيفة، وكانت تمثّل مراكز استيطان وحضارات ناضجة."[1] وقد تعاقبت على الجزائر وصحرائها الشّاسعة منذ العصور الحجرية، إلى الفتح الإسلامي أمم عديدة، منهم الأمازيغ السّكان الأصليون، والفينيقيون وإن كانوا لم يتوغّلوا إلى الدّاخل، ثم الرّومان والرّوم البيزنطيون الذين شيّدوا القلاع والحصون على التّخوم الشّمالية للصّحراء، ثم كان للعرب الفاتحين -بشكل خاص- الأثر الكبير في تعمير المناطق الصّحراوية، الذين استطاعوا أن ينصهروا مع السّكان الأصليين مكونين أمّة واحدة، يرجع الفضل في تماسكها وتآخيها إلى الدّين الإسلامي واللّغة العربية.[2]

ولم تتوقّف هجرة القبائل العربية إليها، لاسيما في القرن الخامس الهجري إبّان وفود قبائل بني هلال إلى المغرب، بحشود هائلة وعلى موجات بشرية متتابعة تَمَرْكَزَ جُلُّها بالجنوب الغربي، والتي بعد استقرارها مع من سبقوهم، نشب بينهم صراع طويل على الرّياسة نتج عنه انقسامهم إلى كتلتين هما: كتلة سفيان وكتلة أحمد، واستنجدت كلّ كتلة بجيرانها من القبائل العربية التي سبقتها نذكر منهم: أولاد محمد، أولاد طلحة، أولاد أعيش، أولاد عمر، أولاد ملوك، أولاد غانم، أولاد ريم، أولاد جبر، أولاد حرز الله، أولاد منصور، أولاد زيان، أولاد الحاج، الخنافسة، المحارزة وذوي منيع، وهي كلّها قبائل عربية هلالية، لتتمكّن في الأخير عرب بني المعقل من بسط نفوذها على الإقليم بعد تزايدها وضعف أمراء بني مرّين وممثّليهم في المناطق الصّحراوية[3]، "فملكوا قصور[4] الصّحراء التي

---

[1] أعمال الملتقى الدولي حول بني هلال سيرتهم وتاريخهم: المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ والأنثروبولوجية والتاريخ، الجزائر، 1990م، ص187.

[2] أعمال الملتقى الدولي حول بني هلال سيرتهم وتاريخهم: م. س، ص 188.

[3] م س: ص190.

[4] القصور: مفردة قصر، وهو عبارة عن قرية صغيرة مسورة لصد هجمات الأعداء، وهي تمتد على طول الجزء الشمالي من الصحراء، وقد = شيدتها قبائل زناتة التي تعد أول الوافدين على الجزء الشمالي من الصحراء، وإلى جانب تشييدها للقصور، زرعوا النخيل وحفروا الفقاقير لجلب المياه الباطنية، كما جلبوا العديد من السودان لتولي زراعة بساتينهم ورعي حيواناتهم واستخدامهم في

أحاطتها زناتة بالقفر مثل قصور السّوس غربا، ثم توات ثم جودة ثم تامنطيت، ثم واركلان، ثم تأسبيبت ثم بتكورارين شرقا، وكلّ واحدة من هذه وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة، ذات نخيل وأشجار وأكثر سكانها من زناتة، ووقعت بينهم فتن وحروب على رياستها، فحاز عرب المعقل على هؤلاء الأوطان في مجالاتهم، ووضعوا عليها الإتاوات والضّرائب، وصار لهم جباة يعتمدون فيها ملكا..."[1]، ومع مرور الزّمن ونظرا للظّروف الطّبيعية المتحكّمة في حياتهم، وخاصّة منها شحّة المياه، تمازج هؤلاء العرب الوافدون مع الأمازيغ -السّكان الأصليين- وخدمهم من الزّنوج الذين أحضروهم من السّودان، وأصبحوا يشكّلون أهالي الصّحراء الجزائرية، وانتظموا داخل بيئة اجتماعية ذات طابع بدوي متجانس، له نفس العادات والتّقاليد، ومتكيّف مع بيئته، متمسّك بأرضه، وقد زاد الدّين الإسلامي من ترابطه وانصهاره.

وبهذا بدت لنا مشاركة أخرى فريدة من نوعها لقبائل بني هلال، وهي نشر العنصر العربي واللّسان العربي، وتثبيت الدّين الإسلامي في الصّحراء الجزائرية، والأكثر من ذلك تعمير جزء كبير من هذه الصّحراء المترامية الأطراف.

2.4- دور بني هلال في مقاومة المستعمر:

إنّ تاريخنا القديم والحديث حافل بالبطولات التي صنعها الهلاليون وأحلافهم الأمازيغ في صفحات الجهاد. فالنّسبة للتّاريخ القديم رأينا -كما تقدّم- كيف أنّ يوسف بن تاشفين أشرك بعض القبائل الهلالية في معاركه الأخيرة ضدّ الصّليبيين في الأندلس، وأهمّها واقعة بطليوس، كما أنّ الأمير عبد المؤمن بن علي نقل العديد من القبائل الهلالية، واشتركت معه في جهاد الصّليبيين، وقد استدعاهم وحمّسهم بقصيدة مطلعها:[2]

أَقِيمُوا إِلَى الْعَلْيَاءِ هَوْجَ الرَّوَاحِلِ *** وَقُودُوا إِلَى الْهَيْجَاءِ جُرْدَ الصَّوَاهِلِ

التجارة.

[1] ابن خلدون: م س، العبر ج6 ص78.

[2] المراكشي عبد الواحد: المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م، ج1 ص166.

وَقُومُوا لِنَصْرِ الدِّينِ قَوْمَةَ ثَائِرٍ *** وَشُدُّوا عَلَى الْأَعْدَاءِ شَدَّةَ صَائِلِ

أمّا في التّاريخ الحديث، ففي إطار التّسابق المحموم على القارّة الإفريقية كالإسبان في مستهلّ القرن السّادس عشر، عند احتلاله السّواحل الغربية للجزائر تصدّت له قبائل بني هلال بكلّ حزم، وشاركت في المقاومة الوطنية لإفشال خططه ومنعه من التوغّل في الدّاخل[1]، اللّهمّ إلا بعض القبائل التي استطاع الإسبان إخضاعها تحت نفوذه، بغاراته وهجومه عليها وإجباره على التّعامل معها، وأخرى كانت قد اندفعت إليهم بدافع الاستفادة من الحماية، والامتيازات المادّية التي أعْمَتْ بصيرتها عن جادّة الصّواب.

وعندما دخلت الجزائر تحت نفوذ الأتراك العثمانيين، شاركت قبائل بني عامر إلى جانب السّلطة الرّسمية آنذاك في محاربة الأعداء، وحافظوا على كلّ حقوقهم وامتيازاتهم.[2]

واستمرّت مقاومة القبائل الهلالية للأجنبي، فعند احتلال المستعمر الفرنسي للجزائر يوم 14 جوان 1830م هبَّ الدّاي حسين وعبَّأ الجيش الإنكشاري، وإلى جانب قبيلة مغراوة الأمازيغية، استدعى القبائل المجاورة للعاصمة من قبائل الثّعالبة بالوسط الجزائري[3]، والجعادة الذين يقطنون بالوسط السّاحلي بسهل متيجة[4]، وكلاهما ينحدر من بني هلال، فلعبوا دورا عسكريا متميّزا في الذَّوْدِ والدّفاع عن العاصمة والسّلطة العثمانية، إلّا أنّ خبرتهم لم تكن كافية أمام قوّة الاحتلال، الأمر الذي جعل الدّاي وجنوده يضطرون للاستسلام، ووقعت معاهدة الاستسلام يوم 5 جويليه 1830م، وبذلك سقطت الجزائر العثمانية بيد الاستعمار الفرنسي.[5]

---

(1) توفيق المدني: الجزائر ص134 و246.

(2) توفيق المدني: الجزائر ص134 و246.

(3) تمتد قبيلة الثعالبة من غرب بو مرداس إلى مدينة تنس بشلف، وهي القبيلة التي أنجبت الولي الصالح العلامة عبد الرحمن الثعالبي مفسر القرآن. توفيق المدني: الجزائر ص139.

(4) تتمركز قبيلة الجعادة الآن في ولاية بو مرداس وولاية البويرة.

(5) عبد الحميد خالدي: م س، ص235-236.

وفي سلسلة المقاومات الشّعبية ضدّ هذا الاحتلال الغاشم، كان للقبائل الهلالية باع كبير لا يستهان به، فمقاومة أحمد باي في الشّرق الجزائري، اعتمدت أساسا على مساهمة بني هلال وبني سليم المتمركزين في الجنوب الشّرقي، وشكّلوا في تعداد جيشه عددا لا بأس به، وأبلوا بلاء حسنا في مواجهة المحتلّ.[1]

أمّا في مقاومة الأمير عبد القادر، كانوا من ضمن القبائل السبّاقة[2] التي بايعت الأمير وقبلته سلطانا عليها، فشاركت في مراسيم المبايعة التي تمّت وقائعها في سهل غريس بمعسكر، متبنّية مشروع الجهاد وحاملة لرايته على صهوات خيولها، وتذكر لنا المصادر أنّ قبيلة بني عامر الهلالية كانت تمثّل العمود الفقري في دولة الأمير وجيشه، الذي كان يتكوّن أساسا من قبيلة الجشم، وقبائل بني عامر التي كان عددها في حدود 2400 فارس، وقد تجسَّد موقفها ميدانيا وعمليا عبر مشاركتهم في جميع الحروب والمعارك التي خاضها الأمير ضدّ قوات الاحتلال، وبالخصوص في المعارك التي انتصر فيها الأمير على الفرنسيين، كمعركة "**المقطع**" الشّهيرة في 1835م، ومعركة "**سيدي إبراهيم**" قرب الغزوات عام 1845م، هذا إلى جانب إسهامهم في إرجاع بعض الزّعامات، والمناطق إلى حظيرة المقاومة الشّعبية، التي عملت الدّعاية الاستعمارية على خرقها وتشتيت شملها بمبدأ "فَرِّقْ تَسُدْ"، وعندما كان يضيق الحال بالأمير إثر الهزائم المتوالية، أو إثر عزوف القبائل عنه بخروجها عن سلطانه ورفضها لدفع الضّرائب له، كان يلتجئ صوب هذه القبائل العامرية، كلّ هَاتِهِ المواقف فتحت أمام قبائل بني عامر بسيوفها وشجاعتها طريق المجد والسّلطان.[3]

ونفس الأمر بالنّسبة لثورة الشّيخ المقراني الذي اعتمد على قبيلة الجعادة من بني هلال، التي كانت تمثّل الأغلبية السّاحقة من فرسانه، وقد استشهد في منطقتهم بسوفلات (بلدية الخميس بولاية البويرة). دون أن ننسى الدّور المتميّز الذي لعبه الهلاليون في المقاومة التي قادها الشّيخ بو عمامة، بحيث كان أهالي الجنوب الغربي والوسط الغربي ذوو الأصول الهلالية، يمثّلون النّواة الصّلبة في جيشه، نذكر منهم قبائل الطّرافى ورزاينة والأحرار بعين الصفراء، وأخرى بفرندة وتيارت، كما وجدت هذه الدّعوة صداها لدى قبائل عمور بالبيض وأفلو، وحميان بالمشرية، والشّعانبة بولاية غرداية ومتللي

---

[1] م س ص.

[2] أعلنت البيعة العامة للشيخ تحت شجرة الدردارة بسهل غريس ولقب بناصر الدين وبايعته القبائل العربية الهلالية والأمازيغية.

[3] إسماعيل العربي: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982م، ص245.

والأغواط...، وقد استطاع الشّيخ بو عمامة في وقت قصير أن يجمع حوالي ألفين وثلاثمئة جندي بين فرسان ومشاة. وحتّى في المقاومات الشّعبية في منطقة القبائل الأمازيغية، سجَّل التّاريخ حضور القبائل الهلالية فشاركوا في مقاومة لالة فاطمة نسومر بمنطقة جرجرة، حيث اعتمدت هذه الأخيرة على المرابطين من الزّاوية الرّحمانية من الجعادة الذين هم من أصول هلالية.[1]

إنّ مشاركة القبائل الهلالية في المقاومات الشّعبية كثيرة، وما يمكن قوله هو: على الرّغم من تحوُّلها إلى تجمعات جِهَوِيَّة بمناطق متفرّقة، أكثر منها قبائل بالمعنى الموجود أو المتعارف عليه في الجزيرة العربية، فإنّ هذه القبائل ساهمت في مقاومة المستعمر الفرنسي وحملت السّلاح طيلة عقود، مثلها مثل باقي مكوِّنات المجتمع الجزائري، وعند قيام ثورة نوفمبر 1954م الخالدة، كان لوجودها دور بارز في الكفاح المسلّح، من المجاهد إلى المسبلّ، ومن الفدائيّ إلى القائد، ومن السّياسي إلى الشّهيد، الذين دافعوا عن أرض هذا البلد وأصالته كي لا ينصهر في المجتمع الفرنسي.[2]

وبالإضافة إلى المقاومة المسّلحة التي شاركت فيها القبائل الهلالية بالنّفس والنّفيس في صدِّ المحتلّ، نذكر مشاركتها المميّزة في لمقاومة الفكرية ضدّ المستعمر، بالشّعر الفصيح والشّعر الشّعبي (الملحون)، هذا الأخير الذي وُلِدَ من رَحِمِ المقاومة وشَكَّلَ معها علاقة حميمة، وكأنّما ميثاق جهادي ربطهما في سنوات الدّم والنّار، فأوّل ما وَطِئَتْ أقدام المحتلّين الفرنسيين، بدأ الشّعر بعملية التّحريض وحث ّالجزائريين على المقاومة والجهاد، وليس فقط إبَّان احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م، بل سجّل الشّعر الملحون أيضا بطولته ومساهمةَ شعرائه في الجهاد، والتّصدي للاحتلال الأسباني للغرب الجزائري، وكان له حَفَظَتُهُ ورواته من خلال صولاته وجولاته في الأسواق وانتقاله في ربوع الوطن، من خلال المدّاحين الذين كانوا يجوبون البلاد طولا وعرضا، ومن جملة الشّعراء الذين ظهروا في تلك الفترة، نذكر: **الشّاعر ولد بلخير، الشّاعر مصطفى بن براهيم، الشّاعر لخضر بن خلوف، الشّاعر جلول الحميسي، الشّاعر ابن رحو، الشّاعر الحاج مهيدي، الشّاعر عدّة بن بشير، الشّاعر الطّاهر بن حواء، الشّاعر ميدوني الحاج قويدر بن طريبة، الشّاعر ابن السّويكت، الشّاعر محمد الماحي،**

---

[1] عبد الحميد خالدي: م. س، ص236-237.

[2] توفيق المدني: الجزائر، ص50- 58.

الشّاعر عبد القادر بن شهرة، الشّيخ الخالدي والشّاعر بوزيان.. [1] أمّا الشّعراء غير المعروفين فهم كثر وقصائدهم كثيرة.

5. الردّ على التّحامل المشبوه ضدّ قبائل بني هلال:

هناك تحامل كبير نجده عند العديد من الدّارسين والباحثين على القبائل الهلالية الفاعلة، التي شكّلت إمدادًا حضاريًّا لمنطقة المغرب العربي، فغالبا ما نجد هذه القبائل قد اقترن اسمها بالعنف والحرب والنّهب والفوضى، على أنّ هناك من ينطلق من فكر استعماري في تدشين رأيه، فيصف الغزوة الهلالية بالكارثة، وهذا ظلم ما بعده ظلم، وهم في هذا ينقلون نقلا حرفيا ما كتبه الأوروبيون[2]، دون أن يكلّفوا أنفسهم عناء استقراء ما كُتب، وتحرّي الحقائق وتجنّب ترديد دسّهم وتشويههم لتاريخ أمّتنا، ومن المؤسف أن نرى كتّابا عربا النّاقلين بلا استقراء ونقد كُثر، في حين هناك من استقى رأيه من اعتكافه على قراءة السّيرة، على اختلاف مشاربها أو ما تعرف "بتغريبة بني هلال"، والتي تعدُّ أكبر حُجَّة لذلك الحكم الذي ألصق بالقبائل الهلالية، فنحن لا نكاد نقرأ فيها إلّا عن الغزو والمعارك والعنف.

في خضّم هذه الاتّهامات، وبعد أن قطعنا شوطا لا بأس به ونحن نتجوّل بين طيّات تاريخ هذه القبائل الضّاربة في القدم، كان لا بدَّ من وقفة إنصاف لهؤلاء الذين ساقهم القدر إلى الأراضي المغربية، وكان لهم كلّ الفضل في وصلنا بالمناخ العربي وتثبيت العربية على ألسنتنا، التي بفضلها رُسِّخ الإسلام على أرضنا، وعليه كان لازما علينا إعادة النّظر في الأقوال الموروثة، وفرز المعقول منها وما هو غير ذلك، وطرح أسئلة جديدة تبدِّد الغيمة السّوداء التي تلاحق تاريخ حقبة بني هلال في إفريقيا، وعدم الاكتفاء بمسلّمات باطلة يراد بها تمزيق أواصر مغربنا العربي.

بادئ ذي بدء نقول إنّه لا يمكن -بأي حال من الأحوال- اعتبار سيرة بني هلال خطابا تاريخيا، نعتمد عليها في سرد وتدوين وقائع وأحداث من شأنها أن تكون مصدرا موثوقا به، لكلّ

---

[1] جلول يلس- أمقران الحفناوي: المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون، ويأتي هذا العمل الثقافي في إطار "الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007".

[2] أمثال الكاتب العسكري"كاريت" الذي قال: "كان هجوم العرب الفاتحين كالإعصار، يقتلع الأشجار ويهدم المنازل، وهجوم الهلاليين كالحريق الهائل، الذي يذر الأشجار والمساكن، رمادا تذروه الرياح، فما أبقاه الإعصار قضى عليه الحريق. وما بقى عن =السياسة العربية قائما بالمغرب، ذهب به الطبع العربي الهدام. فتمّم العلاليون أعمال التخريب التي ابتدأها الخلفاء الأولون." ينظر مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص186.

من يريد أن يؤرّخ لهؤلاء البدو الذين أتوا إلى المغرب منذ عشرة قرون، واستوطنوه نهائيا فَعَرَّبُوه لغويا واجتماعيا، زارعين في تربته قيمهم العميقة وتقاليدهم الرّاسخة ومآثرهم العريقة، ذلك أنّ السّيرة قد اختلط الواقع التّاريخي بالخيال الشّعبي في كثير من قصصها، وزاد الرّواة كثيرا ونسجوا ملاحم وبطولات؛ وذلك لضمان استمرار قصصهم، وقد تكون بعض شخصيات هذه الحكايات موجودة فعلا، لكنَّ الرّواة والمحدّثين وهواة الأساطير، قد زادوا وصنعوا أحداثا تَصُبُّ في مجال الرّواية المشوِّقة أكثر منها كسرد تاريخي، ممّا يتوجَّب علينا إعادة قراءة تاريخهم ونخله من منظار بحثي بحت، وتنظيفه ممّا ألقي فيه من جهل واضح.

ولتسليط الأضواء على هذا التّاريخ النّقدي، ينبغي أن يتغيّر ما يسمّى بالمؤثّرات عند التّحليل العلمي، وأوّلها هو انقلاب نظرتنا السّابقة إليهم، فبنو هلال ليسوا غزاة متوحّشين، وليسوا مَنْ سبَّبَ الدّمار الذي وقع بالمغرب، وإنّما ظاهرة دخيلة على المجتمعات والممالك المغربية في القرن 5ه، كما أنّهم لم يكونوا سوى أحد عناصر المشاكل التي كانت قائمة بالمغرب، ومسألة تدمير العمران التي وصموا بها، وعمل المؤرخّون الأوروبيون والشّعوبيون المغاربة على تضخيمها، تكاد تكون مألوفة بالمغرب والمشرق على السّواء، حيث تنتشر هنا وهناك القبائل البدوية بطبيعتها المنافية للعمران.

إنّنا لنجدها تُهَمًا باطلة تقاذفها المؤرّخون فيما بينهم، متناسين أنّ حرب بني هلال كطرف منتصر وقادم وكلّه عزم على الاستيطان، مع بني الزّير كطرف منهزم لم يتنحى إلّا بالقوّة، لم تكن الحرب الوحيدة التي قامت على ساحة المغرب، حتّى نحمّلهم نتائج ما خلّفته مسيرتهم على المنطقة من خراب، فالشّواهد التّاريخية كثيرة في حروب المغرب العربي.

فقد دمّر العمران الذي عمَّ المغرب في آخر العهد البيزنطي، من طرف الملكة البربرية الكاهنة في أثناء مقاومتها للفتح العربي، ويروي المؤرّخون أنّ المغرب من طرابلس وحتى طنجة كان ظلّا مستمرّا بسبب كثافة البساتين قبل تدمير الكاهنة، "التي عكفت على تخريب المدن وهدم القلاع وحرق المزارع والأشجار، حتّى ضجَّ منها أنصارها فضلا عن أعدائها وكان سببا في هلاكها والقضاء عليها."[1]

[1] ابن عذاري: البيان، ص 36. النويري: نهاية الإرب، ج24 ص36-37. ابن أبي دينار: المؤنس ص24.

وما فعله الزّعيم والقائد الأمازيغي "كسيلة" في ثورته التي وقفت في وجه الفتوحات الإسلامية، حينما ظلّ يتابع عقبة بن نافع منذ أن خرج من القيروان، وهو يردم كلّ بئر يقف عليها عقبة، وذلك حتّى يهلك جيشه بالعطش عند عودته مع طريقه.[1]

أيضا تذكر لنا المصادر أنّ أبا المهاجر الذي ولّاه مسلمة بن مخلّد الأنصارى أمر إفريقية، بعد أن عزل عقبة بن نافع، هو من خرّب مساكن ومساجد القيروان التي كان قد شيّدها عقبة في سنة 55ه، ذلك لأنّه لمـــّا وصل إلى إفريقية كره أن يترل بالموضع الذى اختطّه عقبة، فترل عنه بمسافة ميلين، واختطّ مدينة وأراد أن يكون له ذكرها ويفسد ما عمله عقبة. فسمّاها البربر "تيكيروان"، فأخذ في عمارتها، وأمر النّاس أن يخرّبوا القيروان ويعمّروا مدينته.[2]

ودُمّر العمران في الحروب المذهبية بين بين الإباضيين والأغالبة[3] ثمّ بين الشّيعة والإباضية في نهاية العهد الرّستمي[4].

ثم بين الإباضية والدّولة الزّيرية[5]، وبين الإباضيين والصّفرية في طرابلس.[6]أيضا في بداية القرن الثّاني الهجري، قامت قبيلة ورفجومة البربرية بقيادة عاصم بن جميل بثورة وكانت من غلاة الصّفوية، "حيث دخلت القيروان، واستحلّت فيها المحارم، وارتكبت الكبائر، وأساء رجالها إلى الإسلام، فقد ربطوا دوابهم في المسجد الجامع، وعاثوا عيثا شديدا في القيروان، وتصدّى لهم أبو الخطاب الإباضي (البربري)، فشتّت جموعهم."[7]

---

(1) ينظر د: محمد الغرايب: الجانب الإنسان في المقاومة الأمازيغية: حالة كسيلة والكاهنة، المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومة، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، الطبعة 1، 2005م، ص 165-169

(2) النويري: نهاية الإرب، ج24 ص24-25. ابن أبي دينار: المؤنس ص26.

(3) محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، ص230. جعفر السبحاني: بحوث في الملل والنحل، ج5 ص300.

(4) م س: ص230-234 و283-284. وينظر ابن خلدون: العبر، ج6 ص160.

(5) ابن عذارى: البيان، ج1 ص73.

(6) محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، ص272.

(7) ابن الأثير: الكامل، ج4 ص326-327. ابن عذاري: البيان، ج1 ص70-71.

وفي الثّلث الأوّل من القرن الرّابع الهجري، ثار أبو يزيد مخلّد (صاحب الحمار) في عهد الفاطميين على رأس قبائل زناتة البربرية البدوية، ونشر الدّمار والخراب في كلّ مكان مرَّ عليه "هدم مجانة ومرمجنة والأربش[1]، وقتل حتّى النّساء والأطفال الذين لجأوا إلى مسجدها الجامع، وحارب باجة وقتل أطفالها وسبى نساءها، ودخل رقّادة[2] فعاث فيها فسادا، ودخل القيروان في صفر سنة 333هـ فنهبها، وأقام أبو يزيد سبعين يوما في مخيم ميسور، بثّ في أثنائها السّرايا في كلّ النّواحي وخرّب عمران إفريقيا"[3]، و لم يوقف هذا السّيل المدمّر، إلّا قبائل صنهاجة البربرية الحضرية بقيادة زعيمها زيري بن مناد.

وتشهد المصادر كذلك أنّه عندما "وصل بنو هلال إلى نواحي القيروان، بثّوا خيولهم إلى ضواحي المدينة وقراها فَرِحين بكثرة مزارعها وعمرانها، أمر المعزّ بأن ينتقل أهل صبرة وسوقتها إلى القيروان، وأن ينتقل جميع عساكره من الصّنهاجيين إلى صبرة ويترلوا في أبنيتها وأسواقها، ارتجَّ البلد لذلك وعظم الخطب واشتدّ الكرب، ومدَّ العبيد ورجال صنهاجة أيديهم إلى خشب الحوانيت وسقافها واقتلعوها، وخرّبت العمارة العظيمة في ساعة واحدة..."[4]

فهذه الأحداث المتتابعة كلّها تشير بوضوح إلى أنّ عملية التّدمير للعمران، ليست مقصورة تاريخيًا على تصرفات هذه القبائل العربية البدوية الضّاعنة، وإنّما هي ضاربة في القدم، يمتدّ تاريخها منذ حكم البيزنطيين.[5] ولئن اشترك في هذا الخراب الزّناتيون والهلاليون، فإنّه لم يرتبط بأولئك لأنّهم بربر، ولا بهؤلاء لأنّهم عرب، وإنّما لأنّهم بدو، والبدويّ عربيا كان أو بربريا أو إفريقيا أو أوروبيا أو آسيويا لا يفقه للعمران معنىً.

---

(1) مجانة: اليوم هي إحدى دوائر ولاية برج بوعريريج التي تقع شرق الجزائر. أمّا مدينة مرماجنة التّونسيّة، تقع شمال شرقي مدينة تبسة الجزائرية.

(2) رقّادة: مدينة أغلبية كانت تقع وسط البلاد التونسية أسّسها الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد سنة 264 ه/ـ870م.

(3) ابن عذارى: البيان،ج2 ص212.ابن خلدون: العبر،ج4 ص52-53. عبد الحفيظ البناني: مدخل إلى تاريخ التشيّع في تونس،ص189-191.

(4) ابن عذارى: البيان، ج1 ص291.

(5) محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، المغرب، ط2، 1406ه-1985م، ص271. محيي الدين اللاذقاني: عرب يظلمون الهلاليين وأكاديمي أمازيغي يدافع عن تخريبهم للقيروان وجارالها، جريدة الشرق الأوسط الجمعة 02 جمادى الآخرة 1423هـ- 9 أغسطس 2002م - العدد 8655-.

وإن كان اهتمام بعض المؤرّخين انصبّ بتركيز النّظر على الجوانب السّلبية، لمسيرة قبائل بني هلال الذي عزّزه ابن خلدون عندما قال: "وسارت القبائل وجميع بطون هلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر، لا يمرّون بشيء إلا أتوا عليه، حتّى وصلوا إلى إفريقية."[1] وانتقل إلى أعلام الغرب أمثال غوتييه الذي وصل التّحامل به إلى القول بأنّ: "المغرب الذي يمتدّ من تونس إلى تلمسان، قد شُلَّ نهائيا عند دخول البدو -بنو هلال- إليه، وضاعت مدنه في الخراب."[2]

نقول: إنّ حقيقة الأحداث آنذاك تفنّد مذهب هؤلاء، فالواقع الذي كانت عليه تلك القبائل هو الذي صيَّرها على هذا النّهج، وخاصّة الظّروف القاسية التي كانت تمرّ بها في كلّ مرحلة من مراحل هجرتها، دون أن ننسى الأحداث السّياسية والاقتصادية التي كان لها الدّور الفعّال في تحريك جموعها، فانقلاب المعزّ بن باديس الصّنهاجي على الفاطميين سنة 440هـ، ودعوته للخليفة العبّاسي بدل الفاطمي المستنصر، أثار أحقاد هذا الأخير ودفعه إلى توجيه القبائل الهلالية انتقاما منه، حين قطع خطبته وبايع الخليفة العبّاسي، وقد وجد المستشرقون -خاصّة الفرنسيون- في هذه الحادثة فرصة لوصف القبائل الهلالية بأبشع الأوصاف، وبالغوا في تحميلهم كلّ ما لحق إفريقية من خراب ودمار، فهي -على حدِّ تعبيرهم- عملية انتقام قام بها الخليفة الفاطمي بتدبير من وزيره، على حليفه وتابعه المعزّ، مستغلًّا قبائل بني هلال الذين استجابوا له، ولم يتوانوا في تنفيذ حيلته النّكراء، التي كانت نتائجها وفق آمالهم وتطلعاتهم."[3]

لكن ما نراه، أنّ ما دفع بني هلال إلى قبول هذه الدّعوة ليس كونهم بيادق في رقعة الشّطرنج، ولم يكن هدفهم وهم متوجّهين إلى المغرب بنسائهم وأبنائهم وأنعامهم كالسّيل الدّافق، إعزاز الدّين أو نصرة مذهب أو دعم سلطان، وإنّما صادف هذا الاقتراح الوزاري الضّائقة المعيشية التي اجتاحت مصر لسنين عدّة، حيث كانت فيها تشكو الغلاء والمجاعة نتيجة الشّح الذي أصاب النّيل، وخلوّ المخازن السّلطانية من الغلّات، وامتدّت الأزمة إلى سمر قند وتحدّث عنها المؤرّخون

---

[1] ابن خلدون: العبر، ج6 ص20.

[2] غوتييه فيلكس إرنست: ماضي شمال إفريقية، ترجمة: هاشم الحسيني، طرابلس: دار فرجاني، 1970م، ص24 و29.

E.F Gautier: le passé de l'afrique du nord. les siecles obseures paris. poyet 1952. p: 394

[3] الراضي دغفوس: مراحل تاريخ الهلالية م. س، ص152.

بكثير من الفزع والهول، "هذه الشدّة العظمى التي كانت تجتاح الجناح الشّرقي للأمّة الإسلامية، لم تشمل الجناح الغربي، فالمؤرّخون الذين تحدّثوا عن هذه الأزمة، لم يصنّفوا أقطار المغرب ضمن البلدان الإسلامية التي عمّها القحط والجوع، بل إنّ هذه الفترة تقريبا تشيد بالرّخاء والازدهار الاقتصادي الذي كان يعمّ المغرب"[1]، ممّا ساعد على هجرة بني هلال، الذين كانوا متطلّعين منذ خروجهم من الصّعيد المصري إلى النّزول بأرض رغدة، تنسيهم ضيق عيشهم في نجد، وتُخَلِّصهم من شبه السّجن الدّائم الذي حصروا فيه بصعيد مصر، والذي لا يتسّع لجموعهم، ولا يستجيب لمتطلبات حياة البداوة التي فطروا عليها، لهذا لم يتأخّروا في التّحرك نحو المغرب بكلّ ممتلكاتهم.

فلم يكن للمذهبية أيّ دور في هذه التّغريبة، فهي ليست بالقبائل الشّيعية أو الباطنية رغم تعايشها مع القرامطة في الجزيرة، ومع الفاطميين في مصر؛ نظرا لغلبة البداوة عليهم وعدم انشغالهم بجزئيات الخلافات المذهبية، وإنّما هجرتهم لإفريقية كانت تحت شعار أنّ المستنصر الفاطمي-العبيدي قد أقطعها لهم ليملكوها.

كما لم يكن حافزهم في ذلك، أنّ المعزّ بن باديس قد غيَّر المذهب على أرضه من التشيُّع إلى السنَّة، بل إنّ أغلبهم لم يكن على علم بذلك ولا يرون فرقا في أيّ مذهب، لذلك خلت نصوص التّغريبة من أيّ إشارة للصّراع العقائدي، ولم تكن تمثِّل غزوا من قبائل شيعية لبلد سنِّي، ولو كان الأمر كذلك لعاد التشيُّع للبلاد مع غلبة بني هلال عليها، بل حتَّى أنصار الفاطميين من الشّيعة الذين كانوا في تونس، والذين إمَّا قتلوا على يد ابن باديس أو هربوا إلى مصر، لم يحاولوا العودة مع بني هلال إلى تونس.

ولم يأت بنو هلال للمغرب ليؤسّسوا دولة ذات أبعاد أيديولوجية، وإنّما جاؤوا للإقامة والاستيطان الدّائم والنّية المطلقة في عدم العودة إلى الصّعيد المصري، فقد جاءوا مزاحمين للبرابرة في أوطانهم لا في سلطانهم[2]، والذي يؤكّد هذا أنّ المغرب حَكَمَتْهُ بعد الغزوة الهلالية عدّة دول بربرية صنهاجية وغيرها: فاستمرَّ بنو زيري يحتفظون بالمهدية وما حولها، واستمرّ بنو حمّاد في بجاية، واستقلّ حمد بن مليل البرغواطي الذي تحالف مع الهلاليين، من زغبة ورياح وعدي والأثبج في سفاقص،

---

[1] عز الدين عمر موسى: النّشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشرق، بيروت، 1983م، ص180.

[2] تاريخ الجزائر: مبارك الميلي، ج2 ص178 و191.

واستقلّ ابن خراسان بتونس سنة 458ه، واستقلّ موسى بن يحيى بقابس، واستقلّ حاكم قفصة الزّيري أيضا بها وتحالف مع بعض عشائر بني هلال.[1] وهكذا تمّ استيعاب البربر الصّنهاجيين للقبائل الهلالية، وتحالفت كلّ إمارة من إماراتهم هذه مع عشائر هلالية، وإن دلّ هذا الاستيعاب والاحتواء للقبائل الهلالية، فإنّما يدلّ على وجود صلة بين هؤلاء وبين أهالي المغرب، ولا شكّ أنّ هناك جموعا من الهلاليين الذين ساهموا في الفتح الإسلامي للمغرب كانوا مستوطنين هناك. ولا يفوتنا هنا "أن نحمّل صنهاجة مسؤولية ما لحق المغرب من أضرار، لأنّها لم تحسن سياسة هؤلاء الأعراب وجرأتهم عليها."[2]

إنّ المنطق يرفض تماما أن يكون بنو هلال هم سبب الدّمار والخراب الذي حلّ بإفريقية، وطالما كانت نيّتهم الإقامة والاستيطان، فلماذا يدمّرون المباني التي ستأويهم؟ ويقطعون الأشجار التي هي ملاذ ظلّهم ووقود حياتهم، ويخرّبون الآبار التي هي شريان الحياة للبشريّة جمعاء؟ ناهيك عن البدويّ المعروف بشدّة حرصه عليها ولو بقوّة السّلاح، فهي مصدر وأساس ثروته، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتخلّى عنها، وقد مرّ بنا في أيّام بني هلال كيف أنّ حربا تقام، ورجالا تموت بسبب نقطة ماء.

هناك رأي يمكن القبول به، كأن نقول: إنّ دخول الهلاليين كان سببا في تخريب البنية الزّراعية للبلاد، بعد أن كانت معظم أراضي البلاد مزارعا وحقولا حوّلوها إلى مَرَاعٍ للإبل والأغنام فأضحت قاحلة جرداء، إذ كانوا لا يعتمدون إلّا على الرّعي، ولا يهتمون بأمر الزّراعات والحبوب وغير ذلك، لكنَّ هذا ليس عن قصد تخريبي منهم، بل لطبيعة مجتمعهم البدويّ، فحياتهم تحمل طابع التحرّك في كلّ جانب من جوانب الحياة البشرية، والطّبيعة هي التي صيّرت العرب على هذه الحال، وهي التي غلّبت عليهم البداوة، فقد كانوا على ترحال دائم بين أرياف القيروان وقفصة، خيامهم على ظهورهم يتتّبعون الكلأ، أينما وُجِد أقاموا معه، ومتى نفد انفضوا عنه.

بنو هلال ليسوا كما يزعم أولئك المؤرّخون، الذين اهالوا عليهم بالنّقد اللّاذع ووصفوهم "بالجراد المنتشر"، ومن شططهم أنّهم علّلوا هذه "الغزوة" تعليلا قائما على الجهل بطبيعة العربي قائلين: "إنّ للبدوي العظيم غرائز تعاكس غرائز الحضري، فهو فوضوي وليس سياسيا، يفضّل كثيرا

---

[1] ابن خلدون: المقدمة، ج6 ص211.

[2] توفيق المدني: الجزائر، ص26. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص186.

البلبلة على غيرها؛ لأنّها تعطي له الفرص. فهو مهدم رافض، فانتصاره لنفسه ليس تحقيقا لأنّه يقضي بنفسه على نفسه في أجيج من متمتعات غير مألوفة"[1]، وهي أوصاف -لو صدقت ولو جزئيا- لما قامت للعرب قائمة حضارية قطّ، وفات هؤلاء المؤرخّين أنّ صفة الغزو والغارة لم تكن من الصّفات المستهجنة في العصر الجاهلي، بل كانت عنوانا للقدرة والنّفوذ، وعليه فكلّ قراءة لهذه الصّفات تبتعد عن الواقع الجاهلي، تعدّ قراءة مرفوضة لا تستطيع إدراك حقيقة بني هلال.

ما يمكن أن نختم به شذرات هذا الفصل، هو القول بأنّ: بنو هلال من أعراب نجد زحفوا منها بعد أن ألمَّ بهم قحط شديد، ومجاعة مُهلكة بحثًا عن الماء والكلأ، ليصلوا إلى تونس -الأرض الحلم- لكنّهم في زحفهم حملوا معهم تراث الصّحراء وحياتهم القاسية، حيث الرّمال والجبال الجرداء والبادية الصّفراء، فطبعتهم بطبعها بسطة في الجسم، وصلابة عود وقوة شكيمة وخشونة ونزوعا إلى الاعتداء، تراث لا يعرف غير الصّراع من أجل البقاء في ظلّ طبيعة شرسة قاسية طاردة، محافظين على طابعهم الأعرابي القحّ، الذي يؤصِّل فيهم الميل إلى التّرحال وعدم الاستقرار، لكنّهم استطاعوا بفضل تلاحمهم أن يحافظوا على الطّابع العربي، في شكله ومضمونه دون أن تمسّه عوارض التحوّل والتّغيّر، فكان لهذه الميزة مفعولها الحيّ في نقل العروبة إلى البقاع التي انتجعتها القبائل الهلالية، ومنها منطقة المغرب العربي. وكان من الطّبيعي -أيضًا أن تتلبّس هذه التّغريبة بأشكال شفهية، من أخبار وقصص ترويها الذّاكرة الشّعبية عن حركات القبيلة الدّاخلية، في شتّى مظاهرها الفردية والجماعية، كالبطولة والنّجدة والعفّة والكرم والشّهامة وغيرها، ممّا كان محطَّ اهتمام الفرد والقبيلة على حدّ سواء. ومهما يكن الحكم الذي أصدره المؤرّخون، فإن فضل القبائل الهلالية كان في ترسيخ اللّغة العربية في المغرب العربي، وهو فضل لا ينكره إلا جاحد، ما دامت بصمات العرب ما زالت ماثلة في ماضي النّاس إلى اليوم.

إنّ تغريبة بني هلال أو هجرة بني هلال أو غزوة بني هلال،.... - مهما تعدّدت التّسميات باختلاف مشاربها- أهم حدث عرفته بلاد المغرب، فهي نقطة تحوّل عميقة في البنية الاجتماعية المغاربية بصفة عامّة، امتدّت آثارها إلى اليوم، وشملت مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثّقافية واللّغوية والجسدية والدّينية.

---

[1] إسطنبولي رابح والمنصف عاشور: الجزائريون الماضي والحاضر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م، ص108.

فأثرها كان أكثر من الفتح الإسلامي؛ فقد طَبَعَتِ البلادَ بطابع لم تَمْحُهُ القرون، وبفضلهم تعرَّب البربر تعريبًا لغويًّا واجتماعيًّا ذاتيًّا، وأصبح هذا الجزء الإفريقي مرتبطا بالمشرق ارتباطا عرقيا بعد استقرارهم واندماجهم فيه، بعد أن كان ارتباطا دينيا وسياسيا ليس أكثر.

الباب الأول
الفصل الثالث

بعد أن قدَّمنا دراسة تاريخية عن قبائل بني هلال، من حيث أصولها وأنسابها وهجراتها والتّرابط القائم بينها، وكيف استوطنت الأراضي الجزائرية، سنحاول في هذه الجزئية تقديم دراسة شاملة وافية عن الحياة المادّية والثّقافية لهذه القبائل في الإقليم الغربي، من خلال متابعة أعرافهم، عاداتهم، مراقبة حياتهم داخل الأسرة والقبيلة، وتدوين مأثوراتهم ومعتقداتهم وتفاعلهم مع الأعراف البدوية.

بداية يمكن القول إنَّ المجتمع الجزائري اليوم، نسيج متشابك من الجماعات والقبائل العربية والبربرية التي لا يمكن حصرها، ولكن يستطيع الباحث أن يصنِّفها إلى مجموعات أكبر نسمّيها -بدايةً- قبائل، وإن كانت في الحقيقة أكبر من ذلك، وكلّ هذه القبائل توزَّع اليوم إلى فروع وأعراش وعائلات بين كبيرة وصغيرة يصعب حصرها حصرا دقيقا، ناهيك عن تنقّلات بعض العائلات بسبب الظّروف الاجتماعية والاقتصادية والأمنية، كلُّ هذا ولَّد وضعا مختلفا في جغرافيَّة الإقليم من حيث تسمية المواضع ونسبتها إلى القبائل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكن القول صراحة إنَّ التّراث العربي في الإقليم الغربي الجزائري، وفي الجزائر عموما -إن لم نقل المجتمعات العربية على حدّ سواء- قد انصهر في مستجدّات الحياة اليومية، وما طرأ عليها من تغيّرات حضارية، أضْفَتْ عليها نوعا من المفارقات العجيبة في ظلّ العولمة الثّقافية، وما أسفرت عنه تكنولوجية الاتّصال، ووسائل الإعلام وفوضى الفضائيات، لاسيما وسائل الإعلام الغربية وما تعكسه من صور مشوّهة، وسلبية عن واقع الإنسان العربي ومجتمعه، جعلت الإنسان العربي يحاكي الأسلوب الغربي، ويروّج لأنماط ثقافية[1] أثّرت سلبا على هويته، وعبثت بِقِيَمِهِ وعاداته وتقاليده وثقافته، حتّى النّخبة لم تسلم من هذا الانجراف الذي بات واقعا محتوما، ولا أظنّ أنّ هناك أخطر ما يرتبط ببناء الإنسان العربي، مثل التغيّر في أسلوب الحياة الاجتماعية، والقيم الحضارية والثّقافية، وللأسف هذا ما نلحظه في واقعنا المعيش ونحن نرصد العديد من الظواهر الدّخيلة. لكن هذا لا

---

[1] ليس المقصود بالثقافة الغربية تلك المعرفة الدقيقة والمتخصصة التي تنتج عن تطبيقات العلوم، وما له صلة بالمناهج والنظريات العلمية والتجريبية، أو ما يمكن أن يفهم من كلمة ثقافة بمعناها المعرفي والمعلوماتي، وهذا هو المجال الذي تحققت فيه إنجازات علمية هائلة قد يصفها بعضهم بالمعجزات، ولكن المقصود منها تلك الأفكار والعادات والقيم الاجتماعية، وما يتصل بالسلوك وأنماط المعيشة. وهذه الثقافة بأبعادها السلوكية والاجتماعية هي الخطر الذي كان يسميه مالك بن نبي "الأفكار المميتة أو القاتلة"، ذلك أن الثّقافة الغربية بهذا المفهوم لا تقتصر على أنماط الحياة الفكرية الجديدة التي يعتادها الشباب المسلم شيئًا فشيئًا، بل إنها تمسُّ أيضا -بطريقة غامضة- ما يتصل بالفكر، وما يتصل بالنفس والسلوك، وفي كلمة واحدة، ما يتصل بالحياة الروحية. فالثقافة الغربية - كما هو ملاحظ اليوم- تستحوذ بقوّة على عقول الشباب وقلوبهم، وهي تَحَدٍّ كبير للهوية الثّقافية والخصوصية الحضارية للأجيال القادمة.

يعني أنّنا كمجتمع تعرَّب وتبدوَن على يد قبائل بدوية ساقتها الظّروف إلينا، أنّ البداوة قد اندثرت من سلوكنا ونمطنا، فنحن مجتمع بدويّ بالأصالة شئنا أم أبينا، سواء كان انتسابُنا بربريًّا أو عربيًّا؛ ذلك "لأنَّ ثقافة البادية والعقلية الرّعوية أو الزّراعية، قد لازمت مجتمعنا عهودا طويلة قبل أن ندرك مستوى من التمدّن والاستقرار، واسترسلت الرّوح القبلية تسري في اجتماعنا، وطبعت تاريخنا ومدنيتنا ولابستنا في المعاش والاجتماع، وما زالت الأحياء التي تنشأ في المدن والقرى إلى اليوم تتراص وتتكتّل وفق انتماءات قبلية."[1] هذا كلّه تأكيدٌ أنَّ البداوة ضاربة فينا ولا مجال لنفيها، وإنّما ما نعاب عليه أنّنا لم نَعُدْ بَدْوًا "على ثقافة أصيلة خام، وفطرة ساذجة مبرأة، كتلك التي ظلّت تسود مساحات واسعة من أوساط مجتمعنا إلى ما قبيل الثّورة؛ ذلك لأنَّ الاستقلال قد سارع بتقريب الشُّقَّة بين المدينة والبادية، الأمر الذي لم تعد معه القيم التّقليدية قادرة على الثّبات أمام مظاهر التّطور المتزايدة. وفي المقابل لسنا مدنيين خُلَّصًا كذلك، فالثّقافة البناءة لم تشملنا بعد؛ إذ لا زلنا لم نمتلك ما يسمّى بالفاعلية الحضارية، ولم نمتلك أسبابها، أو لم نبلغ مستواها إلى الآن بالقدر الذي يغدو معه حبُّ العمل والخلق والإبداع المثمر، من سجايا المجتمع بفئاته جميعا."[2] فلم نعد ننتمي لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فنحن في منزلة بينهما سمّاها أحد الدّارسين "مرحلة ما قبل المدنية وما بعد البداوة."[3]

وعليه ارتأيت من خلال هذا الفصل الغوص في عمق التّراث الهلالي، متخذةً على عاتقي مهمّة البحث والتّنقيب في الذّاكرة الشّعبية[4]، عن ما بقي من تراث هؤلاء الذين كان لهم الفضل في صقلنا بصبغة لم تمحها القرون –صبغة العروبة–، وذلك بدراسة خصائص هذا التّراث واستجلاء أسراره وغموضه، واقتفاء آثار ما خلَّفوه لنا من محسوسات ومعنويات، وبالتّالي الوصول إلى تلك الحلقة التي لا تزال تربطنا بماضينا، أو بالأحرى الحلقة التي لا زالت تصل بين "مرحلة ما قبل المدنية وما بعد البداوة".

---

[1] عشراتي سليمان: الشخصية الجزائرية –الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية–، ديوان المطبوعات الجامعية 07-2002م، ص191- 192.

[2] م س: ص3

[3] م س ص

[4] في شخص الشّيخ الهلالي والجدّة الهلالية.

إنّ التّراث الهلالي الذي تعني به عناصر هذا الفصل، هو كلُّ ما ورثناه تاريخيًّا من هؤلاء الأقوام الذين نحن امتداد طبيعي لهم، وكان له خاصّية الفعل والتّأثير في حياتنا، وعلى أفكارنا ومفاهيمنا وتصوراتنا.

والحقيقة إنّ هناك العديد من الدّراسات المهمّة والموثّقة، التي تناولت قبائل بني هلال بشكل مستفيض من حيث فروعهم، أعراشهم، جغرافية تمركزهم، طباعهم، أسلوب معيشتهم ونظامهم الاجتماعي. مثلما هناك العديد من الدّراسات الكولونية، التي تدخل ضمن أنماط وأشكال الدّراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية، التي اهتمّ بها المستعمر كثيرا لتحقيق غاياته الاستعمارية طبعا.[1] وهي متوفّرة في المكتبات الفرنسية، منها ما هو على شكل ملفات جاهزة، ومنها لا يزال مخطوطا يحتاج لمن ينفض عنه الغبار، والقليل منها مطروح على الشّبكة العنكبوتية، لكن تبقى دراسات استعمارية لا يمكن الاعتماد عليها كثيرا لفقدان مصداقيتها. أمّا الدّراسات العربية فهي كثيرة ومختلفة باختلاف مشاربها، ونحن بطبيعة الحال سنركّز على الجوانب التي لم تعنى بها تلك الدّراسات، أو لم تتجلى معالمها وآثارها في بحوثهم حسب ما بدا لي، من خلال المراجع التي توفّرت لديّ، حتّى لا يكون هناك استطراد للمعلومات.

1. نظم وأنساق المجتمع الهلالي:

بنو هلال كما وردت أخبارهم في المصادر التّاريخية، هم أعراب، بداة ظواعن، فلم يكونوا متحضّرين، وهي حقيقة لا ريب فيها، قدموا إلى الجزائر ببداوتهم العربية يحملون الأخلاق العربية بمحاسنها ومساوئها[2]، وثبتوا عليها زمنا طويلا.كانوا يسكنون "بيوتا يستخفّونها يوم ظعنهم. يكسبون الخيل لركوبهم والأنعام لحمل أثقالهم، والتّغذي بألبانها واتخاذ الملابس والأثاث من أوبارها وأصوافها وأشعارها. ينتجعون بها الصّحراء شتاء والتّل صيفا. ويبتغون الرّزق في غالب أحوالهم من القنص، وتخطف النّاس من السّبل. ويجمعون أيّام كونهم بالتّل الحبوب لقوت سنتهم"[3]، فتراهم يتقلّبون في المصافي والمشاتي بين الصّحراء والتلّ بحثا عن الكلأ لمواشيهم التي هي مصدر رزقهم. إلى أن جاء

---

(1) وذلك للتحكّم بعمليات التغيير الثّقافي والاجتماعي، بأن سخّر جنوده للإطّلاع على طبيعة الثّقافات البشرية المختلفة تمهيدا للسّيطرة على مقدّراتها. محمّد سعيدي: الأنثروبولوجية بين النظرية والتطبيق، ص40.

(2) توفيق المدني: تاريخ الجزائر، ص26. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص190.

(3) ابن خلدون: العبر ج6 ص27 و68. تاريخ الجزائر: مبارك الميلي، ج2 ص187.

الاستعمار الذي حدّ من ظاهرة الانتجاع، وأجبر القبائل الهلالية –كغيرها من القبائل الأخرى النّاجعة– على النّزوح نحو الاستقرار. "و لم يحافظ على حياة الظّعن من الهلاليين إلا القبائل القويّة وأحلافها، أمّا من ضعف منهم، فكانوا يترلون المدن والقرى البربرية، أو يحدثون لأنفسهم قرى بالزّاب[1] والصّحراء، ويشتغلون بالفلاحة ويستبدلون بالشّاة البقر."[2]

إذا جئنا اليوم نبحث عن أعراش بني هلال في إقليم الغرب الجزائري وحده، فإنّنا نجدهم يحتلّون مساحة واسعة، موزّعين بين التلّ والصّحراء، يسكنون في المدن والقرى والأرياف، كما نجدهم يسكنون في المداشر والخيم، قليل منهم من حافظ على ثقافة الانتجاع، لكنَّ البداوة ضاربة فيهم أين ما حلّوا، وباستثناء تلمسان المدينة العريقة [3]، يمكن أن ننظر إلى باقي المناطق في الإقليم الغربي –بالرّغم من التّنوّع العمراني الكبير– أنّها منطقة واحدة بسبب السّمات المشتركة بين العرب الهلاليين.

1.1 الملامح العامّة للشّخص الهلالي

هي على العموم صفات وملامح العرق العربي الذي يمكن وصفه بأنّه "ذو وجه بيضاوي منبسط، وعينين برّاقتين سوداوين، يعلوهما حاجبان كثيفان، وأنف أقنى[4]، وجبهة مستوية لا عالية ولا منخفضة،

([1]) الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعدّدة متجاورة جمعا جمعا، يعرف كلّواحد منها بالزاب .وأوّلها زاب الدوسن، ثم زاب طولقة ثم زاب مليلة وزاب بسكرة وزاب تهودا وزاب بادس. وبسكرة أمّ هذه القرى كلها. ابن خلدون: ج6 ص585.

([2]) مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص188.

([3]) منطقة تلمسان تعدُّ قُطْبًا حضاريًّا منذ العصر الأول من الفتوحات الإسلامية، فقد سايرت الرّكب بدون انقطاع إلى ما بعد الاستعمار الفرنسي، وانتقل إليها مركز الثقافة والعلم والآداب والحضارة، وأصبحت تضاهي في سمعتها مدنا كبرى كالقاهرة وبغداد وقرطبة، واجتمع فيها رجال العلم والأدب والفن، وازدهرت أكثر أثناء ملوك بني يفرن ثم الأدارسة والمرابطين ثم الموحدين. وازداد بريقها عندما تباهى ملوك بني زيان في تشييد المساجد وإعدادها. كما اشتهرت تلمسان بزواياها وأضرحتها ومشاهدها الأثرية، وكان لها تأثير كبير على المناطق المجاورة من حيث انتشار الطرق الصوفية (كالقادرية والدرقاوية والتيجانية) وظهور المرابطين والأولياء. دون أن ننسى دار الحديث التي كانت قبلة لطلبة العلم، فقد كانت تُؤْوِي إليها العديد من الطلبة القادمين من المناطق المجاورة.

([4]) الأنف الأقنى: هو الأنف الطويل المرتفع في منتصفه مع دقة أرنبة الأنف أي أن أرنبة الأنف رفيعة إلى حد ما، أما الارتفاع في المنتصف من الممكن تشبيهه بالتقوس القليل للشكل العام للأنف، أو البروز القليل في منتصف الأنف نفسها. ينظر ابن منظور: م. س مادة (قنا).

وهَامَة مرتفعة، وبنية في غاية الكمال، وعضلات نشيطة وقويَّة، وأطراف معتدلة متناسبة مع تكوين الجسم.[1] وقد جاء في دائرة المعارف "أنّ بنيتهم -أي العرب- الطّبيعية أكمل من جميع الوجوه من بنية الأوروبيين، فإن أعضاء حواسهم حادّة للغاية، وقاماتهم فوق معدّل الإنسان المتوسّط إجمالا، ووجوههم نضرة، ولونهم أسمر، وذكاؤهم متناسب مع كمال تكوينهم الطّبيعي، وهم من دون شك أعلى ممـــّا تتّصف به الأمم الأخرى، بينما أنّهم في أشياء أخرى مساوون لتلك الأمم."[2] وأمّا من حيث الصّفات المعنوية، فالعرب مثال الذّكاء والحلم والكرامة والشّجاعة والفروسية، وحبِّ الحريّة وتعشُّق الاستقلال والحنكة والدّهاء وسعة الحيلة، كما أنّهم مشهورون بالحذر والطّمع والشّكِّ.[3]

يمكننا القول في هذا الصّدد: إنَّ البنية الجسدية للإنسان الهلالي، قد أصابها نوع من التحوُّل أو التغيير، فهي لم تبقَ ثابتة على أصلها كما كانت عليه في موطنها الأوّل بنجد، فقد ذابت ملامحه مع ملامح الإنسان المغربي بفعل التّلاقح العرقي، فقد كان لدخول العرب إلى المغرب واختلاطهم بالبربر أثر كبير في تعريب البربر، وفي إدماجهم في العنصر العربي بفضل الدّين الإسلامي والصّفات المتشابهة نحو: البساطة والشّجاعة والصّبر والأَنَفَة والقناعة ومقاومة العدوّ..." فالتعرُّب السّلالي قام إلى جانب التّعرب الثّقافي بصورة تلفت النظر"[4] حتّى إنّ كثيرا من القبائل البربرية انتسبت بعد إسلامها إلى العرب، "فاصطنعت أنسابا عربية حتّى أصبح من المستحيل تمييزها في أغلب الأحيان، و لم يعودوا يذكرون شيئا عن أصلهم الحقيقي أو لغتهم أو عاداتهم.[5]

إنّ البنية الجسدية للإنسان الهلالي فسيفساء رسمتها "كلُّ خصائصه السّلالية باكتمالٍ وعَرَاقَةٍ، فهو قد حوى خطوطا إفريقية، كما تعكس ملامح زنوج الصّحراء، واستوعب السّحنة الصّعيدية الهلالية في

---

[1] فؤاد حمزة: قلب جزيرة العرب، مكتبة الثقافة الدينية، القسم الأول ص9.

[2] دائرة المعارف البريطانية مادة (عرب).

[3] فؤاد حمزة: م. س. ص

[4] المقريزي: البيان والإعراب م. س، ص132.

[5] توفيق المدني: م س، ص126. عبد الرحمن الجيلالي: م س، ج1 ص141، وينظر: غوستاف لوبون: م س، ص246.

ملامح سكان الهضاب، كما نجده يطابق بعده الخليجي تمام المطابقة في سِحَنِ أهل الواحات والقصور[1]، كما حملت ملامح سكّان المدن – لا سيما الحواضر العريقة مثل تلمسان– ملامح شامية وعراقية."[2]

2.1 الرّجل الهلالي

1.2.1 طبيعة الرّجل الهلالي:

قويّ البنية، حيويّ لا يَكَلُّ ولا يَمَلُّ، متقلّبا بين الزّريبة والمراعي، لا يخلد للرّاحة إلا قليلا، قنوع وصبور راض بالعيش القليل، ربما استمدَّ هذه الطّباع من صعوبة الحياة التي كان يعيشها متنقّلا بين الأخضر واليابس، بين أكوام الثّلوج في الشّتاء وحرارة الشّمس الملتهبة لا سيما في الصّحراء. "ذكيّ إلى درجة مفرطة، فصيح طلق اللّسان ولو كان أمّيًا، متسامح جدًا، كريم إلى أقصى حدود الكرم"[3]، فهو مُنْفِقٌ ومُكْرِمٌ للضّيف سواء كان قريبا أو بعيدا. نقيّ السّريرة، مهيّأ للخير، عالي الهمّة، "راع للعرض وللشّرف إلى حدّ التّضحية بماله ومصالحه وذاته في سبيل الشّرف، شجاع إلى درجة الجرأة"[4] فهو عزيز النّفس لا يرضى بطعن كرامته أو إهانته أو المساس بأعرافه وتقاليده أو انتمائه. وقد أثبت ذلك إبَّان الثّورة التّحريرية؛ فالقبائل الهلالية تعدُّ رحم الأبطال الذين صنعوا تاريخ هذه المنطقة، وأثبتوا بحقٍّ أهليتهم في الميدان العملي، وبرهنوا على مدى شجاعتهم وصلابتهم. ما يعاب عنه، أنّه "متواكل أحيانا إلى درجة التّفريط والكسل، لا يفقه للاقتصاد معنى ولا مبنى، إن كان غنيًّا فهو شديد الإسراف، وإن كان متوسّط الحال، فهو ينفق عن سعة كلّ ما يتحصّل عليه من مال، وإن كان فقيرا فهو لا يفكّر إلاّ في قوت يومه، ثمّ أنّه أقلّ صبرا على العمل في الأرض"[5] ذلك لأنّ طبيعته تأنف الاستقرار، تميل إلى الانتقال الانتقال والتّرحال، فقد كان له مضارب في الشّتاء والصّيف، يتقلّب بينهما طمعا في المراعي الجاهزة، فهو لم يعتد على خدمة الأرض والتّفاني في رعايتها، حتّى يغنم خيراتها.

---

(1) عبد الرحمن الجيلالي: م. س، ج1 ص141، غوستاف لوبون: م. س، ص246.

(2) مثلا منطقة بريزينة بولاية البيض تحضن بطونا لا محالة أن أصولهم تعود إلى سكان الخليج. ينظر سليمان عشيراتي: م. س، ص210.

(3) توفيق المدني: م س، ص141.

(4) م س ص.

(5) توفيق المدني: م س، ص141.

2.2.1 لباس الرّجل الهلالي:

تعتبر الملابس من المكوّنات الثّقافية لأي شعب من الشّعوب، وتكتسب الملابس التّقليدية في أيّ مكان في العالم هذه الصّفة لارتباطها بمنطقة معيّنة، وتصبح جزءًا مهمًّا وسمةً أساسية لها، بل وعنوانًا مميّزا لهذا الشّعب أو ذلك، ومن الطّبيعي أن يعتزَّ كل فرد بملابسه التّقليدية؛ ففيها ارتباط وعمق تاريخي وتراثي بالأصالة، والحضارة والعادات والتّقاليد، ويظلّ الزيُّ جزءًا لا يتجزّأ من الشّخصية، مهما طرأ عليه من تغيير وتطوّر مسايرة لآخر خطوط الموضة والأزياء، أو حتّى بتغيُّر المواد والخامات المستعملة فيه، فهناك دائما ثوابت لا تتغيّر بتغيّر الزّمان أو المكان. وما زال الرّجل الهلالي يحافظ على لباسه التّقليدي، الذي يتكوَّن من سروال فضفاض طويل، وقميص فوقه صدرية يسمّونها الجِيلِيَّه تحريف لكلمة (gilet) الفرنسية، ويضيف على هذا اللّباس القشابية ويدعونها (الجلّابة)، وتتكوّن من القماش الخفيف وهذا في فصل الصّيف، أمّا إذا كان في الشّتاء فتكون من الصّوف أو الوبر. ويزيد عليها البرنوس الذي يصنع من الصّوف أو الوبر يغطّي الجسم كلّه، ويقي من البرد وعادة ما يكون لونه أبيض، أمّا إذا كان لونه أسود أو بنيًّا سُمِّي بـــ "الخَيْدُوسْ"[1]، أمّا إذا كان مصنوعا من الوبر فيسمَّى "الهَدُّونْ"[2]، هذا الأخير لا يلبسه عامَّة النّاس، لأنّه ليس في متناولهم، فهو باهظ الثّمن. ويتعمَّم بعمامة صفراء، أمّا إذا كان لونها أبيض فيسمونها (الحوّاق)[3] أو (الكنبوش)[4] يكون تحتها (العَرَّاقِيه) وهي قبعة توضع تحت العمامة، تلامس العرق ومنه أشتقَّت، وتكون مصنوعة من الصّوف أو القماش الغليظ أو القطن، وهناك من يتلثّمون بفضلة العمامة من تحت أذقانهم. وطبعا الكلام يعني أولئك الشّيوخ الذين لا يزالون متشبّثين بالعادات والتّقاليد، أمّا شباب اليوم فقد عصفت بهم ريح الموضة الغربية بعيدا.

ويبقى الاختلاف بين الموسرين وغيرهم في نوعية القماش، الذي غالبا ما يكون من الوبر الأصلي. أمّا لباس القدمين فقد كان يصنع من النّعل الجيّد، ويكون لونه أحمر لامعًا أو بنيًا، وفي الصّيف يلبسون

([1]) لم أعثرعن أصل كلمة (الخَيْدُوسْ).

([2]) لم أعثرعن أصل كلمة (الهَدُّونْ).

([3]) هي تحريف لكلمة الحواقة وتعني قطعة قماش. ينظر ابن منظور: مادة (حوق).

([4]) كنبوش: جمع كنابيش وهو البرذعة تجعل تحت السّرج. وهو برقع يغطى به الوجه. (كلمة فارسية) ينظر كنبوش في المنجد في اللّغة ط 29 بيروت دار المشرق 1960 ص 699.

أخرى تكون أكثر تهوية، أمّا اليوم فالكلّ أصبح يقتني حذاءه من أسواق البلاد التي غزتها الأحذية العصرية وبماركات مختلفة.

3.1 المرأة الهلالية

1.3.1 طبيعة المرأة الهلالية:

تتميّز المرأة الهلالية بالبساطة والعفوية، الحنان والطّيبة، الغيرة المحمودة، الألفة والعشرة الطيّبة، الصّدق والأمانة، مخلصة لزوجها، متفانية في خدمة أولادها، صبورة من أجل الحفاظ على بيتها وأسرتها، تؤدّي واجباتها الدّينية في حدود معرفتها، تعتزّ بوطنها. دورها داخل الأسرة والمجتمع ككلّ لا يستهان به، فهي تساهم إلى حدّ كبير في العملية التّنموية ،وفي قدرتها على تنويع مصادر دخل أسرتها، في ظلّ متطلّبات الحياة التي باتت تزداد يوما بعد يوم، والحديث بالتّأكيد لا يقصد المرأة القاطنة في المدينة، التي تعدّدت وظائفها من معلّمة وطبيبة وممرّضة... بل نعني امرأة البادية بالدّرجة الأولى، التي لا زالت تحافظ -إلى حدٍّ ما- على طباعها البدويّة، وبحكم إسهامها في التّنمية الاجتماعية والاقتصادية في آن معًا، فهي تقوم برعاية أطفالها وتربيتهم، وتدبير شؤون منزلها، والوفاء باحتياجاته، إلى جانب مشاركتها لزوجها في جميع أعماله اليومية، فتقوم بحلب المواشي وتقديم العلف لها، ومخض اللّبن، وجلب الماء والحطب، وعجن الخبز، وفتل الكسكس، وطهي الطّعام، وغسل الثّياب، وتنظيف البيت، وغزل الصّوف، ونسج الحلفاء ... الحقيقة أنّ أعمالها لا تكاد تحصى ولا تعدُّ.

فالمرأة الهلالية البدويّة -خاصَّة- تؤدي دورا هامًّا وبارزًا؛ فهي عماد الأسرة والرّكن الأساسي فيها من حيث تُوْكَلُ لها كثير من الأعمال، وهي في حركة دائمه منذ بزوغ الفجر وحتّى وقت متأخّر من اللّيل، ولا يعرف الكسل طريقا إليها.

وتحرص المرأة الهلالية على تعليم بناتها أعمال البيت وكلَّ ما يتعلّق بشؤونه، من طبخ ونفخ وكنس، كما تحرص على تلقينها كلّ الحرف اليدويّة التي من شأنها أن تُدِرَّ عليها نفعا لبيتها، ودخلا تعين به أفراد أسرتها، والفتاة التي لا تحسن القيام بهذه الأمور غير مرغوب فيها، لأنّه لا طائل منها وربما عزف عنها الخُطَّاب.

وكثيرا ما تصادفك في المجتمع النّسوي الهلالي نسوة يتمتّعن برجاحة العقل، وسداد الرأي، وسلامة القول، وبعد النّظر، فتقود البيت بريّادة، لا تبخل على قريناتها بالنّصح إذا ما طلبن المشورة، فيأتي كلامها دررا منثورة، ولا تتوانى في إصلاحهن وإرشادهن وستر زلاتهن، ومنهن من يحفظن شيئا من

القرآن والأحاديث والكثير من الشّعر العامّي، أمّا الأمثال والحكم، فهما دوما على لسانها ولا تفتأ أن تتفوّه بهما أينما استدعى المقام إليهما.

2.3.1 لباس المرأة الهلالية: من غير الممكن أن نثبت على وصف واحد وثابت للباس المرأة الهلالية، فهو يختلف من منطقة إلى أخرى بحسب جغرافية المكان، فهو يختلف بين الهلالية التي تسكن في المناطق السّاحلية والسّهلية، وبين الهلالية الهضابية والصّحراوية، وربّما هذا الاختلاف ناجم لطبيعة المكان ومناخه، وربما لتأثّرهم بالسّكان الأصليين الذين استقرّوا معهم، واحتكّوا بهم بفعلي المجاورة والمصاهرة.

على العموم لباس المرأة الهلالية نوعا ما محتشم، يغطي جميع أجزاء الجسم ما عدا الوجه واليدين والقدمين باستثناء بعض المناطق السّاحلية والسّهلية حيث نَجِدُ لباسها مكشوف الذّراعين وكذلك مكشوفا عند الرّقبة إلى شقّة الصّدر، لكن يبقى لباس المرأة الهلالية لا يصف ولا يشفُّ، وهو يتألف من ثوب طويل يدعى "البلوزة" (la blouse)-ولعلَّ الكلمة مأخوذة من اللّسان الفرنسي- ترتدي تحته

قميصا فضفاضا خفيفا يدعى "الجلطيطه"[1]، وترتدي تحته سروالا قصيرا. أمّا لباس الرّأس فكان عبارة عن منديل واحد لدى الفتيات، تضعه فوق منتصف الجبين بحيث يغطّي الرّأس والشّعر وتعقده خلف أذنيها، أما كبيرات السّن فيغطين رؤوسهن بمنديل، وتزيد عليه منديلا آخر يعصّبنه على الجبهة، بعد أن تكون قد طوته عدّة طيات حتى صار كالعصّابة، وتزيد عليه منديلا آخر أكبر وتلفّه حول رقبتها، وتعقد طرفيه خلف رأسه فيبرز وجهها فقط، وهناك من العجائز من تزيد على ذلك ما يسمّى بـــ "المقرون"[2] وهو أكبر من المنديل يشمل الرّأس ويتدلّى على الكتفين، ويكون مصنوعا من القماش أو الصّوف، حسب حالة الطّقس وما يناسبه من ألبسة. ونجدها تشدُّ خصرها بحزام عريض ملون ومزركش مصنوعٍ محليًّا من خيوط الصّوف، وغالبا ما كُنَّ النّساء يتنافسن في التفنّن فيه. وفي الشّتاء تزيد على لبسها سترة قصيرة ضيّقة مصنوعة من الصّوف. وعند خروج المرأة من البيت تتدّثر بملاءة

---

[1] هو قميص داخلي ليس له أكمام. لم أتمكن من الوقوف على أصل هذه اللفظة، وربما أنها مستوحاة من كلمة (الجلُوْطُ) من النساء: البَعيدةُ من الحَياء أو القليلة الحياء، لأنَّ هذا القميص تستحي المرأة من لبسه مفردا دون ثوب آخر يستره. ينظر فيروزآبادي: القاموس المحيط، دار الجيل بيروت، مادة (جلط).

[2] الكلمة عربية فصيحة مشتقة من الاقتران، فالمرأة تشدُّ هذا المنديل باقتران طرفيه. ينظر ابن منظور مادة (قرن).

بيضاء تدعى "ملحفة"[1]، وهي عبارة عن قطعة قماش كبيرة تلفُّها المرأة على جسدها، بطريقة ذكية ومثيرة، بحيث لا يظهر من المرأة إلا قدماها وعين واحدة تميّز بها الطّريق. وهناك من تلفُّ الملحفة تاركةً وجهها الذي سوف تغطّيه بخرقة تسمّى "العجار"[2]، المطرّز بشكل رائع والذي سيغطّي معظم الوجه، تاركة العينين فقط. وقد كان لهذا الثّوب احترام وقدسية كبيران في أوساط المجتمع الجزائري، إلى غاية الثّمانينيات مع التغيّر السّياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي عرفته البلاد، بحيث عوَّضه الحجاب أو الجلابية، إلا أنّ بعضهن -ولحدِّ الآن- لم تتخلَّ عن هذا الثّوب، خاصَّة العجائز منهنّ، واللّاتي يعتبرنه حرمة لا يمكن المساس بها. وأشهر أنواع الملحفة "ملحفة المرَمَّة" وهو مصنوع بالحرير ومزيّن بخيوط لونها ذهبي أو فضي، وقد كان محصورا على العائلات الميسورة... وفي أغلب المناطق تكون الملحفة بيضاء اللون.

3.3.1 زينة المرأة الهلالية: تستعمل المرأة العربية أنواعا بسيطة من الزّينة والحليّ التي عُرفت المرأة باستعمالها منذ أقدم العصور، بل أصبحت من مهمّات الزّينة عندها، و لم يسمع التّاريخ أنَّ امرأة لم تأخذ قسطا منها خاصّة في المناسبات والأفراح. والمرأة الهلالية أيضا أخذت نصيبها فتزيّنت بالذّهب وبالفضّة، حتّى إنّنا وجدناها تلجأ أحيانا إلى استعارتها في بعض المناسبات، فهي تضع الأقراط والخلاخيل والأطواق والأسورة والخواتم. وبالإضافة إلى "الكحل" الذي لا يبرح عيونها، نجدها تستعمل "الجوز" وهو عبارة عن سواك يستخرج من لحاء جذور شجر الجوز، تضعه المرأة في فمها، وتمضغه لمدّة معيّنة ثم تطرحه، فهو يزيل رائحة الفم، ويجعل الأسنان بيضاء، ويترك شفتيها قرمزيتين. كما نجد ظاهرة "الوشم" التي كانت تعتبر واحدة من أساليب الجمال والأنوثة، التي تسعى المرأة العربية عموما في إبدائها، ومنها المرأة الهلالية، وتقول النّساء إنّه يشكّل بديلا للحلّي كالعقود والأساور والخلخال، فهو يتخذ أشكالا مختلفة، وكثير منها ما يكون على أشكال هندسية فائقة التّصوير، وأشكال الزّهور والأشجار والرّياحين، ومنها أيضا ما يأخذ أشكال البروج والكواكب والهلال والقوس. وبعضهن يتّخذنه كعلاج لبعض الأمراض

---

[1] الملحفة عند العرب: هي المُلاءة، اللِّباس الذي فوق سائر اللباس من دِثار البرد ونحوه، وكل شيء تغطَّيت به فقد التَحَفْت به. ينظر ابن منظور: مادة (لحف).

[2] العجار: ثوب تَلُفُّه المرأَة على استدارة رأْسها ثم تَجَلْبِبُ فوقه بجِلبابِها، والجمع المَعاجرُ؛ ومنه أُخذ الاعْتِجارُ، وهو لَيُّ الثوب على الرأْس من غير إِدارة تحت الحَنَك. ينظر ابن منظور: مادة (عجر).

النّفسية والعصبيّة كالصّرع والصّداع النّفسي[1]، كما يستعمل لإخفاء العيوب والتّشويهات التي تظهر في الجسد والوجه، وبشكل خاصّ العيوب الطّبيعية أو التي حدثت نتيجة حادث؛ إذ تَعْمِدُ الواشمة المحترفة في عمل أشكال متناسقة، على ظهر الجلد المشوّه لإخفاء العيوب. كما نجده يستعمل للوقاية من الحسد والعين بوضع نقاط أو رموز على الوجه. ومثل هذا الوشم لم تعد له باقية في أوساط النّساء، ولكنَّه عاد لينتشر كظاهرة في أوساط الشّباب والشّابات، بشكل متطوّر وبصورة تتلاءم مع الموضة والأزياء العصرية.

ومن مواد التّجميل التي لا زالت تستعملها النّساء الهلاليات "الحنّاء"، فهي من أساليب الجمال والأنوثة، حيث ما زالت الفتيات والنّساء يخضبن شعورهن، ويطبعن كفوف أياديهن وأسفل أقدامهن بالحنّاء، وطوّروا استعمالها ليشمل مناطق أخرى في الجسم تشبه رسوم الوشم.

4.1 المسكن الهلالي:

رغم ميول النّاس إلى البناءات العصرية التي تنجز بالآجُرِّ والإسمنت وأنواع الرّخام والقرميد، إلّا أنَّ البعض لا يزالون يحبّذون البناء بالحجر المحلّي والطّين؛ لما يمتاز به من دفء في الشّتاء وبرودة في الصّيف وخلوّه من الرّطوبة، وكلما توغّلنا في الصّحراء وجدنا مثل هذه المباني، زيادة على ذلك فهي غير مكلِّفة. كما نجد مَنْ لا يزالون يفضّلون السّكن في الخيام على القصور، لا سيما البدوّ الرّحل المتقلّبين بين السّهوب والصّحاري، متتبّعين أماكن العشب والمياه. وما من شكٍّ في أنَّ الصّحراء شكّلت دوما تحديّا صارخا للإنسان، بما تتضمّنه تفاصيل الحياة اليومية من تحديات جمَّة، بما فيها الطّقس الذي لا يكاد يستقرّ عل حال. بيد أنَّ تلك التّحدّيات لم تكن لتقضي على الهلالي الذي استطاع قهر الصّحراء، وجعلها طوع أمره في حلِّه وترحاله. ولعلّ أبرز العناصر التي ساهمت في تذليل الصّعاب أمام الإنسان البدويّ شيئان اثنان: الجمل والخيمة؛ فالجمل ظَلَّ يطوي المسافات غير آبه بالعطش والجوع، ولا بتعاقب اللّيل

[1] كان قدماء العرب في شبه الجزيرة العربية والشام يضعون وشما على وجه المريض، وجانبي رأسه حين يشعر الإنسان بالصداع، كذلك على الظهر واليدين والقدمين حين يعاني المريض من آلام في العمود الفقري أو في مفاصل الأطراف، حتى إن هذه الظاهرة ما زالت متبعة حتى يومنا هذا في أرياف والبوادي، حيث يقوم أحد العارفين بشؤون (الطب الشعبي) بوضع الوشم على أماكن الألم في جسد المريض، وتسمى (الشريط) باللهجة المحلية. ينظر بركات محمد مراد: فن الوشم... رؤية أنثروبولوجية نفسية. http://www.palvoice.com/forums/showthread.php?p=629226

والنّهار. أمّا الخيمة فأضحت رديف الاستقرار، الذي يسعى إليه أهل البادية منذ الأزمنة الغابرة... وملاذه الآمن الذي يوفّر له لحظة الاستقرار والسّكينة، أينما حلَّ ومتى شاء، فهي المسكن الوحيد الذي يَسْهُلُ حمله ونقله.

1.4.1 الخيمة الهلالية:

بالرّغم من بساطة شكلها، إلا أنَّ نسجها ليس سهلا، فهو يتطلّب جهدا كبيرا، ويستغرق زمنا طويلا، ناهيك عن الموادّ والمعدّات، بيد أنّ السّمة الأبرز للخيمة هي شكلها الانسيابي ومرونتها في الحِلِّ والتّرحال؛ فنصبها قد لا يستغرق ساعة واحدة، أشكالها متعدّدة ومتنوّعة، لكن أبرزها تلك المصمَّمة على شكل هرم، وهذا التّصميم ليس اعتباطيا، فهو يقي الخيمة من الاستسلام أمام الزّوابع الرّملية، والأمطار الرّعدية. وهي تصنع من الصّوف أو شعر الماعز أو الوبر توفيرا للحرارة والتّدفئة، وتفاديا لمياه الأمطار وكذا للوقاية من لفحات الشّمس والحرارة، والخيمة عبارة عن قطع قماش تخاط مع بعضها، كل قطعة تسمى "لْفْلِيجْ" الذي يعتبر الوحدة الأساسية في صناعة الخيمة، وأطوال الفليج تتفاوت، أمَّا عرضه فلا يتعدى المتر الواحد، تقوم المرأة بنسجها عبر مراحل دقيقة يمرُّ بها الشّعر أو الصّوف منذ زجِّه، إلى أن يصبح خيمة تأوي الأسرة وتحمي ممتلكاتها. -وسنتحدَّث عن مراحل تجهيز لفليج ضمن حديثنا عن الحرف والصّناعات التّقليدية-.

2.4.1 أركان الخيمة الهلالية

تقوم الخيمة على ركيزتين تتعانقان في غطاء مقوّس صنع من الخشب يسمى "الْحَمَّارْ"، وتقوم مقامه أحيانا قطعة من قماش تَلُفُّ "رأس الركّيزة"، لئلّا تخرجا من وسط الخيمة التي تحملانه إلى أعلى، وتشدُّ إلى الأرض بأوتاد عبر حبال ثمانية تسمّى "لْخْوَالَفْ" بواسطة حلقات مثلّثة مفتوحة تسمّى "لخراب". وهناك من تقوم على ركيزة واحدة - الرّكيزة الأساسية- وهي العمود الأطول الذي يتوسَّط الخيمة بحيث ترفعه على شكل هرمي، وعلى رأسها "القُنْطَاسْ" وهو قطعة مسطَّحة ودائرية، وظيفته الحفاظ على الخيمة من التمزّق.

وترتفع الخيمة عن الأرض بأعمدة خشبية وهي:

- البِيبَانْ: وهما العمودان الوسطيان الأمامي والخلفي.
- الْمْلَاطَمْ: وهي الأعمدة المتمركزة عند مدخل الخيمة.
- السْوَابَع: وهي الأعمدة "الركائز" الجانبية.
- الْكْوَاسَر: وهي الأعمدة المتمركزة في خلف الخيمة.
- وللخيمة ملحقات نذكرها على التوالي:
- الطْرَيْقَة: وهي قطعة النّسيج الموجودة عند مدخل الواجهة تخاط على طول الخيمة.
- الْحَايِلْ: (الحائل) قطعة من النّسيج الخفيف بمثابة "السّتار" الذي يفصل جهة النّساء عن جهة الرجال.

2.4.1 زوايا الميل الخاصّة بالخيمة: في فصل الصّيف تزيد زاوية الميل، فتسمح بدخول تيارات هوائية لتعطي انتعاشا وبرودة في الدّاخل، وتفتح جهتا الخيمة. أمّا في الشّتاء فتنصب الخيمة في سفح الجبل للوقاية من الرّياح الشّديدة، وتحاط بسواقي تسمّى "الْوْنِي" تبعد مياه الأمطار إلى الأسفل.

والخيمة المفضّلة هي المنسوجة من "شعر الماعز"، وإن تعذّر شعر الماعز فمن "صوف الغنم" أو "وبر الإبل"، والسّبب أنّ صوف الغنم أو وبر الإبل يتشرّب ماء المطر، فيزداد وزنه ويصعب بنيانه إذا انهدم. أمّا بيت الشّعر به خاصيّة، أنّه عند هطول الأمطار، وتبلّله فإنّ جميع مساماته الموجودة لا تسمح بدخول الماء الى الدّاخل، كما يسمح بخروج الدّخان المنبعث أثناء الطّبخ. والبدو تستخدمه بسبب كثرة ترحالهم لسهولة حمله، فبإمكانهم حمل بيت من الشّعر بالكامل على جمل واحد، وهدمه خلال أقلّ من ساعتين، وكذلك يتمّ بناؤه بأقلّ من هذه المدّة، وفي فترة الشّتاء والبرد يغلق من جميع الجوانب وهو دافئ جدّا.

3.4.1 **فراش ومستلزمات الخيمة:** تفرش الخيمة بالدّاخل بأفرشة صوفية تسمّى الفراش العمراني، يتزاوج فيها اللّونان الأحمر والأسود، وسبب ذلك واضح؛ إذ إنّ اللّون الأبيض لا يحتمل الأوساخ، فهو يحول سريعا، بعكس اللّونيين الآخرين فهما أنسب إلى الاستعمال، ولا يحولان أو يتّسخان. وتأوي الخيمة كلّ مستلزمات الحياة من أواني وأغطية وفُرُش وموادّ غذائية، ترتَّب بشكل يسمح باستقبال الضّيوف، وإطعام الوافدين، وإيواء النّازلين دون ضجر أو إزعاج، في جوّ يطبعه الانسجام والبساطة التي تعكس المروءة والكرم. وقد تبرز المكانة الاجتماعية أو الاقتصادية للشّخص، من خلال حجم خيمته ووضعها، بالنّسبة لمجموعة الخيام التي يجاور بعضها البعض. وسبب الجوار غالبا ما يكون بسبب القرابة أو انتجاع مراعٍ، أو لقرب المياه أو لسبب من الأسباب، وبذلك لا تكون الخيمة وحدة للاستقرار المادي فحسب، وإنما تجسّد إطارا قويّا للعلاقات الاجتماعية والعائلية، فإن قيل: خيمة أهل فلان، تعني أسرتهم

الصّغيرة أو الكبيرة، وإذا قيل: "فلان تخيَّم أو اسْتَخْيَم" بمعنى: تزوَّج مثلما يقول أهل المدينة: "فلان اسْتَبْيَتَ."

توُكَلُ حراسة الخيمة إلى "الكلب" الصّديق الوفيّ -كما يقولون- فلا يزال الهلاليون الرّحل وأصحاب الدّور يقتنون الكلاب، ويعهدون إليها بحراسة أزواجهم وأولادهم وممتلكاتهم أثناء غيابهم، وهي الرّفيق الدّائم في رحلات صيدهم.

5.1 الزّواج في المجتمع الهلالي

كان لهذه الرّابطة الأسرية بالمجتمعات الهلالية، طقوس وقواعد مألوفة صاحبتهم طيلة حياتهم البدويّة، وظلّ الأمر على ما هو عليه، حيث كانت مدّة احتفال الزّواج تستغرق سبعة أيّام كاملة، ثم ما لبثت أن تغيَّرت بتغيّرات ظروف السّكن والمعيشة والمدنية، التي خلعت ثوب البداوة عن أصحابها إلى ثلاثة أيّام، وتحوَّلت أخيرا إلى حفل ساهر قد يستغرق ليلة واحدة بطقوس مختلفة ومحدَّدة، فأصبحت طقوسه ومراسيمه تختلف داخل القبيلة الواحة، بل حتّى داخل العائلة الواحدة والأسرة الواحدة، لأنّ الفوارق الاجتماعية باتت تزداد يوما بعد يوم.

1.5.1 طبيعة الزّواج: بالرّغم من التّباين الملحوظ، لا زالت هناك بعض العائلات ثابتة على تقاليدها وأعرافها؛ فكثيرة هي العائلات التي لا زالت تحبِّذ الزّواج المبكِّر والزّواج الدّاخلي (اللّحمي) الذي يتمّ داخل شبكة علاقات القرابة (العائلة والعشيرة والقبيلة). فالثّابت في عاداتهم وأعرافهم، هو أفضلية القرابة كمعيار أساسيّ يقوم عليه الزّواج، والتّركيز بصفة أخصّ على القرابة القصوى، أي الزّواج من أبناء العمومة. وإنّ المتأمّل في خطاب الأمثال المتداولة بين الأهالي يجدها تحثُّ على ذلك، فهم يقولون: "خُوذْ الطْرِيقْ الصْحِيحَة وْلَوْ كَانْ دَارَتْ، وْخُوذْ بَنْتْ عَمَّكْ وْلَوْ كَانْ بَارَتْ"[1]، "زِيتْنَا فِي دْقِيقْنَا وْبْنَيَّتْنَا لْوْلِيدَتْنَا"[2]، "وْلِيدْ عَمِّي بْحْلَاسْتُو، خِيرْ مَنْ الْغْرِيب بْلْبَاسُو"[1]، "الْخَارْجَة مَنْ فْرِيقْهَا، يْنْشَفْ رِيقْهَا"[2]،

في الفصحى نقول:

([1]) اتّبع الطّريق الصّحيح ولو كان بها منعطف، وتزوّج ابنة عمّك ولو عنست.

([2]) خبزنا لا يصنع إلا من الدّقيق والزّيت الموجود عندنا، وبناتنا لا يتزوجهنّ إلا أولادنا.

"العَرْسْ يْبْغِي ادْوِيرَة وْالْخَيْلْ تْبْغِي لْمْجَالِي، وْاللِّي خْرَجْ مَنْ الْقْبِيلَة يْرْخَصْ وْلَوْ كَانْ غَالِي"[3]، فالأمثلة في هذا الباب كثيرة جدًّا لا يسع المقام لإحصائها، وهي تحمل جملة من القواعد يجب اتباعها، والخِطاب -بطبيعة الحال- موجَّه للجنسين معا (الذّكر والأنثى) وهي تركّز على عنصر القرابة كشرّط أساسي لبناء العشّ الزوجيّ، وكضمان ديمومة هذا المشروع الاجتماعي. أمّا تفضيلهم للزّواج الدّاخلي فقد كان في عهد مضى لدواعٍ معنوية أكثر منها مادّية -على ما يبدو- فهو يقوِّي روابط القرابة داخل العشيرة ويحافظ على مالها وأملاكها، بمعنى يحافظ على وحدة الدّم والأرض. كما أنّه يحافظ أيضا على سلطة القبيلة، حيث نعاين تغليب منطق "العصبية" في الزّواج، حتّى ولو كان على حساب التّغاضي عن بعض الشّروط والمواصفات الأخرى المطلوبة اجتماعيا، كالسّن والبكارة والجمال الحسِّي الذي يعتبر عنصر انجذاب الفتى إلى الفتاة، فإن مقاييسهم تنصح بعدم التّخلي عن القريبة غير الجميلة لصالح فتاة جميلة ولكنّها غريبة، لأنّ الغريبة -في نظرهم- يظلُّ ولاؤها لأهلها (دمها)، وحينما تدخل إلى عشيرة تصبح سلاحا في يد ذويها. أمَّا القريبة فهي تتحمَّل وتصبر وتتصبّر، كما لا تجد آذانا صاغية من طرف أهلها، لأنّهم عادة ما يحمِّلونها الخطأ.

كما أنَّ زواج الذّكور خارج سور العشيرة سيعرِّض فتياتها للعنوسة، وبالتّالي إجبارهن على زواج غير لائق ينتج عنه تعريض روابط القرابة للضّعف والاندثار، في ظلّ وجود مؤسسة القبيلة كأسرة كبيرة والأسرة كقبيلة صغيرة، على غرار زواج الأقارب الذي من شأنه أنه يقوِّي العشيرة ويوحِّدها، وبالتّالي يضمن النّجاح في الصّراع مع الآخرين.

([1]) ابني عمّي بحلسه أفضل من الغريب بلباسه. والحِلْسِ: هُوَ كِسَاءٌ رَقِيقٌ يَكُونُ لِلْبَعِيرِ تَحْتَ الْبَرْذَعَةِ. ابن منظور: اللسان، مادّة (حلس).

([2]) التي تتزوّج من غيرعشيرتها، سيجفّ ريقها. نَشِفَ الماءُ: يَبس، ينشف: يبس. م س: مادة (نشف).

([3]) العرس يحتاج إلى بيت، والخيل تحتاج إلى فرسان تجول عليها، ومن توارى عن قومه، سقطت قيمته ومهابته ولو كان ذا غنى ومال.

(دويره): تصغير لكلمة دار. (لْمْجَالِي): أي الفرسان، وأصل الكلمة من: جَالَ واجْتَالَ إذا ذَهَبَ وَجَاءَ؛ وَمِنْهُ الجَوَلان فِي الْحَرْبِ. وجَوَّلْتُ البلادَ تَجْوِيلًا أَي جُلْت فِيهَا كَثِيرًا. وجَوَّلَ فِي الْبِلَادِ أَي طَوَّف. ابن منظور: م س مادة (جول).

والأمر نفسه بالنّسبة للمرأة، فالأمثال تحثُّها على التشبُّث بالقريب ولو كان معدوما أو عديم المسؤولية، وعدم التّفريط فيه لصالح الغريب، "وْلِيدْ عَمِّي بْحْلَاسْتُو خِيرْ مْنْ الْبْرَّانِي بْلْبَاسُو" "احْمَارْنَا وْلَا خَيْلْ الْغِيرْ."[1]... فزواجها من ابن عمِّها أو ابن خالها أولى بها من الغريب.

أمّا اليوم، فهناك من يرى أنَّ زواج الأقارب أصبح أمرا محتوما وملحًّا، بل لا بدَّ - في رأيهم- من إلزام ابن العمّ أو ابن الخال بالزّواج من الأقارب بسبب المعاناة الكثيرة من قلَّة الزّواج، فالشّاب -خاصّة المتعلّم- أصبح عازفا، لأنّه لم يعد قادرًا على تلبية رغبات الفتاة الغريبة التي تريد المال والحبّ والجاه، والتي تناسبه من حيث التّحصيل العلمي والثّقافي -على رأيه-، وكذلك الفتاة أصبحت تعاني من العنوسة بسبب عدم إقدام الشّباب على الزواج بها، لأنّها فقيرة أو بسيطة، أو لأنّها لم تتح لها فرصة التّعليم والتّكوين التي أتيحت لأقرانها... إلخ.

2.5.1 مراسيم الزّواج: كانت عندهم جِدُّ بسيطة قبل أن تنتقل إليهم عدوى المدنية المزيّفة، فكانت تتمّ على النّحو التّالي:

- **الخِطْبَة:** أهمّ ميزة للخطوبة أنّها كانت تتمّ عن طريق أمّ الفتى التي تختار له الفتاة المرشّحة، وقد

لا يكون على معرفة مسبقة بها قبل الإقدام على طلب يدها، ثم تبدأ الاتّصالات بين الأسرتين بهذا الخصوص، ويتأكّد الأمر برغبتهما في المصاهرة. ونشير في هذه النّقطة إلى شيئين لهما دلالة هامّة:

الأولى: مدى طاعة الابن لوالديه وقبوله لما أُختير له، ولو تعلّق الأمر بشريكة العمر.

الثّانية: نلاحظ ما يطبع الابن من حياء، حيث لا يمكنه أن يجاهر أباه برغبته في الزّواج، إلّا عن طريق وسيط، وهو الأمّ بالدّرجة الأولى، وغالبا ما يكون الاقتراح والقبول مبني على اعتبارات قبلية، نظرا لدور الزّواج في التّلاحم الأسري والقبلي.

- **دفع المهر (الدّْفُوعْ):** يتوجَّه وليّ الزّوج إلى وليّ المرأة مع نفر من الوجهاء من عائلته وكذا من

(1) أن أركب حمارنا، أفضل لي من حصان هو لغيرنا.

أهل القرية، أو أهل الخيام المجاورة، وبمرافقة بعض النّساء إلى بيت العروس، محضرا معه مبلغا من المال يسمُّونه "الدّفوع"، وفي بعض الجهات الأخرى يسمّونه "الْمْلَاك" أو "الشَّرْط" ويتمّ التّرحاب بالضّيوف بالشّكل التّقليدي من قِبَل الذين يكونون بانتظار أهل العروس، مع حشد من أقاربه، ويجلس الرّجال في جهة منفصلة عن النّساء. وبعد القهوة والشّاي يبدأ شيخ الحيّ أو القرية بالحديث، فيبدأ بالبسملة والصّلاة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم يسترسل في الكلام عن الزّواج ومزاياه وشروطه، بعد ذلك يقدِّم والدُ العريس المهر إلى والدِ العروس طالبا منه أن يعدَّه، والمهر عموما لم يكن يُتَّفق عليه من قبل الأسرتين لأنّه بنظرهم شيء رمزي، لا ثمنا يدفع مقابل شراء بضاعة، وكل حسب استطاعته. وكانوا عندما يتقدّم والد العروس لعدِّ المبلغ، يتدخّل بعض الحضور بالمزاح، لجعل والد العروس يكتفي بأخذ جزء منه فقط ويترك الباقي للعريس. فقد كانوا يؤمنون أنّه كلّما قلَّ المهر، كان الزّواج مباركا وتيسَّرت أموره، كما يتّفقون على كلِّ مستلزمات العروس والولائم وكل ما يتعلّق بالعرس، ثم يقرأ الشّيخ الفاتحة ويدعو بالصّلاح والتّوفيق للعروسين وأهليهما. حينها تبدأ النّساء بالزّغاريد والغناء ويقمن بتخضيب كفي العروس بالحناء، ثم يحدّدون موعد الزّفاف وينصرف الجميع.

- **الزّفاف**: تبدأ عائلة العروسين بالتّحضير ليوم الزفاف كلٌّ من جهته، وكلٌّ حَسَبَ مقدرته،

وعندما يحين موعد الزّفاف تتهيّأ له كلتا الأسرتين بستّة أيام من قبل، حيث تقام ليالي السّهر والسّمر بالزّغاريد وبأنواع الرّقص والغناء. ويسبق يوم الزّفاف يوم الحنّاء حيث يتوجّه أهل العريس مع بعض المدعوين إلى بيت العروس، حاملين معهم جهاز العروس المكوّن من ثياب، حذاء، حُليّ، صابون معطر، وعطر وكذلك الحنّاء التي سيقومون بتخضيب كفي العروس وأسفل قدميها بها، مع متطلّبات حفل الزّفاف الذي يحتوي عادة الكبش والخضر والدّقيق والسّمن، وسط الأغاني والزّغاريد والأهازيج الشّعبية، وتنطلق رقصات الفرح وسط مشاهد الكرم والضّيافة. وبعض الظّهر يعود أهل العريس إلى ديارهم ليقيموا ليلة حفل زواج ابنهم، الذي سيشهده كل شباب الحيّ أو القرية من أبناء عمومته وجيرانه وأصدقائه. وفي الغد يتوجَّه أهل العريس مع بعض المدعوين إلى بيت العروس، ليأتوا بها وهو يوم "الرْفُودْ"[1] كما يسمّونه، وإذا كانت العروس تقطن بعيدا يجهّزون لذلك الدّواب والمطايا لركوب النّساء

[1] الرّفود: يقصدون بها حمل العروس إلى بيتها، والكلمة عربية فصحى وردت في المعاجم العربية، جاء في اللّسان: التَّرفيدُ: التَّسويدُ. يقال: رُفِّدَ فلان أَي سُوِّدَ وعظم. ورَفَّد القومُ القومُ فلانًا: سَوَّدوه ومَلَّكوه أَمرهم. والرِّفادة: دِعامة السِّرج والرّحل وغيرهما. رَفَدتُ على البعير أَرْفِدُ رِفْدًا: إِذا جعلت له رِفادة؛ قال الأَزهري: هي مثل رفادة السّرج. ينظر ابن منظور مادة (رفد).

والرّجال، أمّا العروس فستُحمل على الهودج. وهي ترتدي أجمل الثّياب مزيّنة بأنواع الزّينة والحليّ مدّثرة أو بالأحرى ملفوفة بالملحفة، ويتمُّ إعدادها لركوب الهودج في مشهد رائع، ثم تُصحَب بالزفّة إلى بيت العريس، تتوسَّط الموكب مع الزّغاريد وطلقات البارود من حين لآخر، إلى أن يصل الموكب ديار العريس، تتقدّم أمّ العريس لتضع بيضة قدّام عتبة الباب أو المدخل حتّى تدوس عليها العروس فتفقسها، وهذا يرمز –حسب معتقداتهم– على الفأل الحسن بأنَّ كل ما من شأنه أن ينغِّص عليها حياتها، سيبقى خارج عشّها الزّوجي، ثم ينثرون فوق رأسها التّمر والسّكر وحبّات الحلوى، تفاؤلا بحياتها التي ستكون حلوة مع زوجها وأهله، في حين يتراكض الحضور لالتقاطها. ثمَّ تجلس العروس في مخدعها في صدر البيت متوارية عن أعين النّاس بستار يدعونه "الحجاب"، تنتظر قدوم زوجها الذي يقضي نهاره مع أصدقائه وأحبابه في بيت من بيوت أحد الأصدقاء أو الأقارب، يجهّز نفسه حتّى إذا حان وقت التأهّب للعروس توجَّه إلى داره محاطا بأقاربه وأصدقائه، وعندما يصل تفسح له النّساء الطّريق فيأوي إلى مخدعه مع عروسه. وكانوا يقدّمون طعام العشاء للمدعوّين قبل دخول العريس، فإذا فرغوا استعدّوا لاستقباله أمام الباب، بالأهازيج والزّغاريد والضّرب على الدّف مع إطلاق العيارات النّارية. وكان طعام وليمة العرس يقتصر على تقديم الكسكس فقط، ويكون بمرق الخروف أو الضّأن مع الخضار. أما عند العائلات الميسورة غالبا ما يكون خوان الشّواء حاضرا ومقترنا بحساء الخضر والشّعير، كما أنَّ مدة الوليمة كانت تطول إلى أسبوع، يقوم فيها أهل العريس بإطعام الجيران والضّيوف كلٍّ على حدة، حيث يجد المدعوون فرصتهم للالتقاء بالأحباب والأهل والأصدقاء.

ولا يكتمل العرس الهلالي إلا بما يعرف ب"الحزام" أو "يوم القصعة"، الذي يقام صباح يوم الجمعة، وفيه ترتدي العروس أجمل الثّياب، وتجلس وسط جموع النّسوة، ثم يتقدّم أحد من أقارب الزّوج – غالبا ما يكون أحد اخوته– فيقوم بتحزيم العروس بحزام قد يكون من الفضّة أو من الصّوف، ولا ينصرف حتّى تعطى له هديّة نقديّة، ثم توزِّع العروس على الحضور الحلوى والتّمر والمكسّرات، بعد أن تكون والدتها قد أحضرت لبيت العريس قصعة كبيرة من "المرْدُودْ"[1] بمرق اللّحم والخضر. ولعلَّ

(1) "المردود": يشبه "الكسكس" في تحضيره لكنَّ حباته أكبر. هناك من يسمّيه: "البركوكس" فأصل الطّعام والتسمية أمازيغي. أمّا كلمة مردود، فهي عربية فصيحة لأنّ حبّاته كبيرة مثل حبّات القمح، بمعنى: أنّ دقيق القمح ردّ إلى أصله الذي كان عليه قبل الطحن، فهو مردود على وزن إسم المفعول.

"الحزام" الذي يعدُّ آخر يوم من العرس، هو دلالة على تأهّبُ العروس لتحمُّل صعاب الحياة الزّوجية، وهو بمثابة الحدّ الفاصل بين الحياة العزوبية وحياتها الزّوجية.

ولا بدّ من الحديث هنا عن عادة اجتماعية لها جذورها في المنطقة، وفي البلاد بكاملها تقريبا، وهي حثُّ الأقارب والأصدقاء على تقديم التبرّعات والهدايا لأصحاب العرس وللمتزوّجين الجدد، سواء أكانوا فقراء أم أغنياء؛ فقد يأتيهم البعض بكباش سمينة، ويزوّدهم آخرون بصناديق الخضر والفواكه، وآخرون بالسّكر والشّاي والقهوة وما إلى ذلك...؛ وهذا للتّخفيف عنهم بعض الشّيء من نفقات العرس المكلّفة. وكثيرا ما تقدّم الهبات المالية أثناء سهرة الفرح عن طريق "البَرّاح"، الذي يقوم بدور المنشّط المتمكّن الذي يعمل على إثارة الحضور من المدعوّين والضّيوف، وتحفيزهم على تقديم المزيد من الهبات النّقدية، ووضع يدهم كلّ مرة في محافظهم وجيوبهم، وبصوت عال يقوم "البرّاح" بـــ"التّبراح"[1]، أمام أعين الجميع بإظهار الأوراق النّقدية المهداة، فيعدِّدها ورقة ورقة، ثم يذكر اسم صاحبها الذي قدَّمها، مُثْنِيًا عليه بعبارات المدح والشّكر تدغدغ مشاعره وتحثُّه على المزيد، وأوّل من سيجود بنقوده أو ما يسمّى عند أهل المنطقة "الفأل" هم أهل العريس.

2. أطعمة وأشربة وحرف بني هلال

معيشة بني هلال كانت ولازالت في بعض المناطق بسيطة جدا في وسائلها، يعتمدون بالدّرجة الأولى على رعي المواشي التي يستفيدون منها في تنقلاتهم، وفي عيشهم على أكل لحومها وألبانها، كما يستفيدون من وبرها وصوفها في بناء بيوتهم وأغطيتهم وملابسهم، وهناك ممن استقرّوا بالمناطق السّهلية، فتجدهم عاكفين على خدمة أراضيهم مستفيدين من خيراتها في توفير قوتهم وقوت عيالهم. إنّ البساطة عنوان الحياة اليومية لقبائل بني هلال، في لبسهم وفي مركبهم وفي علاقاتهم وحتّى في أكلهم وشربهم، أطعمتهم بسيطة ولكنّها صحيّة جدّا وعظيمة الفائدة، يحضّرونها بوسائل بسيطة لا إسراف فيها ولا عناء،

---

[1] التبراح كلمة فصيحة أصلها البَراحُ : تعني: الظُّهُورُ وَالْبَيَانُ . الأَزهري :بَرِحَ الخَفاء مَعْنَاهُ زَالَ الخَفاءُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ ظَهَرَ مَا كَانَ خَافِيًا وَانْكَشَفَ، مأْخوذ مِنْ بَراحِ الأَرض، وَهُوَ الْبَارِزُ الظَّاهِرُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ ظَهَرَ مَا كُنْتُ أُخْفِي. وَجَاءَ بِالْكُفْرِ بَراحاً أَي = =بَيِّناً. وَفِي الْحَدِيثِ: (جَاءَ بِالْكُفْرِ بَراحاً) أَي جِهاراً، مِنْ بَرِحَ الخَفاءُ إِذا ظَهَرَ، وَيُرْوَى بِالْوَاوِ. وجاءَنا بالأَمر بَراحاً أَي بَيِّناً. ابن منظور: مادة (برح). والمعنى نفسه في لغة قبائل بني هلال، فهو: الترويج للأخبار والخطابات والجهر بها بين عامة النّاس. والذي يقوم بهذه الوظيفة يطلق عليه "البراح". التي من وظائفه: الإعلان عن الوفيات، وتنظيم الولائم والتّجمعات، الترويج للبضائع وأماكن تواجدها... إلخ. و"البراح" باستمرار يستعين به رئيس الحيّ أو القبيلة، ولازال حاضرا في القرى والمداشر.

وعلى قدر بساطتها إلا أنّهم تفنّنوا في تحضيرها وتقديمها وتصنيفها كذلك؛ فما من صنف من الطّعام إلّا وله مناسبة خاصّة يُقدَّم فيها، سنأتي على ذكرها:

1.2 الأشربة:

– **الحليب**: وهو لبن الشّاة أو الابل الخالص الذي لم يتغيَّر طعمه.

– **الرَّائِبْ (الرَّيَب)**: وهو اللّبن المُخثَّر الذي يُمْخَضُ فيُخْرَجُ زُبْدُه.

– **اللّبَنْ**: وهو اللّبن الرّائب المنزوع زبدته.

– **الشّنِينْ**: وهو اللّبن المذكور أعلاه، الممزوج بقليل من الماء والكلمة عربية الأصل.[1]

– **الشّاي (لَتَايْ)**: الكلمة انحراف عن كلمة (le thé) الفرنسية. فالشّاي يحتلُّ قيمة اجتماعية مهمّة في حياتهم، يستحيل عند البدوّ أن يعقد مجلس أو يحلو السّمر دون إعداد الشّاي، وحوله يتمّ تداول الأخبار وشؤون الحياة اليومية. ولتحضيره طقوس خاصّة في بعض المناطق، يسمّونها بـــ"جِيمَات لَتَاي الثّلَاثَه" وهي: "**الجماعة**"؛ إذ من الأفضل أن يتمَّ تناول الشّاي مع الجماعة التي كلّما كثر عددها كان ذلك أفضل، و"**الجرّ**"؛ كناية عن استحسان إطالة المدّة الزّمنية لتحضيره، حتّى يتسنّى للجماعة فرصة تعاطي الحديث برويَّة وتأنٍّ. وآخر الجيمات "**الجمر**"؛ إذ من الأفضل إعداد الشّاي على الجمر. ولا يعتبر الشّاي عندهم مشروبا تقليديا فحسب، بل سمة من سمات الكرم والجود، وعلامة من علامات الحفاوة وحسن الاستقبال، حيث نجدهم يدعون ضيوفهم لتناول الشّاي أكثر من الأكل، بل يعتبر من الأولويات التي يجب أن تقدَّم للضّيف، لذا لا تخلو مؤونة البيت من الشّاي إطلاقا، ويحرصون كلّ الحرص على أن يكون من النّوعية ذات الجودة العالية، حتّى وإن كان غالي الثّمن. كما يستحسن أن تكون تحليته بسكّر "القالب" بهيئته الهرمية الشّامخة، لا بالسّكر المسحوق، ولا بدَّ وأن يرافق الشّاي أوراق النّعناع الأخضر أو اليابس، الذي سيعطي للشّاي نكهة طيّبة. وهم يرون أنَّ من فوائد الشّاي الصّحية المساعدة على عملية الهضم، لذا يحرصون على شربه بعد وجبات اللّحم الدّسمة.

2.2 – الأطعمة:

[1] الشّنين: اللبن يُصَبُّ عليه الماء، حَليبًا كان أَو حَقِينًا. ينظر ابن منظور: مادة (شنن).

من الأطعمة التي تصنَّف على أنّها أصناف خاصّة بالقبائل الهلالية البدويّة، نذكر:

– **الْكَعْبُوشْ**[1]: وهناك من يسمّيها "الزّْرِيزْرِي"[2] وهي كوريات تحضّر بمزج كلّ من دقيق الكليلة[3]ومعجون التّمر، والسّمن بشكل جيِّد، حتى نحصل على خليط متجانس ومتماسك يمكن تشكيله كوريات متوسّطة الحجم. والكعبوش خير زاد للمسافرين وللحجيج؛ ذلك لأنّه يمكن تخزينه مدّة طويلة دون أن يتغيَّر طعمه، كما يُقدَّم للضّيوف مع الشّاي.

– **الْمْعَكّْرَه**[4]: يتمُّ تحضيرها بخلط السميذ بعد تحميصه على نار هادئة حتى يصبح محمرّا، مع معجون التّمر وقليل من الملح، ويضاف للخليط الزّبدة المذابة شيئا فشيئا مع الدّلك المتواصل، حتّى يتحصّل على عجينة متماسكة، يمكن تشكيلها كوريات متوسّطة الحجم وتقدَّم مع الشّاي. أيضا "المعكّرة" يمكن أن تمكث مدّة طويلة دون أن تفسد أو تنتن، لذا يقتنيها المسافرون، كما تُقدّم للضّيوف مع الشّاي.

– **ارْفِيسْ**: يتمّ تحضيره بخلط السّميذ وقليل من الزّيت والملح والماء، إلى أن يتحصّل على عجينة متماسكة يقومون بطهيها، ثم بعد ذلك تدقّ دقًّا ناعما، حتى يمكن مزج الدّقيق مع معجون التّمر والزبدة، ويُقدّم هذا النّوع من الطّعام ساخنا مع اللّبن أو الشّاي للضّيوف وفي مناسبات الزّفاف، الختان، والأعياد.[5]

---

(1) والعَكْبَشةُ والكَرْبَشَةُ: أَخذُ الشَّيْءِ ورَبْطُه، يُقَالُ :كعْبَشه وكَرْبَشَه إِذا فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ. وَيُقَالُ: عَكْبَشه وعَكْشَبَه شَدَّه وَثاقاً. ابن منظور: م س، مادة (عكبش).

(2) لم أتمكّن من العثور على أصل هذه الكلمة.

(3) الكليلة: اللّبن المجفَّف.

(4) أصل الكلمة من اعْتَكَرَ اللَّيْلُ: إذا اشْتَدَّ سَوَادُهُ وَاخْتَلَطَ وَالْتَبَسَ. ابن منظور: مادة (عكر).

(5) الكلمة عربية فصيحة، ورد في لسان العرب: اللحمَ وغيره من الطّعام رفْسًا: دقّه، وقيل: كلّ دقٍّ رفْسٌ، وأَصله في الطّعام. ينظر ابن منظور: مادة (رفس).

– **الرّْوِينَة:** هي خليط من دقيق القمح والحمص المحمَّصين[1] مع التّمر أو السّكر والزّبدة. عادةً ما تقدّم في مناسبة الاحتفال بمولود جديد، وكذلك في مناسبة المولد النّبوي الشّريف. وتعدَّ المعكرة والكعبوش والرّفيس والرّوينة من الحلويات التّقليدية التي يشتهر بها البدوّ عموما.

– **الرُّبْ:** عصارة التّمر، ويحضَّر بوضع كمية من التّمر في كمية مناسبة من الماء، على نار خفيفة حتّى تتحلَّل التّمرات، ثم يصفَّى الخليط ويعصر، ويعاد مرّة ثانية على النَّار حتّى يختر، ثمّ يُحفظ الرُبُّ في وعاء من الجلد مخصّص له، يشبه القربة ولكنَّه أصغر منها، يسمّونه "العُكَّه" –سنأتي على ذكرها ضمن حديثنا عن الحرف اليدوية–، ويتناول في أيِّ وقت من الأوقات. كما يمكن خلط الرُبُّ مع السّمن، حتّى يصبح خليطا متجانسا رائحته طيّبة وطعمه أطيب، ويدعى "ادّْهَانْ المَرْبُوب أو المُرَبَّب" ويحفظ كذلك في هذا الوعاء المسمّى "العكّة."[2] ومصطلح "الرُبُّ" عربي فصيح، ذكرته كتب اللّغة ومعاجمها[3]، واليوم نجده يباع في بعض المحلّات الأوروبية بأثمان باهضة، ويسمّونه "عسل التّمر"، فوائده جمّة لا تحصى ولا تعدّ خاصّة لمرضى فقر الدّمّ.

– **الْكُسْكُسْ:** ويسّمونه "اطّْعَامْ" ولا شكَّ في أنّه طعام بربري الأصل، بدليل أنّ رواجه مقتصر على مناطق الشّمال الإفريقي، مثل تونس والجزائر والمغرب وليبيا فقط، والعرب لم يعرفوه من قبل، إلا عند قدومهم إلى الدّيار المغربية إثر الفتح الإسلامي والزّحف الهلالي، وإلا كان هذا النّوع من الطّعام شائعا على مستوى الوطن العربي، ولكنَّه غير معروف لا في الخليج ولا في المشرق العربيين، كما أنّ اسمه لم يَرِدْ في أيّ معجم عربي، وعليه يمكن القول إنّ بني هلال قد اقتبسوا هذه الأكلة الشّعبية، من خلال احتكاكهم بالقبائل البربرية على مدى قرون من الزّمن، ولكنّهم أبدعوا في صنعه وفي طهوه.

---

[1] حبٌّ مُحَمَّصٌ يريد به المَقْلُوَّ. ينظر ابن منظور: مادة (حمص).

[2] العكّة: العُكَّة أَصغر مِنَ القِرْبة لِلسَّمْنِ، وَهُوَ زُقَيْقٌ صَغِيرٌ، وَجَمْعُهَا عُكَكٌ وعِكَاكٌ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَن رَجُلًا كَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، العُكَّةَ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ؛ قَالَ ابْنُ الأَثير فِي النِّهَايَةِ: وَهِيَ وِعَاءٌ مِنْ جُلُودٍ مُسْتَدِيرٌ يَخْتَصُّ بِهِمَا وَهُوَ بِالسَّمْنِ أَخص؛. ابن الأثير: النهاية، ج 3 ص 284. المقريزي: امتاع الاسماع، ج1 ص184.

[3] ورد في اللسان "الرُبّ: ما يطبخ من التّمر وهو الدّبس أيضا... والرّب: الطلاء الخاثر وقيل: هو دبس كل ثمرة، أي عصارتها، وهو سلافة خثارتها بعد الاعتصار والطبخ، والجمع الربوب والرباب، ومنه: سقاءٌ مَرْبُوبٌ إِذا رَبَبْتَه أَي جعلت فيه الرُّبّ وأَصْلَحتَه به؛ وقال ابن دريد: رُبُّ السَّمْنِ والزَّيْتِ. ينظر ابن منظور: مادة (ربب).

يتمّ تحضير طبق الكسكس من دقيق السّميذ وخليط من الطّحين والملح والماء. ويبدأ التّحضير بوضع حفنات من دقيق السّميذ يتمّ رشُّها بالماء المالح، ثم يضاف الطّحين بينما يتمّ نفش الخليط باليد على آنية واسعة، ويتمّ فصل الحبات الدّقيقة عن بعضها خلال هذه العملية بواسطة غربال خاصّ، وعند الانتهاء من الكمية المطلوبة يتمّ تبخيره بواسطة آنية مخصّصة لذلك. أمّا عن تحضير المرق الذي سيسقى به، فكلٌّ وله طريقته الخاصّة، وذلك حسب القدرة الشّرائية للفرد، وإن كان مرقه يعتمد بالدّرجة الأولى على اللّحم وأنواع الخضر، وهو حاضر في كلّ وقت، في الأيّام العادية، وفي ولائم الأفراح والأحزان.

- **الْمَسْفُوفْ**: هو مثل "الكسكس" ولكنّه يحضَّر بلا مرق، يسقى بالسّمن والعسل ويقدَّم مع اللّبن في الأيام العادية، وغالبا ما يقدَّم للزّائر الذي يحلُّ فجأة.

- **الْمَرْدُودْ**: بعض الجهات تسميه "الْبَرْكُوكَسْ" يشبه الكسكس في تحضيره، إلا أنَّ حبَّاته أكبر من الكسكس، كما أنّه لا يسقى بالمرق وإنما يخلط مع المرق بعد أن يتمَّ طهيها، ويترك على نار هادئة إلى أن يتشرَّب كلّ المرق. كذلك مرقه يتميّز بإضافة أنواع أخرى من التّوابل اللّازمة، خاصّة الفلفل الحارّ والثّوم. يقدّم في الأيّام العادية، كما يقدّم طيلة الأيّام الأولى للمرأة النّفساء وكذلك للحضور.

- **الْحْرِيرَة**: عربية فصيحة، وهي حساء يتّخذ من دشيش القمح أو الشّعير، ويتمّ تحضيره بطبخ دشيش القمح أو الشّعير في مرق اللّحم وهريسة الخضر، مع إضافة بعض التّوابل اللّازمة، وتقدّم للضّيوف وفي مناسبات الأفراح، كما تعدّ الطّبق اليومي طيلة شهر رمضان[1].

- **الكْسْرَة**[2]: وهي الخبز الذي يؤكل، ويحضَّر بِـــخَبْزِ دقيق القمح (الطّحين) والملح والماء، إلى أن يصبح عجينة ليّنة ومتماسكة، ومن مميّزاته عند قبائل بني هلال أن ينضج في الملّة، والمَلَّة: الرَّماد والتراب الذي أُوقد فيه النّار. أو على نار الحطب فيأتي شهيا طيّب المذاق، ويحضّر بأنواع مختلفة، فإذا أضيف إلى العجينة الخميرة سُمِّي ب"المَطْلُوع" حيث بعد أن تُدْلَكْ العجينة دَلْكًا جيدًا، تترك برهة من الزّمن

---

[1] الحريرة: الحَسَا من الدَّسَمِ والدقيق، وقيل: هو الدقيق الذي يطبخ بلبن، وقال شمر: الحريرة: من الدقيق، والخَزِيرَةُ من النُّخَال؛ وقال ابن الأَعرابي: هي العَصِيدَة ثم النَّخِيرَةُ ثم الحريرة ثم الحَسْوُ. وفي حديث عمر: ذُرِّي وأَنا أَحَرُّ لك؛ يقول ذرِّي الدقيق لأَتخذ لك منه حريرة. ابن منظور: مادة (حرر).

[2] هي عربية فصحى ويقصد بها القِطْعَةُ من الشيءِ، ولهذا سميت قطعة الخبز كسرة. م س: مادة (كسر).

لتختمر، وحتّى يكون أجود ينضج على نار الحطب، على آنية تسمى الطّاجين.[1] أمّا الفطيرة[2] وهي عكس المطلوع، تحضَّر بدون خميرة وتنضج مباشرة بعد العجن دون أن تختمر.

– **لْكْلِيلَة**: وهو لبن مجفَّف على شكل حبَّات متفاوته، يمكن القول أنّها نوع من أنواع الجبن الصّلب. يحضَّر بطهي كمية معتبرة من اللّبن (الحليب المترو ع الزّبدة) مدّةً من الزّمن بإضافة قليل من الخلّ، أو مادّة تستخرج من أمعاء الخروف تعرف بـــ "المنفحة"[3]، ثم يعصر في قطعة قماش شفّافة، للتخلصّ من الماء والحصول على مادّة متماسكة تسمَّى الْكْلِيلَة، تقسَّم إلى قطع ثم تُجفَّف، كما يمكن تخزينها لمدّة طويلة، ومنها يصنع"الكعبوش".

– **المَلْفُوفْ**: هي قطع من الكبد تُلَفُّ بقطع من الشّحم، يتمّ تثبيتها على أعواد من الحطب بالغرز، وتشوى على حديدة يسمّونها السّفود.[4] قَلَّما كانت هناك ذبيحة، إلا وكان "الملفوف" حاضرا.

– **الْخْلِيعْ (القِدِّيد)**[1]: هو اللّحم المجفَّف، حيث كانت هذه هي الطّريقة الوحيدة التي يتم بها حفظ اللّحم لمدّة طويلة حتى لا يفسد، في ظلّ غياب آلات التّبريد، ولا زالت هذه الطّريقة سائدة عند البدوّ

---

(1) الطاجِنُ: المِقْلَى، وَهُوَ بِالْفَارِسِيَّةِ تَابَهْ .والطَّجْنُ :قَلْوُك عَلَيْهِ، دَخيل. قَالَ اللَّيْثُ: أُهملت الْجِيمُ وَالطَّاءُ فِي الثُّلَاثِيِّ الصَّحِيحِ، وَوَجَدْنَاهَا مُسْتَعْمَلَةً بَعْضُهَا عَرَبِيَّةٌ وَبَعْضُهَا معرَّبة، فَمِنَ الْمُعَرَّبِ قَوْلُهُمْ طَجْنَةُ بَلَدٌ مَعْرُوفٌ، وَقَوْلُهُمْ للطابِقِ الَّذِي يُقْلَى عَلَيْهِ اللَّحْمُ الطاجِنُ، وقَلِيَّةٌ مُطَجَّنة، وَالْعَامَّةُ تَقُولُ مُطَنْجنة. الْجَوْهَرِيُّ: الطَّيْجَنُ والطاجِنُ يُقْلى فِيهِ، وَكِلَاهُمَا معرَّب لأَن الطَّاءَ وَالْجِيمَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي أَصل كلام العرب. م س: مادة (طجن).

(2) الفَطِير: خلافُ الخَمِير، وَهُوَ الْعَجِينُ الَّذِي لَمْ يَخْتَمِرْ. وفَطَرْتُ العجينَ أَفْطِره [أَفْطُره] فَطْراً إِذَا أَعجلته عَنْ إِدْرَاكِهِ. تَقُولُ: عِنْدِي خُبْزٌ خَمِيرٌ وحَيْسٌ فَطِيرٌ أَي طَرِيٌّ قَرِيبٌ حَدِيثُ العَمَل. م س: مادة (فطر).

(3) وإِنْفَحة الجَدْي وإِنْفِحَتَه وإِنْفَحَّتُه ومِنْفَحَتُه شيءٌ يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهِ أَصفر يُعْصَرُ فِي صُوفَةٍ مُبْتَلَّةٍ في اللبن فيغلظ كالجُبْن، وَالْجَمْعُ أَنافِحُ. م س: مادة (نفح).

(4) السَّفّود (بالتشديد) حديدة ذات شعب معقفة يشوى عليها اللحم، والجمع سفافيد. ابن منظور: مادة (سفد).

الرّحل وحتّى المستقرّين. وتتمّ عملية التّجفيف بتقطيع اللّحم إلى قطع صغيرة ورفيعة، ثم تملَّح وتضمّ في خيط مثل المسبحة، ويعلَّق ويترك حتى يجفَّ تماما تحت أشعة الشّمس، ثمّ يحتفظ به لوقت الحاجة.

– **ادَّشِيشة**[2]: وتصنع من دقيق الشّعير الخشن، فإذا كانت من دقيق القمح الخشن سمّيت (لْمْفَلْقَة)[3] لأنّ حبَّة القمح أو الشّعير تشقُّ فيأتي الدّقيق خشنا، والكلمة عربية الأصل ويتمّ تحضيرها بطبخ الشّعير أو القمح المنفلق، في الماء والبصل والملح وقليل من قطع "الكليلة"، وتزيد نكهتها لذَّة بإضافة الفلفل الأحمر الحار وقليل من نبات "السّعتر"، وبعد أن تصبح جاهزة يضاف إليها كمية معتبرة من السّمن، وتعدّ من الأطباق اليومية لا سيما في الشّتاء أيّام نزلات البرد الحادّة، فهي مفيدة جدًّا للزكام وللرّشحات.

– **اللّبأ (اللّبَا)**: أَوَّلُ الألبان عند الوِلادةِ، وأَكثرُ ما يكون ثلاثَ حَلْبَاتٍ وأَقلّه حَلْبةٌ، ويتمّ تحضيره بغليه على نار هادئة حتّى يصبح متماسكا ويتناول بالملعقة.

– **الْجْبَنْ**: هو نوع من الجبن، يتمّ تحضيره بنفس طريقة تحضير "الكليله" إلا أنّه يقدّم طازجًا، فلا يخضع لعملية التّجفيف.

([1]) فِي حَدِيثِ عُروة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنْ ماتَ شيءٌ مِنَ الإِبل، فَخُذْ جِلْدَه، فاجْعَلْه جَباجِبَ يُنْقَلُ فِيهَا والجُبْجُبةُ والجَبْجَبةُ والجُباجِبُ: الكَرِشُ، يُجْعَلُ فيه اللَّحْمُ يُتَزَوَّدُ بِهِ فِي الأَسفار، ويجعل فيه اللَّحْمُ المُقَطَّعُ ويُسَمَّى الخَلْعَ. أمّا الْقَدِيدُ :اللَّحْمُ المَمْلُوحُ المُجَفَّف فِي الشَّمْسِ. م س: مادتي (خلع) و(قدد).

[2] الدّشيشة وهي لغة في الجَشِيشة، قال الأَزهري: ليست بلغة ولكنها لُكْنة، وروي عن أَبي الوليد بن طَخْفةَ الغِفاري قال: كان أَبي من أَصحاب الصُّفَّة وكان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، يأْمرُ الرجلَ يأْخذ بيد الرجُلين حتى بقِيتُ خامسَ خمسةٍ فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: انطلقوا، فانطلقنا معه إِلى بيت عائشة فقال: يا عائشةُ أَطعِمِينا، فجاءت بِدَشِيشةٍ فأَكلْنا، ثم جاءت بحَيْسةٍ مثل القَطا فأَكلنا، ثم جاءت بعُسٍّ عظيم فشرِبْنا، ثم انطلقنا إِلى المسجد؛ قال الأَزهري: فدل هذا الحديثُ أَن الدشيشة لغةٌ في الجشيشة. جشّ الحَبَّ يَجُشّه جشًّا وأَجَشّه: دقّه، وقيل: طَحَنه طَحْنًا غليظًا جرِيشًا، وهو جَشِيش ومَجْشوش. ابن منظور: م س مادة (دشش).

[3] الفَلْق: الشّق، والفَلْق مصدر فَلَقَه يَفْلِقْه فَلْقًا شقّه، والتَّفْليقُ مثله، وفَلَّقَه انفلق وتَفَلَّقَ، والفِلْقُ:ما تفلّق منه، واحدتها فِلْقَةٌ وقد يقال لها فِلْقٌ بطرح الهاء. الأَصمعي: الفُلُوق الشقوق. ابن منظور: مادة (فلق) كما وردت اللّفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ سورة الأنعام الآية: 95.

– **بُومْصَوَّرْ**: يعتبر سيِّد أطباق الطّعام عند بني هلال، وهو عبارة عن خروف مشويّ على نار الحطب الهادئة، ويتمّ طهوه بعد أن يملَّح جيدا، ويحشى بأنواع التوابل، وهناك من يكتفي بتمليحه فقط. عادة ما يقدَّم مع حساء "الحريرة" والخبز والبصل المقطَّع إلى شرائح. وسمي بـــ "بومصوّر" لأنَّ الشّاة تطهى دون أن تقطَّع أو تجزَّأ، فهي تحتفظ بصورتها كاملة، فالاسم عربي فصيح[1]، يقدَّم في مناسبات الأفراح خاصّة عند الميسورين.

3.2 لحرف اليدويّة والصّناعات التّقليدية

تشكّل الحرف تراثا تاريخيا قيِّمًا، حيث كانت تُقبل النّساء –إلى حد كبير– على الحرف والفنون اليدوية التّقليدية في القبائل الهلالية، والتي كانت قديمًا تمارس لسدِّ الحاجات الضّرورية، كما كانت –ولا زالت عند العديد من الأسر– مصدر رزق. وهي ترتكز أساسا في هذه المناطق على تحويل جلد الماعز وصوف الغنم إلى تحف فنية، أبدعت فيها المرأة الهلالية. وترتبط هذه الحرف عموما بالتّراث الثقافي للرُّحَّل، الذي يعتمد في جزء كبير على تربية الماعز والإبل، إضافة إلى بعض الصّناعات الأخرى سنأتي على ذكرها في حينها، ولعلَّ من معالم تراث بني هلال الذي تكاد تطمسه عجلة التّطور السّريعة، نذكر ما يلي:

1.3.2 حياكة الصّوف وصناعة النّسيج:

ويسمّونها بـــ"السَّدْوَة"[2] تعتبر من أقدم وأهمّ الحرف اليدوية والصّناعات التّقليدية التي يعرفها أهالي المنطقة، ففي وقت مضى كانت النّساء تصنع بيوت الشّعر للسكنى (الخيام)، والسّجاد للفراش والأغطية، والجلابة (القشابية) والبرنوس للملبس، ومع قدوم النّهضة، الحديثة واستيطان البادية، وارتفاع مستوى المعيشة بشكل عام، تلاشت الحاجة لهذه الصّناعة وتضاءلت الضّرورة لانتقال مهاراتها للجيل الجديد. هذه الصّناعة التي مع بساطتها تنمُّ عن ذكاء فطري أصيل، وتظهر جمالًا وخصوصية لا يسعنا

---

(1) يقصدون بـــ "بومصور" أي الشّاة بمفاصلها وحدودها. ورد في اللسان أنّه يقال: اشْتَرَى فُلَانٌ الدّارَ بِمُصُورِها أَي بِحُدُودِهَا. ابن منظور: مادة (مصر).

(2) السَّدْو، وَهُوَ مَدُّ اليَدِ نحوَ الشَّيْءِ كَمَا تَسْدُو الإِبلُ فِي سَيْرِها بأَيْدِيها. والمرأة أثناء السّدو، نجدها تمدّ يدها اليسرى لإمساك الخيط المغزول الذي ترسله اليد اليمنى عبر الخيوط الممتدّة والمشدودة بين الأخشاب. ابن منظور: مادة (سدا).

تجاهلها. فحرفة النّسيج وحياكة الصّوف والوبر الذي تنتجه الأغنام والإبل التي يرعاها أهل البادية، حرفة وصناعة أصيلة بكلّ ما تحمل كلمة أصالة من دلالة، فالمادّة الأوّلية هي الصّوف والوبر والأصباغ المستعملة تأتي من أعشاب الصّحراء، وأدوات التّصنيع تنتجها نفس الأيدي الصّانعة للنّسيج، والأشكال والزّخارف التي تزيّن هذه الصّناعة، تأتي وتتوافق من خلال تكوينها الفنّي بواقع البيئة الجغرافية التي تعيشها هذه البادية.

صناعة "السّدوة" اليوم تراجعت عما كانت عليه في السّابق، وإن كان حظها كبيرا؛ حيث إنّها لم تندثر مع بعض الحرف التّقليدية الأخرى، وتمرّ بمراحل عديدة تبدأ بعملية حياكة الصّوف أوالوبر بطريقة يدوية بحتة، تستغرق مدّة طويلة وجهدا عضليا كبيرا، حيث يتمُّ جزُّ أو قصُّ الصّوف من الأغنام في فصل الرّبيع، وجمع الوبر من الإبل في فصل الصّيف، اللّذَين يُعَدَّان المادّة الأوّلية، وبعد الغسل الجيّد، وإزالة جميع الشّوائب والأتربة العالقة بالمادّة الأوّلية، وبعد تجفيفها جيّدا، توجّه للتجهيز بالوسّائل التّقليدية منها:

2.3.2 أدوات الحياكة والنّسيج: هي مجموعة أدوات متكاملة، فكلّ أداة إلّا ولها دورها البارز بحيث لا يمكن الاستغناء عنها، وهي:

– **لَمْشَطْ:** ويشبه المـُشْط في شكله، لوحة مستطيلة في أحد طرفيها أسنان حديدية قائمة، وهو آلة لنفش الصّوف المتلبّـد[1] بعد غسله وتجفيفه، ليسهل تخليصه من بعضه.

– **الْقَرْدَاشْ:** يستعمل لتمشيط الصّوف، هو عبارة عن لوحتين مربّعتي الشّكل، في كلّ منهما يد خشبية، وهو يشبه فرشاة الشّعر الحديثة، وكلّ لوحة على حِدَةٍ تسمى "فَرْدَة"، على حافّة كلّ منهما، يثبّت مربّع من الجلد، مزروع به عشرات الأسنان معدنية مدبّبة، معقوفة الاتجاه، وعند استخدامه يوضع الصّوف فوق الفردة السفلية المثبّتة على الفخذ، ويمشَّط بالفردة الثّانية العلوية، وبالتّالي تتفتّح جميع كتل الصّوف وتهذب، فنحصل على طبقة رقيقة صوفية على هيئة مربّع بعرض القرداش، ثم تلف تلك الطّبقات الرّقيقة لفافات وتطرح جانبا وتكون قابلة للفتل، ومن ثمّ تشكّل هذه الأجزاء في شكل خيوط

(1) يقال: تَلَبَّد الشعَر وَالصُّوفُ والوَبَر والتَبَدَ: بمعنى تداخَلَ ولَزِقَ. ابن منظور: م س، مادة (لبد).

رفيعة، أو متوسّطة السّمك، حسب المنتج المراد نسجه، وتتمّ عملية الفتل بواسطة آلة يدوية تدعى المغزل.

– **الْمَغْزَلْ**[1]: الذي سيقوم بفتل الخيوط من خلال حركته الدّائرية، وهو عود رقيق في رأسه دائرة خشبية، وهو نوعان: مغزل صغير لغزل الخيوط الرفيعة ويسّمونه "الْمْغِيزْلَة"، وآخر كبير لغزل الخيوط الغليظة وهو "المغزل". وتحدّد كمية المادّة الأوّلية اللّازمة للإنتاج من خلال تقدير النّاسجة.

– **الصّْباغَة:** إذا تطلّبت المادّة المراد نسجها ألوانا، فإنّه يتمّ صبغ الغزل بواسطة موادّ بسيطة، معظمها من النّباتات التي يمكن استخدام خلاصتها في عملية الصّباغة، منها: قشور الرّمان، الحنّاء، الشّاي الأحمر، الزّعفران، الكركم، نبات النّيلة...

– **الْمَنْسَجْ:** بعد تحضير كمية الغزل المناسبة، تنطلق عملية إعداد آلة النّسيج والمكوّنة من عدّة أجزاء، والتي يتمّ إعدادها بمساعدة النّساء لبعضهنّ البعض. في البداية ثلاثة نسوة، اثنتين تجلسان مقابل الوتدين، والأخرى تمرر لهما الخيط الخاصّ بالنّسيج بشكل أفقي ذهابا وإيابا بين الوتدين المثبّتين جيّدا في الأرض، وفي نفس الوقت تقوم احدى الجالستين قرب الوتدين بنسج ما يسمّى بـــ "النّيرة"[2]، هاته المرحلة التي لها دورا مهامًّا في عملية ضمان عدم تداخل الخيوط، وإبقائها مسترسلة ومرتّبة ترتيبا دقيقا بشكب عمودي في آلة النّسيج. وبعد انتهاء هذه المرحلة تحمل الجملة بأكملها وتُثبَّت في المنسج، بواسطة ستّة أعمدة خشبية، اثنين مثبَّتَين بشكل أفقي على الجدار، يتمّ تثبيت عليها ما أعدّ في المرحلة الأولى، فيصبح جاهزا للانتصاب في ركن من أركان البيت أو الخيمة، ثم تباشر ربّة المنسج في حياكة ما تودُّ حياكته، بالتّعاون مع جارتها أو بالتّناوب مع بناتها أو كِنَّاتها.

ويتبع "عملية السَّدوة" مجموعة من الأدوات التي تستعمل في عملية النّسج وتكون من توابع "المنسج" بعد نصبه، وهي:

([1]) يقولون فِي المُغْزَل: مِغْزَلا، والأَصل مُغْزَلٌ مِنْ أُغْزِلَ أَي أُديرَ وفُتِلَ. م س: مادة (غزل).

[2] النِّيْرَةُ، وَهِيَ الخُيُوطَةُ والقَصَبَةُ إِذا اجتمعنا، فإِذا تفرّقنا سميت الخيوطة خيوطة والقَصَبَةُ قَصَبَةً. وَعَلَمُ الثَّوْبِ نِيْرٌ، وَالْجَمْعُ أَنْيارٌ. ونَيَّرْتُ الثَّوْبَ تَنْيِيراً، وَالِاسْمُ النِّيرُ، وَيُقَالُ لِلُحْمَةِ الثَّوْبِ نِيرٌ. يُقَالُ لِلرَّجُلِ نِرْ نِرْ إِذا أَمرته بِعَمَلِ عَلَمٍ لِلْمِنْدِيلِ. وثوبٌ مُنَيَّر: مَنْسُوجٌ عَلَى نِيرَيْنِ. ونِيْرُ الثَّوْبِ: هُدْبُه ينظر ابن منظور: مادة (نير).

– **الْخَلَّالة:** أداة سبك يدوية، لها مقبض من خشب مثبّت في طرفها الأخير بشكل عموديّ، ولها أسنان مثل المشط تمتدّ إلى الأمام، وظيفتها تكمن في أنّها تتخلّل الخيوط العمودية لتثبيت خيط الطّعمة في مكانه من النّسيج.

– **الْحَكّاكَة:** ذات ملمس خشن تشبه المبرد، كانت تصنع من عظم ركبة البعير، تستعمل لتنقية نسيج الصّوف مما يعلق به من شوائب ونتوءات صوفية.

– **الْمِقَصّ:** ويستعمل لقطع خيوط الغزل المنسوج.

– **مَجْمُوعَة لْمْشَابَكْ:** لشدّ أطراف النّسيج ومنعه من الارتخاء.

– **طْوَارَف**[1]: مَجْمُوعَة من الحبال المَفْتُولة مِنْ شعر الماعز المضاف إليه بعض الصّوف، وتستعمل لشدّ وتثبيت آلة المنسج في الحائط.

ويجدر بنا أن نشير إلى تلك الأغاني الشّجية التي ترافق عملية النّسيج منذ تجهيز المنسج، إلى الانتهاء من الشّيء المراد نسجه، فترى النّساء من وراء المنسج يناجين الخلالة على إيقاع صوتها، ويحدّثنها عن ما يختلج في نفوسهن، من بُعْدٍ، وهَجْرٍ، وحنين للوالدين، وفراق للأحبّة والإخوة.

2.3.2 المنتجات النّسيجية:

تتنوّع المنتجات النّسيجية اليدوية عند أهالي المنطقة بين الملبوسات، التي أصبحت في بعض المناطق مجرّد ملابس تقليدية، والمتمثّلة في القشّابية والبرنوس سواء من الصّوف أو من الوبر، بالإضافة إلى أنواع الفرش والأغطية كالزّربية بمختلف أحجامها وألوانها، الكساء[2]، الحائل[3]، والفليج[1] الذي يعتبر

([1]) سمّيت الحبال "طوارف"، والواحد يسمّى طارفه، لأنّ للحبل طرفين، ولجموع طرفي الحبال نقول أطراف، وفي لهجة بني هلال حدث قلب مكاني وأبدلوا الهمزة واوا، فقالوا: "طوارف". ابن منظور: م س، مادة (طرف).

([2]) كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ أَحمر؛ وَقِيلَ: البُرْجُد كِسَاءٌ غَلِيظٌ، وَقِيلَ: البُرْجُد كِسَاءٌ مُخَطَّطٌ ضَخْمٌ يَصْلُحُ لِلْخِبَاءِ وَغَيْرِهِ.

([3]) الحائل هو الحِوَال: كلُّ شَيْءٍ حَالَ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ هَذَا حِوَال بَيْنَهُمَا أَي حَائِلٌ بَيْنَهُمَا كَالْحَاجِزِ والحِجاز. هو يستعمل لفصل النّساء والرّجل داخل الخيمة.

العنصر الأساسي لبناء الخيمة، وغير ذلك من المستلزمات التي لا يستغني عنها أيّ بيت، دون أن ننسى الإشارة إلى التميُّز الذي تنفرد به بعض الجهات من حيث جودة المنتوج، خاصّة في مجال البرنوس الوبري الذي بلغ حد الشّهرة العالمية، والذي يعتبرُ مفخرة لرجال المنطقة، ورمزا للتّباهي والزّينة لديهم.

ومن المنتجات النّسيجية أيضا نذكر:

- **الْعْدُولْ**[2]: وهي أكياس لحفظ الطّعام.
- **الْمَزْوَدْ**[3]: جمعه الْمْزَاوَدْ، وهي أكياس لحفظ الطعام بالنسبة للمسافر، كما تستعمل لتخزين الدّقيق.
- **الْفَرَاشِيَه**: وهي زربية ذات الصّوف الكثيف.
- **الْجْرَابِي**: وهي مفارش تصنع عادة بخيوط مفتولة.
- **الْعْقَالْ**: وهي حبال مفتولة تستخدم لربط أيدي الإبل وهي في مباركها لمنعها من المشي.

3.3.2 طحن الحبوب:

القمح والشّعير من المواد الأساسية التي يعتمدون عليها في معيشتهم، وعلى الرغم من توفرهما وبأشكال مختلفة في الأسواق، تعمل المرأة الهلالية على تحضيرهما وتهيئتهما بعناية وبيديها، معتمدةً في ذلك على الرحى اليدويّة، التي تعتبر من الآلات الضّرورية في البيت. تتألّف الرّحى من حجرين، ارتفاع كل منهما من 5-10سم، بينما قطر الواحدة 40سم، وفي الحجر العلوي يكون المركز مجوَّفًا، ويرتكز فِي وَسَطِ حجَر الرَّحَى السُّفْلى حديدة تسمّى قطب الرّحى الْمُرَكَّبَةُ بشكل عمودي، بحيث يمرّ نحو الأعلى بثقب الحجر العلوي وتثبّت على أحد أطراف الحجر العلويّ عصا يتم من خلالها تحريك الحجر، وبهذا تقوم الرّحى بوظيفتها. وللرّحى أحجام مختلفة، قد تكون صغيرة وقد تكون متوسّطة، ولها أشخاص مختصّون في صناعتها، أمّا عن استخدامها في الطّحن فقد كان ولا زال خاصًّا بالنّساء.

([1]) والفِلْجةُ :القِطْعةُ مِنَ البِجادِ، والبجاد هو: كساء مخطّط. .والفَلِيجةُ أَيضاً: شُقَّة مِنْ شُقَقِ الخِباء. والخباء: بيت من وبر أو شعر أو صوف. م س: مادة (فلج).

([2]) العِدْل نِصْف الحِمْل يَكُونُ عَلَى أَحد جَنْبَيِ الْبَعِيرِ، وَقَالَ الأَزهري :العِدْل اسْمُ حِمْل مَعْدُولٍ بِحِمْلٍ أَي مُسَوًّى بِهِ، وَالْجَمْعُ أَعْدالٌ وعُدُولٌ. ابن منظور: مادة (عدل).

([3]) المِزْوَدُ: وِعَاءٌ يُجْعَلُ فِيهِ الزَّادُ، جمعه: مَزاوِدَنا. م س: مادة (زود).

فالاستخدام الأساسيّ للرّحى، هو طحن حبوب القمح والشّعير، حيث تدار الرّحى التي يوضع تحتها قطعة من الجلد أو القماش الخشن تسمّى، "الرّْقَاعَة"[1] لِيَسْقُطَ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ حتّى يسهل جمعه، وقد يعاد سحقه مرات عدة حتى يتحوَّل إلى دقيق، حيث تمسك المرأة بالعصا لتدير الحجر العلوي، وربما اثنتان متقابلتان لِيَزِدْنَ في سرعة دورانه، ومن حين لآخر ترمي إحداهن حفنة من الحبوب داخل فم المطحنة (الفجوة)، وهي تدور وتذرف حول جوانبها الطّحين ليستقرَّ على الرّقاعة. ويتمّ استخدام "الغربال" للتأكُّد من الحجم المراد الحصول عليه، فهناك "دقيق خشن" و"دقيق ناعم"، كما تستخدم "الرّحى" أيضًا لطحن الحمص والفول والعدس والملح الذي يأتي أحيانا خشنا. وغالبا ما نسمع بعض الدّندنة ترافق عملية الطّحن على الرّحى لعلَّها تسلّي النساء، فتعينهن على تحمُّل الجهد الكبير والوقت الطويل اللَّذَين تستلزمهما مدّة الطّحن.

4.3.2 صناعة الجلود:

إنَّ طبيعة بني هلال الرّعوية ساهمت كثيرا في توفير المادّة الأوّلية التي شجَّعت على ابتكار حِرَفٍ عديدة تطلبتها حاجات الإنسان اليومية، هذه الحرف التي أبدعت فيها المرأة أيَّما إبداع، لا زالت تستثمرها في حياتها لحدِّ السّاعة، ومن بين ما تنتجه أناملها نذكر:

– **الْقِرْبَة:** وعاء لحفظ الماء وتبريده مصنوع من الجلد بأحجام مختلفة، منها الكبيرة ومنها الصّغيرة التي يدعونها "الْشَنْتِيَة"[2]، ومن يظنُّ أنّ عهدها في المجتمع البدويّ الهلالي قد ولَّى وأُستغني عن خدماتها بظهور مبردّات عصرية، ووسائل أكثر فعالية، من حيث مستوى الحفاظ على درجات البرودة في الفصول الحارّة– فقد أخطأ، فَهُمْ لا يزالون باقين على عهدهم بها، ولا زالت تحظى بمكانتها عندهم؛ فهي الوسيلة المستعملة حتّى عند الهلاليين الذين تمدّنوا وبشكل واسع، بوصفها الأداة الأنسب لحفظ وتبريد الماء، دون الحاجة إلى أيَّة طاقة، ناهيك عن نكهة مائها المعطَّر بالقطران. وتصنع القربة عادة من جلد الماعز نظرا لقوته وصلابته، والشّعيرات التي تكسوه لها فعالية كبيرة في تبريد الماء، والحفاظ على درجات برودته. ويتمّ تحضيرها على النّحو الآتي: بعد سلخ جلد الشاة سلخًا يراعى فيه الدِّقَّة، وتوخّي الحذر حتى لا يحدث أي خرق أو ثقب يفسده، ينظّف جيّدا من الشّوائب العالقة فيه، ثم يقومون بدباغته، وذلك بتلبيسه بعدّة موادّ

([1]) الرُّقْعة :الخِرْقة. م س: مادة (رقع).

([2]) لم أعثر على أصل هذه التّسمية.

وأعشاب بريّة منها: العرعار والملح والقطران. ويترك الجلد مدّة شهر على هذه الحال حتّى تتفاعل كلّ الموادّ ويتشرَّبها الجلد، ثم يوضع فيها الماء مدّة لا تقلّ عن خمسة عشرة يوما؛ وذلك للتأكّد من نظافتها من بقايا موادّ وأعشاب الدّباغة، حتّى تصبح صالحة للاستعمال بعد ذلك.[1]

– **الشّكْوَة**[2]: هي وعاء من الجلد أصغر من القربة، تستعمل في عملية مخض اللّبن الرّائب أو القشدة؛ لاستخلاص الزّبدة وتحويلها هي الأخرى إلى سمن. هي طريقة تقليدية تعتمد على وضع الحليب الرّائب في الشّكوة، ثمَّ رجُّه بقوة حتى يتمّ فصل حبيبات الدّهن عن اللّبن المتبقي، والذي يعرف باسم **(لبن الخضّ)**، حيث إنّ كثافة المادّة الدّهنية تصبح أقلّ من كثافة مكوّنات الحليب العادي، بينما حبيبات الدّهن تتجمَّع وتطفو على السّطح، مكوّنة الزّبدة التي ستتمّ إزالتها باليد ومن ثَمَّ تحويلها إلى سمن. وتصنع الشّكوة من جلد شاة كاملا، وتستوجب عملية تهيئته دباغته باستعمال أعشاب مختلفة من أهمها أوراق شجر السّدر. وتعلَّق على ثلاثة أعمدة، طول الواحد منها متران أو يزيد قليلا.

– **الْعُكَّة**: وهي أقل حجما من الشّكوة وتستعمل لتخزين السّمن، والكلمة عربية فصيحة.[3]

– **المزْوَد**: أيضا هو وعاء جلدي، يجعل فيه الزّاد لذا سمي مزودا، فالاسم عربي فصيح.[4] ويصنع من جلد الخروف، بعد أن ينظّف جيّدا يطوى ويوضع في كيس ويربط جيدا، ويترك بعيدا تجنّبًا لرائحته الكريهة، وبعد ثلاثة أيّام أو أكثر يفتح الكيس، لنجد أنّ الصّوف بدأ بالتّساقط، فيُنتف ما تبقى من الصّوف، ثم بعد ذلك يُطْلَى الجلد بخليط من الدّقيق الأبيض والزّيت والملح، ويُلفُّ في كيس من الخيش ويترك لبضعة أيّام، ثم بعد ذلك يستخرج من الكيس ويفرك جيِّدا، حتّى يسقط كلّ الدّقيق العالق به، ثم يطلى بالزّيت أو بالشّحم مرّةً أخرى، ويدلك جيّدا حتى يصير لينًا، تخاط الفتحة السّفلية وتحزم القوائم،

---

[1] القربة: وعاء من جلد الضأن والماعز، يُخاط ويعد ويجعل وعاءً للماء واللبن، وتسمى أيضًا "راوية " أو "رِكْوَة ". استعملت في المعارك القديمة وعاءً لحمل الماء في السفر. كانت مظهرًا ورمزًا لساقي العطشى أبي الفضل العباس العراقي، فهو الذي كان يأتي بالماء ويسقي العيال والأطفال، ولهذا سمي بأبي القربة كناية عن السقي بالقربة. ينظر الطبري: التاريخ م. س، ج4 ص302.

[2] الشّكوة كلمة عربية فصيحة. ينظر ابن منظور: مادة (شكا).

[3] سبق التأصيل لكلمة "عكّة" ينظر صفحة من الرسالة.

[4] ينظر ابن منظور: مادّة (زود).

وتترك فتحة العنق فَمًا للمزود، الذي سيستعمل وعاءً لتخزين الدّقيق والحبوب. كما كان يستخدم أيضا لحفظ الأشياء والأمتعة الخاصَّة، فقد كان يقوم مقام الحقيبة في زماننا هذا، وكانت النّساء يُعْنَيْنَ بتزيين المزود بالودع والأصداف والألوان الزّاهية، وإلى عهد قريب كُنَّ يعلِّقْنَه على أكتافهنّ.

– **الدَّلْوْ**: هو الذي يستقى به الماء من البئر، يصنع من الجلد بأحجام مختلفة، والكبير منه يسمّى "الغرب."[1]

5.3.2 صناعة السّمن:

أو ما يعرف بـــ"ادْهَانْ اطَّايَبْ" كان ولا يزال من أهمّ منتجات الثّروة الحيوانية في كّافة المناطق البدوية، وهو منتج ذو مردود اقتصادي جيِّد لهم، وقد كانوا ينقلون إنتاجهم من السّمن إلى الأسواق القريبة منهم، ويبيعونه إلى المستهلكين أو التّجار، كما كان بعض التّجار ينتقلون إليهم لشرائه مباشرة من عندهم، وكانت عملية الشّراء إمّا مقابل ثمن نقدي أو بالمقايضة، أيّ بما يحتاجه صاحب السّمن من طعام وقهوة وقماش وغيره، وخلاف ذلك –أحيانا– يكون السّمن سدادا لمستحقّات غير مدفوعة الثّمن سابقا. ولا زالت المرأة الهلالية حتى الآن تتقن صنعه فتدَّخره لأسرتها، أو تبيعه فَيُدِرُّ عليها دخلا وفيرا تنفقه على نفسها أو تعيل به عيالها، وجودته الفائقة، وندرته من الأسواق جعلت سعره في ارتفاع متزايد، لاسيما سمن المواشي (الغنم والماعز). أمَّا عن طريقة صنعه، فتكون على النحو الآتي:

توضع كمية من الزّبدة الطازجة (زبدة البقر أو الغنم) كلّ على حدة، على نار متوسطة، بعد أن تذوب تتمّ تصفيتها من اللّبن العالق فيها، ثم توضع مرة ثانية على نار هادئة وتضاف إليها كمية قليلة من "دشيشة" وهي دقيق الشّعير الخشن، وتترك على النّار حتى درجة الغليان بحيث تكون "ادشيشة" قد تشرَّبت كل السوائل الموجودة بالزّبدة (الماء + اللّبن)، وفي النّهاية يُصَفَّى السّائل الدّهني من "ادشيشة" بواسطة المصفاة، ونحصل على السّمن الذي سوف يخزّن في "العُكَّة" وهناك من يضيف أثناء تحضيره قليلا من إكليل الجبل أو السّعتر حتّى تكون نكهته أطيب.

([1]) الغَرْبُ، بِسُكُونِ الراءِ :الدَّلْوُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تُتَّخَذُ مِنْ جلدِ ثَوْرٍ، فإذا فَتَحْتَ الرَّاءَ، فَهُوَ الْمَاءُ السَّائِلُ بَيْنَ الْبِئْرِ وَالْحَوْضِ، وَهَذَا تَمْثِيلٌ؛ قَالَ ابْنُ الأَثير: وَفِي حَدِيثِ الرُّؤْيَا: "فأَخَذَ الدَّلْوَ عُمَرُ، فاسْتَحالَتْ فِي يَدِه غَرْباً" وَمَعْنَاهُ أَنّ عُمَرَ لَمَّا أَخذ الدَّلْوَ لِيَسْتَقِيَ عَظُمَتْ فِي يَدِهِ، لأَنّ الفُتُوح كَانَ فِي زمنه أَكْثَرَ منه فِي زَمَنِ أَبي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ابن منظور: مادّة (غرب).

6.3.2 صناعة القطران:

يتميّز القطران المصنوع بالمنطقة بجودته العالية، ويصنع من شجر العرعار الذي يوضع في مطمورة –حفرة تقليدية– تسمَّى "الْخَابْيَة"[1] تُغَطَّى بحجر. ويحرق شجر العرعار في الخابية حتّى تتصاعد منه الأدخنة التي تشكّل رطوبة من نوع خاصّ، تتحوّل إلى سائل أسود اللّون، ينساب تلقائيا من مجرى صغير مصنوع من الجبس تنتهي إليه الخابية. ويكثر الطّلب على القطران في فصل الصّيف خاصَّة؛ عند البدو والحضر، الذي لا تحلو أيّامه الحارّة إلا بشربة ماء عذب، تنساب زلالا مِن فم قربة مدبوغة بمادّة القطران، ذات الطّعم اللّذيذ والرّائحة الزكية.

3. الأنساق الثّقافية لبني هلال

1.3 آداب وأخلاقيات المجتمع الهلالي

قبائل بني هلال هي قبائل بدويّة[2] منذ أن نشأت ولا زالت على طبيعتها، حتّى وإن تفرَّقت وتَشَتَّتَتْ بطونها، وأصبح بعضها مدنيًّا تحويه المدينة أو القرية أيًّا كان شكلها أو تصوُّرها أو زمانها، في حين ظلّ بعضُها بدويًّا تحويه البادية والمساحات الشّاسعة من أرض الله الواسعة، يتّخذون التِّرحال والتنقُّل خلف الماء والكلأ معيشة لهم ولأنعامهم، سلوكًا لهم يناسب ما هم فيه من حياةٍ لها طقوسها وخصوصيَّتها، صنعتها الظّروف البيئية والجغرافية والطّبيعية التي تحتويهم، والتي كان لها تأثير مباشر على

---

(1) خَبَتِ النارُ والحَرْبُ والحِدّةُ تَخْبُو خَبْواً وخُبُوّاً: سَكَنت وطَفِئَت وخَمَدَ لَهَبُها، وَهِيَ خَابِيَة، وأَخْبَيْتها أَنا: أَخْمَدْتها. ابن منظور: مادة (خبأ).

(2) كلمة بدويّ مشتقة من كلمة البادية، أو البيداء التي تعني الصّحراء، وهي لا تعني البداءة وليست مشتقّة منها، وإنما هي نسبة إلى المكان "البادية"، مثل كلمة حضري: من أهل الحضر، ومدني: من أهل المدن، وقروي: من أهل القرى، وبدويّ من أهل البادية وهذا هو المعنى الصحيح لها، أمّا الذين استعملوها وكأنّها تعني البداءة والجهل فهم لا يفقهون من أمرهم شيئًا، لأن النّسبة إلى البداءة هي بدائي وليست بدويّ.

مختلف السّمات العامّة لمجتمعهم وأنماط الوحدات المكوِّنة له، من تراث وعادات وتقاليد... نشأت في غالبيتها كردِّ فعل للظّروف الطّبيعية والمعيشية القاهرة التي يحيا فيها إنسان المجتمع البدوي.

أمّا هؤلاء الذين لم تحويهم المدينة، يمكن القول: إنّ حياتهم الاجتماعية ترتبط بحياتهم الاقتصادية وظروف البيئة الطّبيعية التي يتعايشون معها، ويمكن تمييز طبقتين اجتماعيتين في المجتمع الهلالي، كلتاهما مرتبطة بحياتها الاقتصادية، هما طبقة الجمالة المتمركزين بالصّحاري، وطبقة رعاة المواشي المتمركزين بالسّهول والهضاب، وقد يصعب على من يعايش حياة البادية أن يميّز بينهما من الوهلة الأولى.

ويتعامل الهلالي رجلا كان أو امرأة مع الطّبيعة بصبر وقوّة كبيرين، فيتحمّل حرارة الشّمس المحرقة في فصل الصّيف نهارا، والبرد القارس بجليده وثلوجه في الشّتاء.

1.1.3 أهمّية الأسرة والقبيلة في المجتمع الهلالي:

لا زالت القبيلة أساسَ وركيزةَ المجتمع الهلالي، يعيش أبناؤها في تجمعات أسرية متقاربة من بعضها للتعاوّن في العمل والذّود عن حياضهم. والهيكل الاجتماعي عندهم قويّ ومتين؛ فَخَيْمَةُ شيخ القوم تتميّز بكبر حجمها تتوسّط خيام أفراد أسرته، وإلى اليمين منها خيمة أخيه، وإلى اليسار خيمة أخيه الثّاني أو ابن عمه إذا لم يكن له إخوة آخرون، ثم تصطفّ خيام باقي أفراد القبيلة. أمّا إذا كانت تحويهم المدينة فلا ريب أنّك تجدهم متمركزين بالقرى، كلُّ قرية قد تسكنها عشيرة أو عشيرتان مختلفتان أو أكثر، ولكنّهم ينتمون لقبيلة واحدة، اندمجوا فيما بينهم بحكم الجوار، تقرَّبوا من بعضهم بالمصاهرة، فانصهروا في قرية واحدة وكثر نسلهم، وأصبحت القرية تدعى باسمهم فيقال: "دوار فلان." [1] ولا زالت القبيلة تشكّل لديهم مظهرا من مظاهر الائتلاف الاجتماعي، وهي عبارة عن عدَّة فروع يجمعها الانتساب إلى جد واحد، ويتفرَّع النّسب الواحد إلى عدَّة فروع يتكوّن كلّ منها من مئات الأفراد، وتُسمَّى الفروع بالبطون والأفخاذ والعشائر.

والبطن هو العنصر الأساسي في نظام التّأسيس الاجتماعي في المجتمع الهلالي، ويتفرَّع بدوره إلى عدد من الأفخاذ التي يتراوح عددها عادة بين سبع وعشر عشائر، والعشيرة هي العنصر الثّالث في نظام التّأسيس الاجتماعي القبلي، ومن هذه العناصر جميعا يتكوّن المجتمع الهلالي كغيره من المجتمعات البدوية.

---

[1] الدُّورُ :جَمْعُ دَارٍ، وَهِيَ الْمَنَازِلُ الْمَسْكُونَةُ والمَحَالُّ، وأَراد بِهِ هَاهُنَا الْقَبَائِلَ؛ والدُّورُ هَاهُنَا: قَبَائِلُ اجْتَمَعَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ فِي مَحَلَّةٍ فَسُمِّيتِ المَحَلَّةُ دَاراً وَسُمِّيَ سَاكِنُوهَا بِهَا مَجَازًا عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، أَي أَهل الدُّورِ، وتسهيلا لنطق اللفظة حركوا واو المطل. ابن منظور: مادة (دور).

تعتبر الأسرة عند القبائل الهلالية الوعاء الذي تلتقي فيه كلّ الروابط الاجتماعية بما فيها تراثهم ومأثوراتهم، فمن خلالها ترتبط وشائج القربى بين جميع أفرادها وجماعاتها ولو تفرَّقت بهم السّبل، ويتضامنون جميعا في كل ما يُجَابِهُ الأسرة من مغانم ومظالم. والفرد الواحد يشعر بالانتماء لعشيرته فيُخْلِص ويتعصَّب لها، فضلا عن أنّه يكنُّ تقديرا واحتراما خاصًّا لشيخ عشيرته "شيخ الجماعة" ووجهائها ولأعرافها وتقاليدها.

2.1.3 شيخ الجماعة:

له وزن ثقيل بين قومه، فهو من يتولّى شؤونهم في غياب أوليائهم، يمتاز بصفات منها: كبر السنّ، رجاحة العقل، فصاحة اللّسان وفضل الجود، وكان في الغالب أن يكون معه من قبيلته رئيس تابع له يلقّب "رديفا". وشيخ الجماعة هو القاضي الذي يفصل في جميع الخصومات التي قد تنشب بين أفراد العشيرة أو مع عشيرة أخرى، ولا يتوانى في استشارة بعض عقلاء القرية "الدّوار" بما فيهم الإمام الذين يدعونه بـــ"الفقيه"، الذي سوف يحكم بينهم كما تقول العامّة منهم "حكم ربِّي والنّبي" أي بالكتاب والسّنة، وقلَّما يلتجؤون إلى المحاكم القضائية للفصل في قضايا الخلاف بينهم. بل على العكس تجدهم متحابين، متعاطفين، متسامحين، يساعد بعضهم البعض، ويتزاورون ويسهرون مع بعضهم البعض وكأنّهم أسرة واحدة. فتراهم يتفاخرون بكرمهم السّخي وشجاعتهم وفراستهم وذهنهم الصّافي، لوجودهم في بيئة هادئة، وفضاء واسع انعكست على طبعاهم، فالنّاس عادة ما تجدهم هادئين ومتزنين قانعين، يتحلّون بمكارم الأخلاق، يمتازون بالأنفة وحسن المعاملة والجوار والمعاشرة، والصّدق والوفاء والحفاظ على العهد، وصون الكرامة والشّرف، واحترام رجل الدّين والمسّن.

2.3 عادات وتقاليد المجتمع الهلالي

العادة: ما اعتاد النّاس على فعله من الأفعال الحميدة، فسار مسار القانون أو النّظام لا يحيد عنه أحد، أمّا **التّقليد:** فهو أن يفعل إنسانٌ قد يكون مرموقًا فعلةً حسنةً يعجب بها الآخرون فيقلّدونها، ثم تتّسع دائرة تقليدها حتّى تشمل قطاعا كبيرا من أفراد المجتمع، وربّما شملت المجتمع بأسره، وتكون بمثابة القانون أو النّظام وربّما أقوى منهما. أمّا **العرف:** فهو ما تعارفت مجموعة من الأشخاص على فعله، ومن ثمّ جرى استحسانه من قِبَل العديد من فئات المجتمع، وتعارف عليه أكبر عدد ممكن، وربما المجتمع كلّه وصار بمثابة الإطار العامّ الذي يسير عليه النّاس، ومعظم العادات والتّقاليد والأعراف نجدها تنبع من تعاليم الشّريعة الإسلامية السّمحة والأخلاق العربية الكريمة.

تشتهر قبائل بني هلال بعادات وتقاليد وأعراف لا زالت تحكمها وتسير عليها، ولا يمكن للفرد أن يحيد عنها أو يتجاهلها؛ فهي بمثابة القوانين التي ينبغي المحافظة عليها، ونذكر منها:

1.2.3 آداب البيت:

من العادات الجميلة التي كانت سائدة وما زالت مستمرّة في هذا المجتمع، أنَّ لكبار السّن منزلة عالية، فاذا ما تكلَّموا لم يقاطعهم أحد بل ينصت الجميع دون استثناء، ومن تلك العادات أيضا التزام الجميع بآداب الجلوس إلى المائدة. وكان للولد حديثه وللبنت حديثها فلا يختلط هذا بذاك، وكان الولد يُزجَر عندما يتكلّم بكلمات مائعة خاصة بقاموس المرأة. ولا يجتمع الولد مع زوجته في حضور أبيه، ولا يعلو صوت المرأة على الرّجل، فبالرّغم من صلابة المرأة الهلالية في مصارعة الحياة ومشقّاتها، فإنّها لا تتعالى على الرّجل، وإنّما تجدها منصاعة له، أبًا كان أو أخًا أو زوجًا، حتّى إنّك لا تجدها تمشي بجانبه وإنّما خلفه، ولهذا السّلوك معيار آخر تراه هي في نفسها، فهي تمشي خلفه باعتبارها مخلوقا ضعيفا بحاجة إلى حماية الرّجل ورعايته. وقلّما تجد في بعض العشائر الهلالية إمرأة متسلّطة، متجبّرة وباطشة، لها سطوتها، وتعشق بسط نفوذها.

2.2.3 تقاليد الجوار:

العرف عندهم يحثُّهم على حسن الجوار، ومعاملة الجار بالحسنى وتقديم يد العون له وقت الحاجة، والمأثورات الشّعبية تَزْخَرُ بالحكم التي تؤكّد تلك الفضائل السّامية مثل قولهم: "النّبي أوصى على سابع جار"، "الجار القريب خير من الأخ البعيد"، "اشتري الجار قبل الدّار". والعادة تقضي على أهل "الدّوار" أن يستقبلوا الجار الجديد، سواء كان من الأقارب أو من الغرباء، وذلك في اليوم الأوّل الذي يقيم فيه بجوارهم، ويساعدونه في تهيئة بيته وحطِّ رحله، كما يتناوبون في إطعامه، والجار الجديد يقيم فيما بعد وليمة تجمعهم أجمعين.

ومن تقاليد الجوار عندهم، قيام الجار بمجاملة جاره في الأفراح ومواساته في الأحزان، والوقوف إلى جانبه عندما تستدعي الظّروف.

3.2.3 تقاليد إكرام الضّيف:

طبقًا لتقاليدهم يقع إكرام الضّيف على عاتق رجال القرية، لا على عاتق المضيف وحده، فالضّيف يتناول طعامه في اليوم الأوّل عند الشّخص المقصود، أو عند شيخ العشيرة، وبعد ذلك يتناوب أهل الحيّ في تقديم الطّعام له، ويتبارى الرّجال في إثبات واجبهم في إكرام الضّيف، والكلام على المائدة هو إحدى قواعد الضّيافة والولائم، لتسلية الضّيف. والتّقاليد المتّبعة تقضي أن يكون الضّيف تحت حماية المضيف، من السّرقة أو الاعتداء عليه طوال فترة إقامته بينهم، ولا يجوز للمضيف الانتقام من الضّيف أو المستجير بسبب ثأر قديم بينهما، ويعتبره من أحد أفراد العائلة ما دام في بيته، وعليه أن يحميه من كل اعتداء، وإذا اعتدى المضيف على الضيف أو على نسائهّ فيحقّ للضّيف أن يقتله كدفاع عن شرفه، ولا يعاقب ولا يحاسب على ذلك. أمّا إذا كان الضّيف غير مرغوب فيه، فيتّبعون معه قاعدة "الظّلام وقلّة الكلام" وهي دلالة على عدم التّرحاب به، كونك لم تنزله مُنزلا حسنا، فلم تُنِر له المكان، ولم تحدّثه منذ أن حلّ عليك، فيستشعر ذلك، فيحمل نفسه ويعود أدراجه، اللّهمّ إلا إذا كان ضيفا متطفّلا. ومن واجب الضّيف مراعاة حرمة البيت الذي يحلُّ فيه، فيغضُّ من طرفه عن النّساء ويقنع بما يُقدَّم له، وأن يكون متواضعا ولا يكثر من التّباهي بماله أو أصله أو خصاله، ويستوجب عليه أن يكون أمينًا على سرِّ صاحب البيت وماله.

3.3.3 تقاليد التّكافل والتّضامن في المجتمع الهلالي

من أهمّ مظاهر التّعاون والتّكافل بين أفراد المجتمع الهلالي، نذكر عادتين حميدتين لا زالتا شائعتين وهما: "التّويزة والوزيعة".

– **التّويزة**[1]: تعدُّ من الظّواهر الرّاسخة في المجتمع الهلالي والتي تبثُّ السّعادة في نفس الواحد عند مشاهدتها؛ لما تحمله من معانٍ جميلة ودلالات ترمز إلى التّعاون وروح التّكافل والتّماسك الاجتماعي، وتعبّر عن مدى تراحم وتوادّ وألفة هؤلاء القوم. و"التويزة" هي شكل من أشكال الأعمال التّطوعية التّلقائية الجماعية لإنجاز عمل ما، للفرد الواحد أو للصالح العامّ، في أقلّ وقت ممكن، فبمجرَّد أن ينوي أحد من النّاس بناء مسكن أو حفر بئر أو تصليح أرض أو حصد أو درس... إلا وهبَّ الجميع لمساعدته، وترى المكان يعجُّ بالنّاس، كلُّهم يأتون إلى عين المكان مع أطفالهم الصّغار والكبار لتقديم يد العون والمساعدة، كلّ واحد حسب خبرته وبقدر استطاعته أو حتّى بالأغاني والأناشيد المناسبة التي تحثُّ على العمل والنّشاط والتّضامن في جوّ من الجدِّ والفرح والمرح، هذا الجوّ الجميل الذي يعبق برائحة

[1] لعلَّ الكلمة مستوحاة من الكلمة الأمازيغية "ثيويزي" أو انحراف عنها، التي تعني التّعاون.

الحبِّ والوُدِّ، وأيضًا بطيبة هؤلاء النّاس البسطاء. تجدهم يتقاسمون الفرحة والنّشاط والعمل، وأثناء الانهماك في هذا العمل تكون الأسرة المعنية قد أعدَّت طعام الوليمة التي تقام في مثل هذه المبادرات، وغالبا ما يكون الكسكس باللّحم، الذي يوزَّع في أطباق تَسَعُ لخمسة نفر يسمّون الطبق الواحد بـــ"مَثْرَدْ الطْعَامْ" يأكل كلّ من ساهم في هذا العمل وحتّى من لم يساهم. أما إذا كانت "التّويزة" لصالح العام كبناء جامع مثلا فهناك من الأسر من تتطوّع لإعداد طعام الوليمة، أو قد يكتفي المتطوّعون بتقاسمهم كسر الخبز والماء واللّبن والمحبّة والفرحة الجماعية المتكاملة المتراصّة التي نفتقدها اليوم كثيرا. والأمر نفسه بالنسبة لنسوة القرية أو "الدّوار" ما إن تسمع إحداهن أنّ هناك من تودُّ نسج خيمة أو فتل كسكس أو غزل صوف أو... إلا وتهافتت عليها نساء الحيِّ يقدّمن لها يد العون.

– **الوزيعة:** هي أيضا من العادات التي تعبّر عن مدى تلاحم وتكافل هذه القبائل فيما بينها، فمن تقاليدهم في المناسبات الدّينية كالمولد النبوي الشريف[1] أو عاشوراء وكذلك عند حلول شهر رمضان المعظّم، أو في غير مناسبة يجتمع رجال الحيّ أو "الدّوار" بزعامة كبارها ويقرّرون إقامة "الوزيعة"، المتمثّلة في شراء ماشية أو أكثر حسب عدد الأهالي من السّوق أو من عند أحد من أهل الحيّ، وبعد إنهاء عمليتي الذّبح والسّلخ يعمدون إلى توزيعها، وذلك بتقطيعها قطعا متساوية حسب عدد الدّيار، حتّى الأمعاء والأحشاء توزَّع بالتّساوي بينهم، ويتمّ دفع ثمن اللّحم بأجل معيَّن إلى المكلَّف بجمع المال، الذي سيدفعه هو بدوره إلى من تولّوا شراء الماشية، وأحيانا صاحب الذّبيحة هو نفسه يمهل الأهالي إلى أجلٍ مسمّى، ريثما يجهز ثمن قسمته من اللّحم. أما بالنّسبة للفقراء المعوزّين والأرامل من النّساء التي ترعى الصّغار، فهناك من يتولّى مستحقّات الدّفع عنهم. وبالنّسبة لجلد الذّبيحة عادة ما يأخذها أحد من الميسورين ويضيف ثمنها إلى ثمن "الوزيعة" لتخفيض ثمن اللّحم عن أهل الحيّ. وتتمّ هذه القسمة في جوٍّ تضامني كبير مفعم بالفرحة والبهجة، يحضرها جميع أفراد الحيّ من الرّجال والأطفال، وهي عادة حميدة تهدف إلى غرس روح التّضامن بين العائلات الغنية والفقيرة، وزرع روح التّسامح والتّراحم، والقيام بالصّدقات بطريقة ذكية لا تحرج العائلات المعوزّة التي لم تستطع المشاركة.[2]

---

[1] المولد النبوي يدعى في المجتمع الهلالي بـــ"سيد الميلود" بمعنى: السّيد المولود، ويقصدون بطبيعة الحال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

[2] الوزيعة أصلها من التّوزيع: القِسْمَةُ والتَّفْرِيقُ. ووَزَّعَ الشيء: قَسَّمه وفَرَّقه. وتوزعوه فيما بينهم أي تَقَسَّموه، يقال: وزَّعْنا الجَزُورَ فيما بيننا. وفي حديث الضحايا: إلى غُنَيْمةٍ فَتَوَزَّعُوها أي اقتسموها بينهم. وفي الحديث: أنه حَلَقَ شعَره في الحج ووَزَّعَه بين الناس أي فَرَّقه وقسَمه بينهم.

ما ينبغي التّأكيد عليه، أنّ في المجتمع الهلالي البدويّ لا يزالُ التّعاون على الإحسان قائمًا حتّى يومنا هذا، ولا يزالُ الأخذ بيدِ الضّعيف قاعدة صارمة لا يمكنُ لأحدٍ أن يتعدَّاها حتّى الآن، ولا يزالُ الاحتفالُ والدّعم المادِّي والمعنوي للمحتاجين وفق تلك البيئات شائعًا.

4.3.3 تقاليد اسم المولود:

يعدُّ من المناسبات الأهمّ في المجتمع الهلالي، فبعد سبعة أيّام من مجيء المولود الجديد، ذكرا كان أم أنثى، تنظّم الأسرة حفل العقيقية وذلك لتسميته. بصفة عامّة نجد المولود البكر –غالبا– يحمل اسم جده من والده، وهذا تقليد شائع بين أوساط القبائل الهلالية، فاختيار أسماء المواليد عادة ما يكون وفق تقاليد وأعراف متوارثة، ففي فترة الحمل قد يحدث أن ترى الأمّ مثلا في منامها أحد أولياء الصّالحين وهو يخاطبها أو يبوح لها بسرّ... أو يقدّم لها عطية أو منحة كماء أو خبز أو ثياب... أو شيئا من هذا القبيل، وقد ترى في منامها أحد الأقرباء المتوفّين، فيختار أهل المولود اسم ذالك الشّخص، وغالبًا ما يسمّى الطّفل الكبير باسم جدّه لأبيه، سواء كان الجدّ ميّتا أو حيًّا، وتسمّى الابنة باسم جدّتها. وهناك من العائلات من تعتمد القرعة في اختيار اسم مولودها، بحيث يختارون سبعة أسماء عادة ما تكون أسماء الأعمام والأخوال أو الجدود، أو أسماء أولياء الله أو شخصيات اجتماعية، ومن بين الأسماء السّبعة يتمّ اختيار اسم واحد عن طريق القرعة، إذ تقوم النّسوة باختيار سبعة عيدان غضّه، وكلّ عود يحدّدون له اسما يرمز إليه، ثم يناولون العيدان للأمّ التي لم تكن حاضرة أثناء التعيين فتختار عودا واحدا، ويتمّ ذلك ثلاث مرّات، والعود الذي أخذته الأمّ في الجولة الثّالثة، هو الذي يحمل المولود الجديد الاسم الذي كان يرمز إليه، وبعد اختيار الاسم تقوم عائلة المولود بإقامة وجبة غداء أو عشاء على شرف الحضور.

وبحلول أوّل مولود، تستمدّ المرأة أسباب وجودها ورسوخ قدمها في البيت، ففي وسطهم الشّعبي يعلِّق النّاس أهمية كبيرة على المرأة الولود، وكذلك على جنس المولود، ويفضلون الذّكور على الإناث، لاسيما المولود الأوّل. وكثيرا ما تعامل الأمّ المسكينة التي تلد البنات معاملة سيّئة، ويتّخذ كثيرون من الأزواج مسألة ولادة الزّوجة للإناث دون الذّكور، مسوّغا كافيا للطّلاق والزّواج من أخرى، فهم يدَّعون أنَّ الولد خير عون لأبيه في أمور المعيشة، على حين أنّ البنت تتعب الأسرة في تربيتها لتعمِّر بيتا آخر بعد زواجها، كذلك يرون أنّ التزامات الأب لا تنتهي تجاه ابنته، حتى بعد زواجها، فعليه أن

يزورها ويتفقَّدها وينفق عليها إن احتاجت لذلك، ولا يعني هذا أنّه لا مكان للبنت في قلوب والديها، إنّما مردود الذّكر في البيت الأبوي ممتدّ، بينما مردودية الأنثى محدودة، بحيث تنتهي بمجرَّد زواجها، وهذا في اعتقادهم –طبعا–

4.3 المعتقدات الشّعبية عند القبائل الهلالية:

لقد تعاقب على الأرض الجزائرية أمم كثيرة قبل مجيء بني هلال وبعد مجيئهم، ولكلّ أمّة دينها وتفكيرها وخرافاتها، ولا بد وأن تخلِّف آثارها على معتقدات من سيجيء بعدها، فلا نستغرب أن تختلف المعتقدات من زمان إلى زمان ومن عصر إلى عصر. "ويجب بداية أن نقرّر بأنّه يصعب الفصل هنا بين العادات والتّقاليد، وبين المعتقدات؛ إذ المعتقد يخصّ الجانب الدّيني والرّوحي والسّلوكي الخاصّ بتفكير هؤلاء القبائل، وبالتّالي يصعب الفصل بين السّلوك العملي وبين ما يفكر فيه هؤلاء وما يعتقدون به، وعلى أيَّة حال فسنركزّ هنا على الموروث الحياتي لأولئك البدو حتّى يمكن أن نستخلص منه طرائق التّفكير، وأصل العقيدة التي يؤمنون بها."[1]

1.4.3 زيارة الأولياء والصّالحين: إنّ موضوع زيارة الأضرحة موضوع شائك ومثير في نفس الوقت، وتدور حوله الكثير من الأساطير التي تحوَّلت إلى موروثات ثقافية، وهذا المعتقد موجود لدى شعوب عديدة وليس فقط عند القبائل الهلالية التي تمثّل السّواد الأعظم في تركيبة المجتمع الجزائري، ومنتشر بين جميع الفئات ذات القيمة العلمية والاجتماعية؛ لأنّ الخرافات الشّعبية لها سطوة الحقائق العلمية، وهذا هو سبب رسوخها في المجتمعات التي تنشأ فيها.

القبائل الهلالية مجتمعات متديّنة بطبعها، تدين بالإسلام كدين وتعتزّ به وتَغَارُ عليه، وإن كانت شعائره –في الغالب– تقام على النّحو الضيِّق في حدود معرفتهم به، باستثناء من تَلَقَّوا علوم القرآن والحديث من الكتاتيب والزّوايا، والجامعات الإسلامية في وقتنا الرّاهن. وإلى جانب الدّين، نرى شريحة كبيرة من فئات المجتمع الهلالي يعتقدون في كرامات الأولياء الصّالحين، فيقومون بزيارة أضرحتهم والتّبرك بها، أملًا في أن يكون ذلك خيرا ينالون به بركة هذا الشّيخ أو ذلك الوليِّ. كما أنهم يَنْذِرُون النذور بأسمائهم، ويذبحون الذبائح عند قبورهم اعتقادًا منهم بأن ذلك سببًا من أسباب قبولها وحلول البركة. الأمر الذي جعل مقامات أضرحة الأولياء الصّالحين، تتمتع بمكانة مرموقة في الوعي الفردي والجمعي لدى العديد من أفراد هذا المجتمع، عند الرّجل والمرأة، المتعلّم والأمّي، المثقّف والجاهل.

---

[1] حاتم عبد الهادي السيد: سيناء في تراث العالم القديم، مجلة أفق الثقافية، عدد 26 مارس 2005.

وبقدر ما يسود اعتقادهم بأنّ أولياء الله الصّالحين يمكنهم التوسُّط بين الإنسان وربه، ويساعدون على إيصال الدّعوات والصّلوات وإبلاغ نجواهم العميقة، هم يُوقِنون بأنّهم يتمتّعون بطاقات فوق بشرية، وخارقة قادرة على البطش وإنزال العقاب وفرض الخضوع والركون، وإلى هذا الاعتقاد تعود تسميتهم للأولياء الصّالحين بـــ"حراس لبلاد" أو "رجال لبلاد" فهم الذين يسهرون -في اعتقادهم- على حمايتها وسكينتها وخدمة ساكنيها. فكم من امرأة قُضيت حاجتها ونالت مرادها، بعد أن تراءى لها الوليّ الصّالح وهي بين اليقظة والنّوم، في صورة شخص يتمتّع بالبياض في لحيته وعباءته وعمامته !!! وكم من رجل تراءى له أحد الأولياء في صورة ثعبان رهيب، أو وحش مروع، أو شبَّت النار في بيته بعد ما تجرَّأ على ذكره بالسّوء في السّر أو العلن !!! والعديد من الحكايات الغريبة التي تروي علاقتهم الرّوحية بأوليائهم، وإن كانت عموما لا تصدّق لأنّها أقرب إلى الخوارق منها إلى ما يمكن أن يصدِّقه العقل، ولهذا تجد معظمهم لا يجرؤ على إبداء الريبة والاستخفاف بأولياء الله، مخافة أن تصيبهم اللّعنة ويلحق بهم غضب وبطش وليهم أو "حارس بلادهم" كما يعتقدون. فتراهم يطوفون بها مشعلين الشّموع وعيدان الطّيب، حاملين البخور، يقبِّلون أركانها وأعتابها، يتمسَّحون بترابها وجدرانها، ويسجدون ويقفون أمامها خاشعين متذلّلين متضرّعين سائلين مطالبهم وحاجاتهم، من شفاء مريض، أو حصول ولد، أو تيسير حاجة، أو قضاء دين أو تفريج كربة... وأمور شتّى يعتقدونها فيهم، وربّما نادوا صاحب القبر: "يا سيدي فلان جئناك من بلد بعيد فلا ترجعنا خائبين"، وتجد بعضهم يتّخذ ذكر اسم الشّيخ أو الوليّ -مستغيثًا به- عادة له وديدنه إن قام وإن قعد وإن عثر، وكلما وقع في ورطة أو مصيبة أو كربة إلا استغاث به، ذلك أنَّ العامَّة من الناس يعتقدون أنَّ الولي حينما يموت، تظلّ روحه تنتقل بكلّ حرّية في كلّ مكان، ولقضاء الحاجة فعلى الطّالب أن يستنجد باسمه ليتمَّ له ما أراد.

كما يعتقد هؤلاء أيضا أنَّ هناك من الأولياء من يقضي جميع الحوائج، في حين هناك من الأولياء من هو موكل بقضاء حاجة واحدة، فهناك من وُكِلَتْ له وظيفة الكشف عن الصّادق من الكاذب في حالة ما إذا تحاكما اثنان في قضية ما: كالسّرقة أو الاعتداء، فيتقابل الخصمان أمام الضّريح ويحلفون باسمه بإثبات الأمر أو نفيه، ويزعمون أنَّ الجاني ستظهر عواقب حلفه الكاذب قبل أن يعود إلى بيته، كأن يصاب بالعمى أو يُشَلَّ أو يُصَمَّ. وهناك من الأولياء من قلَّدوه وظيفة فكِّ رباط المرأة العاقر أو التي تأخَّر حملها، فعليها بزيارته، وينبغي عليها قبل ذلك أن تشدَّ وسطها بحزام قبل أن تقدم إليه، لأنّ هذا الحزام هو الذي سيكون علامة إن كانت ستظفر بالولد أم لا، فإن حُلَّت عقدة الحزام لوحدها أثناء زيارتها للضّريح فلتستبشر خير، وإن بقيت معقودة فلا حظَّ لها في الولد. كما منحوا أولياء آخرين

وظيفة نزع أو إخراج الجنّ من الشّخص المتلبّس به، وحتّى يتمَّ شفاؤه عليه أن يقبع بالضّريح على الأقلّ ليلة واحدة، وقبل أن يغادر الضّريح عليه أن يخلِّف شيئا من ملابسه، ويعلِّقه بإحدى الأماكن أو بالأشجار الكائنة بضواحي الضّريح... وهلمَّ جرًّا.

وللوَلَاء والتّقديس الشّديدين المشبعين بالخوف أحيانا، تجد نسبة عالية من النَّاس قد تحنث إن أقسمت بالله عزَّ وجلَّ، لكنَّها لا تحنث أبدا إن هي أقسمت بأوليائه الصّالحين. أَضِفْ إلى ذلك، أنّهم يُسمُّون أولادهم بها، ويقيمون لهم ولائم ومواسم خاصّة تعرف باسمهم "وعدة سيدي فلان" "وزردة سيدي فلان"، ويشدُّون إليها الرّحال نساء ورجالا، كبارا وصغارا، من كلّ صوب وحدب، غير مكترثين لعناء السّفر ولا لبعد المقرِّ، ولا لحرارة الشّمس ولا لهطول المطر.

والحقيقة التي ينبغي تأكيدها، أنّه يستحيل حصر كلّ الأضرحة التي تمتدّ على طول شريط الإقليم الغربي الجزائري، فلا تكاد قرية تخلو من مقام لضريح وليّ صالح أو قبَّة كما يسمّونها، فلكلّ قرية ولِيُّها أو أكثر، سواء كانت كبيرة أو صغيرة، وتختلف شهرة هؤلاء الأولياء وتتفاوت بقدر الأساطير التي نسجت حولهم. وتبعا لذلك ذاع صيت بعضها وتجاوز حدود القرية أو الجهة، وأصبح رمزا معروفا في كلّ البلاد كما هو الشأن بالنسبة لـــ"سيدي بومدين" حارس تلمسان، و"سيدي الهواري" في وهران، و"سيدي خليفة" بالبيض، و"سيدي أحمد المجذوب" بالنّعامة، و"سيدي عابد" بغليزان، و"سيدي عبد القادر" بمعسكر، و"سيدي بلعباس" الذي تحمل المدينة اسمه،... وغيرهم كثيرون، في حين يبقى بعضهم محدود الشّهرة ويدين له أهل القرية بالولاء.

والغريب أنّه يبنى المقام أو القبَّة عادة وسط القرية، وهي عبارة عن بيت كبير يتوسّطه ضريح، توارثت الأجيال اليقين بأنه لوليٍّ صالح، لكن في معظم الأحيان لا أحد يعرف شيئا دقيقا ومؤكَّدا عنه، باستثناء بعض الأساطير التي هي أقرب إلى الخوارق منها إلى الحقيقة. كما قد نجد بعض المقامات لا تحوي أيّ ضريح، ولكنها اتُّخذت مَعْلَمًا أو رمزا لوليّ صالح له من المكانة في قلوب محبّيه والمعتقدين فيه.

وبعد العشرية السّوداء -كما يسمّيها السّياسيون-، قلَّ إقبال هؤلاء القبائل على زيارة الأولياء الصّالحين، إن لم نقل إنّهم انقطعوا عنها كلّيةً، لكنَّ هذا الانقطاع كان إجباريا ورغما عنهم، فهم يصرِّحون أنّهم ما كانوا ليقطعوا عهدهم بها، لولا ردع الإرهاب الذي قام بحرق العديد من الأضرحة، وبثَّ في نفوسهم الرّعب والخوف، والآن يعملون على إحيائها من جديد وعادوا يشدُّون الرّحال إليها بلهفة وشوق كبيرين بعد أن حلَّ الأمن والأمان، واستقرَّ حال البلاد، وساد السلام والوئام، بفضل

جهود رئيس الدّولة الذي يستثنونه بدعوات خاصّة أثناء زياراتهم لأولياء الله الصّالحين -على حدِّ قولهم-
.

2.4.3 الوَعْـــدَة: لعلَّ ما يميِّز الأضرحة الذّائعة الصّيت هو التّجمع الكبير الذي يقام عندها كلّ سنة ويسمّى بـــ"الوعدة أو الزّردة أو المعروف" تعدّدت الأسماء لمعنى واحد، هو وليمة كبيرة تقام عند ضريح الولي الصالح كقربان، ولها مواسم معلومة. ففي يوم معلوم من كل سنة كان يعلِن عنها المنادي أو (البرَّاح) كما يسميه أهل المنطقة، خلال جولة تقوده إلى كل قرى المنطقة وأسواقها مشيا على الأقدام لإعلام الناس بموعد "وِعْدَة سيدي فلان"، وفي السنوات الأخيرة أصبح المنظمون لمثل هذه التجمعات يستخدمون الوسائل الحديثة، لا سيما وقد أصبحت دعمًا رسميًّا، ورصدت لها ميزانيات من الأموال، وسهلت لها الطرق، وحظيت بإعلام واسعٍ، فتوالى الحديث عنها في الإذاعات والتلفزيون وفي الجرائد والإنترنت. ويَفِدُ إلى المكان الآلاف من الناس من مختلف الأجناس والأعمار لقضاء يوم أو أيام للتبرك وللتنفيس، في جو المدائح وقرع الطبول والأهازيج والرقص المصاحبة لما لذَّ وطاب من أنواع الأطعمة، كما أنه يتم فيها تلاوة القرآن الكريم والعزم على ختامه ابتداءً من صلاة العصر إلى غاية صباح اليوم الموالي، وهو ما يعرف "بالسَّلْكَة"[1]، ويَعْقُبُ ذلك تلبيس ضريح الولي حلَّة جديدة بحضور الأشراف وشيوخ الزّوايا المنتشرة في هذا الإقليم، وعموما طقوس هذه "الوعدات" تتشابه وإن اختلف مكانها وزمانها.

من أشهر "الوعدات" التي تحتل الصّدارة في طقوس القبائل الهلالية والتي من غير المحال أن يتخلّفوا عنها نذكر: "وعدة سيد الحسني" بمدينة وهران، "وعدة سيدي خليفة" ببلدية الخيثر، و"وعدة سيد الشّيخ" -مدينة البيض-، و"وعدة سيدي أحمد المجذوب" بعسلة -مدينة النّعامة-، وهذه الأخيرة تعتبر أكثر "الوعدات" التي يُشَدُّ إليها الرّحيل بكثرة من جميع مناطق الغرب الجزائري، فتُنصب حول مقام الوليّ الصالح العديد من الخيام.

إنّ مصطلح "الوعدة" وارد في اللّغة العربية فهو مشتّق من فعل وَعَدَ، وتعني تعهَّد بشيء ما، أي أخذ على عاتقه شيئا ما، أو أنّه مشتّق من المَوْعِدِ موضع التواعُدِ، وهو المِيعادُ، ويكون الموعد مصدر وَعَدْتُه، ويكون المَوْعِدُ والمَوْعِدَةُ وقتًا للعِدةِ. والميعادُ: لا يكون إلا وَقْتًا أَو موضعًا. [2]. أما مصطلح "الوعْدَة" في طقوس القبائل الهلالية، عبارة عن احتفال ديني يقوم به أشخاص من سلالة الوليّ الصّالح

---

[1] ترتبط لفظة السّلكة بعملية كتابة وقراءة أو حفظ القرآن الكريم بأكمله.

[2] ينظر ابن منظور: مادة (وعد).

والتّابعون له، حيث يأتون للزّيارة بلوازم الإعداد لهذه "الوعْدَة"، ونَجِدُها في أوساط العامّة "تأخذ هالة روحانية تتمثّل في شيء مقدَّس، وفي ممارسات تنمُّ عن اعتقادات، أقلّ ما يقال عنها إنّها تقديم القرابين والتوسّل إلى الله لرفع المظالم، وتحقيق الأمنيات.[1] وتنتشر هذه الظاهرة في القرى خاصّة أكثر من المدن، حيث يعمل النّاس على إحيائها في مواسم معيّنة، ويستمرّون في إقامتها، اعتقادا منهم أنّ عدم إقامتها قد تؤدّي إلى تأخير نزول الغيث أو زوال البركة أو اشتداد المحن...، فديمومة هذه الظّاهرة ترتبط ارتباطا وثيقا بواقعهم الاجتماعي.

إنّ مفهوم الوِعْدَة لم يحسم فيه بعد؛ نظرا لغياب الدّراسات الأنثروبولوجية الجادّة في هذا المجال، إلّا أنه لا يستبعد فرضية أن تكون "الوعدة" حديثة العهد ترتبط بسقوط غرناطة وبأهلها الموريسكيون[2]، الذين طردوا من الأندلس واستقرّوا بشمال إفريقيا بما في ذلك الجزائر، وباتت ظروفهم الجديدة تحتّم عليهم تحديد موعد للتّلاقي، وكان ذلك مع نهاية فصل الصّيف وبداية فصل الخريف، وعند التقاء الجموع كانت تنصب الخيام وتذبح الذّبائح تتخلّلها القراءات الشعرية والموسيقى والرّقص الذي اشتهر به المجتمع الأندلسي، خاصّة في مجال التّوشيح والزّجل وغيرها من الفنون. وعند انتهاء اللّقاء الذي كان يدوم لأيّام ويأخذ شكل الاحتفال الشّعبي، تفترق الوفود ضاربة لنفسها موعدا للعام المقبل في نفس الموسم والمكان، ومن هنا أخذ الاحتفال اسم "الوِعْدَة" وربّما كانت في الأصل "الوعد" ثم تأنّثت التّسمية مع مرور الزّمن، تماما مثل ما تغيّرت أمكنة وأزمنة حدوثها مع تغيير أحوال المجتمع الجزائري.[3] ومن ثمَّ اتّخذت "الوعدة" طابع القداسة[4]، وأصبح المحافظة عليها من الأهمّية بمكان بالنّسبة لجميع أفراد القبيلة أو العشيرة، فالاحتفال السّنوي الذي يقام على شرف شيخ الزّاوية أو صاحب الضّريح، كثيرا ما

---

[1] بوشمة معاشو: سيدي غانم تراث وثقافة، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، 2002م، ص 13.

[2] الموريسكيون: هم المسلمون الذين بقوا في الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة 1492، وأجبروا على التنصر والدخول في الكاثوليكية... وغُيِّرَت أسماؤهم إلى الإسبانية وحُرِموا من حقوقهم وتابعتهم محاكم التفتيش دون هوادة... وكلمة الموريسكيين هي تصغير لكلمة "مور" والتي يطلقها الأسبان على كل المسلمين و"موريسكو" هو المسلم الصغير إمعانا في الإهانة والتحقير، وقد ظل هؤلاء ماسكين بدينهم طيلة حوالي 115 عاما ثاروا فيها عديد المرات وتعرضوا للقمع والتنكيل في واحدة من أقسى التجارب التي مرت بها البشرية... وقد كانوا ممنوعين من الخروج من أسبانيا إلى حدود 1609 حين صدر قرار بطردهم...

[3] م. س، ص 13- 15.

[4] م. س، ص13.

يشكّل ظاهرة مقدّسة بالنّسبة للقبيلة، والتي لا يجب تركها بل إقامتها في الوقت المحدَّد، ممّا يؤدّي إلى ترسيخها في أفكار البسطاء كواجب مقدّس تجاه الوليّ.[1] وهذا ما جعل الذين يتخلّفون عن موكب "الوعدة" أن يكتفوا بإقامتها في بيوتهم، فيطعمون في ذلك اليوم الطّعام، الذي يكون في الغالب عبارة عن "كسكس"، ويتمّ توزيعه على الجيران والمارّة، على أنّه طعام "سيدي فلان". ولما جاء الاستعمار الغاشم لمس من الشّعب الجزائري مدى تقديسه للأولياء الصّالحين وزيارة أضرحتهم، وكيف أنه يقدِّم لهم النّذور والقرابين ويستغيث بهم، ويتحاشى ذكرهم بسوء، ويحلف بالله حانث ولا يحنث إن حلف بالأولياء، فاستغل بحسِّه الماكر هذا التّقديس لأولياء الله الصّالحين، وأخذ يشجِّع له ببناء قبب هيكلية جديدة على حدود المزارع التي استولى عليها، كحرز يمنع تهجمات الثّائرين على محاصيل مزارعه وممتلكاته.

3.4.3 الذّبح على عتبة الباب: عادة أخرى من العادات التي لم أستطع التّوصل إلى معرفة جذورها، غير أنه من المتعارف عليه بين النّاس، أنّ الذّبح على عتبة المترل الجديد وقبل دخوله من أهمّ الأسباب لدفع العين، وجعل البيت مباركا، وتأمينه من المآسي والحوادث غير المستحبّة. ولا تزال هذه الظّاهرة تمارس حتّى اليوم في كثير من المناطق، فداءً وقربانا لساكنيّ الأعتاب، من الجنّ والأرواح الشّريرة التي تسكن الأعتاب حسب معتقداتهم.

"فالذّبيحة تتمّ استرضاءً لهذه الأرواح، واستئذانها للدّخول إلى البيت، ومنعها هي من الدّخول إليه، حتّى لا يصبح البيت مسكونًا !!!"[1] البدو كذلك يقومون بهذا الفعل قبل نصب الخيمة، حيث يستأذنون الجنّ لنصب خيمهم، قائلين: (ضْيَافْ رَبِّي يَا رْجَالْ لْبْلَادْ). فعتبة البيت حسب الاعتقاد السّائد، طالما كانت هي مسكن الأرواح الشّريرة، فهي المكان الأفضل لممارسة السّحر ووضع أوراق مكتوبة والأحجبة أو دفن عظام أو رشّ ماء به سحر، لإلحاق ضرر أو نفع بأصحاب البيت عن طريق السّحر وفنونه. "لأنّ العتبة هي الفاصل الرّمزي بين الدّاخل والخارج، كما أنّها الممرّ الإجباري للشّخص المراد أذيته عند الدّخول إلى المترل والخروج منه."[2] ففي أوّل ليلة من حلول البيت الجديد، وقبل أن ينام الأهل، تعمد ربّة البيت أو الجدّة إلى طلاء زوايا البيت بالحناء وماء الزّهر، مبتدئةً بالعتبة –طبعا– مبدية

---

(1) المبارك الميلي: الشرك ومظاهره، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م، ص229.

(2) إدوار القش– مها كيال :مقال "عتبة البيت "العليا" حماية من العين و"السفلى" شرّ وأذيّة. الموقع:

http://www.oman0.net/forum/showthread.php?463932

بهذا الفعل –حسب معتقدها– حسن نواياها تجاه البيت الجديد، وعتبته التّي ستحلّ خيرها وبركتها عليهم.

العتبة عموما لها معان كثيرة فهي "تمثّل عمليًّا الحدّ الفاصل بين الخاصّ، المتجسّد بالمنزل، حيث الطّمأنينة والأمان والرّاحة والخصوصية الذّاتية للأسرة، وبين العامّ حيث التّعاطي مع الآخر المختلف، حيث الصّراع والكدّ والخطر."[1]

4.4.3 ربط البنات لحماية الشّرف: إنّ عذرية الفتاة تشكّل أهميّة بالغة في المجتمع الهلالي؛ لاسيما في المناطق الصّحراوية والقرى والأرياف، ونظرا لهذه الأهمّية، تلجأ بعض العائلات للقيام بعادات توارثتها عن الأجداد، بحجّة حماية شرفهم بالدّرجة الأولى، ومن ثمّة شرف بناتهم، لما يكتسبه هذا الشّرط الجوهري للفتاة من أهمّية بالغة خلال مرحلة العزوبية، فإن الحفاظ على عذريتها يعدّ من المسلّمات، بل من الواجبات والمهام الأساسيّة التي تلقى على عاتق الأمّ والجدّة والخالة والعمّة كذلك.[2] فبعض العائلات تلجأ إلى بعض الطّقوس الهادفة إلى تحصين البنات من الاغتصاب، وهو ما يُعرف بـــ"الرّبط"، وعموما فإنّ مثل هذه العمليات، تضفي نوعا من الطّمأنينة حتّى ولو كانت وهمية لدى الأمّ والخالة والجدّة، كونها تحمي الفتاة من خطر الانزلاق بإرادتها أو بغير إرادتها. وتقرّر بعض النّساء أنّ عملية الرّبط لها فائدة كبيرة للفتاة، خاصّة في يومنا هذا حيث أصبحت تتغرّب بعيدا عن أعين الأهل، وتسافر بمفردها متعرّضة للعديد من مخاطر الاعتداء على شرفها. بل هناك من النّساء من تتأسّف على بعض العائلات التي نسيت هذه الأعراف، وتركت بناتهن من دون رباط تصول وتجول وتغدو وتروح، عرضة للاغتصاب الذي يحوّل حياة العائلة إلى جحيم، ويجعل حظّ الفتاة في الزّواج قليلا، إن لم نَقُل إنّ الكثيرات سيرفضن الزّواج خوفا من اكتشاف أمرهنّ.

([1]) إدوار القش– مها كيال :مقال "عتبة البيت "العليا" حماية من العين و"السفلى" شرّ وأذيّة. الموقع: م س.

([2]) لأهمية البكارة، يبدأ التفريق بين الجنسين منذ مراحل الطفولة الأولى والتشديد على حراسة جنس الفتاة للمحافظة على شرف العائلة. فهذه البناءات السلطوية المتصلبة تدلنا كما يرى بورديو على مرجعية الإحساس بالشرف "الذي هو قيمة كبرى في المجتمع الجزائري، كما في غيره من المجتمعات العربية الأخرى أو البربرية."

Centre Européen de sociologie. ،Le sentiment de l’honneur dans les sociétés Kabyle ،- Bourdieu (P.)

وهناك من العائلات من أقرَّت أنّها تخلّت عن هذه الممارسات؛ لـــمّا علمن أنّها ضرب من السّحر الذي شدَّدت الشّريعة الإسلامية على النّهي عنه، لكنَّ سنوات الجمر التي اكتووا بنارها خلال العشرية السّوداء التي مرّت بها البلاد، خاصّة سكان القرى والأرياف، استدعت منهم أن يعودوا إلى مثل هذه الممارسات حفاظا منهم على بناتهم وشرف أهلهم. في حين نجد أنّ هذه الظّاهرة باتت تتقلّص شيئا فشيئا في التجمّعات الحضرية والمدن، حيث توّفرت عنها بدائل كالإجهاض والاختفاء عن المجتمع في أحياء المدينة الكبيرة، وعمليات التدليس.

وتتمّ عملية الرّبط قبل بلوغ الفتاة، أي قبل أن تشهد أوّل حيضة. أمّا عن وسائل وطرق الرّبط فهي تتنوّع من طرق سهلة الاستعمال والفكِّ، إلى أخرى معقَّدة لدرجة أنّ الشّروع في فكِّها مرة أخرى يستلزم تدخّل كهّان أو عرافين حاذقين، الأمر الذي يجعل ليلة الدّخلة ليلة جحيم تنغّص على العروسين فرحتهما، وقد يستمرّ معهما هذا التعقيد لعدّة أيّام إن لم نقل شهورا.

تعدُّ طريقة الرّبط بالمنسج من أشهر الطّرق في المجتمع الهلالي، كون جلِّ النّساء يمارسن حرفة النّسيج، بحيث تحدث هذه العملية عندما يكون الشّيء المنسوج عبارة عن جلابية أو برنوس نُسِجَ خصّيصا لرجل أعزب، وقبل أن تُفَكَّ أدوات المنسج، يُطلب من الصّبية في سرّية تامّة أن تقوم بالدّخول والخروج سبع مرات من أحد جوانب المنسج، المثبّت بقطع من اللّوح أفقيا وعموديا، وفي كلِّ مرّة تدخل فيها المنسج، تنتظرها إحداهن لتدقَّ بين كتفيها "بالخلّالة"[1]، والبنت المسكينة تظنّ أنّ النّسوة يلعبن معها، فتدخل وتخرج من المنسج وهي تمرح وتضحك. تقول إحدى النّساء ذات خبرة في هذا المجال: إنَّ فكَّ الفتاة التي تمّ ربطها بهذه الطّريقة، لا يتمّ إلّا بإحضار كامل لوازم المنسج، والاغتسال فوقها حتّى تتخلّص من الرّباط، وتكون قادرة على معاشرة زوجها بعد أن أحصنت طيلة فترة عزوبيتها.

وهناك طريقة الرّبط بـــ "إطار الغربال" الذي يعدُّ وسيلة أخرى لتحصين الفتاة؛ إذ تقوم البنت بإدخال هذا الإطار من رأسها إلى قدميها سبع مرات، وفكُّه يقتضي العكس، أي إدخاله يكون من قدميها إلى رأسها. غير أنّ هناك طريقة أخرى نوعا ما قاسية، ترويها العديد من المتمرّسات في هذه العملية، والمتمثّلة في جرح فخذ البنت بشفرة حلاقة، وعند خروج الدّم تُبلَّل كمية من الجبن المجفّف وتعطى للبنت لتأكلها، وبنفس الطّريقة يتم فكُّ هذا الربط.

---

[1] الخلّالـــــة: آلة يدوية تستعمل في دقّ النّسيج وتثبيته، (سبق تعريفها).

وآخر طريقة تمكّنت من معرفتها، هي أخذ البنت إلى إحدى العجائز، التي ستقدّم لها سبعة تمرات تردّد البنت قبل أكل كلّ تمرة عبارة (أَنَا حَيْطْ وَهُوَ خَيْطْ) إشارة لكونها مثل الحائط أقوى من الرّجل الذي سيحاول اغتصابها. أمّا عند فكِّ هذا الرّبط الذي سيتمّ قبل الدّخلة بساعات، فإن الطّقوس نفسها سَتُمَارَسُ، ولكن هذه المرّة الفتاة سترِدِّدُ عبارة (أَنَا خَيْطْ وَهُوَ حَيْطْ) أي أنّ الرّجل هذه المرّة سيتمكّن منها.

هذه بعض الممارسات استطعت أن أستشفّها من المجتمع الجزائري، وهي تدخل ضمن الطّقوس السّحرية التي تعبّر عن مدى التخوّف الذي توليه الأسرة لقضية الشّرف وعذرية الفتاة، وهي طقوس ضاربة في القدم تبدو لهم أنّها الوسيلة النّاجعة لحصانة الفتاة.

5.4.3 معتقد في طلب المطر (لالة حليمة): كان الرّجال إذا تأخّر المطر يُصَلُّون صلاة الاستسقاء، بينما كانت النّساء والأطفال يقمن بالاستعانة وطلب العون من الله لهطول المطر بصنع هيكل "لالة حليمة"، هي عادة متوارثة كُنَّ يمارسنها بعض نساء القبائل الهلالية في الماضي القريب، لا سيما المتمركزين بالمناطق السّهلية والسّاحلية، طلبا في الاستسقاء عندما لا تسقط الأمطار في فصلها ويشتدُّ الجفاف. حيث يعمِد نساء القرى إلى إلباس الصبايا ملابس جميلة بعد أن يقمن بتجهيز هيكل "لالة حليمة"، وهو عبارة عن ملعقة طعام من خشب، تُثبَّت عليها من جهة الأعلى قطعة خشبية بمثابة الكتف واليدين، ثم يكسى هذا الهيكل بثياب الفتيات، ويزيَّن بالحليّ الذّهبية والفضّية ويغطّى الوجه بقطعة من القماش، فتبدو "لالة حليمة" عندئذ في صورة امرأة بكامل لباسها وزينتها. ثم يرفع هيكل "لالة حليمة" من طرف بعض الصبايا، وتطوف به من بيت إلى آخر ومن ورائها موكب الفتيات والأطفال الصّغار، وهم يردِّدون مقاطع غنائية بحركات راقصة، يقولون فيها:

غَنْجَة غَنْجَة حَلَّتْ رَاسْهَا[1]

يَا ربِّ تْبَلْ اخْرَاسْهَا[2]

وْالنَّعْجة عَطْشَانَة... يَرْوِيهَا مُولَانَا

[1] وفي العادات البربرية يقولون أغنجة كلمة أمازيغية وتعني الملعقة (حلت راسها) بمعنى: كشفت عن رأسها.

[2] ياربّ تبل أخراسها. بمعنى: يا ربّ أمطرنا حتى تبتلّ أقراط لالة حليمة.

وْالبقرة عطشانة... يرويها مولانا

والدّجاجة.....

والأرنب.....

والمعزة..... وهكذا حتّى يأتون على ذكر معظم البهائم الأليفة، ويقف الموكب أمام كلّ بيت فترشُّ ربّة البيت عليهم الماء، ثم تعطيهنَّ شيئًا من الحبوب أو البقول أو الخضر (القمح، العدس، البصل،...) وهكذا ينطلق الموكب من جديد إلى بيت آخر، حتّى ينتهون من زيارة كافّة البيوت. ثم يجتمع الموكب في ساحة وظلّ هيكل "لالة حليمة" مرفوعًا، وتطبخ التّبرعات التي جمعت في قدر، ثم توزَّع وتؤكل كصدقة أو قربان. بينما هناك من النّساء من يلتحمن ويقمن بإعداد طعام "الكسكس" بما جمع من التّبرعات، وعندما ينضج يجتمع كلّ من النّساء والفتيات والصّبيان على قصعة الطّعام إلى أن يأتوا عليها، ويسود عندئذ جوٌّ من الاستبشار، فإن هطل الغيث فرحوا وغنّوا، وإلا جرت إعادة مشهد "لالة حليمة" مرّة أخرى حتّى يستجيب الله لدعوات الصّغار وتوسلاتهم ونواياهم البريئة.

إنّ تحليل هذا الطّقس يضعنا أمام تساؤلات كثيرة، والسّؤال الأساسي يتمحور حول "لالّة حليمة" فمن هي؟ ومن تكون؟ الواقع أنّنا لا نجد إجابة لدى النّساء الهلاليات، فهُنَّ كُنَّ يمارسن هذا الطّقس المتوارث لاعتقادهم أنّه يجلب المطر دون معرفة المقصود، وهناك من أشارت إلى أنَّ "لالة حليمة" مقصود بها السّيدة حليمة السّعدية مرضعة الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وإقامة هذا الهيكل تيمنًا بها، لعلَّ بركة الله تحلُّ علينا فنغاث، مثلما حلَّت البركة على قوم حليمة السّعدية لما وافقت على إرضاع نبيِّنا الكريم.

6.4.3 بعض المعتقدات الشّائعة إزاء بعض الحيوانات: الحيوانات في سلوكها الفطري اليومي وتصرفاتها الطّبيعية، قد تدفع النّاس تحت تأثير حالاتهم النّفسية والاجتماعية إلى تأويل تلك التّصرفات على أنّها أحداث ستقع، استنادًا إلى خلفية فكرية طبعتها المعتقدات في الذّاكرة، وتناقلها الأبناء عن الآباء والأجداد. من جملة الحيوانات التي فرضت هيمنتها في المعتقدات الشّعبية في الأوساط الهلالية نذكر:

– **السّلحفاة:** لهذا الحيوان قيمة كبيرة ،ووظائف عديدة بحيث لا يمكن الاستغناء عنه، فهو من يجلب الرّزق إذا تركته يسرح في أرجاء البيت، وهو من سيُسهِّل مرحلة المشي عند الطفل إذا غسلت أرجل الطّفل فوق درقته، وهو من سيجلب الحظّ للفتاة العانس إذا تبخّرت على بيضته.

– **نهيق الحمار:** يدلُّ على مرور الشّيطان فلا بدَّ من التّعوذ.

– **صياح الدّيك:** يبتهجون ويتبرّكون بصوته، وصياحه دلالة على موعد صلاة الفجر.

– **البوم:** يتشاءم النّاس من البوم سواء شاهدوها أو سمعوا نعيبها، فهي دلالة عن سماع خبر وفاة.

– **الغراب:** هو مثل البومة يعتبره النّاس نذير شؤم؛ نظرًا لصوته وشكله القبيح، وما إن يشاهده أحد من العامّة، حتى يستعيذ بالله خوفًا من مصيبة قادمة، خصوصًا إذا نعق أمامه. وإذا سمعت ربَّة البيت غرابًا ينعق أو بومًا ينعب في فضاء دارها، تناولت سكينين من المطبخ وضربت إحداهما بالأخرى حتى يتوارى بعيدًا.

– **القطُّ الأسود:** لا بدَّ من الحذر منه وتجنُّب إيذائه، فهو جنٌّ في صورة قطٍّ.

7.4.3 بعض المعتقدات الغيبية الشّائعة: هي كثيرة جدّا ويصعب حصرها، وسنحاول أن نقف عند المعتقدات الأكثر شيوعا وتداولا.

– **حكُّ الكفِّ:** إذا حكَّ المرء الكفَّ الأيمن فمعنى ذلك أنه سيصرف مالا، وإن حكَّ اليد اليسرى فإنه سيقبض مالا.

– **حكُّ القدمين:** يدلُّ على سفر أو ركوب مركب.

– **تحريك المقصّ في الهواء:** وكأنّك تودُّ قصَّ شيء، فهذا الفعل مستهجن لأنّهم يعتقدون أنّ ذلك سيجلب فتنة بين أهل البيت، فيؤول الأمر بهم إلى تفرقتهم وقطع العلاقات بينهم.

– **تناثر العجين من بين اليدين أثناء عجن الخبز:** فذلك نبأ عن حلول زوار أو ضيوف، والعجين الذي تطاير من القصعة هو من نصيبهم.

– **وقوع عِصابة المرأة:** فذلك يُنْبِئ بأنَّ هنالك من يتحدثون عنها في غيبتها.[1].

– **رفيف الأجفان العلوية:** إذا اهتزَّ أحد الجفنين بصفة متواصلة فهو يُنْبِئ عن قدوم شخص طال غيابه.

– **سقوط اللّقمة من اليد:** فهذا نبأ عن مكروه سيقع، أو خبر سيِّء سيأتي.

– **إذا لبس أحدهم شيء من أغراضه مقلوبا:** فهذا يُنْبِئ على أنَّه سيلبس شيئا جديدا.

---

[1] العِصابَة الشَّيء يُعْصَب به الرَّأسُ من صُداعٍ. لا يقال إلا عِصابَة بالهاء، وما شَدَّتَ به غيرَ الرَّأْس فهو عِصابٌ بغير هاء. ينظر ابن منظور: مادة (عصب).

5.3 الهوايات

لعلّ أكثر ما يستهوي الهلالين نذكر:

1.5.3 الصّيد: يعتبر الصّيد بالبندقية من الهوايات المحبّبة إلى رجال بني هلال، ومعظمهم مولعون به، فهم يخرجون في رحلات صيد قد تطول لعدّة أيّام، يتوغّلون فيها في جوف الصّحراء مصطحبين الزّاد والعدّة، بمرافقة "السّلوقي"[1] الرّفيق الدّائم في كلّ رحلة صيد فهو يملك نظرا حادًّا، وسمعا مرهفا، وحاسة شمٍّ قويّة، يستطيع بواسطتها أن يقتفي أثر الطّريدة، ويتعقبها دون أن يراها أو يسمع صوتها، كما يتميّز بصفتي الأمانة والوفاء التي تجعله يمسك بالطّريدة، ويأتي بها لصاحبه سليمة دون أن يأكلها أو يأكل بعضا منها، حتّى ولو كان يتضوّر جوعا.

لقد أبدى الرّجل الهلالي تفوّقه في صيد الغزلان، والأرانب البريّة، وطيور الحُبَارَى، والحِجْلِ، والسِّمَّان الذي يتوافد في فصل الخريف. إنّ مهارته العالية وخبرته الطّويلة بفنون الصّيد جعلته يستغني عن البندقية في صيده للأرانب مكتفيا بالعصا، وهو يفاخر أبناء عشيرته بمهاراته في هذا الفنّ.

2.5.3 جمع التّرفاس: التّرفاس لفظ أمازيغي، ويكتب (ترفست) وهو مفرد، ويجمع "ترفاس"، وهو ما يعرف في العربية الفصحى بالكمأة[2]، وقد سمّيت كمأة لاستتارها تحت التربة، ومنه كَمَأَ الشّهادة إذا سترها وأخفاها. والكَمَأُ أو الترفاس كما يسمّيه الهلاليون، من ألذّ وأطيب وأغلى ثمار الأرض على وجه الإطلاق، هو نبات فطري لا تظهر له أجزاء فوق سطح الأرض، فلا ورق ولا زهر ولا جذر، ويتراوح حجمه بين حبَّة البندق والبرتقالة، ينمو بالكامل تحت سطح الأرض وعلى عمق متفاوت ما بين 2 سم إلى 50 سم، ويستدلّ على وجوده بارتفاع طفيف في سطح التّربة، أو بتشقق التّربة عنه، وهناك من أهل البادية من اكتسبوا خبرة عالية في الاستدلال على أماكنه، واستخراجه وجمعه بكميات كبيرة إذا

---

[1] هو نوع من كلاب الصيد، يعتبر من أسرع الحيوانات ذات الأربع قوائم بعد الفهد الصياد، حيث تصل سرعته إلى 80 كم تقريبا، ويتميز بصفات منها: هادئ الطبع. لا يؤذي أحدا. شديد الألفة. مطيع لصاحبه ولا يبتعد عنه... سريع الاستجابة لما يريده. يكتفي بالقدر القليل من الأكل. لا يأكل اللحم النيئ... لأن صاحبه يكون عوده على ذلك. وقد عرف العرب كلاب الصيد السلوقي نسبة الى سلوق وهي مدينة تقع بجنوب بلاد اليمن، وقد اشتهرت منذ القدم بصنع الدّروع وبالصّيد وبتربية كلاب صيد جيدة ولها خبرة واسعة بأمور الصيد وسمّيت مدينتهم نسبة إلى هذه الكلاب لما لها من المكانة والأهمية عندهم فسّميت بذلك.

[2] الكَمْءُ: نَبات يُنَقِّضُ الأَرضَ فَيَخْرُجُ كَمَا يَخرج الفُطْرُ، وَالْجَمْعُ أَكْمُؤٌ وكَمْأَةٌ. ابن منظور: م س، مادّة (كمأ).

كان وفيرا في الموسم، ويمكن الاستدلال على موقعه بحسب الخبراء بوجود نبات الأرقة أو "الخاطر" كما يسمُّونه، والتي ما إن تُشَاهَد حتّى يتمَّ البحث حولها عن التّرفاس، ويعتقد أنّه يعيش بجانبه معيشة تكافلية حيث يمتصّ التّرفاس الماء والأملاح والموادّ الغذائية من جذور نبات الأرقة، مقابل أن يستفيد نبات الأرقة من بعض العناصر المعدنية منه والتي لا يجدها في التّربة، كما يُسهِّل تشقّق الأرض من الاهتداء إليه وقت الضّحى وهو وقت لجنيه، حيث يكون ميل أشعّة الشّمس على سطح التّربة عاملا مساعدا على كشف الأجزاء المتشقّقة، والتي تدلّ على وجود الكمأة المكتملة النّمو تحتها، ونادرا ما يجد الباحث كمأة منفردة فلا بد أن يجد حولها واحدة أخرى أو أكثر. ويبدأ الحديث عن "التّرفاس" مع دخول فصل الشّتاء ونزول أول قطرات المطر، حيث يتناقل النّاس أخبار التّرفاس وأين ظهر، ويبدؤون في البحث عن هذا الفطر استمتاعًا بقضاء الوقت في البحث عنه، وأيضًا بطعمه الذي يحاول الكثير ألا يمرّ الشّتاء إلا وقد تناول شيئًا منه، وتبدأ تباشير ظهوره بعد أول مطرة بـــ 45 ليلة من مطر الموسم –كما يعتقدون–، و(الجَوْبَر) هو أوّل نوع يظهر، لونه أسود وداخله أبيض، وهذا النّوع يظهر قبل ظهور التّرفاس الأصلي، وهو يدل على أنَّ هذا الأخير سيظهر قريبًا، ويعتبر هذا النّوع أردأ أنواع "التّرفاس" ونادرًا ما يؤكل، أما "التّرفاس" الصّالح للأكل فيظهر مع أوّل دفء شمس الرّبيع بعد 75 ليلة من أوّل مطر الموسم، وأوّل عشرين يومًا من الرّبيع إذا نزل فيها المطر تبشّر أنّه بلا شك موسم التّرفاس، لكنْ بشّرط تتابع المطر وكثرة رعد السّحب الممطرة، فكلما كثر الرّعد كثر "التّرفاس" حتّى إنّ هناك من يسمّيه "بنات الرّعد" لأنّه يكثر بكثرته.

وفي الربيع يجذب البرُّ عشّاق "التّرفاس" حتّى يكاد يصبح كأنّه لون جديد من ألوان الصّيد، فيهرع الكثيرون إلى البراري مع طلوع الشّمس، وهناك من يصطحبون نساءهم وأولادهم حتّى يتمكّنوا من جمع كمية أكبر. ولا يجد الهلالي متعة "التّرفاس" إذا ما اشتراه من السّوق، بل يرى أنّ متعته تكمن في تجشُّم الصّعاب في التقاطه والاهتداء إليه في منابته. وتتفنّن المرأة الهلالية بدورها في طهوه، فتقدّمه على أصناف مختلفة، ولا يفوتها أن تخزّن منه للحاجة فتقوم بتجفيفه.

3.5.3 الفروسية: من أجمل وأهمّ العادات والتّقاليد وأعرقها؛ إذ يمتدّ امتلاك العربي الأصيل للجواد أو الفرس إلى أقدم جيل عربي بل إلى أوّله، فلا ريب إذن أنّ العربي الهلالي كان فارسا يعشق فرسه، ويتغنى بذكر محاسنه، وما زال بعض سكّان المنطقة يملكون الفرس خاصّة البدو منهم، لكن وظيفته تقلّصت وأصبحت مقتصرة على التّرحال والصّيد والمتعة. فلئن كان قد اقترن اسم الجواد في عهد مضى بالبادية والشّعر والبطولة، فاليوم أصبح يستعمل للتّباهي به في المناسبات كحفلات الأعراس والولائم

والاستعراضات التي تقام في المهرجانات السّنوية والوعدات[1]، وكوسيلة نقل تجر العربة المحمّلة بالبضاعة قصد بيعها. ولئن كانت الّدولة قد خصّصت مراكز بالمناطق الحضرية تهتمّ بتربية الخيول والفروسية، فمن باب المحافظة عليه كتراث تقليدي وإرث مادّي فقط.

4.5.3 مجالس السّمر: لمجالس السّمر سحرها، حيث الأحاديث الجميلة التي يتواردون فيها أخبار الماضي والحاضر، ويستأنسون بذكر بطولة الرّجال ونوادرهم، وترديد قصائد الشّعر التي تصاحبها أحيانا رنات "القصبة"[2] التي تشكّل مصدر ترفيه وتنفِيس عن همومهم واهتماماتهم، مع إبريق الشّاي وطبق الفول السّوداني. كذلك تكون مجالسهم مدارس لتعليم الصّغار العادات والتّقاليد، وتعلُّم حسن المنطق وآداب الحديث مع الكبار.

6.3 الألعاب الشّعبية:

تُشَكِّلُ الألعاب الشّعبية أحد أهم عناصر التّراث الشّعبي، وجزءا مُهِمًّا من الذّاكرة والوجدان الجمعي لأيّ مجتمع، فهي نتاج للتّكوين الثّقافي والحضاري، وانعكاس للبيئة الطّبيعية والجوّ الاجتماعي السّائد.

فالملاحظ أنَّ جميع هذه الألعاب أو معظمها على الأقلّ، مستوحى من ظروف البيئة المحلّية وعناصرها الرّئيسية، ذلك أنّ الخيال الشّعبي إنّما يستمدّ مادّته من العناصر المحيطة التي تدخل فيما بعد في أغانيه وأهازيجه وألعابه.

لقد عرف المجتمع الهلالي أنواعا عديدة من الألعاب الشّعبية، التي تختلف من حيث الشّكل والمضمون وطريقة الأداء من منطقة إلى أخرى، وتُمَارَس من قبل الكبار والصّغار على حدّ سواء، وإن كان الصّغار أكثر ارتباطًا بتلك الألعاب، لأنّها جزء مهمّ في عالمهم ونشأتهم الاجتماعية، كما تساعدهم على اكتشاف أنفسهم والعالم الذي يحيط بهم. وتختلف الألعاب الشعبية التي يتسلّى بها الصّبية في النّهار عن تلك التي يمارسونها في المساء، كما أنّ ألعاب الفتية تختلف عن ألعاب الفتيات. وهناك بعض الألعاب لها مواسم ومواقيت، فهي تُمارَس في وقت الفراغ خاصّة بعد صلاة العصر عندما ينتهي النّاس من أعمالهم اليومية، أو في اللّيالي المقمرة، وهناك ألعاب صيفية وأخرى شتوية. كما أنَّ هناك الألعاب

---

(1) سبق الحديث عن الوعدة في الصفحة

(2) آلة موسيقية نفخية مثل الأنبوب تصنع من القصب.

النطقية، والألعاب ذات الأهازيج الغنائية، والألعاب التي تحتوي على أدوات، والألعاب التي لا تحتوي على أدوات.

كما تختلف الألعاب الشّعبية وفق عمر اللّاعبين وحسب الجنس أيضا، وقد كان للبيئة والمنطقة الجغرافية دور هامّ في تنوّعها، فشتّان بين الألعاب الشّعبية في المناطق السّاحلية عن تلك التي تمارس في البيئة الصّحراوية، وبين تلك التي تمارس في المدن، عن تلك التي تمارس في الرّيف والبادية.

وتتميّز الألعاب الرّيفية بأنّها تمارس في فترات النّهار، كما أنّها ألعاب بسيطة جاءت لتعبّر عن بساطة الحياة المعيشية والاجتماعية، وأحيانا لا تختلف بعض الألعاب التي تمارس في الرّيف عن مثيلاتها في المدن، وقد يكون الاختلاف في التّسمية نظرًا لاختلاف اللّهجة. ويمكن تقسيم هذه الألعاب الشّعبية إلى ثلاثة أقسام:

1.6.3 الألعاب الفردية: هي الألعاب التي تُمارَس من قِبَل فرد واحد فقط، وتتميّز بالسّهولة والبساطة في الشّكل والأداء والتّكوين، وكثيرًا ما يمارسها الأطفال دون سنّ العاشرة، ولا تشتمل على شروط محدَّدة، كما أنّها تفتقر إلى عنصر المنافسة، ولكنَّها تساعد الطّفل على الاعتماد على نفسه وذلك حينما يقوم بصناعة لعبته لوحده، ومن نماذج الألعاب الفردية: فبالنّسبة للولد تجده يجر عربة أو يدحرج قرصا أو إطار عجلة صغيرة بواسطة عصا، أمّا بالنّسبة للبنت فتراها إمّا على أرجوحتها، أو بين عرائسها، فهي ألعاب بسيطة وجميلة تعكس قدرة الطفل الذّهنية والحركية والثّقافية، تتميّز بالفردية والذّاتية.

2.6.3 الألعاب الجماعية: هي تلك الألعاب التي تُمارَس بواسطة جماعة ولا يأتي لعبها ومزاولتها بواسطة فرد واحد، وتمتاز بأنّها تنمّي روح الجماعة والتّعاون، ويمارسها أكبر عدد من اللّاعبين المشاركين، وبأنّها ألعاب حماسية تتطلّب من اللّاعب القدرة على التحمُّل، والصّبر، والقوّة العضلية، وسرعة الحركة والخِفَّة، وتحتوي على قوانين وضوابط تحكمها وتنظّمها، ومن نماذج هذه الألعاب نذكر:

– **كرة العصا:** هي لعبة جماعية يتمّ لعبها بواسطة العِصِيِّ وبمجموعة لا تقلّ عن ستّة أفراد، وهي ليست الكرة المعروفة بكرة القدم، بل هي من حطب الزّيتون البري تُبْرَى بالسّكينة إلى أن تأخذ شكل كرة صغيرة، ومنهم من يتّخذها من حطب الكلخ[1] الخفيف، تُلعب بالعِصِيِّ، ويُختار لها فضاء فسيح تحفر في وسطه حفرة صغيرة، ومن هذه الحفرة ينطلق اللّعب، حيث يدفع أحدهم الكرة بعصاه لتبعد واضعا

[1] الكَلَخ: نبات يشبه الخرشف في شكله.

إحدى قدميه داخل الحفرة، ثم يأتي الثّاني على الأرض لتزيد الكرة بعدا، وهكذا إلى أن يخطئ أحدهم لمسها بالعصا حيث تصبح بحكم قانون اللّعب المسؤول عنها، ويجب عليه أن يعيدها إلى الحفرة، أي المكان الذي انطلقت منه، ويحميها من ضرب عِصِيِّ الآخرين، ولا يُسمح لمسها باليد. وإذا قذفها أحدهم ولمسها المسؤول عنها بعصاه وتوقّفت عن الحركة، و لم يلحقها ثالث ليضربها بعصاه، وتوقّفت عن الحركة و لم يلحقها ثالث ليضربها بعصاه، فإنّها تصبح من نصيب الثّاني ويتحلّل منها الأوّل، وهكذا يبقى يجري ذهابا وإيّابا، تارة يلمس هذا، وتارة يجري وراء ذاك، واللّاعبون وراء الكرة التي لا تستقرّ، وإذا استطاع أن يعيدها إلى الحفرة، فإنّه يكون الأوّل الذي يدفع بعصاه الكرة لتبتعد عن الحفرة ثم يأتي دور الآخرين.

– **المدابزة**[1]: وهي المصارعة تعتبر من ألعاب القوى تتمّ بين اثنين، يتماسك المتصارعان من تحت الإبط أو من وسطهما، ويحاول كلا منهما إسقاط خصمه وطرحه أرضا، وهتافات المشجّعين تتعالى، كل يحثُّ صاحبه بإسقاط خصمه، في جوّ مفعم بالطّيبة والمرح.

– **الرَّكْلَة:** وتتميّز بالعنف، يتقابل فيها اثنان من الفتيان يتراكلا بالأقدام، إلى أن يُسْقِطَ أحدُهما الآخر أو يطلب التوقّف، ولا يجوز الضّرب بالقدم تحت الحزام أو البطن. فهذان اللّعبتان تتّسمان بالعنف والصّعوبة والقوّة البدنية، وتعكس طابع الرّجولة وتتطلّب كثيرًا من المهارات.

– **قَرَّدْ**[2]: هي لعبة البنات المفضّلة، تشترك فيها اثنتان أو أكثر، تُلعب بواسطة خمسة أحجار ملساء بحجم نوى المشمش، تجمع في كفِّ واحدة ثمَّ تَرْمِي إحدى هذه الأحجار في الهواء، وفي نفس الوقت تُلتقط من على الأرض، وتلقف الحجر النّازل من الهواء بسرعة قبل أن يسقط منها فتخسر اللّعب. وتبدأ اللعبة بالتقاط حجر واحد، ثم اثنين فثلاثة، فأربعة وأخيرا تقلب على ظهر الكف ثم تجمع كلّها في باطن الكفِّ والفائزة بالجولة تحسب لها.

– **الغميضة:** يمارسها البنات كما يمارسها الذّكور في مكان واسع ومسطَّح، يغمض أحد اللّاعبين عينيه بمنديل، ثم يقوم الآخرون بضربه على كتفيه ضربا خفيفا وهم متفرّقين حوله، أمّا هو فيتحسّس بأذنيه، ويتجسّس بيديه ضاربا بهما في الهواء لعلّه يصادف أحدهم فيمسكه ليقوم مقامه.

---

[1] مدابزة: كلمة سريانية تعني المشاجرة. ينظر القاموس مادة (دبز).

[2] قَرَدَ: قَرْدًا: الشيء جمعه وكسبه. ينظر ابن منظور: مادة (قرد).

– **حَلَّالَة:** لعبة جماعية يمارسها كلا الجنسين، يقوم أحدهم بإغماض عينيه وهو مولٍّ وجهه صوب جدار عليه علامة معيّنة، ثم يبدأ بالعدّ من واحد إلى عشرة حتى يتسنَّى للجميع الاختباء، ثم يفتح عينيه ويبدأ بالتّفتيش على رفاقه ومطاردتهم دون أن يتخلّى عن حراسة وحماية العلامة المرسومة في الجدار، ومن استطاع أن يفلت من الإمساك ووصل إلى العلامة ولمسها بيده قال: "حلالة" أي تحلّل من المطاردة وبقي دور الآخرين، إلى أن يمسك بأحدهم ليقوم مقامه في إغماض عينيه.

– **كرة القدم:** إلا أنّها كانت تعوّض بحزمة قماش، يتمّ لفّها وتكويرها حتّى يحصل على شكل كرة.

– **السِّباق:** حيث ينطلق شخصان أو أكثر من خطّ واحد محدّدين خطّ الوصول، ومن وصل إليه الأوّل هو الفائز، وعادة ما يكون مراهنة بدفع المهزوم مبلغًا للفائز، ومثله كذلك سباق الخيل والجمال تمامًا.

3.6.3 الألعاب الفردية – الجماعية:

وتتألّف من ألعاب متنوّعة ومحدَّدة وهي ألعاب تعتمد على النّشاط البدني والحركي، ومن أمثلتها: القفز على الحبل، وأيضًا الألعاب الذّهنية: وترتبط بالعقل والذّهن والتّفكير وسرعة البديهة واستخدام الحيلة، وتتميّز بقلّة لاعبيها، وتحظى باهتمام الشّباب والمتقدّمين في السّن، ونذكر من هذه الألعاب والتي لا تزال شائعة:

– **لعبة السّيف:** وهي لعبة شعبية يعتمد فيها على قطع من القصب، متساوية الطّول والعرض ومصبوغة من جهة، يتقابل فيها اثنان أو أربعة، مع كلّ لاعب حجارة مختلفة في اللّون للتمييز بينهما، والفائز من كثرت سياقته غالبًا، وتقيَّم اللّعبة بحفر أو برسم خطوط توضع فيها الحجرة لجهة الخصم، والخاسر منهما من نفدت أو قلَّت حجراته بتنازعها تبعًا لنظام اللّعبة.

– **الفلْجَة**[1]: هي لعبة شعبية تكون بين اثنين فقط، وتتمّ برسم أربعة خطوط متقاطعة محاطة بخط مغلق، قد تكون على شكل مربع أو مستطيل بحيث يضع كلّ خصم حجارته أو نواته بالتّناوب على استقامة واحدة، وتكون ثلاثًا تحرَّك في كل الاتجاهات، ومن تتابعت حجراته أو نواته على خطّ واحد في أي اتجاه، فهو الفائز.

---

[1] وربما اشتقت من الفعل (فلج) ومعناها بالفصحى: شق وقسم لتقاسم طرفيها بين الخصمين (أي طرفي اللعبة) يُفَلِّج الأَمر أَي يَنْظُرُ فِيهِ ويُقَسِّمُه ويُدَبِّرهُ. الْجَوْهَرِيُّ :فَلَجْتُ الشَّيْءَ بَيْنَهُمْ أَفْلِجُه، بِالْكَسْرِ، فَلْجاً إِذا قَسَّمْتَهُ .وفَلَجْتُ الشَّيْءَ فِلْجَيْنِ أَي شَقَقْتُه نِصفين، وَهِيَ الفُلُوجُ؛ الْوَاحِدُ فَلْجٌ وفِلْجٌ. ابن منظور: مادة (فلج).

وهناك ألعاب للبنات وتتّسم بالسّهولة والرّشاقة، وحينما تتقدّم البنت في العمر فإنّ اهتمامها يقلّ باللّعب؛ وذلك لعوامل اجتماعية تخضع للعادات والتّقاليد التي تحتكم إليها طبيعة المرحلة العمرية، التي تبلغها الفتاة في المجتمع الهلالي. والكثير من الألعاب الشّعبية قد اندثر بفعل انتشار وسائل الإعلام التي استحوذت على معظم وقت فراغ الأطفال والفتية، وأدّت كذلك إلى فقدان روح الجماعة التي كانت سائدة في الماضي بين الصّبيان، وابتعاد الوالدين عن دورهما الأساسي في تثقيف الأبناء، وتدريبهم على الألعاب كما كان الأجداد يفعلون سابقًا، واقتصار دور الأندية الرّياضية في المدن على الاهتمام بالألعاب الحديثة، دون الاهتمام بالرّياضة الشّعبية التّقليدية. أمّا المناطق الرّيفية فلا يزال أبناؤها يمارسون ألعابهم الشّعبية حتّى اليوم.

وإذا نظرنا إلى الألعاب الشّعبية في المجتمع الهلالي –بصفة عامّة– من النّاحية الاجتماعية، فنجد أنّ هذه الألعاب كان يمارسها الأطفال والشّباب في ظلّ المنافسة الشّريفة، وفي مناخ عَفَوِيّ وأسريّ خَالٍ من الأحقاد والخلافات، ممّا كان يعكس قوّة المجتمع، وتماسك بنيانه، وتضامن أفراده، ضمن مقوّمات فكرية واجتماعية مستمدّة من تراث هذا المجتمع العريق. كما أنّها كانت تتّسم بمميّزات مشتركة تجمعها مثل: حرية الألعاب، الالتزام بقوانين وقواعد الألعاب، تأثير البيئة على نوعية الألعاب، الاهتمام بعنصر الإبداع والابتكار والإفادة من الأهازيج، لاسيما في ألعاب البنات التي تكون مصحوبة ببعض الأغاني، والأهازيج الموسيقيّة التي تردّدها اللّاعبات أثناء ممارستهنّ للّعبة.

7.3 **الطّب الشّـــعبي:**

هو تلك الممارسات العلاجية التّقليدية وما ينجرّ عنها من مفاهيم ومعتقدات متداولة في حياة النّاس اليومية، صيغت حولها خطابات كثيرة ومتنوّعة أدَّت إلى ترسيخها في الخيال الجمعي للنّاس، وبالتّالي فالمرض وطلب الشّفاء مجالان للتّعبير عن المعتقدات والقيّم السّائدة في المجتمع، وهو ما يمكن أن نعتبره "معرفة اِجتماعية" تتضمّن تفسيرات مختلفة حول جانب مهمّ من حياة الإنسان، ولهذا ففي أشكال الطّب الشعبي تظهر أنماط الثّقافة المحلّية، كما أنَّ اللّجوء إلى الطّبيب الشّعبي يتحدّد في ضوء مجموعة من الاعتبارات، منها المعتقدات الدّينية والشّعبية المتوارثة عن الأجداد، والتي تتعلّق بوجود الإنسان والمخلوقات وعلاقتها بالبشر، ورؤية الإنسان للحياة والموت وتأثير الموجودات الطّبيعية وغير الطّبيعية عليه، ومن هنا فالخطابات الرائجة حول الممارسات العلاجية التّقليدية، هي خطابات اجتماعية تفرضها ثقافة معيّنة تتجسّد في أشكال الصّراع، وأساليب الوقاية والمقاومة والمسارات التي يسلكها النّاس على اختلاف مستوياتهم طلبا للشّفاء.

كما يعدُّ الطّب الشّعبي من الميادين التي اهتمّ بها علماء الأنثروبولوجيا باعتباره موروثا ثقافيا، فقد أسّسوا فرعا خاصًّا يعرف باسم "الأنثروبولوجيا الطّبيّة " وظيفته فحص التّجربة الطّبيّة التّقليدية، وأساليب العلاج ضمن الاستطباب الشّعبي. وقد أكدّت الدّراسات أنَّ الكثير من الأفكار والممارسات التي تدخل في نطاق الطّب الشّعبي موجودة بدرجات متفاوتة في كلّ مجتمع، وتؤثّر إلى حدٍّ كبير في حياة الأفراد الصّحية، وفي نمط انتشار الأمراض وتشخيصها، وتفسير أسباب حدوثها ومعالجتها، وابتكار الأساليب الوقائية لتفادي انتشارها. وهذا من شأنه إبراز اختلاف أفكار النّاس إزاء هذا الموضوع، بحسب اختلاف المجتمعات التي ينتمون لها والثّقافات التي تشبَّعوا بها، والمرهونة بطبيعة التغيّرات الاجتماعية والاقتصادية التي تحدث في المجتمع، والمعتقدات السّائدة حول الأساليب التي يستخدمونها في طلب الشّفاء.

المجتمع الهلالي كغيره من المجتمعات، نَجِدُ فيه أنَّ الطّب الشّعبي كممارسة علاجية تقليديّة متأصّل ومتداول بين أفراده، وهذه الممارسة العلاجية يتمّ اكتسابها عن طريق التّنشئة التي تتمّ داخل الوسط الاجتماعي، بعيدا عن المؤسّسات الرّسمية كالمعاهد المتخصّصة والجامعات؛ لذا يعدّ هذا اللّون من الطّب جزءًا من التّراث الشّعبي، بروافده الثّقافية بشقّيها المادّي والرّوحي، والتي تكوّنت على مدار أجيال عديدة متلاحقة، تمَّ نقلها من جيل إلى جيل باعتبارها أحد تجليات الثّقافة الطّبية، كتجربة اجتماعية لها طابعها الخاصّ. وهي في كثير من الأحيان معرفة مندمجة في عالم ثقافي مشترك بين المُعالِج والمريض. ومن أشكال هذا الطّب في المجتمع الهلالي، نذكر: التّداوي بالأعشاب والنباتات الطبية، الحجامة، الكيّ والرّقية وغيرها.

إنّ المعرفة الطّبية الشّعبية واسعة النّطاق ومنتشرة في أوساط المجتمع الهلالي، وكلّها طرق تقليديّة متوارثة منذ القدم، تدفع إلى البحث عن مكوّناتها وآلياتها وأسباب استمرارها وانتشارها، رغم ما يشهده الطّب الحديث من تطوّرات يوما بعد يوم، والذي لم يتمكّن من إزاحة الطّب الشّعبي من طريقه، بدليل أنّنا نَجِدُ بعض المرضى يتأرجحون بين الطّب الحديث والتّقليدي أو الشّعبي، فقد يلجؤون إلى أحدهما بشكل حصري، وقد يلجؤون إليهما معًا بشكل موازٍ، أي بشكل متبادل، ممّا يُظهر أنّ الطّب الشّعبي والأكاديمي يمثّلان طرفين متنافسين على أرض الواقع الاجتماعي، وإن كان هناك من العوام من يوقن بأنّ لا فائدة من اللّجوء إلى الطّب الحديث، لأنّ الحلول المجدية موجودة لدى المطبّبين الشّعبيين أمثال: العشّابين، الطُّلْبَة (حاملي القرآن)، الرُّقاة، السّحرة، العرّفين، أولياء الله الصّالحين،... ويبقى التّصور الشّعبي لطبيعة المرض وأسبابه، هو الذي يحدّد سلوك النّاس وتوجّهاتهم في كيفية علاجه أو الوقاية منه،

فإذا كانوا يعتقدون أنّ المرض يعود إلى أسباب غيبيّة كالجنّ أو السّحر أو العين، فإنّهم سيلجؤون مِنْ دون شكٍّ إلى الكهنة والعرّافين والسّحرة والأولياء الصّالحين، أما إذا كانوا يعتقدون بوجود أسباب عضوية أو محسوسة، فإنّهم يستخدمون الأعشاب أو أساليب أخرى مثل الحجامة أو الكيّ بالنّار.

وعليه يمكن تصنيف أشكال وأساليب العلاج والطّب الشّعبي، الأكثر انتشارا داخل المجتمع الهلالي في منطقة الغرب الجزائري إلى:

1.7.3 العلاج الشّعبي المحسوس أو المادّي: ويتمثّل في تجبير الكسور، الكيّ، الحجامة والدّلك.

– **تجبير الكسور:** ويكون عند "المُجَبِّر" الذي سيقوم بفحص المكان المصاب فحصا دقيقا، بحيث يجسُّه بيديه ويتحسّسه بأصابعه، إلى أن يقع على العظام المكسورة التي سيعيد تجبيرها مستعملا في الجبيرة، طحين الفرينة وزلال البيض الممزوجين معا، ثم يبسط الخليط فوق خرقة قماش ليّنة، ويضعها فوق العضو المكسور، ثمّ يلفّها حوله ثلاث أو أربع لفّات متتالية، بعد ذلك يضع "الكلخات"[1] وهي عبارة عن أعواد ليّنة خفيفة من نبات "الكلخ" يثبّتها فوق العضو المكسور واحدة تلو الأخرى تثبيتا جيدا، ثمَّ بعد ذلك يعصبها بخرقة جيّدًا، وعندما يجفّ خليط زلال البيض والطحين الأبيض، يصبح صلبا متماسكا كالجبس تماما، ويُمنع العضو المكسور من الحركة لمدّة معينة يحدّدها المعالج.

– **العلاج بالكيّ**[2]: يستعمل هذا النّوع من العلاج لداء المفاصل، لاسيما منه داء "عرق النّسا"، والتهاب اللّوزتين، وتورّم الغدة الدّرقية، وهناك الكثير من المختصّين في هذا المجال من أوساط العامّة، ويتمّ ذلك بواسطة سلك معدني صلب، غالبا ما يكون سلكا نحاسيا يوضع طرفه في النّار إلى أن يصير محمرا كالجمر، ومن ثمَّ تتمّ عملية الكيّ في أماكن الألم، وعلى المريض تحمُّل ذلك.

([1]) الكلخات مفردها كلخة، هو نبات يشبه الخرشف في شكله، وقد سبق الحديث عنه.

[2] الكَيُّ: معروف. هو إحراقُ الجلد بحديدة ونحوها، كواه كَيًّا. والكَيَّةُ: موضع الكَيِّ. والكاوِياء: مِيسَمٌ يُكْوَى به. واكْتَوَى الرجل يَكْتَوِي اكْتِواء: استعمل الكَيَّ. الرجل: طلب أَن يُكْوَى. والكَوَّاء: فَعَّال من الكاوِي. يقول صلى الله عليه وسلم: ((ثلاث إن كان في شيء شفاء فشرطة محجم أو شربة عسل أو كية تصيب ألما وأنا أكره الكي ولا أحبه)) .(صحيح) انظر حديث رقم: 3027 في صحيح الجامع. محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته –الطبعة المجددة والمزبدة والمنقحة–، المكتب الإسلامي، 2408ه.

– **الحجامة أو "التّشراط"**[1]: علاج تقليدي واسع الانتشار، يعرض فيه الشّخص نفسه لعملية إسالة الدم من القفا، أمّا الأسباب التي تدفع إلى اللّجوء إلى هذا النّوع من العلاج، هي الاعتقاد بأنّ هذه العملية تخفّف من نوع من الضّغط الذي ينتاب الإنسان، خاصّة على مستوى الرأس. وتتمّ بجلوس المريض على الأرض مادًّا رجليه، واضعا يديه فوق ركبتيه، ثم يقوم الحجّام بحلق مؤخرة رأسه عند قفاه، ثم يلصق كأسين من الزّجاج في هذه المنطقة، وتتمّ عملية إلصاق الكأسين بإشعال ورقة صغيرة داخل الكأس، ووضعها بسرعة على مؤخّرة رأس المريض، فيلتصق الكأس، وبعد حوالي ثلاث دقائق يتزعها ليجد المنطقة تحت الكأس قد احمرَّت وانتفخت، حينها يقوم بشرط هذه المنطقة بشفرة حلاقة، ثم يعيد الكأس بنفس الطّريقة لتمتصَّ الدَّمَ الفاسد الذي سيخرج من هذه الشّرطات، ثم يتزع ويفرغ الدّم في حفرة أو كيس وتعاد الكرّة مرّتين أو ثلاثة على الأكثر.

– **العلاج بالأعشاب:** تستعمل هذه الأعشاب إمّا غليا في الماء ثم يصفّى شرابها، أو تطرح للشّمس للتجفيف، ثم تُدّق دقًّا ناعما وتُذَرُّ فوق الجراح، أو تُسَفُّ[2] عن طريق الفم، أو تستعمل كمرهم للدمامل والحروق، كما قد تخلط مع عسل النّحل وزيت الزيتون فيتشكّل خليط متجانس يسمّونه "العَقْدَة"[3] ثم تؤخذ على جرعات. ومن جملة هذه الأعشاب المستعملة على سبيل المثال لا الحصر، والتي قلَّما ينعدم وجودها في كل بيت نذكر: الرّيحان، الزّعتر، الخُزَامَى، الفيجل، العرعار، الشّيح، الحَلْحَال، اليازير،...

---

(1) هي لفظة فصيحة، فقد ورد في قول ابن الأثير: المِحْجَمُ، بالكسر، الآلة التي يجمع فيها دم الحجامة عند المصِّ، قال: والمِحْجَمُ أَيضًا مِشْرَطُ الحجّام، ومنه الحديث: ((لَعْقَةُ عَسلٍ أَو شَرْطة مِحْجَمٍ))، وحِرفَتُه وفعلُه الحجامة. والحَجْمُ فعل الحاجم وهو الحجّام. ينظر ابن منظور: مادة (حجم). ومثلها كلمة "تشراط": فهي لفظة فصيحة، والشَّرْطُ :بَزْغُ الحَجّام بالمِشْرَطِ، شَرَطَ يَشْرُطُ ويَشْرِطُ شَرْطاً إذا بزَغ، والمِشْراطُ والمِشْرَطةُ :الآلةُ الَّتِي يَشْرُط بِهَا. م س: مادة (شرط).

(2) سفف: سَفِفْتُ السَّوِيقَ والدَّواءَ وَنَحْوَهُمَا، بِالْكَسْرِ، أَسَفُّه سَفّاً واسْتَفَفْتُه: قَمِحْتُه إِذَا أَخذته غَيْرَ مَلْتُوتٍ، وَكُلُّ دَواء يُؤْخَذُ غَيْرَ مَعْجُونٍ فَهُوَ سَفُوفٌ، بِفَتْحِ السِّينِ، مِثْلَ سَفُوفِ حَبِّ الرُّمان وَنَحْوِهِ، وَالِاسْمُ السُّفّةُ والسَّفُوفُ. واقْتماحُ كُلِّ شَيْءٍ يَابِسٍ سَفٌّ؛ والسَّفُوفُ: اسْمٌ لِمَا يُسْتَفُّ. ابن منظور: مادة (سفف).

(3) العُقْدةُ في الفصحى: هي الَّتِي لَا تَنْحَلُّ حَتَّى تُحَلَّ حَلًّا، و"العَقْدَة" كما وردت في لغة بني هلال: هي خليط من المكوّنات التي يصعب فكّها، لأنّها أصبحت متجانسة.

– **العلاج بالتّدليك:** يعتبر العلاج بالتدّليك جزءًا مهمًّا وفعالًا في مجال العلاج الشّعبي الطّبيعي، حيث يمكنه علاج الكثير من الحالات المرضية أكثرها شيوعا: كعلاج إصابات وتقلّصات العضلات إلى مستوى الأيدي والأرجل، وإصابات الظّهر والرّقبة التي يصاحبها دائما تقلصات عضلية شديدة كنتيجة طبيعية للألم، ويكون التدّليك العلاجي في هذه الحالة مكمِّلا فعَّالا للعلاج الطّبيعي، كما يستخدم من أجل جلب الاسترخاء والرّاحة بعد عمل شاقّ أو مجهد. وتتم عملية التدّليك بالماء والصابون أو بالماء الدّافئ والملح، كما قد تتمّ بأنواع الزّيوت كل حسب خبرته.

– **العلاج بالرّطم[1] في الرّمل:** ففي الصّيف، وتحت أشعة الشّمس الحارقة، يُقْبِلُ مئات المرضى على الواحات للعلاج عن طريق الرّدم في الرّمال. وفي كلّ سنة يتزايد الإقبال على هذا النّوع من العلاج المصنَّف ضمن الطّب الشّعبي، لأنه ما زال يُمارَس بشكل غير منظّم؛ لانعدام عيادات متخصّصة فيه، وينتشر بطريقة تقليدية شعبية تزداد انتشارا بشكل واسع؛ لِمَا وُجِدَ لهذا النّوع من العلاج فوائد جمَّة للجسم، وعلاج للكثير من الأمراض المستعصية.

ويتمّ هذا النّوع من العلاج؛ عن طريق دفن العضو العليل من الجسم أو كامل الجسم بعد أن يخلع المريض ملابسه، بحيث يُغطّى بالرّمال الصّافية النّقية تحت أشعّة الشّمس، باستثناء الرّأس الذي يترك في الظلّ، لفترة قد تمتد إلى 45 دقيقة، لا يتناول المريض أيّ شيء بارد طوال هذه الفترة، وإنّما يكتفي بفاكهة تحوي الكثير من الماء، مثل البطيخ بنوعيه الأحمر والأصفر إذا ما أحسَّ بالعطش الشّديد. ويستمرّ العلاج يوميا لمدّة أقصاها 21 يوما، وأدناها 7 أيّام، يخضع فيها المريض لتّعليمات صّارمة، أهمّها عدم تعرّض المريض لأيّ تيّار هوائي بعد خروجه من الحمام الرّملي، ومنعه من تناول السّوائل الباردة بشتّى أنواعها، وإنّما يُدَثَّر بالأغطية الصّوفية لضمان سلامته، ثمّ يعودون به إلى غرفة المبيت التي تظلّ مغلقة عليه، ويقدّم له مشروب الحلبة السّاخن، ريثما يقوم أحدهم بتدليك جسده بزيت الزّيتون الدّافئ. أمّا عشاؤه فيكون خاصًّا، بحيث يكون إمّا حساءً، أو "الكسكس الخشن" المخلوطيْن بالأعشاب البريّة.[2]

---

(1) رطم :رَطَمه يَرْطُمُه رَطْماً فارْتَطَم :أَوحَله فِي أَمر لَا يَخْرُج مِنْهُ .وارْتَطَم فِي الطِّينِ: وَقَعَ فِيهِ فتَخَبَّط .ورَطَمْت الشَّيْءَ فِي الوحْل رَطْماً فارْتَطَم هُوَ فِيهِ أَي ارْتَبَكَ فِيهِ .وارتَطم عَلَيْهِ الأَمر إِذا لَمْ يَقْدِر عَلَى الخُروج مِنْهُ. ابن منظور: مادة (ردم).

(2) ويضيف هؤلاء بأنّ أشعة الشّمس من الناحية العلمية تتغلغل في الرمل الذي يكتسب سخونة كبيرة، ولكن الأهمية لا تكمن في هذه السخونة وحرارة الرمل المتأثرة بالشمس الحارقة بل في التفاعلات التي تحدث بين الأمواج الكهرو مغناطيسية لأشعة الشمس وبين الجسم المعتل عن طريق حبات الرمل التي تكتسب خاصية شفائية بفعل احتوائها على طاقة كهرومغناطيسية علاجية عالية، أي أن هناك تحولا فيزيولوجيا وكيميائيا علاجيا يحدث لصالح الجسم أو العضو المعتل.

وبحسب العارفين في هذا المجال؛ فإنّ الرّمل الطّبيعي -حسب اعتقادهم- يعالج عدّة أمراض معروفة وغير معروفة، وهو ليس مقتصرا على المرضى فقط، بل حتّى الأشخاص العاديين يمكنهم الاستفادة من هذا الرّطم.

ويذكر بعض الأشخاص الذين خضعوا لهذا العلاج؛ أنّهم يشعرون بعد الجلسات العلاجية بالرّمل بأنّ صحّتهم تحسَّنت، كما تحسَّن عمل الكثير من وظائف الجسم، ممّا يعني أنّهم لم يكونوا يعلمون بأنّ أجسامهم كانت معتلّة، ولكنّهم أدركوا ذلك بعد مقارنة حالتهم بعد الدّفن في الرّمال.

لعلّ من بين الأمراض الخطيرة المعروفة التي يعتبر العلاج بالرّمل فعَّالا لها، أمراض البرد عموما؛ خاصة الرّوماتيزم وداء المفاصل. وتدوم الجلسة العلاجية نحو ساعتين، تبدأ في الغالب مباشرة بعد منتصف النّهار أيّ مع وقت الظّهر لارتفاع درجة حرارة الشمس في هذه الفترة، وتدوم إلى غاية العصر أو قبله بقليل، حيث يشهد جسم المريض خلال الجلسة تفاعلات وظيفية؛ إذ يقوم الجسم بإفراز كميات كبيرة جدًّا من العرق الذي يمتصه الرّمل على الفور، هذه الإفرازات يراها المرضى على أنّها بداية خروج المرض، بحيث يتخلّص الجسم خلالها من سموم كثيرة.

2.7.3 العلاج الشّعبي الغيبي (العلاج بالدّجل)[1]: ويكون بزيارة الأضرحة ومقامات أولياء الله الصّالحين، والتردّد على الكهنة والعرّافين، بحيث يلتجئ النّاس إلى هذا النّوع من العلاج في حالات اختلال توازن الجسد أو النّفس، الذي تتسبب فيه أمورا خفيّة كالجنّ والعين والسّحر حسب ما يعتقدون.

وقد يتوجّه الواحد إلى السّاحر أو المشعوِذ ليصنع له حرزا [2] كأن يصنع له تميمةً، أو يكتب له حجابا يحمله معه دوما، اعتقادا منه أنّه يقيه شرّا ما سيحلّ به، أو يدفع عنه أذى أو مكروها قد يصيبه، كما يعمل هذا الحرز على قضاء الحوائج وتسهيل الأمور.

---

(1) الدَّجَّال: هو الذي يُظْهِر خِلَافَ مَا يُضْمِر سُمِّي دَجَّالًا لِتَمْوِيهِهِ عَلَى النَّاسِ وَتَلْبِيسِهِ وَتَزْيِينِهِ الْبَاطِلَ، يُقَالُ: قَدْ دَجَلَ إذا مَوَّه ولَبَّس، وَفِي حَدِيثِ النبي، صلى الله عليه وَسَلَّمَ، قال : يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُون، أَي كَذَّابون مُمَوِّهون، وَقَالَ: إِنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ دَجَّالِين كَذَّابين فَاحْذَرُوهُمْ. ابن منظور: مادة (دجل)

(2) حرز :الحِرْز :الْمَوْضِعُ الْحَصِينُ. يُقَالُ: هَذَا حِرْزٌ حَرِيزٌ .والحِرْزُ :مَا أَحْرَزَك مِنْ مَوْضِعٍ وَغَيْرِهِ. تَقُولُ: هُوَ فِي حِرْزٍ لَا يُوصَل إِليه. وَفِي حَدِيثِ يأجوج ومأجوج: فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلى الطُّور أَي ضُمَّهم إِليه وَاجْعَلْهُ لَهُمْ حِرْزاً. ويُقَالُ :أَحْرَزْت الشَّيْءَ أُحْرِزُه إِحْرازاً إِذا حَفِظْتَهُ وَضَمَمْتَهُ إِليك وصُنْتَه عَنِ الأَخذ. واحْتَرَزَ مِنْهُ وتَحَرَّزَ :جَعَلَ نَفْسَهُ فِي حِرْزٍ مِنْهُ؛ وَمَكَانٌ مُحْرِزٌ وحَرِيزٌ، وَقَدْ حَرُزَ حَرازَةً وحَرَزاً .وأَحْرَزَت المرأَةُ فَرْجَهَا: أَحْصَنَتْه. ابن منظور: مادة (حرز).

والحجاب أو الأحجبة عبارة عن كلمات متداخلة ببعضها، أو خطوط أو رموز متراكبة فوق بعضها يصعب فكّها، كما قد تكون كلمات أعجمية يقال أنّها أسماء لأنواع من الجنّ، تربط على الذّراع، أو تعلّق في الرّقبة.

كذلك بالنّسبة للتّمائم أو التّعاويذ ومفردها تعويذة، وهي ما يتعوّذ به النّاس لدفع الشرّ أو الأذى، غالبا ما تكون عبارة عن خرزة صغيرة أو مطوية صغيرة كتبت عليها بعض الآيات القرآنية من طرف شيخ حافظ لكتاب الله، يعلّقها المصاب صاحب الحاجة، فهي -في رأيهم- تجلب لهم التّفاؤل بغدٍ مشرق وخالٍ من التّشاؤم، على افتراض أنّه توجد قوّة خارجية تسيطر على كيانهم وعلى كلّ تحرّكاتهم تعمل التّمائم على التّصدي لها.

وهناك من يفضل زيارة الأضرحة ومقامات أولياء الله الصّالحين، مُقدِّمًا لهم أنواع القرابين معتقدا أنّ أرواحهم الطّاهرة سترفع عنه البلاء الذي حلَّ به.

ومن العلاجات الغريبة التي يتداولها العامّ والخاصّ دون اللّجوء إلى كاهن أو عرَّاف، للوقاية أو الحدّ من الحسد والإصابة بالعين ومن الشّرور، -وهم يتفنّنون في ذلك- تثبيت حدوة حصان، أو صورة يد يسمُّونها "يد لالَّة فاطمة"، أو صورة عين زرقاء، على أبوابهم الخارجية، أو تعليق إطار عجلة سيّارة على سطح المترل. وهناك من يغرسون حول البيت نبات الصّبار كالتّين الشّوكي مثلا. أمّا إذا اقتضى الحال وأصيب أحدهم بالعين، فعلاجه يكون بإذابة قطعة من الشبِّ وهو دواءٌ مَعْرُوفٌ، أو كمشة ملح في النّار على آنية من حديد، وذلك بعد تدويرها فوق رأس المصاب سبع مرات، مع المواظبة على حمل بعض بذور السّانوج أو الخروع في الجيب أو حقيبة اليد.

هناك علاج أثار انتباهي يتعلَّق بالطفل الذي تجاوز السنتين وتأخَّر نطقه، فعلاجه سهل ولا يستحق أن يتردَّد على عيادة الأرطفوني، فقط على الأمّ أن تطلب من جيرانها وأقاربها أن يزوِّدوها بلسان كبش عيد الأضحى إلى أن تحصل على سبعة ألسن، ثمَّ تقوم بطهيها وتحرص على طفلها أن يأكلهم كلَّهم، حتى يتحسَّن منطقه ويصبح فصيحا، عندئذ يقال عنه إنّه "نطق بسَبْعة ألْسن". وهناك من تضع في فم الطّفل سبعة مفاتيح في صباح يوم الخميس، أمّا من كانت تملك رحى فقد تيسّر علاج طفلها، عليه فقط أن يلعق الحجر السّفلي للرّحى صباح يوم الجمعة سبع مرات، وانتهى مشكل تأخّر الكلام.

8.3 الرّقصات الشّعبية:

يستخدم مصطلح "الرّقص الشّعبي" بصفة عامّة لوصف أشكال الرّقص المتعارف عليها بين الشّعوب المختلفة... والتي تكون ذات أصول متشابهة تتوارثه من جيل إلى جيل... ولذلك يعدّ الرّقص

الشّعبي بصفة عامّة وسيلة مهمّة لترجمة أحاسيس ومعتقدات الشّعوب، وهو في أساسه عبارة عن طقس جماعي يعبّر عن نوعية الحياة الاجتماعية لممارسيه، ولا ينحصر في نوعية شريحة دون أخرى، وإنّما يشترك فيها جميع أفراد المجتمع، ولكنَّ العادات والتّقاليد في بعض المجتمعات، حوّلته مع مرور الزّمن إلى هواية وممارسة.

التّراث الهلالي يزخر بأنواع شتّى ومختلفة من الرّقص الذي كثيرًا ما كان ولا زال يرافق الحفلات والولائم والأعراس، وحتّى زيارات مقامات الأولياء والصّالحين، وهي في مجملها رقصات جماعية، قد يشترك فيها الرّجال مع النّساء، كما قد يؤديها كُلٌّ على حِدَة، من أبرز هذه الرّقصات نذكر:

1.8.3 رقصة الدّارة: هي رقصة شعبية معروفة، وطريقتها أن يصطفّ الرّجال صفًّا واحدًا يتقدّمهم قائدهم الذي قد يكون أمهرهم، يرتدون لباسا موحّدا ويحملون بنادق أو عصيًا، يقابلهم عازف النّاي (القصبة) أو (الغايطة)، والضّارب على الدّف الكبير (البندير)، ويسيرون بخطى موحَّدة للجسم والبنادق أو العصي التي مرة يجعلونها فوق رؤوسهم، ومرّة يضعونها وسط بطونهم مرفوعة إلى أعلى، ومرة يوجّهونها نحو بعضهم بعضا، ويدورون عدّة دورات، ثم يلتفون حول بعضهم بعضا، ويطلقون البارود إذا كان ما يحملونه بنادق، ولعلّ من هذه الحركات الدّورانية أُشتقّ اِسمها (الدّارة).

2.8.3 رقصة السَّعْدَاوي: وهي رقصة عادية عادة ما تكون بين اثنين، رجلين أو امرأتين، أو رجل وامرأة تكون إحدى قريباته، وذلك بالمقابلة بالرّقص تبعًا لنغمات النّاي وضربات الدّف، والتّفاعل معها مع التّلويح باليدين، ثمّ الاقتراب من بعضهما ووضع الكتفين إلى بعض محاذاة مرة، ومرة أخرى وضع يديهما على كتفي بعضيهما، يتخلّلها قفز وصراخ وتفاعل مع النّغمات، وعادةً ما يحمل الرّاقص أو الرّاقصة عصًا أو منديلا يلوح بها، أو يمسك طرف لباسه ويجعله لثامًا على وجهه، تاركا العينين بارزتين.

3.8.3 رقصة الجَذْب: وهو ضرب من الرّقص الهستيري، حيث يكون صاحبه قد رقص سابقًا رقصة عادية بتأنٍّ، ثم سرعان ما يظهر عليه نوع من الجذب بالتّلويح بيده، أو تدوير رأسه أو صراخه أو سقوطه بعد نهاية الإيقاع الأوّل، فيُغيِّرون له الإيقاع يكون ذا طابع أخفّ من الأوّل، إلى أن يسقط مغشيا عليه. يمكن وصف حالته على أنّها نوبة من التشنّج والإغماء تستمرّ بضع دقائق، ثم يقوم من خلالها بعراك وحركات تشبه ما كان يقوم به، مع اختلاط النوبة بالتفوّه أحيانا والصّراخ أو الضّحك والبكاء إلى درجة النّحيب.

4.8.3 رقصة الرَّشْق: وهو تدوير قطعة من النّقود الورقية عدّة مرات على رأس الرّاقص أو الرّاقصة، وتسليمها للعازف على النّاي (القصبة) أو لمن يضرب على الدّف برميها وسط الدّف لتفادي قطع العزف، وقد تكون إعجابًا بالرّاقص، أو تشجيعًا له أو تكريمًا للفرقة وهو الغالب.

5.8.3 رقصة العلاوي: تعتبر رقصة العلاوي أحد أبرز معالم الفلكلور عند القبائل الهلالية في منطقة الغرب الجزائري عموما، ولا تزال سفيرة الثّقافة الشّعبية. وتُؤدَّى هذه الرّقصة في مناسبات عديدة لا سيما في الأعراس، فلا يكاد يمرُّ عرس إلا وفيه العلاوي، فقد أصبحت هذه الرّقصة تصنع أفراح أهل العروسين والمدعوِّين، وهي تمثّل شكلا من الشّكل الفولكلوري الأصيل، الذي يحتوي على ثقافة مادية حضارية عميقة، بدلالاتها ورموزها في الوجدان الشّخص الهلالي.

والعلاوي رقصة فنيّة خاصّة بالرّجال دون النّساء، تعتمد على الرّشاقة في الحركة وسرعةٌ في التّنسيق، وتؤدَّى على شكل صفوف أو دوائر، ومن حين لآخر يقوم الرّجال بالتّوقّف عن الحركة، ثم يبدؤون بِدَكِّ الأرض بأرجلهم إثباتا لصلابتهم، ممسكين بالعصي التي ترمز للسّلاح. ومن مظاهر رقصة العلاوي استعمال الآلات النّفخية مثل آلة "القصبة"[1]، والآلات الإيقاعية مثل الدّف أوما يعرف بـــ "البندير" كما يسّمونه[2]، وكذلك القلال[3] وهي جميعها آلات موسيقية تقليدية، إلى جانب اللّباس الخاصّ بهذه الرّقصة؛ إذ يتميّز بكونه لباسا تقليديّا يدلّ على انتماء عربي محض، يتكوّن من عباءة بيضاء فضفاضة، وعمامة بيضاء مرصّعة ببعض الزّخارف، ويظهر في الجانب الأيسر للرّاقص غِمْدُ السّلاح،

---

[1] هي آلة هوائية خشبية مصنوعة من القصب من فصيلة الهوائيات مجوفة تحتوي على ثقوب، يعزف عليها بواسطة وضع الفم على أحد طرفية مع إمالته قليلا بزاوية وتسد الثقوب حسب درجة الصوت لإخراج العلامات الموسيقية.

[2] هو آلة إيقاعية مستديرة الشكل منتشر بكثرة في المنطقة يصنع على شكل إطار من خشب خفيف مشدود عليه بجلد رقيق للأغنام أو المعز مزينة جوانبه بصوانج نحاسية صغيرة تصاحب إيقاعاتها أغاني الرحابة والقصابة والأعراس الدينية والمحلية حيث يختلف إيقاعها من خلال النقر على الحافة أو الوسط، والبندير آلة قديمة جدا عرفتها العديد من المجتمعات القديمة.

[3] يصنع من نبات الصبار على شكل أسطوانة يتراوح قطرها من 80 سم إلى 90 سم ، ويغلّف بجلد الماعز ويسمى أيضا آلة الميزان، يضرب عليه بواسطة اليد.

ويقابله في الجهة اليمنى "النّجاد"[1]، ويطلق على هذه الأدوات بصفة عامّة عند أهل المنطقة اسم "الحمايل."[2]

أمّا الشّرط الأساسي في تقاليد رقصة لعلاوي، تعيّين القائد الذي يقود ويوجّه الفرقة خلال أدائها لهذا الرّقص الشّعبي، ويتميّز القائد عن الرّاقصين في كونه أكثر مهارة وقدرة على إتقان هذا الرّقص، فضلا عن تمتعه بالخفّة والرشاقة فهو ينظّمها ويوجّهها،آمرا تارة، وباثًّا تارة أخرى للحماس والحيويّة في نفوس أتباعه؛ فهو الذي يُصْدِرُ أوامر البدء والقيام بالحركة بأصوات قويّة، طالبا من النّساء إكرامهم وتشجيعهم بالزّغاريد من داخل بيوتهنّ أو خيامهنّ، مما يجعل باقي أعضاء الفرقة يتجاوبون مع الرّقصة ويعيشونها بوجدانهم وأرواحهم.

9.3 الأدب الشّعبي

وهو تلك الصّورة النّاطقة المتحرّكة التي تعبّر عن ثقافة الشّعوب وطموحاته وتطلُّعاته وآماله وآلامه التي يصوِّرها بصدق وتلقائية، كما يعتبر نمطا فكريا يبرز حقائق حول حياة هؤلاء القبائل، بل ويجعلها قُطْبَهُ الذي تدور حوله منابع ثقافتهم وأساليب تفكيرهم. كما يعتبر الأدب الشعبي من أبرز موضوعات التّراث وأكثرها عراقة ويطلق عليه عدّة مسميات، منها: الأدب الشفاهي، الفنّ اللّفظي، الأدب التّعبيري، ويشمل النّثر مثل: الأمثال، الحكايات، النّوادر، الألغاز، نداءات الباعة والأقوال المأثورة، والشّعر مثل: المواويل، الأزجال، التّواشيح، شعر الأغاني والسّير والملاحم.

التّراث الهلالي يزخر بهذا النّوع من الأدب، الأمر الذي جعل ألسنة العامّة تجود به في كلّ مكان وفي أيّ زمان، فقلَّما تجد مَنْ لا يحفظ بيتًا أو بيتين من الشّعر الشّعبي، إن لم نَقُلْ قصائد بل روائع شعرية، كقصيدة "حيزية" لابن قيطون[3]، وقلَّما تجد من لا يوظف في حديثه مثلًا شعبيًّا من الأمثال التي

([1]) ونَجَدَ الرجُلَ يَنْجُدُه نَجْداً: غَلَبَه. والنِّجادُ: مَا وَقَعَ عَلَى الْعَاتِقِ مِنْ حَمائِلِ السيْفِ، وَفِي الصِّحَاحِ :حَمَائِلُ السَّيْفِ، وَلَمْ يُخَصَّصْ. وَفِي حَدِيثِ أُمّ زَرْعٍ: زَوْجِي طَوِيلُ النِّجاد ؛ النِّجاد :حمائِلُ السَّيْفِ، تُرِيدُ طُولَ قَامَتِهِ فإنها إذا طالتْ طالَ نِجادُه، وَهُوَ مِنْ أَحسن الْكِنَايَاتِ. ابن منظور: مادة (نجد).

([2]) يقصدون حمائل السيف.

([3]) المنظومة ألفها الشاعر الشهير ابن قيطون بطلب من أحد أصدقائه يدعى سعيد، الذي أراد أن يرثي حبيبته "حيزية" –التي أحبها حبا شديدا–. وقد حظي بها كزوجة بعد معارضة شديدة من الأهل، إلا أنها توفيت بعد زواجهما بأقل من شهر. أما عن سبب الوفاة فقد اختلف فيه والشائع أنه كان راجعا من رحلة صيد، فرآها أمام خيمته وهي ترتدي برنسا، ظنّ أنها رجل يريد أن يعتدي على

خلَّدها عبد الرحمن المجذوب قبل مماته، وقلَّما تجد من لم يستمتع بحكاية "لونجا" وحكاية "بقرة اليتامى" وحكاية "سميميع النّدى" من حنجرة جدّته وصوتها يداعب خيوط اللّيل، وقلَّما تجد من لا يطرب لسماع سيرة بني هلال وأبطالها المبجّلين في الذّاكرة الشّعبية، من أمثال بو زيد الهلالي فارس الفرسان، والشّيخ ذياب الذي اشتهر بالقوّة والشّجاعة، و"جازية" المرأة الدّاهية بذكائها وجمالها، وسُعْدَى وخضرة الشّريفة وغيرهم...

وكم من طفل نام غضبان أَسِفًا، لأنّه لم يحظَ بجائزة فكّ اللّغز التي كان الأجداد يُحيون بها سهرات العيد والمناسبات وليالي الشّتاء الطويلة.

إنّ الأدب الهلالي بشتى أشكاله وألوانه التّعبيرية (قصة، سيرة، أو قصائد شعرية، ألغاز أو أمثال شعبية يصعب الإلمام به لغزارته، لكنَّ هذا لا يمنع أن نقف برهة عند حديقته ونشمّ بعضا من قطوفه.

1.9.3 الأمثال والحكم: صوَّرت الأمثال الهلالية حياة الإنسان البدويِّ في المناسبات المختلفة، وأعطت صورة صادقة لأخلاقه، ومزاجه، وطبيعة حياته، وأبرزت بصورة جلية عاداته الأصيلة وتقاليده المتوارثة في بيئته البدويّة، وفي حياته الفطرية البسيطة، فقد عكست تجربة مجتمع بأكمله في شتّى مجالاته الحياتية، ليلامس كلَّ كبيرة وصغيرة من تربية وأخلاق ومعاملات وحتّى الظّواهر الطّبيعية. وممّا لا شكّ فيه أنّ نصوص الأمثال غنيّة بتفاصيل العلاقات الاجتماعية على مستوى الفرد والجماعة، ممّا يدلّ على أنّ المجتمع الهلالي مجتمع أسرى، وهذه الظّاهرة هي إحدى أبرز مكوّنات الشّخصية الهلالية، والتي تعبّر عنها كافّة النّصوص الشّعبية، فهي تعبّر عن تفاصيل العلاقات على مستوى الأفراد، وعلى مستوى الأسرة والفئات، وعلى مستوى النّشاط الحرفي، وهذا ما يمكن أن نستشفّه من خلال الكمّ الكبير من الأمثال الشّعبية التي طرقت كل باب من أبواب الحياة، وكلّ موضوع، وكلّ حدث، من جملة ذلك نذكر قولهم في:

– **الصّحبة والعشرة**: "الْجَارْ قْبَلْ الدَّارْ" أي: قبل شراء الدّار، عليك أن تنتقي وتتحرّى عن الجار الصّالح.

"خُوذْ الرّْفِيقْ قْبَلْ الطّْرِيقْ" أي: اختر رفيقا لك قبل أن تسلك طريق السّفر.

بيته، أطلق عليها النار فأرداها قتيلة. وجاءت هذه القصيدة بعد ثلاثة أيام من وفاتها لتخلّد ذكراها، والتي يتجلى فيها صدق العواطف وعمق التأثر، وقد ألفت على منوال القصائد العربية الكلاسيكية، ترجمت هذه الواقعة على خشبة المسرح = في شكل أوبرات وفي السينما وتغنى بها = =الكثير. ومطلعها: عزوني يا ملاح في رايس لبنات ***** سكنت تحت اللحود ناري مـــقذية.

"النَّاسْ لْبَعَضْهَا" أي: النّاس تخدم بعضها بعضا...

– **التّعاون:** "الْيَدْ لْوَحَدْهَا مَا تْصَفَّق" أي: اليد الواحدة لا يمكن لها التّصفيق، بمعنى: أنّ الواحد لا يمكن أن ينجز عملا دون تلقي مساعدة من أخيه.

"مَنْ خْدَمْ النَّاسْ صَارْتْ النَّاسْ خُدَّامَه": أي: من قدّم خدمةً لغيره، حتما سيجد يوما من يخدمه.

"معاونة[1] النّْصَارَى وْلَا قْعَادْ[2] لْخْسَارَة": أي: أن تساعد نصريًا، أفضل من البقاء عاطلا.

– **المعاملات:** نضرب على سبيل المثال ما ورد في النّفاق، هذا الدّميم الذي أصبح شعار الكثير من النّاس في هذا الزّمان، كقولهم:"فْ الْوْجَهْ مْرَايَة وفْ الْقْفَا سْلَايَة[3]" أي: أنّ الشّخص أمامك يُبدي لك صفاء ونقاء سريرته كالمرآة، ولكن في غيابك تنكشف سريرته الشّنعاء.

"تَعْرَفْ فْلَانْ بَالْعشْرَة وْلَا بَالْخُلْطَة[4] وْلَا بَالْخَطْرَة[5]" أي: يمكن معرفة الشّخص بطول العشرة، أو المخالطة، أو السّفر.

"السَّنْ تَضْحَكْ لَسَّنْ وَالقَلْبْ فِيهْ خْدِيعَه" أي: ترى الشّخص يُظهر لك البشاشة والابتسامة، وفي قلبه يُضمرُ الغدر والخديعة.

([1]) أصلها من الفعل عاون: أي أعان، وتَعاوَنَّا: أَعان بَعْضُنَا بَعْضًا. والمَعُونة: الإِعانَة. وَرَجُلٌ مِعْوانٌ: حَسَنُ المَعُونة. وَتَقُولُ: مَا أَخلانِي فُلَانٌ مِنْ مَعاونِه، وَهُوَ جَمْعُ مَعُونة. وَرَجُلٌ مِعْوان: كَثِيرُ المَعُونة لِلنَّاسِ. واسْتَعَنْتُ بِفُلَانٍ فأَعانَني وعاونَني. ابن منظور: مادة (عون).

([2]) أصلها من الفعل قعد :القُعُودُ :نقيضُ القيامِ .قَعَدَ يَقْعُدُ قُعوداً ومَقْعَداً أَي جَلَسَ، وأَقْعَدْتُه وقَعَدْتُ بِهِ. وَقَالَ أَبو زَيْدٍ :قَعَدَ الإِنسانُ أَي قَامَ وَقَعَدَ جلَس، وَهُوَ مِنَ الأَضداد. م س: مادة (قعد).

([3]) ورد في اللسان: سَلَّانِي مِنْ همِّي تَسْلِيَةً وأَسْلانِي أَي كشَفَه عَنِّي. وانْسَلَى عَنِّي الهَمُّ وتَسَلَّى بِمَعْنًى أَي انكشَف. م س: مادة (سلا). (فْ: أصلها "في" أسقطوا الياء). (مرايه: المرآة: أبدلوا الهمزة ياءً). (القْفَا: مؤخّر العنق).

([4]) المخالطة يقصدون بها الشراكة، كالبيع والشراء، أو الزواج، وما إلى ذلك.....

([5]) الخطرة يقصدون بها السفر: و لم أتمكن من العثور عن أصول هذه اللفظة.

– **الحثّ على العمل**: "اسْعَى يَا عَبْدِ وانَا نَسْعَى مْعَاكْ" أي: أنّ الله يقول لعبده: اسعى وأنا سأعينك.

"اعْزَمْ وْتْوَكَّلْ" أي: إذا عزمت على أمر أن تمضي فيه، فتوكّل على الله.

– **الحيطة والحرص**: "لحْظَ يَغْلَبْ لْقْضَا" أي: الحظّ يغلب القضاء أحيانا."اغْلَقْ بَابَكْ وْلَا تْخَوَّنْ جَارَكْ" أي: احكم غلق الباب، كي لا تشكّ في أن جارك سيخونك."الْمَالْ السَّايَبْ[1] يْعَلَمْ السَّرْقَة" أي: إنّ المال إذا كان مطروحا و لم يكن عليه رقيب ولا حسيب، فهو معرض للسّرقة بالتّأكيد، وسيستدعي النّاس لسرقته، فالمال أكثر ما يغري في هذه الحياة.

– **التّرابط الأسري**: "اعَزّْ مَنْ الْوَلْدْ، غِ وَلْدْ الْوَلْدْ" أي: ليس هناك أعزّ من الولد إلّا ابن الولد، أي الحفيد.

"مَا يَحْمَلْ هَمَّكْ إِلَا خُوكْ وْبَنْ عَمَّكْ" أي: ليس هناك من يهتمّ لأمرك، إلّا أخوك أو أحد أقاربك من أبناء عمومتك.

"خُوكْ خُوكْ، لاَ يْغُرَّكْ صَاحْبَكْ" أي: لا تغترّ بصاحبك، لأنّه لن يكون في مرتبة أخيك.

2.9.3 الألغاز[2] (الأحجيات): هي نمط من أنماط الأدب الشّعبي، وقد اتّخذت في لغة بني هلال اسما آخر حيث عرفت بالأحجية[3]، ساير انتشارها التّسلية البريئة في الثّقافة الشّعبية، وقد ظلّت مسرحا لمجالس السّمر في أوقات السّهر، والتّربية العملية المباشرة، قبل أن تفرض وسائل الإعلام والتّكنولوجية

([1]) أصل كلمة (سايب) يقال: سَيَّبَ الشيءَ: تركَه. وسَيَّبَ الدَّابَّةَ، أَو الناقةَ، أَو الشيءَ: تركَه يَسِيبُ حَيْثُ شاءَ. وكلُّ دابَّةٍ تركْتَها وسَوْمَها، فَهِيَ سائبةٌ من السَّائبةِ والسَّوائِب؛ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذا نذَرَ لقُدُومٍ مِن سَفَرٍ، أَو بُرْءٍ مِنْ مَرَضٍ، أَو غَيْرُ ذَلِكَ قَالَ: ناقَتِي سائبةٌ، فَلَا تُمْنَعُ مِن ماءٍ، وَلَا مَرْعًى، وَلَا تُحْلَبُ، وَلَا تُرْكَب؛ وَكَانَ إِذا أَعْتَقَ عَبْداً فَقَالَ: هُوَ سائِبةٌ، فَلَا عَقْل بَيْنَهُمَا، وَلَا مِيراثَ؛ وأَصلُه مِنْ تَسْيِيبِ الدَّوابِّ، وَهُوَ إِرسالُها تَذْهَبُ وتجيءُ، حَيْثُ شاءَتْ.

([2]) مفردها اللغز، يقال لغز: أَلْغَزَ الكلامَ وأَلْغَزَ فِيهِ: عَمَّى مُرادَه وأَضْمَرَه عَلَى خِلَافِ مَا أَظهره. واللُّغْزُ واللُّغَزُ واللَّغَزُ: مَا أُلْغِزَ مِنْ كَلَامٍ فَشُبِّه مَعْنَاهُ، واللُّغَزَ: الْكَلَامُ الْمُلَبَّس. وَقَدْ أَلْغَزَ فِي كَلَامِهِ يُلْغِزُ إِلغازاً إِذا ورَّى فِيهِ وعَرَّضَ لِيَخْفَى. ابن منظور: مادة (لغز).

([3]) مفردها: الأحجية من حجى، وحجى الأمر ظنه أو ادعاه ظنا و لم يستيقن، والأحاجي من الكلام المغلق منه أو غير المفهوم من الأول. م س: مادة (حجا)

الحديثة هيمنتها على الكيان الإنساني، معتمدة في نسجها الاستعارات والكنايات والمجازات، كون العقل البشري عادة يعجز عند التّجريد عن إدراك العلاقة الدّلالية بين اللّفظ ومضمونه، ولا يتمكّن من ذلك إلا حين ينضج ويَرقَى في سُلَّمِ المعرفة ومضامين القيّم.

إنَّ المتأمّل لمعاني الأحاجي والألغاز، يجد لمضامينها مغزى عميقا ومقاصد هادفة، تَنُمُّ على ذكاء العقلية الشّعبية، وتمسُّكها بالقيّم عبر القرون الغابرة، وبلاغتها تتجلّى في قدرتها على ربط اللّفظ الظّاهر المنطوق بالمعنى الباطن المقصود، وتجعل النّظرة الجوهرية إلى روح الأشياء موحَّدة عند الجميع، على الرّغم من تباين الألفاظ المعبَّر عنها باختلاف المناطق واللّهجات. وإذا سلَّطنا الضّوء وركَّزنا الاهتمام على مدى انتشار الألغاز بهذه المنطقة، فإنَّه يتبيَّن لنا لأوّل وهلة أنّها قليلة الكمّ قصيرة النصّ، لكنّنا بمجرّد بدء عملية البحث والجمع والتّرتيب، وجدنا أنّنا نقف على ثراء، وتنوُّع هذا النّمط من الأدب الشّعبي بمعانيه الغزيرة وأساليبه الرفيعة، كما أنّ اعتمادها على السّجع والجمل القصيرة، عمل على تيسير تداولها بين النّاس بسهولة، أَضِفْ إلى ذلك غزارة محاورها وتنوّعها المتّصلة بحياة الإنسان، واهتماماته اليومية. وهي تشيع بين النّساء أكثر ممّا تشيع بين الرّجال، وبين العجائز أكثر ممّا تشيع بين الفتيات، وتشيع بين الشّيوخ أكثر ممّا تشيع بين الشّباب والكهول، ويبدأ اللّغز دوما بعبارة "حَجِيتَكْ مَا جِيتَكْ"[1]، وقد تفنّنوا في نسجها وبرعوا فيها حتّى تناولوا محاور عديدة أهمّها:

– الإنسان وأعضاء جسمه نحو:

"حَجِيتَكْ مَا جِيتَكْ: مَطْمُورَتْنَا[2]

فِي بِيرْ[3] مَا نَعْرْفُوهَا لَا قَمْحْ وْلَا شْعِيرْ" والحلّ: هو "الجَنِينْ".

ونحو: "حجيتك ما جيتك: لُو كَانْ مَا هُمَا– أَنَا مَا جِيتَكْ" وحلُّها: الرِّجْلان.

ونحو: "حجيتك ما جيتك: اسمها يْبْدَ بَالْمِيمْ وْالْمِيمْ فِي قَلْبِي مَا احْلَاهَا، اِذَا غَابَتْ اتْكَلْ عْلَى الله وْانْسَاهَا" وحلُّها: "الأمّ".

---

(1) .بمعنى: حجيتك وما جئت إليك.

(2) طمر: طَمَرَ البئرَ طَمْراً :دفَنها .وطَمرَ نَفْسه وطَمَرَ الشَّيْءَ: خَبَأَه حَيْثُ لَا يُدْرى والمَطْمُورةُ :حفيرةٌ تَحْتَ الأَرض أَو مكانٌ تَحْتَ الأَرض قَدْ هُيِّئَ خَفيّاً يُطْمَرُ فِيهَا الطعامُ والمالُ أَي يُخبأُ، وَقَدْطَمَرْتها أَي مَلأْتها .غَيْرُهُ :والمطَامِيرُ حُفَرٌ تُحفر فِي الأَرض تُوسّع أَسافِلُها تُخْبأُ فِيهَا الحبوبُ.. ينظر ابن منظور: مادة (طمر).

(3) بير: بئر، خفّفوا الهمزة فأبدبوها ياءً.

– الحيوانات بأنواعها المختلفة نحو:

"حجيتك ما جيتك: لَابْسَة مْيَاتْ عْبَايَة وْرْكَبِيهَا عْرَايَة"[1] وحلُّها: "النّعامة".

ونحو: "حجيتك ما جيتك: الْتْوَى ومَا عَابْ" وحلُّها: "الثعبان".

ونحو: "حجيتك ما جيتك: اكْبَرْ ومَا شَابْ" وحلُّها: "الغراب".

– النّباتات بأنواعها المختلفة نحو: "حجيتك ما جيتك: فُتّْ[2] عْلَى دَارْ الْعْجَبْ، يَاكُلْ الْفَضَّة وْيْرمي الذّْهَبْ" وحلُّها: "الموز".

– الآلات والأسلحة نحو: "حجيتك ما جيتك: سِيدِي عَايَبْ[3] مَا يْجِيبْ غِيرْ لْمْصَايَبْ" وحلُّها: "المسدَّس".

ونحو: " حجيتك ما جيتك: عَمْيَا وْ تْخَيَّطّ الْكْتَّانْ"[4] وحلُّها: "الإبرة".

– مظاهر الطّبيعة نحو: "حجيتك ما جيتك: "زُوجْ مْتْقَابْلِينْ" وحلُّها: "السّماء والأرض".

3.9.3 الحكاية

من أكثر فنون الأدب الشّعبي التي تُخزِّنها الذّاكرة الشّعبية الهلالية، وهي تمثّل التّاريخ الشّفهي لمسيرة حياتهم. فهي مرويَّة شعبية، نسجها الخيال الشّعبي وتداولها النّاس جيلا بعد جيل، مضيفين لها ومُحَوِّرين فيها، وهي في موضوعاتها تقف عند حدود الحياة اليومية والأمور الدّنيوية العادية. ومن أنواع الحكايات الشّعبية المتداولة في المجتمع الهلالي نذكر: الخرافات الخارقة، والحكايات الأخلاقية، والحكايات النّادرة، والحكايات التّعليمية، وحكايات التّسلية. وتتضمّن الحكايات الشّعبية حقائق وأحداثًا واقعية، كما أنّها قد تختص بالحوادث التّاريخية أو الأبطال الذين يصنعون التّاريخ، لكنّها تتضمّن أيضًا في الوقت نفسه خرافات أو خيالا محضا. ومعظم الحكايات تروي بطولات مملوءة بالمبالغات والخوارق، إلّا أنّ أبطالها الرّئيسيين هم من البشر أو الجنّ أو من الحيوانات التي لا تنفصل عن بيئة الصّحراء (غزلان، أفاعي، ضباع، ذئاب،...) كما قد تكون حيوانات خيالية (حصان بأجنحة،...). وفي الحكاية تتجلّى

([1]) لَابْسَة (مْيَاتْ عْبَايَة) مئة عباءة: (وْرْكَبِيهَا عْرَايَة) ورُكبتيْها عارية.

([2]) فتّ: يقصدون: مررت، أي مررت ببيت عجيب يأكلون الفضّة (لبّ الموز) ويرمون الذّهب (قشوره).

([3]) عايب: يقصدون: مُحْدَوْدَب، أي: رغم أنّ سيدي محدودب الظّهر، إلا أنّه لا يأتي من ورائه إلا المصائب.

([4]) عَمْيَا: عمياء. وْتْخَيَّطّ: وتخيط. الْكْتَّانْ: القماش.

بوضوح النّزعة الأخلاقية، ويشتدّ الصّراع بين الخير والشرّ، الملاك والشّيطان أو الجان، العفاريت والإنسان، السّاحرة الشريرة والفتاة الجميلة، الفارس المغوار والوحوش، وتكون الغلبة فيها دائما لصالح الخير، وعادة ما تكون النّهاية سعيدة من أمثال حكاية "لونجا" الفتاة ذات الجمال الرائع الذي بلغت شهرتها الآفاق، لا يتزوّجها إلّا الشابّ الذي يدافع عنها ويدفع مهرها غاليًا... وهو المخاطر بحياته وسط الأهوال...!! وقصة بقرة اليتامى التي يعاني فيها الطّفلان القهر والحرمان، والمعاملة القاسية والشّريرة من قِبَلِ زوجة الأب، التي تنجح كلّ محاولاتها في إبعادهما عن أبيهما، لكن ما يفتآن أن تنقلب حياتهما رغدا وسعادة، وينعمان بالعيش الهنيء في قصر السّلطان الذي فُتن بجمال وأخلاق الفتاة اليتيمة.

ويبقى اللّيل وقتا مناسبا لسرد الحكاية، إما لتسلية الأطفال حتّى يناموا، أو للمسامرة بين الكبار، بما تتطلّبه الحكاية من مهارة السّرد والتّمثيل والتّشخيص الصّوتي والدِّقّة في توصيل المغزى...، ونجد الرّاوي في الغالب إمّا شيخا أو عجوزا، لقدرتهما على السّرد وحفظ متون الرّوايات، معتمدين في ذلك على اللّهجة المحلّية.

إنَّ الجميل في هذه الحكايات إلى جانب بعدها التّرويحي والتّرفيهي، هو إثراء مخيّلة الطّفل وتنميتها بفضل شخصيات الرّاويات (الجدّات) وخبراتهنّ التي تتفاوت من راوية إلى أخرى، حيث توارثن رواية الحكايات، وإضافة كلّ واحدة منهنّ إلى ما ترويه من خبرتها وتجاربها في الحياة الشّيء الكثير، حسب ما تتمتّع به كل منهنّ من موهبة تتمثّل في حُسن الإلقاء، وابتداع وسائل التّشويق والإثارة، وشدّ انتباه السّامعين للحكاية التي كانت الوسيلة الوحيدة لتزجيةِ أوقات الفراغ، وتمضية ليالي السّمر.

4.9.3 السِّيَر:

يمكن القول إنّها تاريخ لم يوثّق إلا بالذّاكرة وبراعة اللّسان، هي قصص طويلة تجمع بين النّثر والشّعر، تدور حول البطولات والفروسية، وتشتمل على أشعار ملحمية. ومن أبطال السّير التي تنتشر في المجتمع الهلالي، نذكر سيرة عنترة، وأبطال تغريبة بني هلال اللّذيْن محورهما شخصيات تمّ تصويرها على هيئة فرسان، وأضاف الخيال الشّعبي من خلال ملاحم هذه الشّخصيات بعضا من عواطفه، لا سيما ملحمة السّيرة الهلالية التي ما زالت تروى في ليالي السّمر والسّهر، وقد تأخذ هذه السّير شكل الأشعار الشّفاهية، ومن أمثلتها الأشعار التي تستخدم أسماء: بو زيد الهلالي، الشّيخ ذياب، جازية، وخضرة بنت السّلطان وغيرهم من أمراء الهلالية، وهي تتحدّث عن تغريبتهم من الحجاز إلى تونس الخضراء.

5.9.3 الشّعر الشّعبي:

يضمّ الأدب الهلالي تراثا شعريا غنيًّا، يتّصف ببحوره وتفعيلاته ومقاماته المتنوّعة، التي شملت جميع مناحي التّعبير من غزل ومدح وهجاء، وكذلك الموعظة والرّثاء والحماسة والحكمة. وقد ارتبط – بمختلف أنواعه– ارتباطًا عميقًا بنفسية صاحبه، مجسِّدًا مختلف مراحل حياته، فعكس انفعالاته وأحزانه، طموحاته وأفراحه، كما سجَّل بطولاته ونضالاته ضدّ المحتلّ، فالشَّاعر الهلالي يستلهم موضوعاته من محيطه وواقعه المعيش، ولنا أن نميّز بين نوعين مختلفين

من الشّعر في التّراث الهلالي، وهما: الشّعر الملحون[1] والشّعر الجمعي الفلكلوري، هذا الأخير الذي يُقال عادةً في المناسبات ودورات الحياة كالختان، الزّفاف، العمل الجماعي (التّويزة)... وهناك من يطلق عليه مصطلح الأغنية الشّعبية[2]، وهو في الأصل شعر شفاهي تحفظه الذّاكرة الجماعية، وهو من إبداع شخص واحد، ثم راحت الجماعة تردّدها وتُعَدِّل وتُبَدِّل فيها حتّى أصبحت ملكا لها، تُعبِّر عن مشاعرها وآمالها وأحلامها، كما أنّها تتنوّع وتختلف من مكان إلى آخر، ولكنْ يبقى الأصل الموسيقي ثابتا، ويُتناقل مع إعادة الصّياغة المستمرّة من فمّ إلى فمّ، ومن جيل إلى جيل، فيحاول كلّ جيل أن يُكيِّفه مع متطلباته واحتياجاته المختلفة، مُضيفا إليه بعض الرؤى الجديدة بما يتناسب وروح النّاس، فهذا الشّعر مجهول المؤلِّف تمَّ توارثُه بالرّوايات الشّفاهية وأغلبه شعر مناسبات، على عكس الشّعر الملحون الذي ينسب إلى أصحابه، حيث نجد أسماءهم منظومة بطريقة فنيَّة في نهاية القصيدة، يرويها الرّواة، وقد يحدث أحيانا أن يُغيِّر الرُّواة أو يُضيفوا بيتًا إلى القصائد، أو يُغيّروا من ترتيب الأبيات، غير أنَّ بصمة أصحاب هذه القصائد تظلُّ واضحة وبارزة، كما فعل "مصطفى بن إبراهيم"[3]، حيث إنَّ المتصفِّح لديوانه،

---

[1] اختلف الباحثون والدارسون والمهتمون بهذا اللون من أنماط الفلكلور الشعبي حيث نجد بعضهم سماه الشعر العامي، وأطلق عليه البعض الآخر اسم "الشعر الملحون" مُصاحبة الشعر للغناء والألحان، فقد عُرفت الأشعار الملحونة بأدائها من قبل المغنين، وهكذا ارتبط هذا الشعر بالموسيقى واللحن لدى العامّة، حتى أطلقوا عليه عدة أسماء نذكر منها: الميزان النّشد، الغناء... إلخ، كما أطلقوا على =الراوي أو الشّاعر صفة الغنّاي أوالقوّال... إلخ. ويميل "صالح المهدي" بدوره إلى مصطلح "الملحون" الذي يعّرفه قائلا: "هو الشعر العربي الذي تغّلبت عليه اللهجات المحلية، التي لم تطبق قواعد الإعراب الخاصة باللغة العربية الفصحى، ولذا اشتهر في الكثير من الأقطار العربية باسم "الملحون". ينظر: صالح المهدي: الموسيقى العربية تاريخها وآدابها، الدار التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية تونس/ الجزائر، 1986 ص 183.)

[2] إبراهيم زكي خورشيد: الأغنية الشعبية والمسرح الغنائي، المكتبة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م.

[3] مصطفى بن براهيم: عبد القادر عزة، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1975م.

يلاحظ كثرة ورود اسمه مختصرا في صيغة "صَفَى" بدلا من الاسم الكامل "مصطفى"، كقوله في قصيدة "ناري شفت غزال"[1]:

صْفَى عبَدْك قالْ *** وَأنْتَ بهْمُومَه مْكَلفْ

كما يقول مخاطبا الشّعراء في قصيدة "قلبي تفكّر الأوطان"[2]:

قُولُوا أَعْلى صْفَى يَا القَوّالَة

شُوفُوه كِيفْ ارْخَصْ بَعْد مَا غَالَى

وربّما فضَّل الشّاعر استعمال هذه الصّيغة (صْفَى) بدلا عن "مصطفى" نظرا لاختصارها الذي يمنحها رنّةً تجعلها أنسب للغناء والتّلحين، وأيضا لاشتهار هذا الاسم المختصر لمصطفى بالغرب الجزائري.

كما يمكننا أن نُصنِّف الشّعر الملحون إلى البدوي والحضري، فإنَّ كلَّ واحد منهما يحمل بصمات بيئته التي يتأثّر بها ويؤثّر فيها، وينعكس كل هذا على مستوى اللّغة والإيقاعات تبعا لعوامل اجتماعية وطبيعة البيئة الجغرافية التي تؤثّر في نمط تفكير الأشخاص ونظرتهم للأشياء والعالم.

فالشّعر الملحون البدويّ ينتشر في المناطق الصّحراوية والدّاخلية، تميل لغته إلى القوّة والفصاحة، مع توظيف للأمثال والتّعابير الوصفية وضروب الاستعارة والتّشبيه، حتّى إنّنا نستطيع تشبيهه بالشّعر الجاهلي من حيث طريقة البناء وقوّة اللّغة والتّصوير. ويجد الدّارس –أحيانا– صعوباتٍ لفهم معاني هذا الشّعر وبعض مفرداته؛ لأنَّ "لهجة هذه القصائد البدويّة هي من الصّعوبة بحيث لا يعرفها إلا مَنْ مَارَسَهَا طويلا، وعاش قريبا من بيئة الشّاعر، وتذوَّق أسلوب النّاس بها في التّعبير عن خواطرهم، وخاصّة إذا لاحظنا تغيُّر الحروف ونطقها، وتغيُّر الكلمات في صِيَغٍ تتّفق والنّطقَ المحليَّ الخاصَّ"[3] فحتّى يتمكَّن الباحث الغريب عن بيئة هذا الشّعر، من فهم بعض المفردات والمعاني الغامضة لبعض الكلمات الجزلة عليه الاستعانة بأبناء المنطقة، أو الاحتكاك بهم والتّعرُّف على عاداتهم وأنماط تفكيرهم.

---

[1] م س.

[2] مصطفى بن براهيم: م. س

[3] عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري، ص32.

أمّا الشّعر الملحون الحضري، وينتشر في المدن والحواضر فانعكس هذا الأمر على خصائصه الفنيّة والموسيقيّة من رِقَّة في الأسلوب، وتنوُّع في الإيقاع، وتحرّر كبير على مستوى المضمون والخيال، حيث يتفنّن الشّاعر الحضري في القافية والوزن، ويميل إلى اللّيونة والسّهولة في الألفاظ والتّعابير.

لقد ظهر في القبائل الهلالية بمنطقة الغرب الجزائري، عدد كبير من الشّعراء الموهوبين الذين أبدعوا قصائد، تُضَاهِي في فنّيتها روائع الشّعر العربي الفصيح من حيث التّصوير والأسلوب والقوّة الجمالية، بل ربّما أنَّ الفرق الوحيد بينها وبين هذه القصائد الملحونة، هو أنّها نظمت بلغة عامية قريبة من الفصحى، على الرغم من أنّ الكثير من قائليها لم يكونوا بالأمّيّين ولا بالجاهلين، بل بالعكس نجدهم يمتلكون ثقافة دينية وحافظين للقرآن وخريجي زوايا معروفة. لعلَّ مِنْ أشهر هؤلاء الشّعراء –على سبيل الذّكر لا الحصر– نذكر مصطفى بن براهيم (1800م– 1867م) الذي يلقّبونه الرّواة بشاعر بني عامر ومدَّاحها، والذي شكّلت المرأة والخمرة الجزء الأكبر من اهتمامه، فبرع في شعر الغزل دون غيره من فنون الشّعر الأخرى، يضاف إليه أحيانا طابع الفخر الذي يتسرّب بين سطور قصائده.

حظي الشّاعر مصطفى بن براهيم اهتمام العديد من الدّارسين، فقد جمعت قصائده وأصدرت في كتاب يحمل اسمه[1]، كما تغنى العديد من المطربين بقصائده. ولعلَّ من أشهر القصائد التي لقيت رواجا ولا زال صداها يتردّد على ألسنة الكبار والشّبان قصيدة "ما اطول ذا اللّيل" وهي قصيدة غزلية طويلة تتنوّع فيها القافية، يبدأها بالحديث عن معاناة الوحدة ولوعة الفراق التي يعيشها في جوٍّ تملأُه الحيرة، وطول الانتظار الذي أضناه قائلا[2]:

مَا اطْوَلْ ذَا الْلِيلْ كِي طْوَالْ *** وَانَا فِي بِيتْ غِيرْ وَحْدِي

غَزْلِي[3] مْبْنِي عْلَى الْخْبَالْ[4] *** مَا صُبْتْ سْلَاكْ كِي نْسَدِي[1]

---

[1] التلي بن الشيخ: دراسات في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ت، ص87.

[2] التلي بن الشيخ: م. س، ص 102.

[3] ويقصد: تدبيري.

[4] اختلاط الأمور.

وفي هذه القصيدة نجده يفتخر بقومه وقبيلته على عادة شعراء الملحون، تماما مثلما نجد لدى الشّعراء القدامى في الشّعر الفصيح، فهو يُذكِّر حبيبته بطباعه أنّه قويّ عنيد ينتسب إلى قبيلة بني عامر العريقة في المجد والفروسية، ولا يهمّه ما يشاع من إشاعات، فهو يقول:[2]

الدُّنْيَا غِيرْ قِيلْ وْقَالْ*** شْعْنَا فِي الْمْدُنْ وْالْبْوَادِي

قُلْتْ لْهَا يَا ضَيْ[3] الْهْلَالْ*** تَعَرْفِنِي خَاطْرِي عْنُودِي[4]

أَنَا مْنْ سَرْبَةْ لْبْطَالْ[5] *** بْنِي عَامَرْ ذُوكْ وْرْدِي[6]

كما نجده في قصيدة "قلبي تفكر لوطان" التي مطلعها[7]:

قَلْبِي تْفَكَّرْ لْوْطَانْ وْ الْهَالَة[8] *** رَانِي مْهَوَّلْ مَانِيشْ فِي حَالِي

قَلْبِي تْخَبَّلْ بْالْوَحْشْ تْخْبَالَة *** وْعْلَاهْ يَا مْرُو[9] غْرِيبْ تْلْغَى لِي

---

[1] ويقصد: أنه لم يجد حلا لما هو فيه.

[2] التلي بن الشيخ: م س، ص103.

[3] ضوء البصر.

[4] أي: طبعي عنيد.

[5] سرب الأبطال.

[6] أي أولئك أهله.

[7] التلي بن الشيخ: م س، ص129.

[8] النور الذي يحيط بالقمر.

[9] يا مرو: يا امرا.

نُوبَة[1] نْجَالَسْ شِي نَاسْ عْقَالَة *** وْنْقُولْ ذَا لْوِّلْ خِيرْ مْنْ التَّالِي

نُوبَة نْتْفَكَّرْ يَا لْمْثَالَة[2] *** وْيْثُورْ جُرْحْ الْمَحْنَة وْيْرْبِى[3] لِي

كذلك يلتفت إلى قومه، فيشيد بأهله وإلى مكانتهم بين القبائل، وشدّة بأسهم أيّام المحن والمكاره، فكم هزموا من أعداء، وكم خلوا من أوطان، فيقول[4]:

أَهْلِي وْنَاسِي فِي الشُّومْ[5] رْجَّالَة *** اْشْحَالْ مْنْ فَجّْ[6] هْدَاوَهْ خَالِي

اْرُكَّابْ مْ البَعْدْ بْيَّانْ شَعَّالَة *** وْالْقَاطْ كْمْخَة[7] وْالسَّرْجْ فِيلَالِي[8]

بَارُودْ يِخْرُجْ مْ جَعْبْ[9] يْتْكَالَى *** شُبَّانْ تَنْطَحْ فِي الشُّومْ بْمْشَالِي[10]

أمّـــا الشّاعر المجاهد محمد بلخير (1835م- 1905م) فالحديث عنه شيِّق وجميل، يكفي أنَّه استرعى اهتمام الباحثين والمثقّفين الجزائريين والفرنسيين على حدّ سواء، من أمثال حمزة بو بكر في كتابه "الشّعراء الثّلاثة الجزائريون الشّعبيون"، والوزير الأسبق بو علام بسّايح الذي جمع أشعار محمَّد بلخير في

---

[1] ساعة بعد ساعة.

[2] أهل الرأي الذين يعرفون معنى الأمثال.

[3] يزيد مشتقة من الربا.

[4] التلي بن الشيخ: م. س، ص132.

[5] الحرب أو المعركة.

[6] الطريق بين الجبلين، والمعنى كم من مسالك صعبة تركوها خالية.

[7] حرير.

[8] الجلد الجيد الذي تصنع منه السروج والراحلة.

[9] جمع جعبة وفي القصبة التي يخرج منها البارود.

[10] اللمعان الذي يحدثه احتكاك السيوف في الحرب.

كتاب تحت عنوان "اللّواء الممنوع"، ومن فرنسا المفكّر الفرنسي المستشرق جاك بيرك[1]. ينتمي الشاعر بلخير إلى قبيلة الرزيقات[2] فرع أولاد داود المُنشقة من بني هلال[3]، فقريحته الشّعرية البدويّة العربيّة التي التي تشرّبت من الخصال الدّمثة لأهل الهضاب العليا، لم تتوقّف عند شعر الحماسة الذي كان يزيد به شوق الرجّال إلى الجنّة حرارة وتوهجًّا، بل لقد برع شاعرنا في المدح وفي شعر الغزل، فكان شاعر الوفاء والحلم، وكانت جواهر الصَّفاء الصُّوفي تُرَصِّع وتُزَيِّن شعره من حين لآخر.[4]

خاض معارك عديدة إلى جانب أولاد سيد الشّيخ ما بين (1864م- 1883م) أُلْقِيَ القبض عليه من طرف الاستعمار الفرنسي بتهمة تحريض القبائل ضدّ فرنسا، ونُفِيَ بـــ "كالفي" بجزيرة كرسيا[5]

---

(1) جاك بيرك: من مواليد الجزائر 1910م، فرنسي الجنسية، ولد في فرندة ولاية تيارت زاول دراسته الثانوية بالجزائر العاصمة لينتقل بعدها الى باريس ويستكمل دراسته العليا، أتقن العربية كأحد أبنائها وأقام في عدة بلاد عربية، وكانت إقامته في بكفيا في لبنان كمشرف على معهد تعليم العربية للمستشرقين آخر محطاته في البلاد العربية، حتى انتقل بعدها إلى باريس ليتولى كرسي "التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر" في المعهد الفرنسي، ثم تقاعد عن العمل منصرفًا لترجمة القرآن الكريم لمدة 10 سنوات.. توفي عام 1995م. ينظر لطفي حداد: جاك بيرك والعروبة ، مجلة الحوار المتمدن - العدد: 1161 - 2005 / 4 / 8 = http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=35066

(2) قبيلة الرزيقات التي نشأ بها الشاعر هي إحدى مجموعة قبائل "أغواط-كسال" توجد مضاربها إلى الشرق من مدينة البيض تعيش حياة حياة البداوة التي تتميز بالحل والترحال، والإيواء في الخيام ، وممارسة حرفة الرعي والفروسية ونظم الشعر.

(3) الشيخ حمزة بو بكر: ثلاثة شعراء جزائريون، صدر بباريس سنة:1990، ص221.

(4) mohamed belkhir: étendard interdit –poème de guerre et d'amour– recueillis، présentés et traduits de l'arabe (Algérie) par Boualem Bessaih édition bilingue sindbad paris، 1976، p19–47،

ينظر مجلة أصوات الشمال الإلكترونية مقال: "مع محمّد بلخير شاعر الجمال و النّزال" بقلم: الأستاذ علي النّابتي، ج1 نشر بتاريخ 30/ 3/ 2010، وج2 نشر بتاريخ: 4/ 6/ 2010م. http://www.aswat-elchamal.com/ar/?p=98&a=8666

(5) كُورَسِكَا أو كُورَسِيكَا، بالفرنسية: Corse ، بالكورسية: Corsica جزيرة فرنسية شهيرة في البحر المتوسّط، تقع غربي إيطاليا، وشمال جزيرةسردانية، وجنوب شرق فرنسا.

سنة 1887م إلى 1895م، وبقي يتحسّر في أشعاره ويتألّم من بعد الأحبّة وشوقه للوطن، من أشعاره الأكثر رسوخا في ذاكرة الشّيوخ وحتّى العجائز من النّساء، نذكر قصيدة "سلّاك المغبون" التي يقول فيها[1]:

سْلَّاكْ الْمَغْبُونْ مْنْ وْطَنْ الْقِفَارْ *** قَادْرْ كُلّ اغْرِيبْ لْبْلَادَه تْدِيهْ

سْلَّكْنِي مْنْ بِينْ سْدّْ وْسْدّ أُحْجَارْ *** والمغبون يشوف لو كان بعينيه

سْلَّكْنِي كِمَا اسْلَكْ طَهَ فِي الْغَارْ *** جَاء لْحْمَامْ وْالْعَنْكَبُوتْ سْدّاوْ عْلِيهْ

سْلَّاك ابْرَاهِيمْ مْنْ لَهْفَاتْ أْنَّارْ *** بَرْدًا وْسْلَامْ حَاجَة مَا تَأْذِيهْ...

الْعَبْدْ الضّْعِيفْ مَا لْقَى طَاقَة لْلأضْرَارْ *** وظن عليك بلا طبيب أنت تبريه

ما عندي طاقة ولا بيدي مقدار *** هَمّْ الْحَبْسْ وْزَادْ هَمّْ اضُرّْ عْلِيهْ

إلى أن يقول:

اجعل لي يا ربّي الخير في القسمة الي ترجاني*** لوكان اعطى السلطان واش تقلع ليك الحساد ماني مداح نجوع غير انت والعدناني*** والا ربّ العزّ الي اعليه الرحمة والزاد

أمّا في الجهاد والحماسة، فتعتبر قصيدة "احنا بنا النّاس اهترف اهّتريف"[2] من أبرز القصائد التي قالها بلخير وذاع صيتها على أوسع نطاق بين الجزائريين، "لقد كانت بمثابة الصّحافة المضادّة للدّعاية الفرنسية المغرّضة، التي كان يسعى بواسطتها عسكر فرنسا النّيل من عزائم المجاهدين، بالتّشكيك في صدق نواياهم وحسن مقاصدهم. ترجع قصّة هذه القصيدة، إلى الطّلب الذي توجّه به الرّائد العسكري الفرنسي لمدينة البيض، إلى قاضي النّاحية المدعو "عطا الله"، لإصدار فتوى يحطّ بها من قدر المجاهدين

(1) Mohamed belkhir :p114.

(2) من الهرف: مُجاوزةُ القَدْر في الثّناء والمدْح والإطْناب. ينظر اللسان مادة (هرف)

بنعتهم أنَّهم مجرّد قُطَّاع طرق خارجين عن القانون. في هذه الأثناء كان محمَّد بلخير رفقة رجال "قدور بن حمزة"[1] في جنوب المغرب الأقصى، وما إن صدرت تلك الفتوى حتّى كان لها شاعرنا بالمرصاد، حيث أسفرت المواجهة عن هروب المفتي عطا الله إلى مكّة المكرّمة أين وافته المنية بعد حين. تمكَّن بلخير ببضع أبيات الحطَّ من قدر "عطا الله"، ومن الإطاحة بفتواه الباطلة، لقد نعته بالمرتزق الذي اختار الهناء الزّائل، وكانت ضربة بلخير القاضية عندما شبَّه عطا الله، بكلاب قبيلة تدعى "رحمان" معروفة بنقص الحفاوة."[2] وأظهر المرجعية التي يستند إليها المجاهدون في جهادهم،

ضدّ الجيوش الفرنسية عند قوله:

أُحْنَا مُجَاهِدِينْ مَا هُو قَوْلْ اضْعِيفْ *** تْبَّعْنَا مَا قَالْ رَبِّي فِي الْقُرْآنْ

تكتسي هذه القصيدة أهميّة قصوى من حيث شرعية المقاومة. "كما أنَّ بلخير يعدّ أوّل شاعر شعبي يستعمل لفظ "مجاهد" حسب المهتمّين بالشّعر الشّعبي الجزائري، قبل أن تتبنّاه ثورة أوّل نوفمبر 1954م"[3]. وهذا مقطع من تلك القصيدة النّبيلة، حيث يقول:[4]

أحْنَا مُجَاهدين مَاهو قول ضْعيفْ *** تبَّعنا مَا قَال ربِّي في القرآن
واحْنا فزنا على العرَب، جيّد واشريف *** وافرح بنا الهاشمي شارع الاديان

واحنا بارودنا على البارود اخفيف *** بتْوانس نضربوا علَى شُوفة الأعيَان
قولوا لعطاء الله واش كلفك يا حزين *** ولاه تشمت في اللي ما لداهم قران

لعبت بك الدّنيا أيّامها فانيين *** ما اخيار انتاي والا اكلاب رحمان

---

[1] أحد أولاد سيدي الشيخ الذين قادوا الثورات الشعبية في منطقة البيض.

[2] علي النّابتي: مع بحمد بلخير شاعر الجمال والنّزال ج1- مجلة أصوات الشمال الإلكترونية، نشر في الموقع بتاريخ: 14 ربيع الثاني 1431هـ الموافق لـ: 30-03-2010. http://www.aswat-elchamal.com/ar/?p=98&a=8666

[3] علي النّابتي: م س.

[4] م س: ص137-138.mohamed belkhir

كما تميَّزت مرحلة الشّباب من حياته بنظمه لأشعار الغزل الذي أبدع فيه أروع القصائد، مصورا فيها جمال المرأة البدويّة مثل قصيدة "يا الازرق الحمام" التي يقول فيها:[1]

يَا الازْرَقْ الحْمَامْ اْدِّي وْصَايَة *** كَانْ اْنْتَ مَرِيتْ لْلْعْرَب

لَا تْبْطَاشِي بْالْوْجَابْ رُدُّو هْنَايَا *** حَدَّتْ خَيْرَة صِيغْةْ الذْهَبْ

حَرْفْ الْخَا وْالْيَا اثْنِينْ زَادوا*** ابْلَايَا هُمَا وْالرَا بِهْ يَنْكْتَبْ

الْمَحْبُوبْ الْلِّي يْحَبْنِي*** نْرْوَى مْنْ عَيْنَهْ نْشْفَى

كِمَا حَبِيتَهْ يْحَبْنِي*** وْاثْمْرَة تَسْتْاهَلْ الْوْفَا

والْقَلْبْ الْلِّي مَا يْحَبْنِي*** حْتَى انَا نَعْطِيهْ بْالْقْفَا

مْنْ يَعْرَفْ مَعْنَى يْفِيدْنِي*** مْنْ يَامَنْ الْبْنَاتْ مَا اصْفَى

تمثّل أشعار الغزل في ديوان محمد بلخير ما يقارب الثّلث، كلمات بسيطة، ولكن صادقة برنَّة نادرة ومجاز عجيب، حتّى تقودنا معرفتنا إلى الاعتقاد بأنّ بلخير لم يحبّ إلّا امرأة واحدة، يدعم هذا القول، نبرات حركاته الشّعرية التي تشهد على هذا. ويبدو أنّه كان محبًّا لشعر الغزل، حيث إنّنا نجد نفس الصّور، ونلاحظ في الغالب نفس المفردات، وإن تعدّدت أسماء محبوبته، فهي تارة اسمها فاطنة[2]، وتارة ملحة[3]، وتارة عايشة[4] وتارة خيرة[1]، إلّا أنّ الممتع هو تقديم ذلك في حبكة مختلفة عن سابقتها.

---

[1] م س: ص 141-145.

[2] Mohamed belkhir: étendard intrdit م. س، ص 59 و158

[3] م س: ص 63 و153.

[4] م س: ص 66 و150.

كذلك نجد شعره قد تناول أغراضا أخرى كـــ"المديح" الذي نظم فيه قصائد كثيرة، تضمّنت التّوحيد ومدح الرّسول -صلى الله عليه وسلم-، ومدح شيخه سيدي الشّيخ صاحب الطّريقة الشّيخية المتفرّعة عن الطّريقة الشّاذلية، فقد كان من أتباع هذه الطّريقة، وكان ارتباطه بهذا الوليّ الصّالح قويًّا كما يظهر في الكثير من أشعاره نحو:[2]

سْرَّحْنِي يَا سِيدِي انْجِي انْشُوفْ وَطْنَكْ وْاوْطَانِي*** وِانْسَالْ عْلَى الْاحْبَابْ كَانْ مَازَالُوا جَارَكْ عَادْ

أَنَا قُلْتْ امْهَنِّي امْنِينْ دْرْتْ اقْبَابَكْ جِيرَانِي *** وْنَبْقَى فَايَزْ بْشْبُوبْ حُرْمْتَكْ وْفْضَايَلْ الاوْلَادْ

أَنَا ظَنِيتْ عْلِيكْ ظَانْ عْلَى قَلْبَكْ يِرْضَانِي*** وَالِي عَنْدَكْ مَعْزُوزْ كِي لِي غَالِي فِي الاوْلَادْ

نْحْسَبْ رُوحِي رِيشَة مْنْ العْضَا مَانِيشِي بْرَانِي *** وِمَنْ يِنْتُرْ لَكْ زَغْبَة مْنْ الشَّعْرْ يِتْبَاكُو الاثْمَادْ

قُلْتْ أُنْتَ الاغْوَاطْ هْمْتِي والثُّوبْ الدَّخْلَانِي*** ونَا حَقِّي فِي الثُّوبْ مَا انْبِيعَه مَالُو تْحَيَادْ واذَا جِيتْ للأغواط مَا يِعَزُوشِي عْلِيكْ الْفَانِي *** ابْحَالْ يِجْيِنَا سُلْطَان مَا انْدِيرُوه امْعَاكْ اعْنَادْ

أمّا في مدح سيد الخلق فله قصيدة جميلة يقول فيها:[3]

الصَّلَاةْ وْالسَّلَامْ عْلِيكْ يَا الْمَدَانْي زِينْ النُّورْ

يْرَبْحُوا مْنْ صَلَّاوْا عْلِيكْ أَلْفْ فَرْحَة وْأَلْفِينْ سْرُورْ

يْرَبْحُوا مْنْ صَلَّاوْا عْلِيكْ طَاهْرَة مَا فِيهَا تَشْكِيكْ

عَدْدْ مَا فِي مُلْكْ الْمُلْكْ وَالِي دَايْرْ بِهْ الصُّورْ

بَعْدْ هَاذْ الشِّئ وْقْلِيلْ عْلِيكْ لَوْ جْبَرْتْ كْثِيرْ نْكَافِيكْ

هَذِي هْدِيَة مَهْدِيَة لِيكْ يَا كْرِيمْ الشُّرَفَاء والكُورْ

قْبَلْ تْخْلَقْ فِي بَطْنْ أُمُّكْ بَشَّرْ الله خْلَايْقَه بِيكْ

فِي الكُتُبْ وْعِلْمْ الفُلْكْ وْالسَّمَاوَاتْ وْسْبْعْ بْحُورْ

كُنْتْ عَنْدْ الله مْسَمِّيكْ لَا نْبِّي قَبْلَكْ

وْلَا بَعْدَكْ الْوَاحَدْ أُلِّي مَا لِيهْ شْرِيكْ

---

[1] م س: ص 55 و162 وكذلك ص 70 و146.

[2] م س: ص 98 و117.

[3] http://stradivarius32.blogspot.com/2008/01/blog-post.html محمد بلخير شاعر منطقة البيض: موقع ولاية البيض أصالة وتاريخ.

كان بلخير ابن الشّعب، عاش أفراحه ونال حظًّا وافرا من أحزانه، عندما يقول بلخير شعر الغزل يبدو وكأنَّه عاش ليكون محبًّا فحسب، وعندما يجهر بشعر النِّزال يبدو وكأنَّ حياته كلُّها ملحمة بطولية، لقد تقاسم حظّ الحياة مع أهله ومع الأوفياء في ساعة العسر والحزن. أشعاره كانت رسائل سياسية حقيقية بتلقائيتها وإيجازها ووضوحها، وهو كذلك شعر صفاء ورزانة، في لغة أصيلة شعبية مزيَّنة بالحكمة والأمثال فتعزّز شعر الجنوب بشعر بلخير.[1]

إنّ مصطفى بن براهيم ومحمد بلخير وغيرهم كثير... مثّلوا الرّموز الشّعرية التي أعطت للأدب الشّعبي البدويّ الهلاليّ، خصائصه التي تميِّزه عن باقي الدِّيار الجزائرية، والحديث عن الشّعر الملحون في منطقة الغرب الجزائري وعن فطاحله ورواته يطول، والمقام هنا لا يسمح للخوض فيه بإسهاب كبير، فقط حاولنا أن نعطي نظرة شاملة عن الشّعر الهلالي، مستندين إلى أكثر الشّخصيات المعروفة، والنّصوص المكتوبة، مستبعدين إلى حدّ ما النّصوص غير المكتوبة، كما أنّنا لم نقف عند الشّعراء غير المعروفين في السّاحة، فهم كثر وقصائدهم كثيرة جدًّا.

6- القوّالين:

ونحن نقف عند أهمّ عنصر في الأدب الشّعبي ألا وهو الشّعر بأنواعه، لا يفوتنا أن نُعرِّج على "القَوَّالِينْ" الذين كان لهم الفضل في انتشار الشّعر الشّعبي والحفاظ عليه من النّسيان والاندثار. فالقوَّالون اسم يطلق على الرُّواة المتخصّصين في رواية الشِّعر الشّعبي بمختلف أنواعه، في حلقات خاصّة تُقام في الأماكن العامّة المفتوحة كالأسواق والمقاهي... إلخ، يحضرها الجمهور المتذوِّق والهاوي لهذا النَّوع من الأدب الشَّعبي[2]، وقد يكون هؤلاء المؤدّون، إمَّا شعراء مُبدعين، أي هم الذين يَنْظِمون هذه الأشعار ويُلَحِّنونها ويؤدونها، وإمَّا رُواةً فقط، فيُؤدُّون أشعارا من نَظْم غيرهم من الشُّعراء.

ويُحاول القوّالون خلال تأديتهم للشِّعر الشَّعبي، أنْ يُحافظوا على اللَّهجات الخاصّة بكلّ شعر، على حسب المناطق والبيئات الجغرافية والاجتماعية التي قيل فيها، فتُضْفي اللَّهجة على هذا الشِّعر مسْحَةً جماليةً خاصَّةً، قد تُفقد إذا تمّ تغيير لهجته الأولى التي قيل بها. لأنّ لكلّ لهجة بعضُ الخُصوصيات التي قد لا

---

[1] علي النّابتي: م س.

[2] يُعرّف الأستاذ "عبد الحميد بورايو" القوّالين قائلا: "نقصد بالقوّالين مُؤدي الشّعر الشعبي" ينظر عبد الحميد بورايو: رواية القصة =الشعبية في المجتمع الجزائري، مجلة الإنسان، ع1، إصدارات مركز البحوث والأنثروبولوجيا وما قبل التاريخ والأثنوغرافيا، الجزائر1983م،

نجدها في اللّهجات الأخرى، فتختلف –مثلا– لهجة الشّعر البدوي عن الشّعر الحضري، وحتّى يستطيع الرّاوي الجوّال التّأقلم مع رغبات جمهوره، وخصوصية مختلف المناطق، عليه أن يكون مُلِمًّا بمختلف اللّهجات؛ لأنّ ذوق المستمع الحَضري قد لا يكون هو نفسه الذي يميل إليه المتلقي البدويّ.

وقد كان هؤلاء القوّالون يقومون –أيضا– بالدّور الذي كان يقوم به الشّاعر الجاهلي، فيمتدحون قبائلهم وأعراشهم، ويهجون القبائل المعادية، كما يفتخرون بأنفسهم وأمجاد قومهم ونسبهم الأصيل، مُنشدين القصائد التي ينظمونها في الأسواق والسّاحات، مثلما كان يفعل الشّعراء القدامى، حين كانوا يلقون قصائدهم في مقام المربد وعكاظ... إلخ.

إنّ حضور النّص الشّعبي في المجتمع الهلالي كان أكثر شمولية من حيث تنوّع موضوعاته، وثرائه الشّعري، وواقعيته، واهتمامه بالأحداث مفصّلة، كما كان أكثر مرونة في رصدها والتّعامل معها. فقد تفاعل مع الأحداث عبر المحطّات التّاريخية التي عرفتها أمّتنا، وبذلك تُعدُّ السّير والحكايات وسائر فنون الأدب الشّعبي، وعاءً خاصًّا للتّاريخ يضع فيه العامّة عواطفهم، وموروث تاريخهم، وخليط رُؤَاهم وحقائق حياتهم.

من المؤكّد أنّ أي مجتمع لا يعيش في فراغ، دائما يحيا في مكان ما، في بقعة من الأرض تشكّلها سمات جغرافية وطبيعية ومناخية معيّنة، وأنّ تلك السّمات مجتمعة لها تأثير مباشر على مختلف السّمات العامّة لذلك المجتمع.

وعليه، فمن خلال دراستنا للإنسان الهلالي في منطقة الغرب الجزائري، والتّفاعل القائم بينه وبين البيئة من ناحية، وبين النُّظُمِ والأنساق الاجتماعية من ناحية أخرى، وبعد أن تعرّفنا على الظّروف الجغرافية والطّبيعية ومدى تكيّفه معها، وكذلك جملة العادات والتّقاليد والمعتقدات الرّاسخة في ذهنيته، وتحديد نوع العلاقة بين النّسق الإيكولوجي وبقية الأنساق الاجتماعية، وما تمثّله القيم في الذّاكرة الجماعية، جاز لنا القول إنّ قبائل بني هلال الذين يتربّعون على حيّز واسع من منطقة الغرب الجزائري، يشغلون فضاءً مشبعا بالقيم العربية، وهم يمثّلون شهادة حيّة على هويتهم البدويّة، التي شكّلت مكوّنا أساسيا من مكوّنات التّاريخ العربي منذ بداياته. إنّه من خلال هذا الفضاء وبالاستعانة بكلّ ما يتعلّق به؛ من تقاليد، عادات، معارف، إبداعات مادّية وشفهية، معتقدات، مخيّلات، أشكال تعبيرية وحياة يوميّة، تمكّنّا من التّعرف على جزء هامّ من الذّات الهلالية، وعلى كيان ثقافي متعدّد الأوجه ما يزال موشوما في الذّاكرة الجماعية، يَسِمُ تصورّات الإنسان العربي البدويّ وسلوكياته الذي يعتبر استمرارا للتّراث الهلالي، بل هو يثبت ويكمل ما أتى به بو زيد الهلالي ودياب والجازية... من نفحة بدويّة عربيّة أصيلة.

الباب الثاني

لغة قبائل بني هلال في الغرب الجزائري دراسة لغوي

اللّغة، كائن حيّ تخضع للنّواميس الطّبيعية من سيادة وتغيّر وزوال، فهي تنمو وتتطوّر تلبية لاحتياجات النّاطقين بها، ويحدث هذا التطوّر في الصّورتين العامية المنطوقة والفصحى المكتوبة، وإن كان التطوّر في الأولى يبدو أكثر تلبية من الثّاني، لامتلاكه موجبات التّسارع في عملية التغيّر والتبدّل منه في جانب الصّورة المكتوبة.

تجري سنّة التطوّر والتغيّر على اللّهجة عبر مراحل عمرها، وليس فساد يطرأ عليها إلاّ وهو نتيجة النّاموس الطّبيعي الذي يتحكّم في كلّ تطوّر وتبدّل، فهي ليست حديثة النّشأة، بل هي قديمة قدم التّاريخ وموصولة النّسب بالفصحى، قوّية الوشائج بلغة القرآن والأدب، وإن كان التطوّر قد أصابها، فقد أصاب الفصحى هذا التطوّر وذلك بالتّصرّف في بعض جوانبها، "وفي اتجاهين اثنين، الأوّل: اتجاه خاصّ بها بصفتها لغة مقنّنة ذات أصول وحدود، والثّاني: اتجاه متفرّع منها وذلك بنشوء صيغة ميّسّرة تتحدّث بها الشّعوب في حياتها اليومية"[1]، إلا أنّه يبقى تطور اللّغة المحكية أو العامية، عادة أسرع خطًّا من تطوّر الفصحى، لأنّ اللّغة المنطوقة تتميّز بكونها "مطلقة غير مقيّدة بالقيود الثّابتة، كالكتابة والقواعد ونحوها، ممّا يعتبر حدًّا للعمر التّاريخي؛ لأنّ ما كُتب لا يتغيّر، وما لا يتغيّر فقد فرغ منه الزّمن؛ لهذا لا يمكن أن تكون اللّغات المنطوقة مستقرّة على حالة واحدة في كلّ مصر من الأمصار من عهد نشأتها، بل لا بدّ من تغيّرها في المصر الواحد جيلا بعد جيل،"[2] تبعا للظّروف التي أحاطت بها، وهذا ما يفسر علّة اختلاف لهجات الشّعوب العربية، التي تكمن في حجم المتغيّرات والأحداث التي شهدتها المناطق التي احتوت اللغة العربية، قبل الفتح العربي وبعده.

ومن هذا الباب وقبل التحدّث عن خصائص العامية الجزائرية، التي تمثّلها لغة قبائل بني هلال كنموذج حيّ، ومدى ارتباطها بالعربية الفصحى العربية، كان لا بدّ من الإشارة إلى أهمّ الظّروف التي مرّ بها الشّعب الجزائري، وكان لها تأثير قويّ على لغته.

لقد تعاقب على الأراضي الجزائرية أممٌ كثيرة ومتنوّعة بتنوّع لغاتها وثقافاتها، لعلّ من أهمّها الفينيقيين الذين اختلطوا مع البربر، وتعدّ هجراتهم من أهمّ الهجرات التي طبعت السّواحل الجزائرية

---

1) محمد فريد أبو حديد: بعض ملاحظات في اللهجة العربية الليبية وصلتها بالفصحى. ينظر محاضر مؤتمر الدورة الخامسة والعشرين لمجامع اللغة العربية سنة 1959م، ص509.

2) الرافعي: تاريخ آداب العرب دار الكتاب العربي، ط4، ص259.

بطابعها الحضاري، بإنشائها مراكز تجارية، جعلت سفنها تسيطر على مياه البحر المتوسط. ثمّ جاء الوندال والبيزنطيين إلّا أنّ استقرارهم في دواخل الأرض الجزائرية كان محدودا. ولمـــّا استـــولى الرّوم على الجزائر، كان له أثر عظيم في تكوين حضارة أهـــل المدن، لاسيما السّاحلية، ولكن انعزالهم عن طبقات الشّعب لم يجعل للغتهم أثرًا كبيرًا في ألسنتهم. ثمّ فتح العرب المسلمون الجزائر في القرن الهجري الأوّل (667م)، وكانوا أوّل شعب فاتح توغّل في دواخل البلاد، إذ لم يقتصر نزولهم على مدن السّواحل فقط، فكان هذا الفتح منطلقا لتطوّر كبير في لغة البلاد، كما كان منطلقا آخر لتطوّر أساسيّ في حياة شعبها. و لم يكن الفاتحون العرب آخر من عهدته الجزائر في مراحل اتّصالها بالشّعوب الأخرى، فقد خضعت لسلطان الدّولة العثمانية، – عندما كان العثمانيون يشكّلون قوّة عظمى– مدّة تزيد عن ثلاثة قرون، أي ما بين 1830م–1518م. ثم بعد ذلك غزاها الإسبان، فالفرنسيين في أوائل القرن العشرين؛ فكان لهذا الاتّصال أثر في تطعيم اللّهجة الجزائرية بألفاظ من اللّغة التّركية واللّغتين الاسبانية والفرنسية، لاسيما هذه الأخيرة التي غدت اللّغة الرّسمية للبلاد في عهد مضى، وظلّت اللّغة الثّانية التي تجري على ألسنة الجزائريين حتى الآن.

لكنّ الأثر الذي أحدثته تلك الأمم التي تعاقبت أقدامها على الأرض الجزائرية، لا يقاس بشيء إلى جانب الأثر الذي كان للعرب في تلك البلاد، سواء من ناحية الحضارة وأسلوب الحياة أو من النّاحية اللّغويّة، فقد كان أثرًا غالبًا شاملاً تغلغل في أعماق الشّعب، حتى أطوى –تقريبا– كلّ الآثار التي سبقته، والآثار التي طرأت على البلاد بعده.[1] واستطاع العرب وهم لا يزيدون على جيش فاتح أن ينشروا لغتهم في الملايين، الذين كانوا يعيشون في هذه الأرض المترامية الأطراف، بعد أن امتلاكوا زمام الحكم، وتمكّنوا من طرد جيوش الرّوم من تلك البلاد. و لم يأت القرن الرابع حتى آل الأمر إليهم، وصارت القبائل العربية والقبائل البربرية تتعامل فيما بينها على أساس مصالحها، فتتعاهد فيما بينها أو يتصادم فريقان منهم، وفي كلّ فريق قبائل عربية وأخرى بربرية، فلم يكن هناك غلبة حقيقية للشّعب العربي على الشّعب البربري منذ الفتح، وإن كانت الدّولة العظمى المعترف بها من الجميع هي الدّولة العربية. وهنا نستدرك القول أنّ تشابه أنماط الحياة البدوية بين العرب والبربر لم يكن في أوّل الأمر عاملاً على التّمازج، بل لعلّه كان عاملاً على التّمايز والشّعور بالعصبية، لولا أن حدث الانقلاب الكبير في القرن

(1) لقد احتار المؤرّخين من سرعة تأثير العرب على البربر في ديانتهم وعاداتهم وأخلاقهم. مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص42.

الخامس الهجري، الذي تحدّثنا عنه في بداية البحث، عندما اجتاحت القبائل الهلالية أرض إفريقية، التي كان لها أثر حاسم في تعريب شمال أفريقيا، بما فيه الجزائر التي سادت فيها اللّغة العربية سيادة تكاد تكون تامّة، مع بقاء آثار قليلة فيها من اللّغة البربرية، التي حافظت عليها بعض القبائل البربرية القاطنة في الجبال. وأصبح البربري الذي تعرّب، يجيد العامية العربية حتّى لا يكاد يتميّز عن العربي.

فاللّهجة أو اللّغة العامية المشتركة بين أفراد المجتمع الجزائري تنسب إلى قبائل بني هلال، الذين مثّلوا أكثر الهجرات العربية تأثيراً في المنطقة، وأعطوها وجهها العربي الذي نعرفه اليوم، وقد نتج عن امتزاج لغة هؤلاء القبائل العرب القادمين من الشّرق مع لغة البربر من جهة، والعناصر التي تزاحمت على أرض الجزائر، تكوُّن لهجة جديدة، تمثّل عملية انصهار ثقافي ولغوي فريد يحتوي على عناصر اصطلاحية وتركيبية وصوتية مستمدّة من موروث كلّ تلك العناصر والمجموعات. حتى إذا جئنا نتعمّق في دراسة اللّهجة الجزائرية آنيا، كلهجة عربية، وجب علينا أولا أن نستعرض بعضا من أصول مفرداتها، ثم نعرض لاحقاً علاقة هذه اللّهجة باللّغة العربية الفصحى. وهذا أمر يحتاج إلى كثير من الدّرس والبحث، والتّنقيب، وهو ما عزمنا عليه من خلال هذه الفصول المتبقية، جاهدين قدر المستطاع الإلمام بشتى النّواحي اللّغوية للّغة قبائل بني هلال، على أن تكون الدّراسة محصورة في منطقة الغرب الجزائري، متتبّعين أصولها وتطوّرها في الوقت الحاضر. لكن قبل ذلك كان لا بدّ من فكّ النّزاع الاصطلاحي القائم بين "اللّغة"و"اللّهجة" هذه الأخيرة التي تواردت معها مصطلحات أخرى مثل العامية، الدّارجة، اللّحن، اللّكنة، العربية الهجينة، العربية المولّدة وقد تداول القدامى بعضها منذ القديم.

1. بين مصطلحي اللّغة واللّهجة:

1.1 تعريف اللّغـــة: "اللغة " فُعْلَةٌ من لغوت، أي تكلّمت، وأصلها: لُغْوة،.. وقالوا فيها لُغات ولُغُون... وقيل منها: لَغِيَ يلغَى: إذا هذى، ومصدره: اللَّغَا... وكذلك اللَّغْو، قال سبحانه وتعالى ﴿وإذا مرُّوا باللَّغْو مرُّوا كِراماً﴾[1] ، أي بالباطل، وفي الحديث: ((من قال يوم الجمعة:صَهْ، فقد لغا))[1]

1 سورة الفرقان: الآية 72.

أي تكلّم". أمّا حدّها، فقد عرَّفها ابن جني (ت 392 هـــ) بقوله: "هي أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"[2]. فأكدّ بذلك الطّبيعة الصّوتية للّغة، ودلّ على أنّها ظاهرة اجتماعية، لا يتوفَّر على إحداثها واضع معيّنٌ، وإنّما نشأت بسبب حاجة الإنسان إلى التّعبير والتّفاهم مع بني جنسه. أمّا عند المحدثين، فهي مجموعة من اللّهجات التي تنتمي إلى بيئة معينة.[3]

2.1 تعريف اللّهجـــــــــــة: جاء في المقاييس: اللاّم والهاء والجيم: أصل صحيح يدلّ على المثابرة على الشّيء وملازمته، والأصل آخر يدلّ على اختلاط في الأمر. يقال: لَهَج بالشّيء: إذا أُغْرِيَ به وثابر عليه وهو لَهِجٌ. وقولهم: هو فصيح اللَّهْجة، واللَّهَجَة: اللِّسان بما ينطق به من الكلام، وسمّيت لهجة؛ لأنّه كلاًّ يَلْهَج بلغته وكلامه. والأصل الآخر قولهم: لَهْوَجْتُ عليه أمره: إذا خلطتَه.[4]

ونجد أيضا في اشتقاق لفظ "لهجة" من لهج الفصيل يلْهج أمّه؛ إذا تناول ضرع أمّه يمتصّه وأيضًا إذا اعتاد رضاعها، ولهج بالأمر لهجا، ولهوج وألهج: يعني أولع به واعتاده. واللّهج بالشّيء؛ الولوع به.[5] فهذا الأصل الاشتقاقي يحمل علاقة وثيقة بلفظ "لهجة" "Dialecte" والّتي نعني بها لغة الإنسان التي جبل عليها واعتادها منذ النّشأة.

أمّا من حيث الاصطلاح، فاللّهجة تسمّى العامية أو المنطوقة أو المحكية أو المحلّية أو الدّارجة، وهي "اللّسان الذي يستعمله عامّة النّاس مشافهةً في حياتهم اليومية، لقضاء حوائجهم والتّفاهم فيما بينهم."[6]

---

1 البخاري: صحيح البخاري، عربي-فرنسي، ترجمة: وليام مارسي وأُكتاف هوداس، صححه: بابيو كوغنتان، دار النور، باريس، 2007م، ج1، كتاب الجمعة ص416، رقم الحديث 934. وينظر النسائي : سنن النسائي،ج3 ص34.

2 ابن جني : الخصائص، حققه محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت، لبنان، دط، دت، 32/1.

3 محيسن محمد سالم: المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1986م، ص 7.

4 ابن فارس : معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1989م.5/ 214-215، مادة (لهج).

5 ابن منظور: لسان العرب، ج 3، بيروت 1956، ص 183.

6 نايف معروف: خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس، بيروت، ط1418،5ه- 1998م، ص 55.

فهي اللّغة اليومية العفوية المكتسبة في السّنوات الأولى للإنسان، والتي يستعملها في تعاملاته العامّة، وتختلف من منطقة إلى أخرى في سائر البلدان.

3.1 اللَّهْجة في الاصطلاح العلمي الحديث: مجموعة من الصّفات اللّغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصّة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة.[1] كما يعرّفها البعض بأنّها: "العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من النّاس تتكلّم لغة واحدة."[2] وهذه العادة الكلامية تكون صوتية، أو هي طريقة معيّنة في الاستعمال اللّغوي توجد في بيئة خاصّة من بيئات اللّغة.[3]

فهذه التّعاريف تؤكّـــــد ما لهذه اللّهجة من مميّزات لغوية، من نظام صوتي خاصّ، ونظام مفرداتي وتركيبي، فليس من الغريب أن نتناول المستوى اللّغوي للّهجة من اللّهجات، وعلاقتها بالفصحى اختلافا وائتلافا، فكل لغة مشتركة تعيش بجوارها لهجة محلية، ولهذا تتداخل في الفصحى وتصبح العامية هي الأقوى عند الكثرة الكثيرة من النّاس.[4]

4.1 علاقة اللّغة باللّهجة:

هي علاقة بين العامّ والخاصّ؛ لأنّ اللغة تشتمل على عدّة لهجات لكلّ منها ما يميّزها، وجميع هذه اللّهجات تشترك في مجموعة من الصّفات اللّغوية والعادات الكلامية، التي تؤلّف لغة مستقلّة عن غيرها من اللّغات.[5] وبهذا وصف سوسير اللّهجة الواحدة بالتميّز والتفرّد حيث يقول: "ولكلّ لغة لهجاتها،

1 حيسن محمد سالم: المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، مركز الاسكندرية للكتاب، ط1، 1998م ، ص 7.

2 عبد الغفار حامد الهلالي: اللّهجات العربية نشأة وتطورا، دار الفكر، القاهرة 1998م، ص 27.

3 م س: ص 26.

4 إبراهيم السمرائي: التطور اللّغوي التاريخي، دار الأندلس، ط 3، بيروت 1983م، ص 34.

5 م س: ص 7.

وليس لواحدة منها السّيادة على الأخريات، وهي في العادة متفرّقة مختلفة"[1] وممّا لا ريب فيه أنّ اللّهجة متفرّعة عن اللّغة المشتركة، ومتأثّرة بها وإن كانت تشويهًا أو تحريفًا لها."[2]

وممّا ينبغي التّنبيه إليه، أنّ اللّهجات العربية قديما كانت قريبة من اللّغة الفصحى في خصائصها ومميّزاتها، بخلاف بعض الفوارق الصّوتية مثل "عنعنة تميم" التي تبدل فيها الهمزة عينا، و"فحفحة هذيل"، بإبدال صوت الحاء عينا، و"تلتلة بهراء" بكسر حرف المضارعة وغيرها، وقد سمّاها ابن فارس "اللّغات المذمومة."[3] ولكن بمرور الزّمن واختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم، نتجت لهجات أخرى ضمّت كلمات فصيحة، وأخرى معربّة، وثالثة دخيلة، ممّا وسّع الهوّة بين اللّغة الفصحى واللّهجة، وتعذّر تسمية الثّانية بالأولى، وأصبحت أقرب إلى العاميّة منها إلى الفصحى، وكلّما تقدّمنا في الزّمن اقتربت العاميّة من الدّارجة وابتعدت عن الفصحى، واستحال تسمية كليْهما باللّغة لافتقادهما لخصائص العربيّة وتميّزهما بخصائص أخرى، وهذا ما حدث وما يحدث مع لغة قبائل بني هلال.

2. لغة قبائل بني هلال في الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي:

لقد كان لسان الهلاليين عندما دخلوا الشّمال الإفريقي حتّى القرن السّابع "مضريا، حافظوا عليه ببداوتهم في المفرادات، والتّراكيب، ووجوه البلاغة، وأساليب الخطاب وكانوا لا يزالون يعربون أكثر أقوالهم، ويتحدّثون بما يُعدُّ عند العلماء غريبا، إنّما كانوا أفصح من عرب الحجاز وغيرهم."[4] وظلّوا على سليقتهم اللّغوية إلى غاية القرن الرّابع عشر -في عهد ابن خلدون-، حيث بدأ لسانهم يفقد حركات الإعراب في أواخر الكلام، إلّا أنّ في عمومه بقي فصيحا، فقد كان فيهم الخطيب المصقّع في محافلهم ومجامعهم، والشّاعر المفلّق على أساليب لغتهم، والذّوق الصّحيح، والطّبع السّليم شاهدان

1 فردينان دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، ترجمة: صالح الفرماوي-محمد الشاوش-محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1985م، ص 195.

صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، بيروت -لبنان- ط9، ص 360 2

3 ابن فارس: الصّاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: مصطفى الشويمي، بيروت، دط، دت، ص 56-57، وينظر، عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط1، 1997م، ص 132-135.

4 مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص189.

بذلك. وكان البداة منهم سواء في الشّرق أم الغرب، يمتازون عن الحضر بمخرج القاف الذي كان لديهم بين الكاف والقاف الحضرية."[1] وإنّما بدأ لسان الهلاليين يفسد في الجزائر "لاختلاطهم بالبربر، بدليل أنّ عرب الصّحراء حتّى يومنا هذا القليلي الاختلاط بغيرهم، أصحّ عربية ومخارج حروفهم أقوم، وأنّ السواحل المغمورين بالبربر، أفسد نطقا بالحروف وأردى لغة، ومع هذا نجد العرب قد أثّروا في لغة البربر أكثر ممّا تأثّروا بهم."[2]

3. مميّزات لغـــة قبائل بني هلال في الجزائر أثناء الاستعمار:

لقد كانت اللّغة العامية العربية خلال فترة الاستعمار، "هي لغة كلّ أهالي المسلمين في أرض الجزائر، سواء كانوا من العرب أم من البربر أو غيرهم، في حين كانت اللّغة العربية الفصحى لغة النّهضة والتّفاهم العلمي والاجتماعي، وكان للصّحف والدّروس والمحاضرات، الدّور الفعّال الذي ساهم في تهذيب العامية وترقيتها وتقريبها من اللّغة الفصحى، ومن ثمّ تغلغلها في سائر الأوساط."[3]

وتذكر لنا المصادر التّاريخية،[4] أنّ العربية العامية في الصّحراء الجزائرية وفي الهضاب العليا، كانت أفصح لغة عربية عامية على وجه الأرض، لأنّ أغلب عباراتها ما يعادل 98% هي عبارات فصيحة قرآنية، إنّما فقط تنطق بدون إعراب. كما أنّهم كانوا ينطقون الأحرف كلّها كما كان ينطقها قريش، دون إبدال أو تحريف أو إسقاط. وكانت هذه العامية العربية بالمقارنة مع اللّهجات العامية الأخرى، في المشرق لغة عربية راقية تضاهي لغة القرآن، -وإن بدى عليها بعض التّحريف القليل- وهذا أمر بديهي لأنّ العرب عموما بما فيهم بني هلال كانوا مولعون ومغرمون بحفظ القرآن، ومقبلين على تعلّمه وتعليمه، خاصّة في الزّوايا الكبيرة بناحية الصّحراء.

---

1 أي مثل القاف الأعجمية (g). ابن خلدون: العبر، ج1 ص767 و769.

2 مبارك الميلي: تاريخ الجزائر، ج2 ص189.

3 توفيق المدني: تاريخ الجزائر، ص142.

4 م س: ص142-144.

أمّا إذا جئنا إلى لغة العامّة في المدن السّاحلية، ولغة قدماء الجنود الذين شاركوا في الحرب العالمية الثّانية، فلا يخفى على أحد أنّ الاستعمار الفرنسي كان قد بسط نفوذه على كلّ السّواحل الجزائرية، التي أصبحت آهلة بأغلبية أوروبية، وأقلّية أهلية، وأصبح المسلمون يعملون مع الفرنسي أعمالا ثانوية، في حلّها أعمالا بدنية، أمّا أولادهم فلم يتلقّوا في المدارس الفرنسية إلا التّعليم الفرنسي، لذلك قصرت وضعفت الملكة العربية لديهم، وأصبحوا يعبّرون عن مقاصدهم وآرائهم بالعربية الدّارجة المخلوطة بنحو 20% من الألفاظ الفرنسية المحرّفة، يطبّقون عليها قواعد الصّرف العربي، والأمر نفسه حدث مع قدماء الجنود الذين عادوا إلى أهليهم وذويهم، مثقلون بمثل هذه التّعابير التي كانوا يتداولونها في الثّكنات العسكرية، فنشأت من جرّاء ذلك خليط غريب، لازالت تداعياته تسري حتّى يومنا هذا، ضف إليه بعض المفرادات البربرية والاسبانية والتّركية التي خلّفها الكورغلية[1]، هذا الخليط هو ما نسمّيه اليوم بـــ "العامية الدّارجة".

4. جذور لغة قبائل بني هلال في منطقة الغرب الجزائري:

نحاول في هذا الجزء استعراض بعضا من أصول المفردات المكوّنة للّهجة قبائل بني هلال في منطقة الغرب الجزائري، باعتبارها نموذج حيّ وصورة مصغّرة للّهجة الجزائرية، ثم نعرض لاحقاً علاقة هذه اللّهجة باللغة العربية الفصحى.

عموما يمكن أن نميّز ثلاث أو أربع مصادر تحدّد أصول المفردات في لغة قبائل بني هلال، وهي كالآتي:

1.4 المفردات العربية: أخذاً بالرّأي القائل أنّ اللّغة كائن حيّ يتغذى وينمو ويتكاثر ويموت أيضا، نجد أنّ لغة القبائل الهلالية في منطقة الغرب الجزائري، قد نمت وتطوّرت من خلال صيرورة تاريخية طويلة، تمّ فيها امتزاج وتداخل تراث فكري ولغوي ومعرفي غني لمجموعات بشرية متعددة الأصول، جمع بينها الموطن الجغرافي، ووّحدها المعتقد الدّيني بعد اعتناقها للعقيدة الإسلامية. ونظراً لكون اللّغة العربية هي اللّغة الحاملة لرسالة الإسلام، فقد شكّلت الوعاء الذي انصهرت فيه كلّ المعارف والموروثات الفكرية

1 الكورغلية: هم بقايا جنود العثمانيين الذين كانوا يفدون على هذه البلاد ويستقرّون بها، ويتزوّجون من بناتها ، فيدعى أولادهم وأحفادهم " الكورغلية." توفيق المدني: تاريخ الجزائر، ص145.

للمجموعات البشرية غير العربية، ولعلّ هذا ما يفسّر الغنى الكبير بالمفردات العربية في هذه اللّهجة، دون أن نقع في التّسليم بالمقولة الشّائعة التي مفادها، أنّ اللّهجة الجزائرية عموما أقرب اللّهجات العربية إلى الفصحى، وهو ما سنعود لبيانه لاحقاً.

نستطيع تقدير نسبة المفرادات العربية بحوالي 70% من مجموع مفردات القاموس العربي، وربّما كان الرّقم صحيحاً في مرحلة تاريخية معيّنة، غير أنّه لم يبقى ثابتاً نظراً لخاصّية التطوّر والتّأثير والتّأثّر الذي يميّز اللّغات عموماً، كما أنّ اتّساع دائرة التّعليم وتزايد التّواصل الثّقافي والإعلامي مع العالم العربي، وانتشار التّلفاز والرّاديو والتّأثير الواسع في تشكيل الصّورة الثّقافية للقبائل الهلالية، بفضل برامج الإذاعات الجهويّة المتعدّدة والمتنوّعة طوال العقود الثّلاث السّابقة، كل هذه العوامل أثّرت ولا ريب في زيادة المفردات العربية واتّساع استعمالها، ولعلّ هذا ما يفسّر ظهور "لغة ثالثة" وسط بين الفصحى وهذه اللّغة. ومن الطّبيعي أن لا نحتاج لإعطاء أمثلة لمفردات لغة القبائل الهلالية، ذات الأصل العربي فهي أوضح من أن نمثّل لها، ويكفي ما مرّ بنا في الفصل السّابق من مفردات توحي بالأصالة العربية.

2.4 المفردات البربرية: منذ أن دخلت العربية مواطن البربرية وزاحمتها، تقلّصت اللّهجات البربرية أمام هذا الزّحف، واحتمت وراء الجبال وفي بطون المغارات، حيث يعزّ على الغازي المضي صوبها. ففي الجزائر أصبحت في بقاع محدودة متفرّقة من الأراضي الجزائرية، مثل: جبال الأوراس حيث قبيلة الشّاوية، والمنطقتان المسمّاة بالقبائل الكبرى والقبائل الصّغرى، شرقي مدينة الجزائر حيث زواوة، وبعض النّواحي من جنوبي الجزائر، مثل تقّرت وورقَلة والمزاب وواحات فيجيج وتافيلالت وقرارة وتوات، كما نجدها منتشرة بين معظم البـــدو الرّحل المتنقلين في الصّحراء الكبرى، ومنهم التّوارق من الأهقار والأزجر وغيرهم...ولعلّ أغلبها من لغة الملثّمين من صنهاجة، الذين يمثّلون أكبر المجموعات البربرية التي انتشرت في الجنوب الغربي قبل موجة الهجرات العربية. وقد شربت العربية من هذا المورد، وأثّرت اللّهجات البربرية في اللّهجات العربية أثرًا ملحوظًا في الصّيغ والمفردات، فنجد في لغة القبائل الهلالية، نسبة لا بأس بها من أثر البربرية منها:

ا) في المفردات:

– في أسماء أغلب المناطق الجغرافية الصّحراوية مثل: (أدرار) ومعناها الجبل.

– في المفردات المتعلّقة بالإنسان في مراحله العمرية المختلفة، مثل:

(إِشِيرْ) وهو الطّفل الصّغير.

(شْلَاغَم) وهما الشّاربان.

(فَرْطَاس) وهو الأصلع.

- في ما له علاقة بمظاهر الطّبيعة مثل: (تَبْرُورِي أو تَبْرِيرُو) ومعناه حبّات البَرَد.
- فيما له علاقة بالمطبخ مثل: (الكوشة) وهي الفرن. (الكسكاس) وهي آنية تستعمل خصيصا للطّهي على البخار.
- كذلك في أسماء بعض الحيوانات وما يتعلّق بهم، مثل:

(تَاتَة) وهي الحرباء.

(جَغْلال) أو (بُوجَغْلُلو) وهو الحلزون.

(زَاوِشْ) وهو العصفور.

(فَكْرُون) وهو السّلحفاة.

(وُكْرِيف) وهو العجل.

(قَمْقُوم) وهو منقار الطّير.

- في ما له علاقة بالمظاهر الاجتماعية، مثل:

(تِويزَة) وتعني التّعاون بين أهل القرى.

(قَنْدُوز) وهو التّلميذ.

(لُيوس) وهو أخو الزّوج.

(مَازُوزِي) بمعنى الأخير من النّتاج زراعيًّا كان أو آدميًّا، وتطلق هذه اللفظة على آخر مولود في الأسرة

- في ما يتعلّق بمصطلحات بعض الأطعمة، مثل:

(بَرْقوقِس) أو (بَرْكوكِس) نوع من الكسكسي الخشن.

(بوزَلُّوف) رأس الخروف المطهي.

(زرودية) الجزر.

- أيضا في بعض الأفعال، مثل:

(صَيْفَط أو زَيْفَط) بمعنى: أرسل.

(ازرب) فعل أمر بمعنى اسرع في مشيتك.

(گـــعمز) وهي دلالة على وضعية من وضعيات الجلوس.

(سَاطْ أو صَاطْ) بمعنى: نفخ في النّار بالمنفاخ.

(كَفَّس) بمعنى: لطّخ الشّيء بالسّواد أو أفسده.

ب) في الصّيغ والتّراكيب:

- لقد بلغ الاقتراض المعجمي استخدام أوزان اسمية بربرية معيّنة، من أشهرها وزن "تفَعلَت" بزيادة تاء في الأوّل، وتاء في الآخر للتّأنيث، ويستخدم هذا الوزن للتّعبير عن المهن، فتجد العوام من النّاس يبني أسماء الصّناعات والصّفات الخلقية على هذه الصّيغة، فيقولون مثلا: (تخبزت) ومنهم من يمدّ التّاء والعين أي بصيغة " تافعال " نحو قولهم: "تابّنايت" أي البناية، وهي مهنة البنّاء، و"تابيّاعت" "تاشّرايت" للتّجارة وهي حرفة التّجار. كذلك في الصّفات الخلقية مثل قولهم: "تاشيطانت" بمعنى: أفعال الشّيطان، و"تاحراميت" وهي صفة اللّصوصية أو المكر.

- تنكر اللّغة البربرية أداة التّعريف، وقد أدّى التّجاور بين العربية والبربرية إلى تأثّر العربية بهذا التّنكير، فنجد العديد من الألفاظ التي استعارتها العربية من البربرية لا تزال مستعملة في بعض النّواحي من غير" أل" التّعريفية تأثّرًا بالبربرية، فيقولون مثلا :"هَاتْ أَنْقُولْ" أي هات الرّغيف، وعدم وجود ألف لام التّعريف لا يدل على التّنكير، بل هي معرّفة.

والملاحظ في أثر البربرية على العربية، أنّ الحضر كانوا أكثر أخذاً للكلمات البربرية، ذلك لأنّ البدو أبعد عن الاختلاط وأحفظ لموروثهم، وعلى العكس من هذا في الحضر الذين هم في اختلاط مستمرّ ويتطوّرون بتطوّر المدنيات، ومعلوم أنّ اللّغات تساير المدنيات وتأخذ منها.

كما أنّ الكثرة من الأصل البربري في العربية نجده من الأسماء، والقلّة من الأفعال والحروف والصيّغ والتّراكيب. وأنّ القدر الأوفى ممّا دخل العربية من البربرية، إنّما كان لمسمّيات جديدة من نبات أو حيوان أو غيرها، ربّما لم يعرفها العرب من قبل، فحملوا على أخذها حملاً ليسدّوا فراغًا لم يجدوا في لغتهم ما يسدّه. كما نجد أنّ أكثر تلك الأسماء ذات دلالة ذاتية، والقليل النّادر منها ذات دلالة معنوية، والنّدرة في المعنويات دليل على أنّ الثّقافة العربية أوسع نطاقًا وأبعد مدى. لكن على الرّغم من وجود قدر كبير من الكلمات البربرية المقترضة، يبقى تأثير العربية في اللّهجات البربرية، أفسح مدى من تأثير البربرية في العربية، لسيادة الثّقافة والمدنية العربيتين على البربرية.

3.4 المفردات الأوروبية: بالأخصّ الاسبانية والفرنسية وهي مفردات تسرّبت خلال الحقبة الاستعمارية، ونجد أن بعض هذه المفردات حرّفت حتى يصعب تبيُّن أصلها الأجنبي، ومن أمثلة الألفاظ الاسبانية وهي كثيرة نذكر قولهم:

(سِيمَانَا) في semana .بمعنى أسبوع (لاَرْكُو) في larho .بمعنى طويل

(بَرَاطُو) في barato .بمعنى رخيص (بُوكَادُو) في abogado .بمعنى المحامي

(تشيكو) في chico .بمعنى فتى (تشيكا) في chica .بمعنى فتاة

(سوالد) في sueldo .بمعنى راتب (طرولي) في trolebus .بمعنى الباص

(ماريو) في armario .بمعنى خزانة (سربيته) في servilleta .بمعنى منشفة.... إلخ

أمّا عن الألفاظ الفرنسية، فهي واسعة الاستعمال في هذه اللّهجة وفي اللّهجة الجزائرية عموما، إلى درجة أنّ أهل المشرق يعتبرون لهجتنا فرنسية أكثر منها عربية، لشدّة ورود الكلمات الفرنسية في لغتنا العامية، والأمثلة في ذلك أكثر من أن تحصى، بحيث يمكن أن نصنّف العلاقة الاجتماعية اللّغوية بين

العربية والفرنسية بحالة ازدواجية لغوية، بخلاف التعدّد اللغوي. فالفرنسية في العامية الجزائرية تسير جنبا إلى جنب والعربية في المجتمع الجزائري، لعلّ هذا مع دعا بعض الدّارسين إلى القول – بل حتّى الجزم– أنّ اللّهجة الجزائرية هي أبعد اللّهجات العربية عن الفصحى. لكن لا بدّ من تبرير هذا السّلوك اللّغوي لدى الجزائريين، فقد عرفت الجزائر أطول فترة تواجد فرنسي، وشهدت أكبر عدد من المستعمرين، كما اتّبعت الحكومة الاستعمارية الفرنسية سياسة دمج للشّعوب التي تحكمها، وكانت وجهة نظرها الرّسمية ليس استغلالها فحسب، وإنّما لتجلب إليهم الحضارة الفرنسية كذلك. فقد تعرّض الشّعب الجزائري طوال فترة الحكم الاستعماري، إلى اللّغة والثّقافة الفرنسية بشكل مستمرّ، فتفرنست نخبة من النّاس، حتّى أنّهم جعلوا اللّغة الفرنسية وثقافتها وأدبها كلغتهم وثقافتهم وأدبهم الخاصّ. أمّا فيما يخصّ عامّة الشّعب، فقد كان قدر معروف من معرفة الفرنسية ضروريًّا، لتسهيل التّعامل مع الموظّفين الإداريين الفرنسيين. كما كانت هناك بعض المحاولات غير الجادّة من قبل الحكومات الاستعمارية، لتقديم نوع من التّعليم متعدّد اللّغات للأطفال، ولكن المدارس القليلة التي قدّمت هذا النّوع من التّعليم، وضعت اللّغة العربية كمادّة غير أساسية في المقرّر الدّراسي، واستمرّ هذا الوضع بعد الاستقلال لفترة ما، وظلّت الفرنسية لغة التّعليم والإدارة الأساسية. وعلى الرّغم من سياسة التّعريب التي مارستها السّلطة الجزائرية مع بداية الثّمانينات، حيث شرعت في تقليص الحجم السّاعي لمادّة اللّغة الفرنسية، وعملت على تدريس الموادّ العلمية باللّغة العربية، كما أجبرت المؤسّسات العمومية على استعمال اللّغة العربية في المراسلات اليومية والرّسمية، وزاد عدد إصدار الجرائد النّاطقة بالعربية، وبالرّغم من ذلك بقيت محصورة في مجالات معيّنة، بدليل أنّنا نسجّل حضورها بقوّة في معاملتنا الادارية، وتواصلنا اليومي في مختلف ميادين الحياة، لاسيما كوكبة المفردات الجديدة ذات الطّابع العلمي، والتي ظهرت في ظلّ التّقدم العلمي والتّكنولوجي، والتي لم تجد لها محلًّا على الألسنة، وإن وجد لها مقابلا في قاموس اللّغة العربية، يظلّ حبيسا في معاجم المجامع اللّغوية، بفعل هيمنة اللّغة الفرنسية وفرض سطوتها. ومن نماذج هذه الهيمنة المفرطة للّغة الفرنسية في حياتنا اليومية، قولنا:

– **في الألفاظ الخاصّة بالألبسة:**

(جيبه) la jupe أي تنورة (كوستيم) le costume أي بدلة كاملة

(ليبوط) les bottes أي حذاء خاص بالشتاء (صاك) un sac حقيبة يد

- **الألفاظ الخاصّة بأجزاء البيت:**

(صالون) un salon غرفة الاستقبال (البالكون) un balcon الشرفة

(صال دوبان) la salle de bains غرفة الحمام (كوزينه) la cuisine المطبخ

- **ألفاظ خاصّة بالأجهزة الالكترونية:**

(تلفون) le téléphone الهاتف (تلفزيون) la télévision التلفزة

(فريجيدان) un réfrigérateur الثلاجة (الكونجلاطور) un congélateur المجمّد

- **ألفاظ خاصّة ببعض المؤسّسات العامّة:**

(لبوسط) la poste البريد والمواصلات (لميري) la mairie البلدية

(البيرو) le bureau المكتب (الكوميصاريا) un commissariat مركز الشرطة

- **ألفاظ مختلفة وعامّة:**

(لامبا) une lampe مصباح (بدون) un bidon دلو

(كرطون) du carton ورق مقوى (باطيمات) les battiments عمارات

(بواطا) une boite علبة (زلاميت) les allumettes الكبريت

- **ألفاظ خاصّة بالمأكولات:**

(كروفات) les crevettes الجمبري (لفريز) les fraises الفرولة

(بنان) banane الموز (فرماج) fromage جبن

- **ألفاظ خاصّة ببعض الأفعال:**

(يبردي) perdre يفقد (يفريشي) réfléchir يفكر

(يبانسي) penser يفكّر (يقريس) يعتدي agresser

(يمركي) marquer يسّجل (يستوكي) stuquer يخزّن

4.4 المفردات التّركية: وترد بكثرة في لهجة الغرب الجزائري عند عامّة النّاس، من دون أن يتفطّنوا إليها أنّها من الدّخيل التّركي، ومن الألفاظ التي تتكرّر على ألسنتهم الدّالة على مآكل وملابس وأدوات، نذكر منها قولهم:[1]

(قُوطِي) كلمة تركية تعني علبة من الصّفيح.

(سُرْسْرِي) كلمة تركية تعني عاطل عن العمل.

(تَاوَه) كلمة تركية تعني المقلاة، وفي المنطقة يفخّمون التّاء فينطقونها (طَاوَه).

(بُقْرَاج) الاناء النّحاسي المستعمل لتسخين الماء.

(بَكُوش) تعني الشّخص الأبكم.

(بَالَاكْ) تعني "ربّما" نحو قولهم: "بالاك يجي" أي: ربّما يجيء.

(تَزْدَام) كيس صغير توضع فيه النّقود أو الأوراق.

وليس هذا فحسب، بل نجد في هذه اللّهجة بعض المفردات ذات الجذور الفارسية وحتّى الآرامية كما سنرى لاحقًا.[2]

عموما يمكن أن نعتبر لهجة قبائل بني هلال في منطقة الغرب الجزائري، كإحدى اللّهجات العربية الأخرى، ساهمت العوامل الاجتماعية والجغرافية والتّاريخية في إعطائها طابع خاصّ ميّزها عن غيرها، إضافة إلى المكوّنات المشتركة التي تجمعها مع لهجات الدّول الشّقيقة، والأكثر من هذا أنّ هذه العوامل كثيرا ما تؤدّي إلى تنوّع اللّهجة الواحدة، وتميّز أساليب كلّ بقعة من هذه المنطقة بوحدات صوتية،

1 ينظر: Mohamed Ben Cheneb : mots turks et persans conservés dans le parler algérien ,ALGER , 1922

2 نحو: (شيرة) كلمة فارسية تعني رحيق السكر، (درويش) فارسية تعني الفقير،...

ونبرات خاصّة تجعلها منفردة ومتميّزة عن غيرها، إلى جانب بقائها مشتركة في بعض الأصول والأسس وإن اختلفت عن بعضها في كثير من المفردات.

وعليه، سنسعى في الفصول المقبلة أن نلمّ بالخصائص اللّغوية المميّزة لهذه اللغة في منطقة الغرب الجزائري، مع تحديد أوجه التّباين بينها وبين اللّغة العربية الفصحى، متتبّعين مسار تطوّر البنى الصّوتية والتّركيبية والدّلالية، ومدى علاقتها بالفصحى.

تعدُّ جهود اللّغويين القدامى لَبِنَةً صلبة وقاعدة أساسية، ساهمت بشكل كبير في إثراء الدَّرس الصّوتي الحديث، فقد أدركوا في وقت مبكِّر جدًّا العلاقة بين الفصحى ولهجاتها، واهتمّوا بدراسة الظّواهر وشرحها وتحليلها، فغالبًا ما كانوا يَعْزُونَ كلَّ واحدة منها إلى قبائل اشتهرت بها، أو جاءت على استعمالها في مواضع معيَّنة، كما استطاعوا -إلى حدٍّ كبير- بفطنتهم ودقَّة ملاحظاتهم تحديد طبيعة الأصوات ووصف مخارجها وصفاتها، واستنباط قوانين تفاعلها وتأثُّر بعضها ببعض أثناء مجاورتها.

لمـــّا أراد المحْدَثُون تناول صوتيات العربية، وجدوا الأرضية جاهزة لاستقرائها، وبفضل الوسائل والتّقنيات المتطوِّرة، تمكَّنوا من الوصف العلمي الدّقيق، فأتمُّوا بذلك ما نقص وصحَّحوا ما أخفق فيه القدامى، فوجدنا بعض الاختلافات والرّؤى في تفسير بعض الظّواهر الصّوتية، ومن ثمّ كان لازما علينا الاحتكام إلى الدّراسات الصّوتية القديمة والحديثة، في تفسير بعض المظاهر الصّوتية الشّائعة في هذه اللّهجة.

بداية يمكن القول إنّ لغة قبائل بني هلال في منطقة الغرب الجزائري، قد حافظت على كل الأصوات الموجودة في اللّغة العربية الفصحى، بما فيها الأصوات الصّامتة والمتمثّلة في: الهمزة، الباء، التّاء، الثّاء، الجيم، الحاء، الخاء، الدّال، الذّال، الرّاء، الزّاي، السّين، الشّين، الصّاد، الضّاد، الطّاء، الظّاء، العين، الغين، الفاء، القاف، الكاف، اللّام، الميم، النّون، الهاء، الواو، الياء. وكذلك الأصوات الصّائتة (المصوّتات) والمتمثّلة في: الفتحة، الضمّة، والكسرة ونظائرهم الطّوال، غير أنّه تظهر جملة من التّغييرات في النّظام الصّوتي لهذه اللّهجة، يمكن لأيّ باحث ملاحظتها، منها:

1.الإبدال

الإبدال هو إحلال صوت مكان صوت آخر، مع الإبقاء على سائر أصوات الكلمة[1]، وهو ظاهرة عامّة في كلّ لغات البشر؛ إذ يعتبر إحدى وسائل نمو اللّغة بوساطته تَكَوَّنَ العديد من ألفاظها، ويحدث تبعا لقانون التّساهل العام والتّخفيف، وسوء السّمع، وتعذُّر النّطق أو تعسُّره على

[1] ابن يعيش: شرح المفصل، طبعة المنبرية، دط، دت، ج10 ص7.

بعض النّاس. أمّا في اللّغة العربية، فيعدُّ من الظّواهر التّشكيلية التي شاعت فيها، ويمكن تحديد معانيه وأنواعه فيما يلي:

– **الإبدال لغة:** مصدر الفعل أَبْدَلَ، نقول: أَبْدَلَ الشّيء يُبْدِلُهُ من شيء آخر، إذا جعله مكانه، وأصله جعل شيء مكان شيء آخر."[1]

– **أمَّا اصطلاحا:** فالإبدال هو: إحلال صوت مكان آخر، مع الإبقاء على سائر أصوات الكلمة، ويكون في الصّوامت كما يكون في الصّوائت.

1.1 إبدال الصّوامت: ويعرِّفه أحد اللّغويين القدماء بقوله: "الإبدال أن تقيم حرفا مقام حرف إمَّا ضرورة وإمَّا استحسانًا"[2] وهو على ضربين:

– **إبدال مُطَّرِد:** وفيه تبدل الأصوات من غيرها إبدالا شائعًا لغير إدغام، وهو ما يعرف بالإبدال الصّرفي، ويقتصر على عدد محدود من الأصوات جمعها ابن مالك في قولك: "هدأت موطيا."[3]

– **إبدال غير مُطَّرِد:** وهذا النّوع ليست له شروط تضبطه؛ إذ لا يعدُّ الخروج عنه خروجًا عن القاعدة، "وهذا لا يكون عند العرب جميعا، ولكن يتنوَّع بين القبائل وهو ما يدعى بالإبدال اللّغوي."[4]

ولقد فرَّق النُّحاة واللّغويون القدامى بين الإبدال اللّغوي، وصِنْوِهِ الصَّرفي عند حديثهم عن أصوات الثّاني منها، واختلفوا في تحديدها، "فذهب أكثرهم إلى أنَّ عددها أحد عشر حرفا نذكر منهم: سيبويه – ابن جِنِّي – المُبَرِّد – ابن سراج – الفارابي– السّيرافي وابن يعيش."[5] ويذكر أبو

---

[1] ابن منظور: م. س مادة (بدل).

[2] ابن يعيش: شرح المفصل، طبعة المنيرية، دط، دت، ج10 ص7.

[3] الأنصاري: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ط5، دار الجيل، بيروت 1979م، ج4 ص370.

[4] إبراهيم نجا: اللهجات العربية، طبعة السعادة، ص55.

[5] كمال ربحي: الإبدال في ضوء اللغات السامية، جامعة بيروت العربية، 1980م، ص110.

علي القالي في أماليه "إنَّ حروف الإبدال عند أهل النّحو اثنا عشر حرفا."[1] وجعلها ابن سِيدَة في مُخَصَّصِهِ ثلاثة عشر حرفا.[2] في حين ذهب أبو حيَّان في شرح التّسهيل إلى القول بأنَّه: "قلَّما تجد حرفا إلا وقد جاء فيه البدل إلَّا نادرا."[3] لكن ابن مالك في ألْفِيَّتِهِ جعل الحروف التي تبدل من غيرها "إبدالا مُطَّرِدًا شاملًا تسعة أحرف وهي: الهاء- الدّال- الياء- التّاء- الميم- الواو- الألف- الطّاء- والهمزة، وجعل إبدالها من غير هذه الأحرف شاذًّا أو قليلا."[4]

فاللّغويون القدامى حرصوا كثيرا على التَّمييز بينهما، وذلك بِعدِّ الأوَّل له أصوات معيَّنة يقع فيها الإبدال، وأنَّ إقامة صوت مكان صوت يكون وفق معطيات صوتية دقيقة تحكمه ويجري وفقها "فهو قياسي في جُلِّ مظاهره، وإن وجدت بعض المظاهر السّماعية غير المطَّردة"[5]، فهي لازمة وضرورية في التّصريف، لا يمكن مخالفتها والاستغناء عنها. ويكون الثّاني -أي اللّغوي- من قبيل تعاقب صوتين في كلمتين، وقد يكون هذان الصّوتان متقاربين أو متباعدين، وهو يخضع للسّماع وليس له ضوابط أو مقاييس تحكمه، وملَاكُ الأمر فيه للسّماع والرّواية، وهو في أغلبه لغات مختلفة لمعان متَّفقة، كما أنَّه يشمل كلَّ حروف المعجم؛ فدائرته أوسع، والدّراسة في مادَّته تقف عند حدود الجمع والوصف والمقارنة والاستنتاج، دون أن يتجاوز ذلك إلى قواعد قياسية إنشائية.[6]

ويجزّئ اللّغويون الإبدال الصّرفي إلى قسمين:

الأوّل منهما قياسي: ويستند إلى قوانين وضوابط واضحة تحكمه، لا يمكن الاستغناء عنها ولا مخالفتها، وأصواته عشرة هي: الهمزة، والألف، والتّاء، والدّال، والطّاء، والميم، والهاء، والواو، والياء،

---

[1] القالي أبو علي: الأمالي، القاهرة، ط3، 1344ه-1926م، ج1 ص186.

[2] ابن سيدة: المخصص، طبعة الأميرية ببولاق، بيروت، 1320ه، ج4 ص267.

[3] كمال ربحي: م. س، ص110.

[4] ابن عقيل. بهاء الدين: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ص690.

[5] طالبي عبد الحفيظ: الإبدال في اللغة العربية، رسالة ماجستير قدمت إلى قسم اللغة العربية –كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة حلب، سوريا، 1990م، ص22

[6] عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، دار القلم، دط، ص73.

منها التّسعة التي حدّدها ابن مالك في الألفية والكافية وقد جمُعت في قوله: "هدأت موطيا"، وأضاف أحد الباحثين إليها صوت الصّاد[1]، لأنّه رأى أنّه وإن كان جائزا إبداله، فله قوانين وأحكام يسير وفقها -نأتي على ذكرها في حينها-.

أمّا **القسم الثّاني فسماعي**، وأصواته تسعة هي: الهمزة، والتّاء، والدّال، والزّاي، والطّاء، والميم، والنّون، والهاء، والياء.[2]

والظّاهر أنّ لغة قبائل بني هلال قد جمعت الكثير من صور الإبدال بين أصواتها، وهذه بعض الأمثلة أو النّماذج التي لمستها أثناء جمعي لمادّة هذا البحث، وسنوردها مرتّبة بحسب الصّوتين المبدل والمبدل منه وذلك بالنّسبة إلى الإبدال الصرفي، وكلّ حسب صنفه قياسيًّا كان أو سماعيًّا، في حين اجتبيت التّرتيب الحيّزي بالنسبة إلى الإبدال اللغوي.

من هذا الأساس رأينا تصنيف كلّ إبدال تبيّن لنا أنّه يستند إلى قوانين محكمة، وتوفّرت فيه الشّروط اللّازمة الموضوعة -واستطعنا إظهار ذلك- ضمن الإبدال الصّرفي، أمّا مالم يخضع للمقاييس الموضوعة فهو يتّصل في هذه المسألة بالإبدال اللّغوي. كما أنّنا عند إبراز صور الإبدال عموما في هذه اللّهجة، سنذكر ما يقابلها من مظاهر الإبدال في اللّهجات العربية القديمة -إن وجد- لعلّنا نجد فيها ما يرشدنا إلى أصالة هذه اللّهجة الحديثة، وأنّها تعود في جذورها إلى هذه اللّهجات التي سادت في الجزيرة العربية.

1.1.1مظاهر الإبدال الصّرفي:

أ) الإبدال القياسي (المطّرد): من مظاهر الإبدال القياسية الأكثر شيوعًا في هذه اللّهجة نذكر:

- إبدال الهمزة من حروف العلّة: إنّ صعوبة نطق هذا الصّوت وتعذُّر تحقيقه أثناء الكلام، مالت القبائل الهلالية إلى حذفه، وتنوّعت في إبداله سعيًا إلى تخفيفه، فهو صوت شديد، مستثقل، يخرج من أقصى الحلق، وجنحت الكثير من اللّهجات منذ القديم إلى التخلّص منه بالإبدال والحذف، "ولم يكن

---

[1] طالبي عبد الحفيظ: م. س، ص22.

[2] م. س، ص.

تخفيف الهمزة مقصورًا على لهجة قبيلة دون سائر اللّهجات القديمة، وإنّما كان فاشيا في كثير منها، وإن تفاوتت صور التّخفيف ودرجاته"[1]، وقد انتبه القدامى إلى أحوالها ومجيئها في صور مختلفة، فالمبرّد يذكر "أنّه وجد من يحقّقها، ووجد من يخفّفها بإبدالها بصوت من جنس حركة ما قبلها، أو جعلها بين بين، أو حذفها"[2] فلا نستبعد إذن أن نجد هذه القبائل تتخلّص منها بأنواع التّخفيف أو الإبدال، واتّسع نطاق هذا التّخفيف فأبدلها النّاطقون ياءً أو واوا إذا كانت ابتدائية، أمّا إذا توسّطت الكلمة وكانت ساكنة أبدلوها من جنس حركة ما قبلها.

فأُبدلت ألفًا بعد الفتحة نحو: (رَاسْ) في رَأس، (كَاسْ) في كأس، (فَاسْ) في فَأس...

وواوًا بعد الضمّة، نحو قولهم: (مُومَن) في مُؤمِن، (مْوَنَس) مؤنس...

وياءً بعد الكسرة، فقالوا: (بِيرْ) في بِئر، (دِيبْ) في ذِئب، (جِيتْ) في جِئت...

يرى المحدثون أنّ هذا الإبدال لا مسوِّغ له، وإنّما هو ضرب من التّخفيف ليمكن نطقها بيسر وسهولة، وأنّ هذا التّخفيف لا علّة له، إذ كيف يحوَّل صوت ساكن قويّ إلى أصوات ليِّنة متحرّكة؟ أي أنّ "الهمزة صوت انفجاري شديد، وهي أصوات انطلاقية (مصوّتات)، والهمزة صوت ذو وجود صوتي وسياقي (فونيتكي وفونولوجي)، أمّا المصوّتات فوجودها انطلاقي فونولوجي، فحسب منها تكن أحوال وجودها في المادّة اللغوية، ثم إنّ الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس، وهما مجهوران إلا في حالة خاصّة، وهي حالة الوقف مثل" الصَّفْو" و"السَّعْي" حيث يمكن أن يتعرّضا للهمس في هذا الموقع، وهو ما يقع أحيانًا لحركات أواخر الكلمات في ما سمّاها القدماء بالرّوم[3]، وهي حالة من حالات الوقف."[4]

---

[1] عبد المجيد عابدين: من أصول اللهجات العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م، ص23 و 33.

[2] المبرّد: المقتضب، تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دط، 1388هـ، 1963م، ص51-52.

[3] الرَّوْم: حركة مختلسة مخفاة بضرب من التخفيف، وهو عند القرّاء: عبارة عن النطق ببعض الحركة، وقال بعضهم: هو تضعيف الصوت بالحركة حتّى يذهب معظمها. ودرجة الروم هي أكثر من درجة الإشمام لأنّها تسمع، في حين هذه الأخيرة هي إذاقة الحرف الضمة أو الكسرة بحيث لا تسمع، وإنّما يتبيّن ذلك بحركة الشفتين. (ينظر ابن الجزري: النشر ج2 ص121، وأبو عمرو الداني: المحكم في نقط المصحف، ص 44-45).

[4] إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة، ط3، 1971م، المصرية، ص43.

القدامى أيضا وقفوا عند هذا الإبدال، وكانت لهم فيه نظرة مختلفة فرأوا أنّ "الهمزة خُصّت بأنْ جُعلت أصوات المدّ الثّلاثة الألف والياء والواو صورًا لها دون غيرها من الأصوات، لأنّ الهمزة شاركتهنّ في الإعلال والتغيّر، وكانت الهمزة إذا عُدِل عن تحقيقها إلى التّخفيف، قربُت منهنّ في حال التّسهيل، فجعلت المفتوحة بينها وبين الألف، والمكسورة بينها وبين الياء، والمضمومة بينها وبين الواو، وأبدلت حرفًا خالصا منهنّ في حال البدل، فلذلك جُعِلت صورًا لها دون سائر الحروف، ووجب تخصيصهنّ بذلك.[1]

فنظرة القدامى ومعالجتهم للظّاهرة تعدُّ الأقرب والأصّح اتّجاها، وتظهر سلامة رأيهم أكثر في معالجتهم لإبدال الهمزة من أصوات العلّة، وهو إبدال وارد أيضا في لهجة بني هلال، وقد ظهر في أربعة مسائل قياسية:

1) أُبدِلت الألف من الواو والياء، إذا وقعت إحداهما بعد ألف الجمع الذي على وزن فعائل وما يشبهه، وكان صوت العلّة مدًّا زائدًا لا أصليا، ولا مصوّتا، فقالوا:

(عْجَايَزْ) في عجائز، وهي مبدلة من الواو لأنّ الأصل عجوز.

(طْبَايَعْ) في طبائع، وهي مبدلة من الياء لأنّ الأصل طبيعة.

(حْصَايَدْ) في حصائد، وهي مبدلة من الياء لأنّ الأصل حصيدة.

(مْصَايَبْ) في مصائب، وهي مبدلة من الواو لأنّ الأصل مصاوب.

وقد خُفّفت هذه الهمزة فأُبدلت ياءً.

أمّا علّة هذا الإبدال، ردّها بعض النّحويين إلى كون "هذه الأصوات ساكنة في المفرد زائدة، ولا أصل للواو والياء في الحركة فيُردَّا إليه، فلمّا وقعت هذه الأصوات بعد ألف الجمع واحتيج إلى تحريكها – لسكونها وقبلها ساكن– جعل مكانهما همزة... فهي بهذا أولى من غيرها، لأنّها أقرب الأصوات إليها.[2]

2) إبدال الهمزة من الواو والياء إذا تطرّفتا، في نحو قولهم:

(كْسَا) في كِسَاء المبدلة من كساو، وقد حُذفت الهمزة للتّخفيف.

---

[1] أبو عمر الداني: المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: عزة حسن، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق– سوريا، ط2، 1997م، ص148.

[2] ابن مالك الأندلسي: شرح الكافية الشافية، دار الكتب العلمية، ط1، 2000م، ص 2038–2048.

(لْبَنِيْ) في بِناء المبدلة من بِناي، وقد أُبدلت الهمزة ياء للتّخفيف، لأنّ ما قبلها مكسور.
واختلف النّحاة في كيفية حدوث هذا الإبدال، فمنهم من رأى "أنّ الواو والياء تحرّكتا وقبلهما فتحة، وليس بينهما وبين الفتحة إلا الألف، وهو حاجز غير حصين، وهما في محلّ التغيير –أي الطرف– فأُبدلتا همزة."[1] ومنهم من ذهب إلى"أنّهما قُلبتا ألفًا في الأولى، فاجتمع ساكنان –الألف الزائدة والألف المنقلبة– فأبدلت هذه الألف همزة."[2]

3) إبدال الهمزة من الواو والياء إذا وقعتا عينًا لاسم فاعل أعلّتا في فعله، فقالوا:
(بَايَعْ) في بائع. (هَايَج) في هائج. (ضَايَع) في ضائع. (خَايَن) في خائن.(خَايَفْ) في خائف. (قــَايَلْ) في قائل....
فالأصل في (قائل وبائع) مثلا: "قاول وبايع" وفعلاهما (قال وباع) وأصلهما: "قوَل وبيَع". ومن اللّغويين من رأى أنّ هذا الإبدال مردّه إلى أنّ "الواو والياء قُلبتا ألفًا لتحرّكهما ووقوعهما بعد متحرّك لا يفصلهما عنه سوى حاجز غير حصين، ثمّ أُبدلت الألف همزة، أو أنّ الواو والياء أبدلتا همزة."[3]
وخلافا لهؤلاء يرى المبرّد أنّ "قولك: قائل وبائع، وذلك أنّه كان (قال وباع) فأُدخلت ألف "فاعل" قبل هذه المنقلبة، فلمّا التقت ألفان –والألفان لا تكونان إلا ساكنتين– لزمك الحذف لالتقاء السّاكنين، أو
التّحريك، فلو حذفت لالتبس الكلام وذهب البناء، وصار الاسم على لفظ الفعل، تقول فيهما: "قال" فحُرّكت العين لأنّ أصلها الحركة، والألف إذا حُرّكت صارت همزة، وذلك قولك: قائل وبائع."[4]

أمّا المحدثون فآراؤهم في الإبدال الحاصل بين الهمزة وأصوات العلّة متباينة، هناك من يرى أنّ القدامى أخطئوا في تصوّر هذا الإبدال وتفسيره، إذ لا إبدال في "كساء وبناء" مثلًا "إنّما العرب كانوا يكرهون النّطق بمقاطع مفتوحة متوالية، وبذلك تُفَسَّر كراهيتهم لتوالي الحركات الذي يضعّف النّظام

---

[1] سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ج4 ص237، المبرد: المقتضب ص 1/ 62، شرح الشافية 3/ 173 و203.

[2] أبو حيان الأندلسي: الممتع في الصرف، ص326.

[3] الأشموني: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م، ص827.

[4] المبرد: المقتضب م. س، ج1 ص99

المقطعي"[1]؛ أي أنّ العربي يكره الوقوف على مقطع مفتوح، فيجعل الهمزة محلّ صوت اللّين، لا على سبيل الإبدال، بل من أجل إقفال المقطع وتصحيح نهايته.

أمّا فيما يخصّ "مصائب وعجائز وبائع"، يعدّ نوعًا من النّبر التّوتري لا تُحوّل معه الواو أو الياء وسط الكلمة همزة، وإنّما يفصل بين عنصري المزدوج بالهمز بعد أن كانا متّصلين، وهذا من خصائص النّاطق البدوي، ولجأ إلى ذلك نتيجة شعوره بأنّ الانزلاق بين العنصر الأوّل من عنصري المزدوج، إلى العنصر الثّاني لا يحقّق صورة النّبر كما تعوّدها، فكان الهمز وسيلة إلى ذلك دون أن يسقط من المزدوج شيئًا.[2] غير أنّ هذا الرّأي لقي نقدًا لاذعًا، فإقامة نظرية على أساس النّبر وحده لا يعدّ رأيًا مستوفى، فإحلال الهمزة –مثلًا– مكان الواو والياء في آخر الكلمة –لأنّ العربي يكره الوقوف على مقطع مفتوح فيقفله بالهمز– يبقى نسبيًّا، "لأنّ الكلمات لا تستعمل مفردة، وإنّما تستعمل في تراكيب تؤدّي معنى مقصودًا، ولابدّ من الوصل في توظيف ألفاظ الكلمة لا الوقف"[3]، ثمّ إنّ صاحب هذا الرّأي لم يقف عند كلّ مظاهر إبدال الهمزة من أصوات العلّة، ولم يستوفها حقّها بالشّرح والتّحليل، "ولم يفرِّق بين ما يجب، وما يجوز، وما يمتنع من الهمز في الألفاظ التي وجدت فيها (واو) أو (ياء)"[4]، الأمر الذي يجعل نظرة القدامى ومعالجتهم للظّاهرة هي الأقرب إلى الصّواب.

والملاحظ في لهجة قبائل بني هلال كذلك أنّ النّاطقين بها، يجنحون دائمًا إلى تخفيف الهمزة حتّى بعد إحلالها مكان الواو والياء، فلا يسْعون إلى تحقيقها، بل يخفّفونها بإسقاطها إذا تطرّفت، وبإبدالها بعد ألف الفاعل وألف الجمع، وهو نوع من التّسهيل الذي تجنح إليه اللّهجة، وقد عدّه بعض اللّغويين في هذين الموضعين على أنّه "لغة ضعيفة، ورآه بعض شُرّاح الألفية أنّه لحن."[5]

4) إبدال الهمزة ياءً، إذا كانت مكسورة واجتمعت مع همزة أخرى سبقتها، وسمعت هذا الإبدال في

---

[1] عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، دار القلم، دط، 1966م، ص78- 79.

[2] م. س: ص82- 83.

[3] عبد الغفار حامد هلال: اللهجات العربية نشأة وتطورا، ط2، 1410هـ،1990م، ص217-218.

[4] م. س.ص.

[5] الأشموني: ص 827.

كلمة (أيِّمّه) جمع إمام، وأصلها "أَأْمِمَة" على وزن "أفعلة"، نُقِلت كسرة الميم إلى الهمزة توصلًا إلى الإدغام، فصارت أئِمَّة.[1] فعمليتا الإدغام والإبدال تمّتا بهذا الشّكل:

أَأمِمَة ⟵ أَئِمة: تحقيق الإدغام.

أَئِمة ⟵ أَيِّمَّة: تحقيق الإبدال.

ولا ريب أنّ علّة هذا الإبدال هو استثقالهم اجتماع همزتين، إذ استثقلوها وهي مفردة، كيف لا يستثقلونها وهي مضاعفة؟ ويرى ابن مالك أنّ الدّاعي إلى هذا الإبدال كون: "الهمزة حرفًا ينطق به كأنّه سعلة، فاستصعب تحقيقه، وكثر تخفيفه مفردًا بإبدال أو تسهيل، أو نقل حركته مع الحذف، فإذا التقت همزتان تضاعف الاستثقال، وتأكّد داعي التّخفيف، فإذا كانت في كلمة ازداد التّخفيف قوّة، وصار الجواز وجوبًا، وأحقُّ ما جُعِل بدلها ما اطّرد إبدالها منه، وهو واو أو ألف أو ياء."[2]

والهمزتان عمومًا إذا التقتا -سواء في كلمة واحدة، أو كلّ واحدة منهما من كلمة- كان الاستثقال وصعب تحقيقهما، "كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة"[3]، فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتُحقّقا.

ومن كلامهم تخفيف الأولى وتحقيق الثّانية، وهو قول أبي عمرو في نحو قراءته لقوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآ أَشْرَاطُهَا﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾[5].

ومنهم من يحقّق الأولى ويخفّف الأخرى، سمع ذلك من العرب نحو قولهم: ﴿فَقَدْ جَآء اشْرَاطُهَا﴾، و:﴿يَا زَكَرِيَّاءُ انَّا نُبَشِّرُكَ﴾[6].

---

[1] ابن بري: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع، شرح سيدي إبراهيم المارغي، دط، دت، ص70.

[2] أبو حيان الأندلسي: شرح الكافية الشافية م. س، ص 2094.

[3] عبده الراجحي: القراءات القرآنية في اللهجات العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1996م، ص 125-127.

[4] سورة محمد: الآية 18.

[5] سورة مريم: الآية 7.

[6] ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، أشرف على مراجعته وتصحيحه: علي محمد الضّبّاع، دط، دت، ج1 ص363-386.

فالقدامى أدركوا هذه الحقيقة عن الهمزة، وعبرّوا عن ثقلها وصعوبة نطقها، فابن جني يقول: "وإنّما لم يجتمع الفاء والعين، ولا العين واللّام همزتين، لثقل الهمزة الواحدة لأنّها حرف سفل في الحلق وبَعُدَ عن الحروف، وحصل طرفا، فكان النّطق بها تكلّفا."[1] وإلى هذا ذهب ابن يعيش في قوله:
"الهمزة حرف شديد، مستثقل من أقصى الحلق، إذ كان أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النّطق به، إذ كان إخراجه كالتهوّع، فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التّخفيف، وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز، وهو نوع استحسان لثقل الهمزة، والتّحقيق لغة تميم وقيس، قالوا لأنّ الهمزة حرف فوجب الإتيان به كغيره من الحروف."[2]

– **إبدال النّون ميما:** أبدلت النّون ميمًا في لهجة بني هلال إبدالا قياسيا، وذلك إذا كانت ساكنة وتلتها باء نحو قولهم:

(جَمْب) في جنب. (لْعَمْبَر) في العنبر. (أَمْبَاء) في أنباء. (مَمْبَعْد) في مِنْ بَعْد أي: فيما بعد. (مَمْبَرَّ) في منْ بَرَّ أي: من الخارج. (مَمْبَر) في منبر...

وممّا جاء على هذا النّسق من كلام العرب قولهم: "عَنْبَر"، و"شَنْبَاء*"، و"مِنْ بَعْدُ"، وكذلك ما ورد في التّنزيل الحكيم قوله تعالى: ﴿ ـ شقـ ـ ـهـ ـا﴾[3]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾[4] تُكتب نونا وتُنطق ميمًا، فإن تحرّكت النّون عادت إلى أصلها ولم تبدل، لأنّ الحركة تقوّيها وتحصّنها من الإبدال، وذلك نحو: شَنَب وعِنَب...[5]، وعلّة هذا الإبدال كما يرى المحدثون "أنّ النّون تستثقل عند الباء لِمَا بينهما من تباين في الصِّفة، فالنّون صوت متوسّط بين الشدّة والرّخاوة، يمتدّ في الخيشوم بغنَّه، في حين أنّ الباء صوت شديد مجهور مخرجه من الشّفتين، فيصعب إظهار هذه النّون، وكان الحلّ

---

[1] ابن جني: سر الصناعة، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1405هـ - 1985م، ج1 ص81.

[2] ابن يعيش: شرح المفصل، طبعة المنيرية، دط، دت، ج9 ص170.

[3] سورة الشمس: الآية 12.

[4] سورة يس: الآية 52.

[5] ابن جني: سر الصناعة م. س، ج1 ص421.

*شنب: العذوبة في الفم. وشنباء: العذبة الفم. ينظر ابن منظور مادة (شنب).

إبدالها صوتا وسطا بينها وبين الباء وهو الميم، لِمَا فيه من الشّبه بالنّون في الغنّة والتوسّط، واشتراكه والباء في المخرج الشّفهي، فتفقد النّون بهذا الإبدال مخرجها، لكنّها لا تفقد صفتها الأنفية."[1]

والرّأي نفسه ذهب إليه النّحاة القدامى في تفسيرهم لهذا الإبدال وتعليله، فقد جاء على لسان أحدهم قوله: "وكذلك كلّ نون ساكنة تقلب ميمًا إذا كان بعدها باء، ولو رام أحد ألا يجعلها ميمًا ويخرجها نونًا لشقّ عليه ذلك، وذلك أنّ النّون السّاكنة مخرجها من الخيشوم، وليس لها تصرّف في الفم، إلا أن يتكلّف متكلّف إخراجها من الفم، وذلك مع حروف الحلق لأنّ النّون السّاكنة تنبتها حروف الحلق، فلمّا كانت النّون بهذه الصّورة، وكانت الباء حرفًا شديد اللّزوم لموضعه، نبت النّون عن الباء نبوًّا شديدًا، فجعل مكانها ميمًا، لأنّ الميم متوسّطة بين الباء والنّون ومشابهة لهما، وذلك أنّها من مخرج الباء، وفيها غنّة تشاكل بها النّون فتوسّطت بينهما"[2] ، وعليه وجدنا أنّ النّون تبدل ميما مطلقا، إذا كانت ساكنة وتلتها باء، ويعدّ إبدال النّون ميمًا في اللّفظ دُون الكتابة، مّما تختصّ به من بين سائر الحروف[3]، وهو من أحكام النّون السّاكنة في ترتيل القرآن، إذ يسمّيه علماء التّجويد بالإقلاب.[4]

– **إبدال تاء التّأنيث هاء في الوقف:** وأُبدلت الهاء من تاء التّأنيث في الوقف مطلقًا في لهجة قبائل بني هلال، مثلما وقف عليها القدامى في كلامهم نحو قولهم:

(كَبِيَره) في كَبِيَرة، (قَرْيَه) في قرية، (لْغِيرَه) في الغيرة، (بَـــقْرَه) في بقرة...

لقد جعل النّحاة إبدال الهاء من تاء التّأنيث في الوقف، ضمن الإبدال الصّرفي الذي يجري وفق مقاييس محدَّدة، وذلك نحو: "طلحه وتمره وقائمه ونخله... لأنّ الأصل فيها التاء؛ إذ بها يكون التّأنيث، والهاء أُبدلت منها في الوقف"[5]، ورُوي عن قبيلة طيّئ أنّها تُبدل الهاء حتّى من تاء جمع المؤنّث السّالم،

---

[1] إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية م. س، ص73.

[2] عبد المنعم فائز: السيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: تحقيق، دار الفكر المعاصر، ط1، 1983، ص 576-577.

[3] ابن فارس: الصاحبي م. س، ص 117.

[4] أبو الحسن الرباطي: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل المقرئ الإمام نافع، شرح وتحقيق: إبراهيم المارغني، دط، دت، ص111.

[5] المبرد: المقتضب م. س، ج1 ص63.

السّالم، فيقولون:كيف البنون والبناه، وكيف الإخوة والأخواه[1]، وهم في هذا يشبّهون هذه التّاء بتاء المؤنّث المفرد، وهذا شاذّ[2]، وهناك من المحدثين من يذهب إلى أنّها لهجة سبئية متواترة في النّقوش، وقد سُمِّيت بلهجة الهاء، وهي لغة في بعض جهات "صعدة وسحار الذين يقولون: بقره في بقرة، خربه في خربة"[3]، وقد ردّوا هذا الإبدال "للتّفريق بينها وبين التّاء الفعلية، أو بين التّاء الاسمية التي للتّأنيث، والتي لغيره كما في عفريت وعنكبوت"[4]، لكن هذا التّفسير لا نجد له قاعدة تحكمه؛ لأنّ تاء الفعل لازمة الثّبات في

الفعل أثناء التّصريف، والتّاء الاسمية واضحة ومستبينة لا تتغيّر، وما لا يتغيّر فقد فرغ منه الزّمن، لهذا لا يمكن أن نقبل بهذا التّفسير.

إنّ المتمعّن في لهجة بني هلال واللّغة العربية الفصحى عموما، يجد أنّ إبدال التّاء هاء لا يحدث إلا عند الوقف في أواخر الأسماء والصّفات المؤنّثة المفردة، التي تشمل علامات التّأنيث الثّلاث: التّاء، والألف المقصورة، والألف الممدودة نحو (بيضه، فتوه، عرجه) في "بيضاء وفتوى وعرجاء"، فلا يحدث ذلك في تاء التّأنيث المفتوحة التي في الأسماء المؤنّثة نحو: "بنت، أخت" ولا في الأسماء التي التّاء فيها ليست علامة على التّأنيث، نحو: "وقت، موت" ولا في تاء الفعل، فالفرق بينهم وبينها واضح، وإلا لما اختاروها من دون سواها ووقفوا عليها! ورأي القدامى ليس له ما يسنده، لذلك لقي نقدًا من الدّارسين المحدثين الذين لهم في هذا رأي مخالف، فهم لا يرون أنّ هذه الظّاهرة قلب صوت لآخر، بل هي "حذف الآخِر من الكلمة، وما ظنّه القدامى هاءً متطرّفة هي في الواقع امتداد في النَّفَس حين الوقوف على صوت اللّين، ويصدق ذلك على الأسماء المؤنّثة المفردة التي تنتهي بما يسمّى بالتّاء المربوطة، فليس يوقف عليها بالهاء كما ظنّ النّحاة، بل بحذف آخرها، ويمتدّ التّنفس ما قبلها من صوت لين قصير (الفتحة)، فيخيّل للسّامع أنّها تنتهي بالهاء."[5]

---

[1] ابن جني: سر الصناعة م. س، ج1 ص215.

[2] ابن يعيش: المفصل م. س، ج10 ص45.

[3] أحمد حسين شرف الدين: لهجات اليمن قديما وحديثا، مطبعة الجبلاوي د ط، 1970، ص 20.

[4] الاستربادي: شرح شافية الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسين، محمد الزرقان، محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، 1975م، ج2 ص288.

[5] عبد الصبور شاهين: م. س، ص89.

- **إبدال السّين صادًا:** إذا جاورت صوتًا من الأصوات المستعلية (ق-غ- خ- ط) نحو قولهم: (صْطَح) في السطح (سطح البيت). (صُوقْ) في السُّوق. (صْلَخْ) في سلخ (سلخ الشاة). (صَّخْط) في السخط (الغضب والنقمة). (يْصَقْصِي) في يستقصي الخبر. (صَاقْ) في سَاق، يَسوق بالنسبة إلى الذي يقود سيارة أو دابّة إذا حثّها على السير. (صَاقْ) في ساق، قاصدين به ما بين الركبة والكعب. (صَامَطْ) في سَامط، اللبن إذا تغيرت حلاوته فيقال سمط اللبن، لكن قبائل بني هلال يوظّفون هذه الكلمة على أساس معناها فقط، فإذا أرادوا التعبير عن الشيء لا يستهوي الأنظار أو غير مرغوب فيه قالوا عنه بأنّه (صَامَطْ). (صْرَط) في سَرَط، اللقمة ابتلعها...

لقد عدّ سيبويه هذا الإبدال لغة من لغات العرب، إذ ذكره في باب ما تُقلب فيه السّين في بعض اللّغات فقال: "إذ كان العرب الأكثر الأجود في كلامهم ترك السّين على حالها، إنّما يقولها من العرب بنو العنبر."[1] إذن، نطقت بذلك قبائل بني العنبر من تميم، والمسوّغ الصّوتي لهذا الإبدال يعود للأصوات المستعلية، إذ إنّ مؤخّر اللّسان يستعلي عند النّطق بها، والسّين مستفلة، والانتقال من التّسفّل إلى الاستعلاء مستثقل، فأُبدلت السّين صوتًا من مخرجها يوافق هذه الأصوات في الاستعلاء، وهو الصّاد ليتحقّق التّجانس والانسجام بينها؛ أي أنّ هناك تأثّرًا خلفيًّا أو رجعيًّا، بحيث يتأثّر الصّوت الأوّل بالصّوت الثّاني، فينتج صوت ثالث، وإلا ما اشترط في هذا الإبدال أن تتقدّم السّين هذه الأصوات، لأنّه إن تأخّرت عنها لم يجز الإبدال، نحو: "قِسْت وطَسْت"[2]،

هذه العملية هي ما سمّاها المحدثون بالمماثلة الصّوتية، التي ترمي إلى تحقيق الانسجام في الأداء بإبدال أحد الصّوتين المتجاورين المتنافرين ليدنو من الآخر، "فحين يلتقي صوت مهموس بصوت مجهور، قد ينقلب أحدهما إلى نظير الآخر، بحيث يتكوّن منهما صوتان مهموسان أو مجهوران، كما تؤثّر الأصوات المطبقة فيما يجاورها فتحوّلها إلى مطبقة"[3]، وهو ما حدث مع السّين.

---

[1] سيبويه: م. س، ج4 ص479-480.

[2] أبو الطيب اللغوي: الإبدال، تحقيق: عز الدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، دط، 1960-1061م، ج1 ص12.

[3] إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص117.

أمّا القدامى فسمّوا هذه الحالة بـــ"المضارعة والتّقريب بين الأصوات"[1] كما جاء على لسان المبرّد (ت285ه): "إنّما تقلب السّين للتّقريب ممّا بعدها، فإذا لقيها حرف من الحروف المستعلية قلبت معه ليكون تناولهما من وجه واحد"[2]، والرّأي نفسه نجده عند سيبويه (ت180ه): "السّين تقلبها القاف إذا كانت بعدها في كلمة واحدة، وذلك نحو "صقت وصبقت"، وذلك لأنّها من أقصى اللّسان، فلم تنحدر إلى الفم، وتصعدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى... والخاء والغين بمنزلة القاف، وهما من حروف الحلق بمنزلة، والقاف من حروف الفم، وقربهما من الفم كقرب القاف من الحلق وذلك نحو صالغ* في سالغ."[3]

ب) الإبدال السّماعي (غير مطّرد): من مظاهر هذا الإبدال في لغة بني هلال نذكر:

– **إبدال الهمزة هاء**: ويظهر في موضع واحد من كلامهم، فهم يقولون: (لْمَا) في الماء أسقطوا الهمزة تسهيلا للنّطق، وتخفيفًا لها والتي هي مبدلة من الهاء، لكنّهم إذا أرادوا التّصغير أعادوها إلى أصلها فقالوا: (مْوَيْهَ) وهي الصّيغة الأكثر استعمالا وتداولا بين أهل البادية إذا أرادوا معنى الماء. فالهمزة في هذه اللّفظة مبدلة من الهاء، لأنّ أصل "ماء" "مَوَه"، تحرّكت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا، ثم أبدلت الهاء همزة فصار ماء، والدّليل على ذلك قولهم: أَمْوَاه ومِيَاه في الجمع، ومُوَيَه في التّصغير.[4]

وممّا روي عن العرب أنّها كانت تقول: "ماهت الرّكية تَمُوه مَوْهًا إذا ظهر ماؤها، وأَمَاهَهَا صاحبها يُمِيهُهَا إماهة، ومنهم من أبدل الهاء في الجمع أيضا، فقالوا: أمواء، ومنه قول الشّاعر:[5]

وَبَلْدَةٍ قَالِصَةٍ[6] أَمْوَاؤُهَا يَسْتَن[1] في رَأْدِ الضحَى[2] أَفْيَاؤها

---

[1] سيبويه: م. س، ج2 ص426. وينظر ابن جني: الخصائص م. س، ج2 ص141.

[2] المبرد: المقتضب م. س، ج1 ص225.

[3] سيبويه: م. س، ج1 ص225.

*صالغ لغة في سالغ، يقال: صلغت الشاة والبقر، وهي صالغ: تمّت أسنانها. ينظر ابن منظور: مادة (صلغ). [4]ابن جني: سر الصناعة م. س: ج1 ص112.

[4]ابن جني: سر الصناعة م. س: ج1 ص112.

[5] ابن يعيش: شرح المفصل م. س: ج10 ص15.

[6] قلص الماء، يقلص قلوصا، فهو قالص وقليص وقلاص: ارتفع في البئر. ينظر اللسان مادة (قلص).

وما من شكّ في أنّ سبب هذا الإبدال، هو ثقل إظهار الهاء بعد الألف لكثرة استعمال هذه الكلمة، وهذا الإبدال ثابت في الفصحى، فكيف لا نجده في اللّهجة التي تجنح دومًا نحو السّهولة.

– **إبدال التّاء من السّين:** تبدل التّاء من السّين في لفظتي "سِت" و"سِتَّة"، في لغة بني هلال وهو إبدال سماعي لازم في الفصحى، إذ الأصل "سدْسٌ" و"سدْسَةٌ" والدّليل على أنّ الأصل هو السّين، قولهم في التّصغير: سُدَيْسَة، وفي الجمع: أَسْدَاس.[3]

وقد أورد سيبويه هذا الإبدال في باب "ما كان شاذا ممّا خفّفوا على ألسنتهم وليس بمطّرد" إذ يقول: "فمن ذلك ستّ وإنّما أصلها سدْس"[4]، وإلى هذا ذهب الخليل كون هذه التّاء مبدلة من الذّال وذلك في قوله: "والتّاء التي تكون بدلًا من الدّال مثل التّاء التي في "سِتَّة" أصله "سِدْسَة"، والدّليل على ذلك أنّك إذا صغّرت أو نسبت قلت: سُدَيْس وسِدْسيّ، وإنّما دخلت التّاء في سِتَّة لأنّ السّين والدّال مخرجهما من مكان واحد، فأبدلت التّاء بالدّال لتخفّ على اللّسان في النّطق.[5]

وهذا الإبدال هو من قبيل اللّازم بشكل مطلق في لغة بني هلال، فهم لا يقولون إلا: (سِتَّ) في سِدْسَة، و(سَاتَّة) في سادسة، حتّى إنّ هناك اسم شائع بالمنطقة يسمّي به أهاليها بناتهم، وهو اسم (سَتِّي) ولا شك في أنّ أصل هذا الاسم هو"سِدْسَة" المقترنة بياء النسبة.

والملاحظ في هذه اللّفظة أنّه قد حدث فيها إبدالان: واحد للتّقريب والثّاني للإدغام "فقد قرّبوا السّين من الدّال بأن قلبوها تاءً، فصارت "سِدْت" وهي في الأصل سِدْس، فهذا تقريب لغير الإدغام، ثم إنّهم فيما بعد أبدلوا الدّال تاءً لقربها منها إرادة الإدغام الآن، فقالوا:سِتّ"[4]. فالتّغيير الأوّل لتحقيق التّجانس بين الأصوات، وبالتّالي التّقريب من الإدغام، والتّغيير الثّاني لأجل التّمكن من الإدغام؛ أي أنّ الإبدال الثّاني مقصود به الإدغام ليس إلّا، ويمكن تمثيل ذلك بهذا الشّكل:

سدْس ⟵ سدْت ⟵ تقريب الإدغام.

---

(1) يستن: يجري في الستن، وهو وجه الطريق والأرض. ينظر ابن منظور مادة (ستن).

(2) رأد الأرض: ارتفاعه حين يعلو النهار، أو الأكثر أن يمضي من النهار خمسه. ينظر ابن منظور مادة (رأد).

(3) ابن جني: سر الصناعة ج1 ص155.

(4) سيبويه: ج4 ص481-482.

(5) ابن جني: الخصائص ج2 ص143.

سدْت ←——— ستّ ←——— تحقيق الإدغام.

في كلمة "ستّ" و"ستّة" إذ الأصل هو "سِدس" لاستثقال اجتماع المثلين وهما السّين والتّاء، وحتّى وإن فصل بينهما الدّال فهو غير حصين لأنّه ساكن ومن مخرجهما، فهما من مجموعة الأصوات اللّثوية وهو رأي سيبويه الذي يقول:"وإنّما دعاهم إلى ذلك –حيث كانت ممّا كثر استعماله في كلامهم– أنّ السّين مضاعفة، وليس بينهما حاجز قوّي، والحاجز أيضًا مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السّين، فكرهوا إدغام الدّال فيزداد الحرف سينًا، فتلتقي السّينات، و لم تكن لتُدغم في الدّال لِمَا ذكرت لك، فأبدلوا مكان السّين أشبه الحروف بها من موضع الدّال، لئلّا يصيروا إلى أثقل ممّا فرّوا منه إذا أدغموا، وذلك الحرف التّاء."[1] فهذه اللّفظة حدث فيها إبدالان: واحد للتّقريب، والثّاني للإدغام، وقد أشار إلى هذا ابن جني كذلك في قوله: "ومن ذلك قولهم: ستّ أصلها "سدس" فقرّبوا السّين من الدّال بأن قلبوها تاءً، فصارت "سِدْتْ"، فهذا تقريب لغير إدغام، ثمّ إنّهم فيما بعد أبدلوا الدّال تاءً لقربها منها، إرادة الإدغام الآن، فقالوا: سِتَّ، فالتّغيير الأوّل للتّقريب من غير إدغام، والتّغيير الثّاني مقصود به الإدغام."[2]

– **إبدال الزّاي من الصّاد:** تبدل الزّاي من الصّاد إبدالًا غير مطّرد، إذا كانت الثّانية (الصّاد) ساكنة متبوعة بدال، نحو قول بعض العرب: التزدير في "التصدير"، والفَزْدْ في "الفَصْد"، والقَزْدْ في "القَصْد"، ومن ذلك كذلك قول الشاعر:[3]

يَزِيدُ، زَادَ اللهُ مِنْ خَيْرَاتِه *** حَامِي نِزَارٍ عِنْدَ مَزْدُوقَاتِهِ

وهو يريدُ: مَصْدُوقَاتِهِ.

ومن صور هذا الإبدال على ألسنة قبائل بني هلال، قولهم:

(قَزْدِيرْ) في قصْدِير (نوع من المعادن). (زْدَرْ) في الصدر. (زْدَمْ) في صَدَم. (مُزْدَقْ) في مُصْدَق؛ أي صادق، فهم ينطقونها بهذه الصّيغة.

فالملاحظ أنّهم سكّنوا الصّاد تخفيفًا، ثم أبدلت زايا حتّ يتوفّر الشّرطان: وهما السّكون ومجاورة الدّال، وقد أجاز سيبويه هذا الإبدال و لم يجعله واجبًا.[1]

---

[1] م. س. ص وينظر الكتاب: 4/ 481- 482.

[2] ابن جني: الخصائص: م. س، ج2 ص143.

[3] ابن جني: سر الصناعة 50-51. و ينظر الخصائص 144/2.

ومن قبيل هذه الأمثلة -إشراب الصّاد قليلًا من الزّاي- ما يبدو في قراءة حمزة والكسائي وخلف ورويس[2] لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾[3]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَصْدِرَ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾[4]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[5]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ البيتِ إِلَّا مُكَآءً وتصدية﴾[6].

فبالنّسبة لهذا الإبدال، فالذي حدث هو تأثّر رجعي للصّوت الأوّل بالثّاني، فالصّاد مهموس لثوي، رخو ومطبق، والدّال مجهور انفجاري، ومعنى ذلك أنّ الصّاد المهموسة تجاورت مع صوت مجهور فتأثّرت به، وهذا ما نفهمه من كلام القدامى في تفسيرهم لهذا الإبدال، كما جاء على لسان الرضي (686ه) الذي علّل هذا بقوله: "لأنّ الصّاد مطبقة مهموسة رخوة، وقد جاورت الدّال بلا حائل (من حركة وغيرها)، والدّال مجهورة شديدة غير مطبقة، فغيّروا الأولى لضعفها بالسّكون بأن قرّبوها من الدّال، فقلبوها زايا خالصة، فتناسبت الأصوات، لأنّ الزّاي من مخرج الصّاد وأختها في الصّفير، وهي تناسب الدّال في الجهر وعدم الإطباق."[7]

– **إبدال الزّاي من السّين:** تبدل الزّاي من السّين إبدالًا غير مطّرد، إذا جاءت السّين ساكنة وبعدها الدّال[8]، ومن النّحاة الذين أجازوا هذا الإبدال سيبويه، فهو يقول: "فإن كانت سين في موضع الصّاد، وكانت ساكنة لم يجز إلّا الإبدال إذا أرادت التّقريب... لأنّها من موضع الزّاي، وليست بمطبقة فيبقى لها الإطباق"[9]، من ذلك قول العرب: "يَزْدُلُ ثوبه في يَسْدُلُ ثوبه، ويَزْدَر في "يسدر" بمعنى تحيّر."[1]

---

[1] سيبويه: م. س، ج4 ص478.

[2] عبده الراجحي: م. س، ص172.

[3] سورة القصص: الآية 23.

[4] سورة الزلزلة: الآية 6.

[5] سورة النساء: الآية 87.

[6] سورة الأنفال: الآية 35.

[7] الحلي صفي الدين: شرح الكافية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 2004م، ج3 ص231-232.

[8] ابن يعيش م. س: ج10 ص52.

[9] سيبويه م. س: ج4 ص478-479.

وعلى هذا سار أهالي قبائل بني هلال في كلامهم، حيث قالوا:

(نْزْدَح) في انْسدَح، وفي العربية انسدح: إذا استلقى على ظهره و فرّج رجليه[2]، والمعنى نفسه يستعمله أهل بني هلال لهذه الكلمة مع تسكين السّين، حتّى يتوفّر الشّرطان وهما السّكون ومجاورة الدّال، وبالتّالي تسهل عملية الإبدال.

(لْحَزْدْ) في الحسد، وهم ينطقون السّين ساكنة وبالتالي يتوفّر شرط الإبدال.

وهناك من اللّغويين من جعل السّين تبدل أيضًا زايا إذا جاءت مع القاف، ومن هؤلاء نذكر ابن جني، فقد أورد أنّ "من العرب من يبدل السّين زايا إذا جاءت مع القاف، فيقولون: (مسَّ زقر) في قوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾[3] وهذه لغة قبيلة كلب.[4]

ومثل هذا الإبدال ورد كثيرًا في كلام قبائل بني هلال، الذين اعتادوا على إبدال السّين -إذا ما كانت مع القاف- زايا كما في قولهم:

(زْڤِـــيتْ) في سقيت.

(لـــْڤـــَزَّان) في القَسَّان أي الكاهن، وبالنّسبة إلى المرأة يقولون (كزَّانَه).

(انْزْلَقْ) في انسلق، بالماء الحار أو بأي شيء آخر ساخن.

لكن هذا الإبدال لا نجده مطلقا في كلامهم مع كل لفظة ترد فيها السين مع القاف، فهناك كلمات كثيرة تجاور السّين فيها القاف، ومع ذلك نجدهم قد حافظوا على نطقها مثل: (يْسَقْصِي) في استقصى وهم يقولونها بمعنى: يسأل، وكلمة (سْقَرْ) بمعنى: سكت.

وما قيل عن سبب إبدال الصّاد زايًا، يقال أيضًا عن إبدال السّين، فكلاهما من مخرج واحد، وكلاهما رخو مهموس، إذ لا فرق بينهما إلّا في أنّ السّين مرقّقة والصّاد مفخّمة، ومن ثمّ كان سبب إبدال السّين السّاكنة المتبوعة بدال هو أنّ "السّين صوت مهموس، والدّال صوت مجهور، فاستثقلوا

---

[1] ابن جني: سر الصناعة م. س، ج1 ص196.

[2] ينظر ابن منظور م. س: مادة (سدح).

[3] سورة القمر: الآية 48.

[4] ابن جني: سر الصناعة م. س، ج1 ص196.

الخروج من صوت إلى آخر ينافيه، فقرّبوا أحدهما من الآخر، فأبدلوا السّين زايًا، لأنّها من مخرجها وتشاركها في الصّفير، وتوافق الدّال في الجهر، فيتجانس الصّوتان بذلك."[1]

أمّا عن إبدالها- أي السّين- زايًا إذا جاءت مع القاف، فيعلّل القدامى لذلك الإبدال كون السّين مهموسة، وقد جاورت صوتًا مجهورًا هو القاف، فكان لا بدّ وأن تبدل إلى صوت يضاهي القاف في الجهر فكان صوت الزاي، هذا لأنّهم كانوا يرون في هذه الأصوات المجهورة استعلاء، والقاف عندهم صوت مجهور.[2]

لكن القاف اليوم "صوت مهموس، وفوق ذلك فهو لهوي، شديد (انفجاري)، شبه مفخّم[3]، وهو فعلًا كذلك في لغة بني هلال، فتفخيمه مطلق دومًا، بل تعدّى تفخيمه في لهجتهم إلى حدّ إبداله صوتًا آخر أكثر جهرًا، هذا الصّوت هو الكَاف (الــگيم السّامية)، والسّامع لنطق قبائل بني هلال يلمس هذا بوضوح، لأنّه عام تقريبًا في كلّ قاف ينطقونها.

من هنا، يمكن القول إنّ إبدال السّين زايًا في لغة بني هلال، عند مجاورتها للقاف التي تنطق قــافًا، له ما يعلّله، فالسّين مهموسة ومرقّقة أُبدلت زايًا، وهي مجهورة لتقرب من القاف المجهورة المفخّمة "ڤ" فقالوا: (قــزَّانْ و زْڤِــيتْ) في "قسّان" و"سَقَيْت."

وقد عزي إبدال السين زايًا إلى قبائل كعب وعذرة، وهي قبائل بدوية كانت تقطن وسط شبه الجزيرة وشرقيها[4]، هذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على أنّ قبائل بني هلال قبائل بدوية، وإلا ما آثروا الأصوات المجهورة والمطبقة لما فيها من الوضوح.

فمردّ هذا الإبدال كلّه -أي إبدال الزّاي من السّين والصّاد- لا يعدو أن يكون ضربًا من قانون المماثلة، أو كما يسمّيه القدامى بــ"مضارعة الحرف بالحرف" أو "تقريب صوت من صوت" كما يبدو في قول سيبويه: "فإن كانت سين في موضع الصّاد وكانت ساكنة، لم يجز إلا الإبدال إذا أردت

---

[1] ابن يعيش: شرح المفصل م. س، ج10 ص52.

[2] ابن جني: سر الصناعة م. س، ج1 ص56 و278. وينظر ابن جني: الخصائص م. س، ج2 ص144. وسيبويه: الكتاب م. س، ج4 ص433.

[3] عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط1، 1998م، ص179.

[4] عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية م. س، ص176.

التّقريب"[1]، وكذلك في قول ابن جني: "وأمّا الصّاد التي كالزّاي فهي التي يقلّ همسها قليلا ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزّاي"[2]، ويقصد بالمضارعة إشراب السّين بعضًا من صوت الزّاي؛ أي أنّ هذا الإبدال لا نجده إبدالًا خالصًا في كلّ الحالات، فغالبًا ما يكون إشرابًا. (إشراب السّين بشيء من الزّاي).

– **إبدال الدّال من التّاء:** تبدل الدّال من التّاء في صيغة افتعل إبدالًا سماعيًّا، إذا كانت فاء الكلمة زايا، من ذلك قولهم في: ازدجرا، ازدار كما في قول الشاعر:[3]

أَلا كَعَهْدِكُم بِذِي بَقَرٍ* الحِمَى هَيْهَات ذُو بَقرٍ* مِنَ المِزْدَار

كما تبدل التّاء دالًا أيضًا عند مجاورتها للزّاي، كذلك تبدل عند مجاورتها الجيم، هذا ما يقوله ابن جنّي: " تُقْلَبُ تاء افتعل أيضًا دالًا مع الجيم في بعض اللّغات، قالوا: اجْدَمَعُوا في اجتمعوا، واجدزّ في اجتزّ، وأنشدوا:[4]

فَقُلْتُ لصاحبي: لا تَحبِسَانَا بِنَزْعِ أُصُولِه واجدزّ شيحا

وأضاف ابن جنيّ أنّه "لا يُقَاسُ إلا أن يُسمع، لا تقول في اجترأ: اجدرأ، ولا في اجترح: اجدرح."[5]

والرّأي نفسه نجده عند ابن فارس، أنّ هذا الإبدال يقتصر على السّماع، ولا يُقاس عليه، إذ يقول: "والدّال لا علّة لها إلا في لغة من يقلب التّاء دالًا"[6]، وروي عن الفرّاء أنّه قال: "قوم من العرب يقولون أَجْدَبِيكَ في موضع" أَجْتَبِيكَ"، يجعلون تاء الافتعال بعد الجيم دَالًا، ويقولون: اجدمعوا."[7]

---

[1] سيبويه: الكتاب م. س، ج4 ص433.

[2] ابن جني: سر الصناعة م. س، ج1 ص56.

[3] ابن جني: سر الصناعة م. س، ج1 ص185.

*ذو بقر: واد فوق الربذة، وقيل: تربة في ديار بني سعد.

[4] م. س: ج1 ص186. وينظر ابن يعيش م. س: ج10 ص49.

[5] م. س.ص.

[6] ابن فارس: الصاحبي م. س، ص109.

[7] م. س. ص.

أمّا في لغة بني هلال، فإنّنا نجد أهلها كذلك يبدلون الدّال من التّاء إذا جاورت التّاء الزّاي، أو الجيم، لكن ليس في صيغة افتعل وإنّما في صيغة الفعل المضارع "تَفَعَّل"، إذا كانت فاء الكلمة زايا أو جيمًا، ومع بعض الأفعال وليست كلّها، كما في قولهم:

(دْزَعْزَعْ) في تَزَعْزَع، إذا الشّيء تحرك في مكانه واهتزّ بقوة.

(دْجِي) في تجيء، حيث أسقطوا الهمزة المتطرفة، ثم أبدلوا التّاء دالًا.

(دْزَوَج، دْزَاوجُو) في تَزَوَّج- تَزَوّجوا، فهم يقولون:(مَا دْزَاوْجُو حْتَى تْشَابْهُو) وهو مثل شعبي شائع بالمنطقة.

(دَّفَـــقْ) في تدفّق. (دقْدَكْ) في تُدَقْدِقْ...

ويعدّ هذا الإبدال من قبيل تقريب الأصوات من بعضها، ذلك أنّ الزّاي مجهورة والتّاء مهموسة، والدّال أخت التّاء في المخرج، وأخت الزّاي في الجهر، فقرّبوا بعض الصّوت من بعض، فأبدلوا التّاء أشبه الحروف من موضعها بالزّاي.[1]

أمّا عن إبدالهم التّاء دالًا إذا جاورت الجيم، كما في قولهم: (دْجِي؟) في "أتجيء؟" فلأنّهم شبّهوا الجيم بالزّاي، فأبدلوا التّاء دالًا معها، ولعلّ ذلك مبالغة في تحقيق الاستخفاف، فالجيم مجهورة والتّاء مهموسة، فأبدلوا الدّال مكانها لما فيها من الجهر لتوافق جهر الجيم.

– **إبدال الياء من الحرف المضاعف:** لقد أبدلت الياء من الحرف المضاعف، فأبدلت من أصوات شتّى، وكثر إبدالها حتّى كاد يشمل كلّ الأصوات، إلا أنّ إبدالها على الرّغم من كثرته واتّساعه، يُوقَفُ فيه عند السّماع ولا يقاس عليه، ومن أمثلة هذا الإبدال ممّا ورد في كلام العرب، نورد قولهم: "دِيماس والأصل دِمَّاس بتشديد الميم لأنّ جمعه "دَمَامِيس" ومنهم من يجمعه على "دياميس" فلا يرى أنّ الياء مبدلة من الميم."[2] وأبدلت من الرّاء في قولهم: "قِيراط وشِيراز، فأصلهما "قِرَّاط" و"شِرَّاز" والذي يدل على أنّ الرّاء هي الأصل، قولهم في الجمع: قَرَارِيط وشَرَارِيز، ومنهم من يقول: شَوَازِير فيرى أنّ الياء منقلبة من الواو."[3]

---

[1] ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، قدم له وضبطه وعلق حواشيه وأعرب شواهده وفهرسه: أحمد سليم الحمصي ومحمد أحمد قاسم، منشورات دار جاروس، طرابلس، لبنان، ط1، ص708.

[2] ابن يعيش: ج10 ص26.

[3] سيبويه م. س: ج4 ص239. وينظر المبرد: المقتضب م. س، ج1 ص62.

وأبدلت من الجيم في قولهم: "دَيَاجٍ في جمع "دَيْجُوج" والأصل فيها "دَيَاجِيج"، أبدلت الجيم الأخيرة ياءً فصارت "دَيَاجِي بياءين، ثم حذفت الثّانية للتّخفيف، فقالوا: دَيَاج من قبيل المنقوص."[1] وأبدلت من العين في قولهم: "تَلَعَّيْتُ من تَلَعَّعْتُ من اللُّعَاعة."[2] وأبدلت من السّين في قولهم: "دَسَّيت من دَسَسَت مصدر دَسَّ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[3]، وهو من دَسَسَت. "كما أبدلت من النّون في قولهم: "تُقني* وكان الأصل: تُقْنن."[4]

وفي لغة بني هلال لم تبدل الياء من هذه الحروف فحسب، بل أبدلت من أصوات أخرى كثيرة، نقتصر على الظّاهر منها والأكثر استعمالًا وتداولًا:

فقد أبدلت من الميم في قولهم: (لَمِّيتْ) في ألمتُ بمعنى جمعت.

وأبدلت من الكاف في قولهم: (فَكَّيتْ) في فَكَكَتُ.

وأبدلت من الدّال في قولهم: (مَدَّيتْ) في مَدَدتُ، و(شَدَّيت) في شددتُ.

وأبدلت من الجيم في قولهم: (حَجَّيتْ) في حَجَجْتُ.

وأبدلت من السّين في قولهم: (دَسَّيتْ) في دَسَسْتُ، و(حَسَّيت) في أَحْسَسْتُ.

وأبدلت من الصّاد في قولهم: (قَصَّيتْ) في قَصَصتُ.

وأبدلت من الفاء في قولهم: (لَفَّيتْ) في لَففتُ (لففته بالغطاء).

وأبدلت من اللّام في قولهم: (ظَلَّيتْ) في ظَلَلتُ.

هذا الإبدال ما هو إلا هروبًا من ثقل التّضعيف وذلك بانتهاج المخالفة، أو ما يعرف بالمغايرة كسبيل للتخلّص من هذا الثّقل التي هي "جنوح أحد الصّوتين المتماثلين في الكلمة إلى أن ينقلب إلى صوت مغاير"[5] يغلب أن يكون هذا الصّوت المغاير من أصوات المدّ الطويلة (الألف، والواو، والياء)،

---

[1] ابن يعيش: ج10 ص26.

[2] السيوطي: المزهر م. س، ج2 ص468.

[3] سورة الشمس: الآية 10.

[4] السيوطي: م. س. ص

*فتقني: صارت في قنان من الأرض، وهي إكام ذات حجارة، الواحدة: قُنَّة.

[5] عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية م. س، ص139.

أو من الأصوات المائعة (اللّام، والرّاء، والميم، والنّون)، كإبدال أحد الأصوات المضعّفة في لغة بني هلال ياءً، والعلّة في هذا الإبدال "أنّ الصّوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضلي للنّطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود العضلي، يبدل أحد الصّوتين إلى الياء لأنّها لا تستلزم جهدا."[1] وقد فطن قدماء اللّغويين العرب لهذا الإبدال وكانوا يعبّرون عنه بـــ" كراهية التّضعيف" فقد عقد سيبويه لذلك بابًا في كتابه سمّاه "باب ما شذّ فأبدل مكان اللّام الياء لكراهية التّضعيف وليس بمطّرد"[2]، وفسّره ابن جني في "باب العدول عن الثّقيل إلى ما هو أثقل منه، لضرب من الاستخفاف... وذلك أنّه أمر يعرض للأمثال إذا ثقلت لتكريرها، فيترك الحرف إلى ما هو أثقل منه، ليختلف اللّفظان فيخفّا على اللّسان."[3]

فإبدال الياء من الصّوت المضعّف ما هو إلا طريق للفرار من ثقل اجتماع الصّوتين المتماثلين، وقد اشتهر عند القبائل البدوية دون سواها، فقد جعل سيبويه "الفكّ لغة أهل الحجاز، والتّضعيف لغة بني تميم، حتّى إنّهم بالغوا في ذلك فكانوا يدغمون المجزوم، فيقولون مثلا: (لم يردّ) في لم يردد"[4]، ممّا يدل أنّ البداوة سمة قبائل بني هلال.

2.1.1مظاهر الإبدال اللغوي:

أ) إبدال الأصوات الحلقية:

– من صور إبدال الهمزة إبدالها عينًا، وهو ما اصطلح عليه القدامى بـــ"العنعنة" وقد شاع في قبيلة تميم وقيس وأسد[5]، واستمرّت هذه الظّاهرة إلى يومنا هذا في لغة بني هلال، وهو إبدال جائز للقرابة الصّوتية بين الهمزة والعين، ومن أمثلة إبدال الهمزة عينًا في كلامهم –وهي كثيرة– نذكر قولهم:

---

[1] م. س: ص210.

[2] سيبويه: الكتاب م. س، ج2 ص401.

[3] ابن جني: الخصائص م. س، ج3 ص18.

[4] سيبويه: ج3 ص530.

[5] الأزهري: تهذيب اللغة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، دط، دت، ج1 ص111. وينظر تاج العروس، ج9 ص282 والجمهرة: ج1 ص160.

(لقُرْعَان) في القرآن، (لْعَاجَل) في الأجل، (لْعَذَان) في الآذان، (عِرَان) في إيران، (لْعُمَّه) في الأمّة، (عَلْفْ) في ألف،....

وقد تناول كثير من الباحثين المحدثين هذه الظّاهرة، وخلص معظمهم إلى أنّها مبالغة في تحقيق الهمزة، وأنّ الذي حدث في ظاهرة العنعنة هو ميل القبائل التي نسبت إليها إلى جهر الهمزة لتكون أكثر وضوحًا في السّمع، والهمزة إذا جُهِرت تحوّلت إلى عين؛ لأنّها أقرب الأصوات المجهورة منها مخرجًا؛ إذ تخرج الهمزة من الحنجرة، والعين من الحلق، والفرق بينهما أنّ الهمزة لا يمكن وصفها بجهر أو همس، أمّا العين فمجهورة."[1] هذا يؤكّد أن النّحاة القدامى قد وُفِّقوا إلى حدّ كبير في تفسيرهم لظاهرة العنعنة، كما يبدو في قول سيبويه: "فأقصاها مخرجًا الهمزة، ومن أوسط الحلق مخرج العين."[2]

وهذا الإبدال لا نستغربه، فالقبائل التي نُسبت إليها هذه الظّاهرة من القبائل البدويّة التي تؤثر الأصوات المجهورة، لأنّ هذه الأخيرة أقوى جرسًا من المهموسة وأوضح في السّمع، والرّجل البدويّ بطبيعته يميل إلى الإظهار، والعين هي الأنسب لهذا، ثمّ أنّها أقصد من غيرها في الجهد العضلي، وهو أمر تُجيزُه القوانين الصوتية.[3]

– أيضًا وجدنا أنّ الهمزة في لغة بني هلال تُبدل هاءً في مواضع عديدة من كلامهم، نحو قولهم:

(هَلِيكْ) في إليك ما يفعله ذلك الإنسان، أو أنظر إلى ما يفعله.

(هْرَقْ لْمَا) في أراق الماء.

(يْزْهَرْ) في يزأ، وهذه الكلمة ترد في المثل الشّعبي الذي يتردّد على ألسنتهم: (سْبَعْ يَزْهَرْ ولْحْمَارْ مْتْلَـــةِ يهْ)....

ونجد مثل هذا الإبدال في كلام العرب، فقد روى الأصمعي أنّ هناك من يقول: "أَيَا فلان وهَيَا فلان."[4] وحكى الفرّاء: "هرقت الماء فهو مهراق، في أرقت الماء فهو مراق، إذا صبّه"[1]، وروي أنّ

---

[1] عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية م. س، ص132.

[2] سيبويه: الكتاب م. س، ج4 ص433.

[3] الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، مكتبة دار الشرق، ط3، دت، ص200، وينظر: في اللهجات العربية: ص111. واللهجات العربية نشأة وتطورا: ص171.

[4] كمال ربحي م. س: ص113.

بعض القبائل تقول: "لهنّك قائم" بدل لأنّك قائم، وأخرى تقول: "هات مكان آت"، ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن جني أنّ طيِّئ تقول: "هِنْ فعلت" يريد: إن فعلت.[2]

كما روي أنّ مثل هذا الإبدال ورد في القراءات القرآنية لاسيما الشّاذة منها، فقد قرأ أبو السّواد الغنوي قوله تعالى: "وَهِيَّاكَ نَسْتَعِين"[3] بإبدال هَمزة ﴿إِيَّاكَ﴾.[4]

ومسوّغ هذا الإبدال أنّ الهمزة أخت الهاء في المخرج فلا غرابة إذن من إبدالهما.

– ومن مظاهر الإبدال التي شاعت بين القبائل العربية القديمة وامتدّت وشاعت في اللّهجات المعاصرة إبدال العين حاء، الذي سمّاه القدامى الفحفحة، على أنّه إبدال الحاء عينًا[5]، وقد ذاع في قبيلتي هذيل وثقيف فنُسب إليهما[6]، لكن في لغة بني هلال نجد هذه الظّاهرة وعكسها، أي إبدال العين من الحاء، والحاء من العين، فهو كثير، ومن أمثلة ذلك قولهم:

(صَعْفَه) في صحفة، التي يوضع فيها الأكل[7]، و في لغة بني هلال هي التي تحمل فيها الأغراض والحاجيات والمشتريات.

(عْصِيرَه) في حصيرة[8]، جمع حصائر: وهي الحصير المنسوج من القصب أو من سعف النّخل أو الحلفة، تبسط على الأرض.

(عْتَى) في حتّى كما في قولهم: (عْتَى نْجِي ونْفَهْمَكْ) أي؛ حتّى أجيء وأفهمك.

(فْعَصْ) في فحص، إذا داس الأرض برجله أو وطئها بقدميه.

---

(1) الاستربادي: شرح الشافية م. س، ج3 ص199.

(2) ابن جني: سر الصناعة م. س، ج2 ص203.

(3) سورة الفاتحة: الآية 5.

(4) إبراهيم السامرائي: التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس، ط2، 1981، ص59.

(5) ابن جني: سر الصناعة م. س، ج 1 ص209.

(6) ابن جني: سر الصناعة م. س، ج 1 ص209.

(7) ينظر ابن منظور م. س: مادة (صحف).

(8) ينظر م. س: مادة (حصر).

ومن أمثلة هذا الإبدال في لهجات العرب قولهم: "عصد الرجل إذا مات في حصد"[1]، وروي عن ابن مسعود (ت 32 ه) أنّه قرأ قوله تعالى: ﴿ ء ، حِين﴾[2] "عَتَّى حِينْ" وأنكر عمر -رضي الله عنه- هذه القراءة وحثّ ابن مسعود على إقراء النّاس بلغة قريش، فقال: "إنّ الله عزّ وجلّ أنزل هذا القرآن، فجعله عربيًّا، وأنزله بلغة قريش، فأقرئ النّاس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسّلام."[3]

أمّا عن إبدال الحاء من العين فجاء في قولهم:

(لْحْصَا) في العصا. (لْحْسَلْ) في العسل. (يَحْفَسْ) في يعفس، إذا وطئه بقدمه.[4] (مَحْفُون) في معفون، معفون، من العفن....

كما نجدهم يبدلون العين حاء إذا وليها ضمير الهاء، حتّى إذا التقى المتقاربان الحاء والهاء أدغموهما، نحو قولهم: (بَاحَّا) في باعها. (صْبَحَّا) في أصبعها. (نْتَاحَّا) في متاعها أي ملكها (أبدلوا الميم نونا).

(كْرَاحَّا) في كراعها.[5] (وْسَّحَّا) في وسعها....

وهاته الألفاظ يمكن أن تكون قد تطوّرت بهذا الشّكل:

(بَاعْهَا ⟵ بَاحْهَا ⟵ بَاحَّا).

أو أنّ الهاء هي الأخرى قد أُبدلت حاء، فالتقي المثلان وبالتّالي تسهل عملية الإدغام، أي أنّ عمليتا الإبدال والإدغام تتمّان على النّحو التّالي:

كْرَاعْهَا ⟵ كْرَاحْهَا ⟵ كْرَاحْحَا ⟵ كْرَاحَّا

وكان قد أشار بعض اللّغويين إلى تناوب الإبدال بين الحاء والعين لتقاربهما، وأنّ العرب تبدل أحد هذين الصّوتين من صاحبه فتقول: "ضبحت* الخيل وضبعت"[6]، و"حفضاج وعفضاج: إذا تفتّق

---

[1] أبو الطيب اللغوي: الإبدال م. س، ج1 ص246.

[2] يوسف: الآية 35، المؤمنون: الآية 25 و54، الصافات: الآية 174 و178، الذاريات: الآية 43.

[3] ابن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، دار التحرير، د ط، 1389هـ-1998م، ج1 ص343.

[4] ينظر ابن منظور: مادة (عفس).

[5] الكراع من الإنسان: ما دون الركبة إلى الكعب، ومن الدواب: ما دون الكعب. ينظر ابن منظور: مادة (كرع).

[6] السيوطي: المزهر م. س: ج1 ص466. *ضبحت الخيل: أسمعت من أفواهها صوتا ليس بصهيل ولا حمحمة.

وكثر حمه، وحنظى الرّجل وعنظى: إذا بذا في الكلام وأفحش"[1]، كما قرأ بعضهم في قوله تعالى: ﴿بُعثرَ مَا فِي ٱلقبُورِ﴾[2] بُحْثِرَ ما في القبور أي بُعْثِر."[3]

ومن أمثلة إبدال العين حاء إذا وليها الهاء، ما رُوي عن بني تميم أنّهم يقولون: "مَحُمْ في معهم، ومَحَاؤُلَاء، في مع هؤلاء"[4]، وذُكر أنّ من القرّاء من قرأ: "لَمْ أَحَّدْ إِلَيْكُمْ"[5] في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعهدَ إِلَيكم﴾[6]، وقد جاء على هذه اللّهجة قولهم: (دَحَّا معه) في: دعها معه.[7]

والمسوِّغ لهذا الإبدال بين الحاء والعين هو القرابة الصّوتية بين الصّوتين، فهما من مخرج واحد هو وسط الحلق، والفرق بينهما هو جهر العين وهمس الحاء، فالأمر لا يعدو أن يكون تعاقبًا لصوتين متناظرين في الجهر والهمس، فجاء المجهور مكان المهموس تارة، والمهموس مكان المجهور تارة أخرى، كلّ حسب النّطق الذي تعوّد عليه، وقد أصاب القدامى في تفسيرهم لهذا الإبدال، كما يبدو في قول ابن جني: "العرب تبدل أحد هذين الصّوتين من صاحبه، لتقاربهما في المخرج"[8]، وفي موضع آخر يقول:"ولولا بحّة في الحاء لأشبهت العين... ولأجل البُحَّة التي في الحاء ما يكرّرها الشّارق في تنحنحه، وحُكي أنّ رجلًا من العرب بايع أن يشرب علبة لبن ولا يتنحنح، فشرب بعضه، فلمّا كظّه الأمر قال: كبش أملح. فقيل له: ما هذا؟ تنحنحت؟ فقال: من تنحنح فلا أفلح، فكرّر الحاء مُسْتَرْوِحًا إليها لما فيها من البحّة التي يجري معها النَّفَس، وليست كالعين التي تحصر النّفس، وذلك لأنّ الحاء مهموسة ومضارعة بالحلقية والهمس للهاء الخفية، وليست فيها نصاعة العين ولا جهرها."[9] فالإبدال بين العين

---

[1] م. س. ص.

[2] سورة العاديات: الآية 9.

[3] ابن جني: المحتسب م. س، ج1 ص343.

[4] ابن جني: الصناعة م. س، ج1 ص241.

[5] الزركشي: البحر المحيط، ج7 ص343، وينظر عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية م. س، ص172.

[6] سورة يس: الآية 60. وذكر أنّ المقرئ هو يحي بن وثاب، وهو كوفي من موالي بني أسد.

[7] سيبويه: الكتاب م. س، ج 4 ص450.

[8] المحتسب: ج1 ص343.

[9] سر الصناعة: ج1 ص243.

والحاء وُجد فعلًا في لهجات العرب قديمًا، وامتداده في لغة بني هلال وذيوعه على ألسنة الناطقين بها يؤكّد ذلك.

وكنّا قد لاحظنا أنّ العين –في بعض المواضع– إذا جاورت الهاء أبدلت حاءً استثناءً، فهذا الإبدال حدث نتيجة هذا التّجاور، فالعين صوت مجهور حلقي، والهاء صوت مهموس حلقي، فتأثّر المجهور بالمهموس، وقُلب إلى نظيره المهموس وهو الحاء، وهو تأثّر رجعي، ثم تأثّرت الهاء وأُدغمت فيها، وهو تأثّر تقدّمي، والإبدال بين الهاء والعين ليس مستبعدًا، فهما صوتان متجانسان ومتناظران؛ أي أنّهما من مخرج واحد، إلا أنَّ الهاء مهموسة من أقصى الحلق، في حين العين مجهورة وهي تصدر من وسط الحلق.

– وعلى نمط الإبدال الحاصل بين الحاء والعين حدث بين صوتي الغين والخاء، وقد وجد في اللّهجات القديمة وإن لم يكن شائعًا وملقَّبًا، بدليل بقائه حتّى الآن في لغة بني هلال، نحو قولهم:

(يَخْسَلْ) في يغسل.

كذلك إذا جاورت الغين ضمير الهاء في لغة بني هلال فإنّها تبدل خاء، ولعلّ هذا الإبدال من باب الإدغام، لأنّ الإدغام لا يكون إلا بين متجانسين أو متماثلين، والغين والخاء صوتان متجانسان لأنّهما من مخرجين متقاربين.

(فَرَخَّا) في أفرغها.

(مَرَخَّا) في مرغها، مرّغ تمريغًا في التّراب تقلّب فيه، أو لمن أشبع شعره دهنًا[1]، وبالمعنى نفسه يتداول بني هلال هذه اللّفظة في كلامهم، فهم يقولون: (كْسْوَتَهْ مَرَخَّا فْتْرَابْ) أو (مَرَخَّا بْزِّيتْ).

أمّا إذا لم تتّصل هذه الكلمة بضمير الهاء، فينطقونها بالغين سالمة فيقولون: (مَرَّغْتْ شَعْرِي بْزِيتْ زِيتُونْ).

و لم أقف على إبدال مثل هذا في لهجات العرب، لكنّ ابن جني أشار إلى أنّه يمكن أن تكون الخاء أُبدلت غينًا في قولهم: "خَطَرَ بيده يَخْطُرُ، وغَطَرَ يَغْطُرُ، فالغين كأنّها بدل من الخاء لكثرة الخاء وقلّة الغين، وقد يجوز أن يكون أصلين إلا أنّ أحدهما أقلّ استعمالا من صاحبه"[2]، وهو إبدال تجيزه

[1] مرغ: أمرغه ومرّغه في التراب تمريغا فتمرّغ؛ أي معكه فتمعّك. والتمرّغ: التقلّب في التراب. ينظر ابن منظور: مادة (مرغ).

[2] ابن جني: سر الصناعة: ج1 ص243.

الدّراسات الصّوتية الحديثة، فهما من حيّز واحد، و"مخرجهما بين أدنى الحلق إلى الفم"[1] عند القدامى، إلا أنّ الغين مجهورة والخاء مهموسة، فهما صوتان متجانسان متناظران، والإبدال بينهما ليس بالغريب، فإذا جاورت الغين صوتًا مهموسًا أُبدلت حتمًا إلى نظيرها المهموس الخاء، من أجل تحقيق المماثلة والانسجام الصّوتي.

ب) الإبدال بين الأصوات اللّهوية:

- القاف واحدة من الأصوات التي أصابها التّطوّر، فبعد أن كان صوتا مجهورًا[2]، أصبح اليوم صوتا مهموسا في نطقنا الحالي[3]، وهو صوت مرقّق إذا كان مكسورًا، وشبه مفخّم إذا كان مفتوحًا أو جاور صوتًا مستعليًا، أمّا في لغة بني هلال فإنّهم لم يكتفوا بتفخيمه، وإنّما غلّظوه حتى صار "ڤـــافًا" (جيما مصرية)، ويصعب تحديد وحصر الكلمات التي يكون فيها هذا الإبدال، فهو إبدال عامّ تقريبًا في كلّ قاف تنطق، إلا في كلمات قليلة جدًّا، ممّا يدلّ أنّ البداوة ضاربة في قبائل بني هلال، وهي كسائر القبائل البدوية التي اشتهرت بحرصها الشّديد على تغليظ الأصوات، كقبيلة تميم[4]، واختيارها الأصوات المجهورة والشّديدة، لأنّها الأوضح في السّمع.

وقد ثبت في علم الأصوات الحديث، أنّ الصّوائت الأمامية عنّد النّطق بها يصعد أوّل اللسان نحو الحنك الأعلى، أو يهبط نحو قاع الفم، خلافًا للصّوائت الخلفية التي يصعد عند النّطق بها أقصى اللّسان أو يهبط[5]، والذي يحدث أنّ الصّوائت الأمامية تجذب الصّوت الذي مخرجه من أقصى الفم كالقاف والكاف إلى الأمام، وصوت القاف الذي مخرجه من اللّهاة إذا انجذب إلى الأمام في الفم خرج من وسط الحنك، أي من مخرج الجيم التي تناظر القاف في صفتي الجهر والشدّة، لكنّ نطق القاف كالجيم القاهرية في لغة بني هلال، يتمّ في غير الحالات التي تجاور القاف فيها الحركة الأمامية المرقّقة، فالتّفسير الصّوتي لهذا النّطق، هو أنّ القاف قريبة من مخرج الجيم القاهرية، فهذه الأخيرة تنطلق من أقصى

---

[1] سيويه: الكتاب م. س، ج4 ص433.

[2] سيبويه م. س: ج4 ص433.

[3] عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية م. س، 179.

[4] ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: مصطفى الشويمي، بيروت، دط، 1964م، ص54. وينظر ابن دريد: الجمهرة م. س، ج1 ص5.

[5] كمال بشر: علم اللغة العام –الأصوات، القاهرة، الطبعة الثانية، 1971م، ص85.

اللّسان، وما يقابله من أقصى الحنك؛ أي من نفس مخرج الكاف، أمّا القاف فهي من اللّهاة؛ أي من أسفل مخرج الكاف، حيث ينحبس الهواء باتّصال أدنى الحلق لاسيما في ذلك اللّهاة بأقصى اللّسان، ثم ينفصل عضوا النّطق مفاجئًا فيُحدِث الهواء صوتًا انفجاريًا شديدًا مجهورًا، هو صوت "الــقــاف" الذي ينطق كنطق الجيم القاهرية.[1] وقد ثبت هذا النّطق قديما عند قبيلة تميم، فهو مروي عنهم، بدليل قول ابن فارس (ت395): "فأمّا بنو تميم فإنّهم يلحقون القاف باللّهاة حتى تغلّظ جدًّا فيقولون: الــقــُوم في القوم، فتكون بين الكاف والقاف وهذه لغة فيهم."[2] مثلما أثبته ابن خلدون في زمنه عن بني هلال.[3]

لكن على الرّغم من ذيوع الجيم القاهرية على ألسنة أهل بني هلال حتّى إنّ السّامع لهم، لن يجد للقاف أثرًا إلا نادرًا في مقابل ما يسمع من صوت "الــقــاف"، إلا أنّنا نجدهم قد أبدلوه – أي القاف– كافًا في نحو قولهم:

(لْكفَا) في القفا. (لْكشُورْ) في قشور. (كصِيرْ) في قصير، ويكون هذا الإبدال عندما ترد اللفظة كنعت للمذكر أو للمؤنث، للفرد أو للجماعة (كصِيرْ، كصِيرَهْ، كصَارْ) أمّا إذا أرادوا المصدر نطقوها بكاف مفخّمة شبيهة بالجيم القاهرية فقالوا:(لــــــْقْــصْرِيَهْ).

(ارُكصِي) في ارقصي، القاف تبدل كافا في هذه الكلمة، إلّا إذا اتّصلت بياء المخاطبة أو تاء التّأنيث السّاكنة، وفي غيرها تسمع قافا مفخّمة.

(كتَلْ) في قتل، وهو إبدال عامّ في هذه الكلمة، سواء وردت مصدر (لْكْتِيلَهْ) في القتيلة، أو تصرّفت مع الضمائر (أنا نْكُتْلَكْ، أنتَ كْتْلَتْ، هو كْتْلَهْ، هم كْتْلُوهْ، نحن كْتْلَنَا).

(كْسَمْ) في قَسَّمَ، الشّيء جزّأه، وهي تسمع كافا في هذه الصيغة فقط، وفي غيرها تسمع قافا مفخَّمة (ثْكاسْمُ) في تقاسموا.

– وممّا ورد في لهجات العرب القديمة في إبدال الكاف من القاف، قولهم: "دَمَكَ يَدْمُكُهُ دَمْكًا، في دَمَقَ يَدْمُقُهُ دَمْقًا إذا كسر أسنانه"[4]. وقولهم:"كَهَرَ كَهْرًا في قَهَرَ قَهْرًا: الانتهار"[1]، كذلك قولهم:

---

[1] أحمد عبد الرحمن حماد: الخصائص الصوتية في لهجة الإمارات العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، ص32.

[2] الصاحبي م. س، ص54.

[3] ابن خلدون: العبر، ج1 ص768-769. مبارك الميلي، تاريخ الجزائر، ج2 ص189.

[4] ينظر ابن منظور: مادة (دمق).

"الكَحْط في القَحْط"[2]، وكُحّ في قُحّ[2] لأنّ الأرجح أن تكون "كحّ" بدل من "قحّ" لأنّه لم يرد قولهم في الجمع أكحاح، وإنّما قالوا: أقحاح فقط.

والمتمعّن في هذه الكلمات، يُلاحظ أنّ القاف جاورت أصواتًا مهموسة (الشّين، والتّاء، والفاء) ومنه كان لا بدّ من إبدال هذا الصّوت المفخّم، إلى صوت يقارب هذه الأصوات ويكون قريبًا من مخرج القاف، فكان صوت الكاف.

– ولمـــّا كان بنو هلال بدوًا، فإنّهم يجنحون دائمًا نحو الصّوت المفخّم، إذ لم يكتفوا فقط بإبدال القاف "قـــَافًا"، وإنّما امتدّ هذا الإبدال ليشمل صوت الغين المجهور وشبه مفخّم، فأبدلوه إلى صوت الـــقاف المفخّم، لأنّه الأقوى جرسًا، والأوضح في السّمع نحو قولهم:

(فَلَّـــقْ) في فَلغَ[3]، إذا الشّيء تهشّم، فهم يقولون لمن سقط على رأسه: (رَاصَهْ تْفَلَّـــقْ)، كذلك إذا سقطت بطّيخة من يد أحدهم وتهشّمت، يقولون: (لْبَطِيخَهْ تْفَلْـــقـــَّتْ).

وإن كان لم يؤثر أنّ هذا الإبدال قد حدث قديمًا، لأنّ القاف وُصِفَت بالجهر قديمًا، وهي اليوم صوت مهموس، فجنحوا إلى نظيرها المجهور الـــقـــَاف، وهو إبدال جائز لأنّهما متقاربان، فمع تباعد مخرجيهما إلا أنّهما متماثلان في الصّفات.

– ويوجد في بعض المناطق التي تتربّع فيها قبائل بني هلال، من يبدل الغين قافا مطلقا في كلّ الألفاظ التي يرد فيها هذا الصّوت، فهم لا يستطيعون نطق الغين في "غَيْر، غرق، غربال، غالي، غابة، يغمس..." فيقولون: (قَيْر، قرق، قربال، قالي، قابة، يقمّس...إلخ) مثلما هناك في بعض لهجات الخليج وجنوب العراق والسّودان من يبدل القاف غينا، يقولون: غاسم وغسط بدل قاسم وقسط.. حتّى أنّ هناك جماعة من جنوب العراق يبدلون القاف غينا والغين قافا.

ويعلّل بعض الدّارسين المحدثين، "أنّ نطق القاف نوعا من الغين أصل في لغات العرب"[4] بدليل أنّ هناك عدد من الألفاظ نجدها في معاجم الفصحى، بالغين المجهورة والقاف المهموسة مثل "غمس"[1]

---

[1] المزهر م. س، ج1 ص564.

[2] م. س.ص.

[3] فلغ: الفلغ: الشدخ. فلغ رأسه يفلغه فلغا: شدخه. ينظر ابن منظور: مادة (فلغ).

[4] عبد المجيد عابدين، من أصول اللهجات العربية في السودان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، طبعة 1989م، ص48.

وردت مرة في باب حرف الغين "غمس" ومرة في باب حرف القاف "قمس" وكذلك: "غثم"[2] و"قثم"[3] وهذه شواهد قويّة تؤكّد أنّ نطق القاف نوعا من الغين أو مشوبة بالغين أو حتّى إبدالها غينا، كان سائدا ومعروفا بين بعض قبائل الجزيرة العرب.

ج) إبدال الأصوات الشّجريّة: وتضمّ الجيم والشّين والياء.

– الجيم من أصوات هذه المجموعة التي أصابها التطوّر، فبعد أن كان صوتًا شديدًا، نجده قد تحوّل في لغة بني هلال إلى صوت معطّش، أي مركّبًا من الدال والجيم، فهو ينطق "**دج**"، وهذا الصّوت المزدوج بدوره أصابه الإبدال، حيث وجدناه قد أبدل إلى "**دز**" محافظًا بذلك على جهره، ويبدو هذا واضحًا في بعض الكلمات الموجودة والمتداولة بيننا إلى اليوم، نحو:

(دْعَزْ) في ذعج[4]، إذا دفع أحدهم الآخر بشدّة فيقول عنه: (فْلَانْ دْعَزْنِي)، وهي لا تُسمع إلّا بهذا النّطق، بإبدال الذال دالا كذلك، والمعنى نفسه في الفصيح.

(عْزَاجْ) في العجاج، و هو الغبار الذي تثيره الريح.

(زَحْشْ) في جحش.

(زَّنْشْ) في جنس، هناك من ينطقها بهذه الصّيغة كذلك.

ونجد الجيم تُنطق في بعض الأحيان معطّشة، حيث تُحوّل إلى صوت مزدوج مركّب من دال وجيم (دج) كقولهم:(دْجَلْبَانْ) في الجلبان، لكنّهم يبدلون هذه الجيم زايًا في بعض الكلمات، فيبدل الصّوت المركّب من الدّال والجيم (دج) إلى صوت آخر مركّب من دال وزاي (دز)، كما في قولهم:

(دْزَايَرْ) في الجزائر، فهم ينطقونها (دجزاير) بإسقاط الهمزة، ثم يبدلون الجيم زايًا حتّى إذا التقى المثلان أدغموهما، أي على النحو التالي:

---

[1] قمس في الماء يقمس قموسا، وقمسه هو فانقمس اي غمسه فيه فانغمس. وفي الحديث: أنه رجم رجلا فصلى عليه، وقال إنه الآن لينقمس في رياض الجنة.» ويضيف:» القمس،الغوص، والقامس والقماس: الغواص، والقاموس: قعر البحر

[2] وغَثَمَ لَهُ مِنَ الْمَالِ غَثْمةً إِذَا دفَع لَهُ دُفْعة، وَمِثْلُهُ قَثَمَ وغَذَمَ .وغَثَمَ لَهُ مِنَ العَطِيَّة: أَعطاه مِنَ الْمَالِ قِطْعَةً جَيِّدة. ابن منظور: مادة (غثم).

[3] وقَثَم لَهُ مِنَ العطاء قَثْماً :أكثَر، وَقِيلَ: قَثَم لَهُ أَعْطَاهُ دُفعة مِنَ الْمَالِ جيِّدة مِثْلَ قَذَمَ وغَذَمَ وغَثَمَ. وقُثَم: اسْمُ رَجُلٍ مُشْتَقٌّ مِنْهُ، وَهُوَ مَعْدُولٌ عَنْ قاثِم وَهُوَ المُعطي. وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا كَانَ كَثِيرَ العَطاء: مائحٌ قُثَمُ. ابن منظور: مادة (قثم).

[4] ينظر ابن منظور: مادة (ذعج).

جزائر ⟵ ~~دْجَزَايَرْ~~ ~~دْزَزَايَرْ~~ دْزَّايَرْ

(بْزَّافْ) في بالجزاف، المبالغة في الشيء، ثم تطوّرت الكلمة على النحو الذي أبدلوا فيه كلمة (الجزائر)، حيث أُبدلت الجيم زايًا ثم أدغمت بعد ذلك، إلا أنّهم أسقطوا الدال لكثرة استعمال هذه الكلمة.

بالجزاف ⟵ بالدُجُزَاف ⟵ بالدززاف ⟵ بْزَّاف

لعلّ مردّ هذا الإبدال في هاتين الكلمتين راجع إلى جنوحهم نحو التّخفيف والتّسهيل. فعند نطقهم لصوت الجيم المعطّشة، التقت الأصوات المجهورة "الدّال، والجيم، والزّاي" فأُبدلت الجيم زايًا، حتّى إذا التقى المثلان أدغموهما، وبالتّالي يسهل نطق الكلمة. أو أنّ هذا الإبدال حدث لمجاورة الجيم لصوت أسلي "الزّاي"، كما أشار إلى ذلك أحد المحدثين من "أنّ الجيم إذا اتّصلت باحدى الأصوات الأسلية؛ أي السّين والزّاي والصّاد أو حرف الشأشأة وهو الشّين،... وقع الإبدال للإدغام أو التّقريب، من ذلك "بالجزاف" في الفصحى التي تصير "بزَّاف"، ومنه لفظ "الجزائر" الذي صار إلى "ادزاير"[1]، ثم أنّ إبدال الجيم زايًا تجيزه الدّراسات الصّوتية، مع أنّ الزّاي والجيم متباعدان مخرجًا، إذ الزّاي صوت أسناني لثوي، أمّا الجيم فصوت غاري من وسط الحنك، لكن لاشتراكهما في بعض الصّفات كالجهر والتّرقيق، جعل العلاقة قائمة بينهما، وقد تعاقبا في كلام العرب قديمًا نحو قولهم:

"الهزف والهجف"[2]، وكذلك قول بعض العرب: "أجمعتُ المسير وأزمعته أي عزمت عليه."[3]

- وأُبدلت الجيم في لغة بني هلال جيمًا قاهرية في بعض المواضع من كلامهم، نحو قولهم:

(زْلَـقْ) في زلج، إذا خفّت القدم على الأرض وأسرعت.

(فْـــةْـــعَهْ) في فاجعة، ما يترل بالإنسان من ألم أو مصيبة أو حزن عظيم.

(قْـــنَسْ) في جنس أي العرق أو النوع.

وقد جاء هذا الإبدال في لهجات العرب القديمة، من ذلك ما ذكره النّحاة القدامى على أنّه أكثر ما يكون في الأسماء المعرّبة، كما يبدو في قول سيبويه: "يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم،

---

[1] جان كانتينو: دروس في علم الأصوات العربية: ترجمة: صالح القماوي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1966م، ص93.

[2] الهجف: الظليم الجافي. وقيل: الظليم المسن. أو هو الطويل الضخم. ومثله الهزف. ينظر ابن منظور مادة (هجف).

[3] ابن سيدة م. س: ج13 ص287.

الجيم لقربها منها و لم يكن إبدالها بدّ، لأنّها ليست من حروفهم، وذلك نحو: الجُرْبُزِ[1] والآجرِّ والجوْرَبِ[2]، وربّما أبدلوا القاف لأنّها قريبة أيضًا، قال بعضهم: قُرْبزٌ وقالوا: كُرْبقٌ وقُرْبقٌ، ويبدلون مكان آخر الحرف الذي لا يثبت في كلامهم، إذ وصلوا الجيم، وذلك نحو كوسه وموزه، لأنّ هذه الحروف تبدل وتحذف في كلام الفرس، همزةً مرّة، وياءً مرّة أخرى، فلمّا كان هذا الآخر لا يشبه أواخر كلامهم، صار بمنزلة حرف ليس من حروفهم. وأبدلوا الجيم، لأنّ الجيم قريبة من الياء وهي من حروف البدل، والهاء قد تشبه الياء، ولأنّ الياء أيضًا قد تقع آخرةً. فلمّا كان كذلك أبدلوها منها، كما أبدلوها من الكاف."[3] ويضيف مؤكّدًا القرابة بين الجيم والــقَاف قائلا: "وجعلوا الجيم أولى، لأنّها قد أبدلت من الحرف الأعجمي الذي بين الكاف والجيم، فكانوا عليها أمضى، وربّما أدخلت القاف عليها كما أُدخلت عليها في الأوّل، فأشرك بينهما وقال بعضهم: كَوْسَقٌ[4]، وقالوا: كُرْبَقٌ[5]، وقالوا: قُرْبَقٌ"[6]. وكنّا قد رأينا كيف أنّ لهجة بني هلال أبدلت القاف "قــافًا" بشكل مطلق تقريبًا، وتعدّى هذا الإبدال ليشمل صوت الجيم.

فالإبدال بين الجيم والــقــاف إذن، راجع إلى القرابة الصّوتية كما يبدو في قول سيبويه، وكما جاء على لسان ابن فارس، أنّه سمع ابن دريد (ت 321 ه) يقول: "حروف لا تتكلّم بها العرب إلّا ضرورة، فإذا اضطّروا إليها حوّلوها عند التكلّم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها"[7]، من ذلك، الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم، التي نصّوا على أنّها " لغة سائرة في اليمن مثل **جمل** إذا اضطروا قالوا: **ڤَـــــــــمَل**."[8] وهذا الرأي يتّفق مع ما أقرّه بعض المحدثين، إذ تبيّن بعد مقارنة

---

[1] جربز والقربز: رجل قربز بالضم من الجربزة بالفتح: أي خب. ينظر الصحاح: مادة (جرب).

[2] الجورب: تقول: جوربته فتجورب أي ألبسته الجورب فلبسه. ينظر الصحاح: مادة (جرب).

[3] سيبويه: الكتاب م. س، ج4 ص 305.

[4] الكوسق – الكوسج: وهو الأثطُّ، أو الذي لا شعر على عارضيه، وهو بالفارسية.

[5] كربق: يقال للحانوت: كربج وكربق، وهو فارسي معرب. ينظر ابن منظور مادة (كرب).

[6] م. س: ج4 ص305.

[7] ابن فارس م. س: ص57.

[8] ابن فارس: م. س. ص.

اللّغات السّامية، أنّها لا تحتوي على هذا الصّوت كما هو موجود في اللّغة العربية الآن، وإنّما الذي يوجد فيها هو ذاك الصّوت المجهور الشّديد الذي" يتكوّن عند سقف الحنك الصلب الغاري Palatal "[1] ويرمز إليه ب (گ)[2]، نطقه يكون بغير تعطيش، شبيه كلّ الشّبه بالجيم القاهرية، فمثلا كلمة "جمل" في العربية هي في العبرية Gàmàl وفي الأرامية Gamla والحبشية Gamal."[3]

وحتّى القدامى لا نجد منهم من أشار إلى الجيم المعطّشة عند وصفهم له، فالكلّ أجمع على أنّ مخرجه" من وسط اللّسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى."[4] فالجيم أدخل في الفم، فهو الصّوت الذي كان سائدًا في عرفهم –على ما يبدو– وهو شبيه بنطق الجيم القاهرية (g)، وقد أشار سيبويه إلى هذا بقوله: "الجيم التي كالكاف."[5]

هذا التّفسير، استطاع إبراهيم أنيس البرهنة عليه بقيامه بعملية إحصائية بيّنت له حركة الجيم في العربية، فهو يقول: "ولذلك قمنا بعملية إحصائية للكلمات القرآنية التي تشمل على الجيم بوصفها فاء للكلمة، فوجدناها على حسب ما جاء في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محرّكة بالفتحة 1107 مرّة، ومحرّكة بالكسرة 157 مرّة، ومحرّكة بالضمّة 102 مرة."[6]

بهذا استطاع أن يثبت أنّ أصل الجيم العربية هي الجيم غير المعطّشة، وصرّح بذلك معلّلا: "لسنا ندهش حين تتطوّر –الجيم– من صوت خال من التّعطيش إلى صوت معطّش، لأنّ الحركة الأمامية قد اجتذبتها إلى الأمام، وأصبح مخرجها أقرب إلى وسط الحنك، بعد أن كان أقصى الفم؛ لذلك نرجّح أنّ الجيم الخالية من التّعطيش هي الأصل، وقد بقيت على هذا الأصل السّامي في اللّغات السّامية الأخرى

---

[1] كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، منشورات جامعة الرياض، 1977م، ص48.

[2] (گ)=(ڤ). أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، توزيع عالم الكتب، ط3، 1985م، ص289.

[3] برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، تصحيح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط2، 1994م، ص88.

[4] سيبويه م. س: ج4 ص432. وينظر الاستربادي: شرح الشافية م. س، ج3 ص250.

[5] كمال بشر: الأصوات م. س، ص126.

[6] ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص82.

كالعبرية والسّريانية، أمّا في العربية فيبدو أنّها تطوّرت إلى التّعطيش، ثمّ زادت نسبة التّعطيش مع الزّمن، حتّى صارت على النّحو المألوف لنا في بلاد الشام والمغرب."[1]

فإذا كان ما توصّل إليه المحدثون بتفسيراتهم، وتطبيقاتهم المقارنة، والإحصائية يؤكّد الرّأي القائل، أنّ الجيم السّامية هي الأصل في النّطق العربي ، وهم معتمدين في ذلك على تلك الآثار اللّغوية، فلا مجال إذن إلى استطراد أكثر في تعليل إبدال الكَيم (الــقــاف) من الجيم في لغة قبائل بني هلال.

- من صور إبدال الجيم أيضا في لغة بني هلال: إبدالها من الياء والشّين، وإبدالهما منها، وهو إبدال جائز تسوّغه الدّراسات الصّوتية الحديثة، فهي أصوات متجانسة تتحدّ مخرجًا وتختلف صفةً، وقد اتّفق في هذا القدامى والمحدثون، فمخرج الجيم كما حدّده القدامى من "وسط اللّسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى[2] وضمّوا إليه الشّين والياء، ونعتوا المجموعة كاملة بالحروف الشّجرية، لأنّ مبدأها من شجر الفم أي مخرجه"[3]، واستقرّ بعض الدّارسين المحدثين على هذا الوصف الموروث دون أي تغيير، فنصّوا على "أنّ الأحرف الشّجرية ثلاثة: الجيم والشّين والياء غير المدية، ومخارجها متقاربة ونسبت إلى شجر الفم، وهو ما بين وسط اللّسان وما يقابله من الحنك الأعلى."[4]

فقد أبدلت الجيم ياء عند بعض بني تميم، فهم يقولون: "الصّهريّ والصّهاريّ، في الصّهريج والصّهاريج"[5]، وما تزال هذه الظّاهرة شائعة في عصرنا الحاضر في بعض مناطق الجزائر كقولهم: (مسيد) في مسجد، وفي لغة بني هلال وجدنا قولهم: (سكريّة) في "سكرجّة"[6] وهي طبق خاصّ بالسّكر.

---

[1] م. س: ص82-83.

[2] سيبويه م. س: ج4 ص433.

[3] ينظر مقدمة كتاب العين للفراهيدي: تحقيق عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد، دط، 1967م، ج1 ص85.

[4] صبحي صالح: دراسات في فقه اللغة، بيروت، لبنان، ط9، ص279. وينظر: عبد الواحد وافي: فقه اللغة، لجنة البيان العربي، 1381هـ- 1963م، ص160.

[5] رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ- 1987م، ص132- 133.

[6] إِناءٌ صغير يؤْكل فيه الشّيء القليل من الأُدْمِ، وهي فارسية وأَكثر ما يوضع فيها الكَوامِخُ ونحوها. ينظر ابن منظور: مادة (سكرج) وينظر الثعالبي: فقه اللغة وأسرار العربية: ص198.

وحدث عكس هذه الظّاهرة في لهجات العرب قديما، فأبدلت الجيم من الياء المشدّدة في الوقف نحو قولهم: "علج في عليّ، وتميمج في تميمي."[1] وأُبدلت الجيم من الياء المخفّفة أيضًا، نحو قول الرّاجز:[2]

يَارَبّ إِنْ كُنْتَ قَبِلْتَ حُجَتِجْ
فَلَا يَزَال شَاحِج يَأْتِيكَ بِجْ

يريد: حجّتي، وبي.

ويعرف هذا الإبدال بالعجعجة وينسب إلى "طيِّئ وبعض بطونها كبني دبير، وبعض أهل اليمن وقضاعة، وتميم وبعض بطونها كفقيم وحنظلة وسعد بن مناة"[3] وهذه الظّاهرة ما تزال ممتدّة إلى يومنا هذا في لغة بني هلال وإن لم تكن شائعة، وكنّا قد وقفنا على نموذج واحد فقط في قولهم: (جَرْبُوع) في "يربوع"[4]، وقد علّله بعض النّحاة القدامى بخفاء الياء في الوقف، فأبدل منها صوت أبين منها وأوضح في السّمع ليوقف عليه.[5]

أمّا تفسير هذه الظّاهرة وعكسها يعود -كما سبق وأن ذكرنا- إلى القرابة الصّوتية، فهما يشتركان مخرجًا وليس بينهما من فرق سوى في درجة انفتاح مجرى الهواء عند المخرج؛ "إذ ينحبس الهواء تماما مع الجيم، ثم ينفصل العضوان ببطء، ممّا يسمح بحدوث احتكاك للهواء بالمجرى، في حين يقترب العضوان فيسبّبان تضييقًا للمجرى دون حدوث احتكاك واضح للهواء"[6]، فالفرق الوحيد إذن، هو أنّ الجيم تجمع بين الشدّة والرّخاوة، وأنّ الياء متوسّطة، أي أنّ احتكاكها لا يكاد يشعر به، زيادة على أنّهما يشتركان في الجهر والانفتاح والتّسفّل، وقد عبّر عبد الصّبور شاهين عن هذه المسألة

---

[1] ثعلب أبو العباس: مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط1، 2006م، ج1 ص117. وينظر ابن جني: سر الصناعة م. س، ص 176. وابن يعيش م. س: ج10 ص50.

[2] م. س. ص.

[3] ثعلب أبو العباس: ج1 ص117. وينظر سر الصناعة: 176. وشرح المفصل: 50/10.

[4] اليربوع نوع من الفأر. ينظر ابن منظور مادة (ربع).

[5] سيبويه م. س: ج4 ص182.

[6] عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية م. س، ص176-177.

بقوله: "كلّما بعدت المسافة بين ظهر اللّسان وسقف الحنك اقتربت الياء من الجيم، وهذا هو الذي يفسّر ما أُثِر عن العرب من العجعجة[1]، ويعدّ النّطق بالجيم أقوى من النّطق بالياء، لهذا فمن المؤكّد أنّ الذين أبدلوا الياء جيمًا من البدو، لأنّ القبائل التي نسبت إليها الظّاهرة بدويّة.

- كذلك أبدلت الجيم شينا خالصة في منطوق بني هلال فقالوا:

(اشْتَمْعُو) في اجتمعوا. (لْوَشْ) في الوجه. (شْحَا) في حجا، بطل النّوادر والخرافات.

(بْشَّهْ) في بجّه[2] التي ترد في الفصيح بمعنى شقّه، وبنفس المعنى توظّف في لغة بني هلال، فلا شكّ أن تكون مبدلة من "بَجَّ" فهم يقولون: (فْلانْ بْشَّشْ سْرْوَالَهْ) إذا شقّه، و(فْلانَهْ بْشَّتْ شْعَرْهَا) إذا قطّعته.

(هْبَشْ) في هبج[3] أي الضّرب بالعصا في الفصيح، وبالمعنى نفسه توظّف الكلمة في لغة بني هلال، بعد أن أبدلوا الجيم شينًا وأتّبعوه بإبدال الحاء هاء حتى يعمل اللّسان في مستوى واحد، لأنّ "هبش" في الفصيح تعني الكسب والجمع.[4]

وقد أبدلت الشّين من الجيم في كلام العرب قديمًا، كما ورد في قول أحد الرجّاز:

"إذ ذَاكَ إِذْ حَبْلُ الوِصَالِ مُدْمَشُ." إنّما أراد: مُدْمَج[5]، فالشين بدل من الجيم."[6]

وما قيل في تفسير الإبدال بين الجيم والياء، يقال عن الإبدال بين الجيم والشّين، فالقرابة الصّوتية التي تجمعهما تؤيّد هذا الإبدال، فالجيم من وسط اللّسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى والشّين على حالها، غير أنّ لتفشّيها طال مخرجها حتّ لامست اللّثة، فالهواء عندما يمرّ بالحنجرة مندفعًا لا يحرّك الوترين الصّوتيين، وعند الالتقاء في نقطة المخرج يسمع هذا الصّوت متفشّيًا.[7] ويشترك الجيم والشّين

---

(1) عبد الصبور شاهين: في التطور اللغوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1985م، ص62.

(2) ينظر ابن منظور: مادة (بجج).

(3) م. س: مادة (هبج).

(4) م. س: مادة (هبش).

(5) مدمج: أدمج الحبل أجاد فتله. وقيل: أحكم فتله في رقّة. ينظر اللسان مادة (دمج).

(6) ابن جني: سر الصناعة: ج1 ص205.

(7) عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية م. س، ص178.

والشّين في الانفتاح والتّسفّل، كما أنّها تعدّ النّظير المهموس للجيم، وحدث مثل هذا الإبدال على لسان بعض العرب حيثما تجاور الجيم التّاء، فيقولون: "يشتفي والأصل يجتفي[1]، وفي يجتمع يشتمع، وكذا يقال في وجهه وشهه."[2]

-كما وجدنا أيضا أنّ الشّين أبدلت صادًا في لغة بني هلال، وذلك في قولهم:
(صَجْرَه) في شجرة، ومثل هذا الإبدال ورد على لسان بعض العرب، فقالوا: "فَقَشْتُ البيضة أَفْقُشُهَا فَقْشًا، وفَقَصْتُهَا أَفْقُصُهَا فَقْصًا بمعنى واحد"[3]، وقالوا:"قَفَشْتُ الشّيء أَقْفَشُهُ قَفْشًا، وقَفَصْتُهُ أَقْفَصُهُ قَفْصًا: إذا جمعته."[4]

وكذلك قالوا لضرب من البُسْر ضعيف النّوى لا يَرْطُب: الشِيشُ والشِيصُ، والشَيْصَاءُ والشَيْشَاءُ، على نحو قول الشّاعر:[5]

أَنْ أَنْعِم مَأْكُولًا على الخَوَاءِ يَا لَكَ مِنْ تَمْرٍ ومِنْ شِيشَاءِ

وقول آخر:[6]

يَتَمَسَّكُون مِنْ حِذَارِ الإِلْقَاء بِتَلْعَات كَجُذُعِ الشَّيْصَا (بتخفيف همز الشّيصاء)

نقول عن هذا الإبدال: إنّه يعدّ أثرًا من آثار قانون المخالفة، الذي يعمد إلى صوتين متماثلين تمامًا فيغيّر أحدهما إلى صوت آخر، طلبًا للتّخفيف؛ لأنّ الإنسان بطبعه يجنح دوما نحو الأسهل والأيسر، وأدرك قدماء اللّغويين العرب هذه الظّاهرة، وكانوا يعبّرون عنها بكراهية التّضعيف أو كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد، والشّين والجيم من جنس واحد، فهما يتّفقان مخرجًا -صوتان شجريان- يختلفان صفةً، الجيم مجهورة والشّين مهموسة، ولأنّهم يؤثرون الأصوات المجهورة أبقوا الجيم وأبدلوا الشّين بصوت وإن باعدها مخرجًا، فهو يقاربها صفة وتتوفّر فيه صفة التّفخيم التي تحبّذها قبائل بني هلال.

---

[1] يجتفي: يميل، لم يلزم مكانه. ينظر ابن منظور: مادة (جفا).

[2] أحمد حسن: لهجات اليمن قديما وحديثا، مطبعة الجبلاوي، دط، 1970م، ص46.

[3] كمال ربحي م. س: ص136.

[4] م. س.ص.

[5] ينظر ابن منظور: مادة (شيص).

[6] م. س.ص. إنّما أراد أنّهم يتمسكون بخيزرانة السفينة خشية أن تلقيهم في البحر.

د) إبدال الأصوات اللّثوية: شاع الإبدال بين اللّام والنّون في لغة بني هلال، حتّى إنّه لا يمكن حصر الكلمات التي تنطق بلام مبدلة من نون، والعكس كذلك فهم يقولون:

(بَلْعَبَاسْ) في بن عبّاس. (فَنْجَالْ) في الفنجان. (لَغْلَمْ) في الغنم، تُنطق بهذه الصّيغة بشكل عامّ ومطلق. (غَالَمْ) في غانم، اسم شائع في المنطقة مشتقّ من الغنيمة أي المكسب، ولا يُنطق إلا باللّام. (سَنْسْلَهْ) في سلسلة. (زَنْزْلَهْ) في زلزلة (الزلزال). (لْخُرْطَانْ) في الخرطال، نبات من فصيلة النّجيليات يقدّم علفًا للحيوانات. (لْكْنَفْ) في الكلف، وهو تلك البقع السّوداء التي تكتنف الوجه.[1] (سَرْبَانَهْ) في سربالة، كلّ ما يلبس[2] وسكان المنطقة يستعملون هذه الكلمة خاصّة عندما يكون الثّوب باليًا ومتّسخًا.

وتعدى هذا الإبدال حقل العربية ليشمل حتى الألفاظ الأعجمية، نحو قولهم:

(جُرْنَانْ) بدل من جُرْنَالْ في journal.

(مِينِيتَارْ) بدل من مِيلِتَار في militaire.

(سِلِيمَهْ) بدل من السنيما في cinéma.

والقدامى أشاروا إلى هذا الإبدال أنّه قد حدث في كلامهم كما يروي ذلك ابن جني: "وأبدلوا اللّام من النّون في أصيلان، فقالوا: أصيلال"[3]، ومثله قولهم: "القَلَفُ لغة في القَنَفُ، وهو الغرين إذا يبس."[4]

كما ذكرت المصادر العديد من الألفاظ التي تناوب فيها الإبدال بين النّون واللّام في لهجات العرب القديمة، نحو قولهم: "هَتَلَت السّماء وهَتَنَت، وسحائب هُتُل وهُتُن، وأسود حالك وحانك، وقُلَّةُ الجبل وقُنَّته: أعلاه."[5] وقولهم: "لَعَلِّي ولَعَنِّي، ولَعَلَّكَ ولَعَنَّكَ، وعَلَّكَ وعَنَّكَ تفعل كذا"[6] كما جاء على

---

[1] الكلف: شيء يعلو الوجه كالسمسم.كلف وجهه، يكلف كلفا، وهو أكلف: تغيّر. والكلف: والكلفة: حمرة كدرة تعلو الوجه. وقيل: لون بين السواد والحمرة. وقيل: هو سواد يكون في الوجه. ينظر ابن منظور: مادة (كلف).

[2] سربل: كل ما يلبس فهو سربال، وسربلته فتسربل أي: ألبسته السّربال. والحديث: (النوائح عليهنّ سرابيل من قطران). وقيل في قوله تعالى: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ سورة النحل: الآية 81. إنّما القمص تقي الحرّ والبرد، فاكتفى بذكر الحرّ لأنّ ما وقى الحرّ وقى البرد. ينظر ابن منظور: مادة (سربل).

[3] ابن جني: سر الصناعة م. س، ج18 ص321.

[4] ينظر ابن منظور: مادة (قلف).

[5] السيوطي: المزهر م. س، ج1 ص565- 566.

[6] كمال ربحي م. س: ص146.

لسان أحد الشّعراء:[1] لَا تَحْرِم المَرْءَ الكَرِيمَ فَإِنَّه أَخُوكَ ولَا تَدْرِي لَعَنَّكَ سَائِلُهُ وقال آخر:[2] لَا تَهِن الكَرِيمَ عَلَّكَ تَرْكَعُ يَومًا والدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ هذا الإبدال تجوّزه الدّراسات الصّوتية الحديثة، فاللّام والنّون صوتان متقاربان مخرجًا وصفةً، فكلاهما من مجموعة الأصوات اللّثوية، ويشتركان في الميوعة والتّرقيق والجهر، ويعدّان من "أوضح الأصوات الصّامتة في السّمع، ويسمّيها البعض أشباه الأصوات الصّائتة أو المصوّتة"[3]، والفرق بينهما يكمن في أنّ اللّام صوت لثوي جانبي، لأنّ الهواء يتسرّب من جانبي اللّسان، والنّون صوت لثوي أنفي، لأنّ الهواء يتسرّب من الأنف.

أمّا عن إبدال النّون من اللّام في "سلسلة، زلزال، سربالة" أي عكس الظّاهرة الأولى، فيمكن تفسير هذا الإبدال بقانون المخالفة الصّوتية، إذ استثقل توالي اللّامين، فأبدلت إحداهما إلى أقرب الأصوات منها مخرجًا ونصاعةً في الصّوت، للمخالفة بينهما طلبا للخفّة؛ أي أنّ المتكلّم اقتصر على القيام بحركة واحدة فقط من الحركات، التي يتطلّبها إنتاج اللّام أو الرّاء بدلًا من أن يقوم بحركتين، واستعاض عن الأخرى بحركة من الحركات التي تنتج النّون المائعة.

والأمر نفسه بالنسبة لكلمة (سربالة)، فقد استثقل توالي اللّام والرّاء، لأنّهما صوتان متجانسان، والمتأمّل في منطوق قبائل بني هلال يجدهم يبدلون الواحد من الآخر في الكثير من كلامهم، فهم يتعاملون معهما وكأنّهما صوت واحد، وهما بالفعل كذلك، والدّراسات الصوتية الحديثة تؤكّد هذا، فاللّام والرّاء من مجموعة واحدة، مجموعة الأصوات اللّثوية، وتحكمهما صفات متشابهة فكلاهما صوت مائع، مجهور، مرقّق ومفخّم أحيانًا إلا أنّ اللّام جانبي، والرّاء صوت مكرّر.

وعلى العموم تعدّ الأصوات المائعة الشّبيهة بالأصوات الصّائتة، من أكثر الأصوات إبدالًا فيما بينها، وليس في العربية فحسب، بل حتّى في اللّغات الأخرى، لأنّها أكثر الأصوات شيوعًا في اللّغات السّامية[4]، لهذا لا نستبعد ولا نستغرب كثرة إبدالها في لغة بني هلال.

– ومن مجموعة الأصوات اللّثوية التي لم تسلم من الإبدال في لغة بني هلال، نجد صوت الضّاد، الذي اختصّت به اللّغة العربية حتى سمّيت به "لغة الضّاد"، وصفه القدامى أنّه صوت مجهور وحدّدوا

---

[1] م. س.ص.

[2] م. س.ص.

[3] عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية م. س، ص173.

[4] فندريس: اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، دط، دت، ص94.

مخرجه "من أوّل حافة اللّسان وما يليها من الأضراس"[1]، "ويكون أصلًا لا بدلًا ولا زائدا"[2]، ووصفه المحدثون "بأنّه صوت أسناني لثوي، شديد مجهور ومفخّم."[3].لقد أصيب صوت الضّاد بتغيّر في مخرجه وصفته، بعد أن كان الصّوت الوحيد المطبق، الذي لم يقابل بنظير له كما أكدّ اللّغويون القدامى، أصبح هو الصّوت المناظر للدّال إذ لا فرق بينه وبين صوت الدّال سوى أنّ الدّال صوت مرقّق[4] فهو نظيره المجهور المنفتح. فإذا كان هذا الصّوت قد أصابه التغيير في النّطق الفصيح، فليس بعيدا أن تصيبه تغيّرات في النّطق اللّهجي، فهو في منطوق بني هلال ظاء مرّة، ودال مرّة أخرى، لكنّه مفخّم في أغلب الأحيان. والحقيقة أنّه من الصّعب جدًا نطق الضّاد بشكل صحيح وسليم من مخرجه دون تجاوزات تعترضه، والأصعب منه هو تحديد صور نطقه بعد أن تلتقطه الأذن، فهو لا يلفظ بصور مختلفة في لغة بني هلال فحسب، بل نجده عند الفرد الهلالي الواحد تتعدّد صور نطقه، والجدير بالذّكر أنّ هذا الخلط والالتباس في تحديد صفة الضّاد المنطوقة، لم يقتصر على العامّة من النّاس، بل امتدّ ليشمل حتّى علماء اللّغة في وقت كانت فيه العربية في أوجّ ازدهارها، فهذا الأصمعي أحد أئمّة اللّغة يستعصي عليه التّمييز بين الصّوتين، فيراه أعقد إشكال اعترضه وهو يتّبع لغات العرب، حيث قال: "تتبّعت لغات العرب كلّها، فلم أجد فيها أشكل من الفرق بين الضّاد والظّاء"[5]، وروى أبو عبيدة عن أبي محمد البطليوسي (ت 1127م) أنّه قال: "كلّ العرب تقول فاضت نفسه بالضّاد، إلا بني ضبّة فإنّهم يقولون فاظت نفسه بالظّاء."[6] أمّا ابن سيده فقد نسبها إلى بني تميم "فاظت نفسه: خرجت تميمية"[7]، والصّحيح أنّه أنّه اختلف في نسبتهما، "فنُسبت لفظة "فاضت" بالضّاد إلى قضاعة وقيس وتميم مرّة، وإلى بني ضبّة مرّة ثانية، وإلى تميم مرّة ثالثة، كما نُسبت "فاظت" بالظّاء إلى أهل الحجاز وطيّئ."[8]

---

[1] سيبويه: الكتاب م. س، ج4 ص333.

[2] ابن جني: سر الصناعة م. س، ج1 ص213.

[3] تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990م، ص120.

[4] عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية، ص164.

[5] ابن السيد البطليوسي: ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة (ظ، ض، ذ، ص، س) دار الكتب العلمية، ط1، 2003م، ص50.

[6] م. س.ص. فَاضَتْ نفسه وفَاظَتْ: إذا مات. ينظر السيوطي: المزهر م. س، ج1 ص562.

[7] ابن سيدة م. س: ج15 ص36.

[8] أبو الطيب اللغوي: م. س، ج 2 ص267- 268.

٥) إبدال الأصوات الأسنانية اللّثوية: تضمّ مجموعة الأصوات الأسنانية مجموعتين أوّلهما الأصوات النّطعية، وثانيهما الأصوات الأسلية.

إبدال الأصوات النّطعية: من صور الإبدال التي وجدت في لهجات العرب قديمًا وحديثًا وحافظت عليها قبائل بني هلال، الإبدال بين الدّال والتّاء والطّاء.

- فأبدلوا التّاء دالا في قولهم:

(فَدَّقْ) في فتّق[1]، فتسمعهم يقولون: (فَدَّقْ سْرْوَالَهْ) أي: شقّه أو نقض خياطته حتّى فصل بعضه عن بعض، فالتّاء أبدلت دالًا وغُلِّظت القاف فصارت **ڤ**افًا.

(هْرَدْ) في هرت – هرد؛ أي الثّوب مزّقه وخرّقه، والكلمتان أصلان[2]، لكنّهم يختارون الأولى لجهرها بوجود الدّال.

(دْفَلْ) في تفل، بصق وطرح التّفل أو التّفال.[3]

- وأبدلوا الدّال تاء في قولهم:

(تْنَهَّتْ) في تنهّد، إذا أخرج نَفَسَه بعد مدّة، وهي بهذه الصّيغة مطلقًا.

(زَغَرْتَتْ) في زغردت، ويقولون (زَّغْرَتَاتْ) في الزغردات، وهي أيضًا تلفظ بهذه الصّيغة مطلقًا.

(لِمُونَاتْ) في limonade.

ومثل هذا الإبدال الحاصل بين التّاء والدّال ورد في لهجات العرب القديمة، وقد أشار إليه ابن جني عندما قال: "أنّ التّاء تأتي مبدلة من الدّال"[4]، ومن شواهده أنّهم قالوا: ناقة تَرْبُوت وأصلها دَرْبُوت* وهي فعلوت من الدّربة التي هي مذلّلة، فالتّاء بدلًا من الدّال."[5] كما ذكر السّيوطي تناوب الإبدال بين الدّال والتّاء في كلام العرب فقالوا: "التّولج *والدّولج، وسبنتى وسبندى للنّمر، ومدّ في

---

[1] ينظر ابن منظور: مادة (فتق).

[2] ينظر م. س: مادتا (هرت) و(هرد).

[3] ومنه تفل الرّاقي، والتُّفل والتُّفال: البصاق والزّبد ونحوهما. ينظر م. س: مادة (تفل).

[4] ابن جني: سر الصناعة م. س: ج1 ص145.

[5] م. س.ص: ج1 ص157.

السير ومتّ."[1]

- وأبدلوا التّاء طاءً في قولهم: (مُخْطَارْ) في مختار. (طَّاطِي) في تطأطأ. (اطَرَوِيحْ) في التّراويح. (اطْصَاوِيرْ) في التّصاوير (الصور).

(طَعَرْفِ) في تعرفي. (افْطَرْڤْـــتْ) في افترقت. (طَطْبَخْ) في تطبخ.

وقد بالغ سكان المنطقة في هذا الإبدال، ليتعدى الألفاظ الأجنبية الدّخيلة التي تحوي صوت التّاء وينعدم فيها صوت الطّاء في لغتها الأمّ، كما حدث مع الألفاظ الفرنسية المتداولة بين الأهالي، فهم يقولون: (ڤـــاطُو) في gâteau. (لَطِرَاسْ) في terrasse. (بَطِيمَهْ) في bâtiment. (مِيطْ) في mètre. (لِطْرُ) في litre.

ورد مثل هذا الإبدال في بعض اللّهجات العربية، فقد أبدل بعضهم الطّاء من التّاء فقالوا: "أفلطني الرّجل إفلاطًا، عوضًا عن أفلتني إفلاتًا "[2] مثلما ورد على لسان شاعر نُسِب إلى قبيلة هذيل:[3]

بِأَصْدَقِ بَأْسٍ مِنْ حَلِيلِ ثَمِينَةٍ وأَمْضَى، إِذَا مَا أَفْلَطَ القَائِمُ اليَدَ

أراد: أفلت القائم اليد فقلب، وقيل افلط لغة في أفلت.[4]

كما نجد هذا الإبدال في لغة تميم "فقد أبدلوا التّاء طاء في صيغة "فعلت" فقالوا: فحصط برجلك يريدون: فحصت."[5]

---

[1] السيوطي: المزهر م. س: ج1 ص464.

* جمل تربوتٌ: ذلول، فإمّا أن يكون من التراب لذلّته، و إمّا أن تكون التاء بدلا من الدال في دربوت من الدّربة، وأبدل من الداء والتاء كما أبدلوا من التاء دالا. وكذلك ناقة تربوت! وهي التي إذا أُخذت بمشرفها أو بمدب عينها تبعتك. وقال الأصمعي: كلّ ذلول من الأرض وغيرها تربوت، وكلّ هذا من التراب، الذكر والأنثى فيه سواء. ينظر ابن منظور مادّة (درب).

* التولج والدولج: وهو الكناس الذي يلج فيه الظبي وغيره من الوحش، تستكن فيه من الحرّ. وسمي الكناس لأنّها تكنس الرمل حتّى تصل إلى الثّرى. ينظر ابن منظور: مادتا (تلج) و (دلج).

[2] ينظر ابن منظور: مادتا (فلت) و(فلط).

[3] م. س. ص.

[4] م. س.ص.

[5] ابن سيدة: م. س، ج13 ص270. و هذا الإبدال يرد لفظا لا خطأ ؛ إذا جاءت التاء بعد صوت من أصوات الإطباق.

– إبدال الطّاء تاء: على الرّغم من أنّهم حافظوا في لهجتهم على صوت الطّاء المفخّمة، بل بالغوا في ذاك حتى إنّهم أبدلوه من التّاء –كما رأينا– إلا أنّنا نجدهم يرقّقونه، فأبدلوه تاء في قولهم:
(لْبَتِيخْ) في البطيخ، لكن لا يطلقونه إلّا على البطيخ الأصفر.

ومن أمثلة ذلك في لهجات العرب القديمة قولهم: "الأقطار والأقتار في النّواحي، وما أستطيع وما أستتيع"[1]، وكذلك قولهم: "لَطَحَهُ ويَلْطَحُه لَطْحًا ولَتَحَهُ يَلْتَحُهُ لَتْحًا: إذا ضربه بيده منشورة ضربًا غير شديد"[2]، وقولهم: هَطَلَتِ السَّمَاءُ تَهْطِلُ هَطَلانًا، وهَتَلَتِ السَّمَاءُ تَهْتِلُ هَتَلانًا: إذا صَبَّت المطر وهو التهطال والتهتال."[3] وكذلك قولهم: "سَطَمْتُ الباب أَسْطُمُه، وسَتَمْتُه أَسْتُمُه: إذا رددته."[4]

– إبدال الدّال طاء: سمعت هذا الإبدال في كلمة واحدة، في قولهم:
(كَاعَطْ) في الكاغد[5]، في معنى الورق أو القرطاس أو الصّحيفة التي يكتب فيها.

ومن نماذج هذا الإبدال في لهجات العرب قديمًا، قولهم: "سمعت طقطقة الحجر في دقدقته، وهما حكاية صوته"[6]، وكذلك قولهم: شعرمقلعط في مقلعد، إذا اشتدّت جعودته. [7]

–إبدال الطّاء دالا: يظهر هذا الإبدال في قولهم:
(رْدَمْ) في رَطَمَ، إذا أوقعه في الوحل أو في أمر يعسر الخروج منه.[8]

تعاقب هذان الصّوتان كثيرًا في كلام العرب، نحو قولهم: "مَدَّ الحرف يَمُدُّه مَدًّا، ومَطَّهُ يَمُطُّهُ مَطًّا إذا أطاله"[9]، وكذلك قولهم: دَحَوْتُ الشّيء دَحْوًا وطَحَوْتُه طَحْوًا إذا بسطته، وفي التّنزيل قوله عزّ وجلّ: ﴿ـ ـرْض ـ ـ ب ـ ـع وجلّ: ﴿ـ ـلِك ـ د ـ ـوحـ ـالأهـ ـا﴾ وقوله: ﴿ـ ا ط ـ ـح ـ ـا ـ ـا﴾.[2]

---

[1] السيوطي: المزهر م. س، ج1 ص464.
[2] كمال ربحي م. س: ص 138. وينظر ابن منظور: مادة (لطح).
[3] م. س: ص124. وينظر ابن منظور: مادة (هتل).
[4] م. س: ص124. وينظر ابن منظور: مادة (سطم).
[5] ابن منظور: مادتا (كغد، كغذ). وينظر القاموس مادة (كغد).
[6] كمال ربحي م. س: ص124.
[7] م. س: ص 138.
[8] السيوطي: المزهر م. س: ج1 ص666. وينظر ابن منظور مادتي (مدد) و (مطط).
[9] ابن منظور: مادتي (مدد) و(مطط).

هذا التّنوع في الإبدال بين التّاء والدّال والطّاء جائز تسوّغه الدّراسات الصوتية الحديثة، فهي من مجموعة الأصوات الأسنانية اللّثوية، مخرجها واحد، كما أنّها تشترك في صفات الشدّة، وهي أصوات متناظرة، فالدّال هو النّظير المجهور لصوتي التّاء والطّاء، والطّاء النّظير المفخّم للتّاء.

- **إبدال الأصوات الأسلية:** سبق وأن علّلنا سبب إبدال الصّاد من السّين في لغة بني هلال إبدالًا

قياسيًّا، إذا جاورت -أي السّين- أحد الأصوات المستعلية، وأنّها أبدلت هي ونظيرتها المفخّمة الصّاد زايا، إذا كانتا ساكنتين وجاورتا الدّال المجهورة، أمّا الآن سنحاول أن نعطي تفسيرا لبعض النّماذج التي أُبدلت فيها السّين صادا، من دون أن تجاور صوتا مستعليا، وإبدال الزّاي منها ومن الصّاد، من دون أن تجاور إحداهنّ صوت الدّال.

إنّ تفضيل قبائل بني هلال الأصوات المفخمّة يفسّر إيثارهم صوت الصّاد في نحو قولهم:
(اْصْطَحْ) في السّطح. (رَاصْ) ف رأس. (صْرَطْ) في سرط. (لَعْرُوصَهْ) في العروس. (رْصَمْ) في رسم. (رْصَى) في رسي. (صْمَاصْرِ) في السمسار، المتوسط بين البائع والمشتري.
ومن أمثلة إبدال السين صادا في لهجات العرب القديمة في الإبدال غير المطّرد، ما جاء على لسان طفيل الغنوي:*[3]

تنيف* إذا اقورت* من القود* وانطوت *** بهاد* رفيع يقهر* الخيل صَّلْهَب*

فالشّاهد في إبدال الصّاد من السّين قوله: "صَّلْهَب" بدل "سَّلْهَب"، وقد ذكر ابن جني أنّه يجوز أن تكون الصّاد فيه لغة، و"يجوز أن تكون بدلا من سين سّلهب لأنّه أكثر تصرّفًا من صلهب.[4]

---

[1] سورة النازعات: الآية 30.

[2] سورة الشمس: الآية 6.

[3] ديوان طفيل بن عوف الغنوي. هو شاعر جاهلي أخذ عنه كثير من الشعراء كزهير والنابغة اشتهر بوصفه الخيل، و عرف بطفيل الخيل (ت 610).

*تنيف: أناف على الشيء إذا أشرف عليه. *اقورّت: ضمرت. *القود: قاد الفرس إذا جرّها من خلفه.
*الهادي: العنق. *يقهر: يسبق. *صلهب: عظم وطالت عظامه.

[4] ابن جني: سر الصناعة م. س: ج1 ص209.

وهو إبدال جائز تقرّه الدّراسات الصّوتية الحديثة، لأنّ الصّاد النّظير المفخّم للسّين، وحين يلتقي صوت مهموس بصوت مجهور قد ينقلب أحدهما إلى نظيره، بحيث يتكوّن منهما صوتان مهموسان أو مجهوران، كما قد تؤثّر الأصوات المطبقة فيما يجاورها فتحوّلها إلى مطبقة.

فالذي حدث في تلك الكلمات، التي أبدلت فيها السّين صادا في لغة بني هلال هو تأثّر تقدّمي، حيث تأثّر الصّوت الثّاني بالصّوت الأوّل، فالسّين لثوية احتكاكية مرقّقة[1]، والرّاء صوت مجهور لثوي مكرّر[2]، أثّرت الرّاء المجهورة في السّين المهموسة فقلبتها صوتًا مطبقًا (مفخّما)، ذلك "أنّ الرّاء المفخّمة تعدّ من النّاحية الصّوتية أحد أصوات الإطباق"[3]، وهذا هو سرّ تأثيرها في السّين بأن حوّلتها صوتا مطبقا، "وكان القرّاء قد اتّفقوا على قراءة ﴿الصّراط﴾ بتفخيم الرّاء"[4] لأنّ أصوات الإطباق مفخّمة لها رنّة قويّة في الآذان لا تتوفّر في غيرها، والأمر نفسه إذا جاورت السّين صوت اللّام.

– ما اختارت قبائل بني هلال الصّوت المجهور دون المهموس، ففضّلوا صوت الزّاي دون نظيره السّين والصّاد فقالوا: (زْفِـيتْ) في سقيت. (زَعْتَرْ) في السَّعتر أو الصَّعتر[5] لأنَّ الكلمتين أصلان، لكن بني هلال يؤثرون كلمة (زعتر) لأنَّها أكثر جهرًا وسماعًا. (مَهْرَازْ) في المهراس.[6] (زَبْجْ) في جبس، المادّة الكلسية التي يطلى بها الجدران. (زَفُّوتْ) في السّفوت، جمع سفافيد، حديدة يشوى عليها اللّحم.[7]

وقالوا في إبدال الصّاد زايًا:

(بَزَقْ) في (بَصَق) إذا طرح التّفال، الكلمتان أصلان لكنّهم يختارون الأولى.[8]

---

[1] محمود السعران: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، القاهرة، 1962، ص192.

[2] م. س، ص178.

[3] إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص62.

[4] ابن الجزري: النشر في القراءات العشر م. س، ج3 ص93.

[5] الفيروزآبادي: القاموس مادتا (الصّعتر) و(الزّعتر).

[6] ينظر ابن منظور مادة (هرس).

[7] ينظر م. س: مادة (سفد).

[8] ابن منظور: مادتا (بصق) و(بزق).

(قزْدِيرْ) في قصدير، نوع من المعدن.
(رَزِينْ) في رَصين[1] يطلقونها على كلِّ من كانت تصرُّفاته محكمة وصائبة، وعلى كلِّ شخص غير مُتَهوِّر، والكلمتان أصلان، لكنَّ بني هلال يختارون الأولى.
(هَبَزْ) في هَبَصَ[2] أي نَشِطَ أو عَجِلَ.وفي لهجات العرب قديمًا ورد إبدال الزّاي من الصّاد نحو قولهم: "صعق وزعق إذا صرخ صرخة عظيمة".[3] ونشزت المرأة ونشصت: إذا أبغضت زوجها."[4] وقولهم وقولهم كذلك: "جاءتنا صِمْصِمَة من بني فلان وزِمْزِمَة أي جماعة."[5] وقولهم: "الشَّرَص والشَّرز في الغلظة من الأرض."[6]

وأبدلت الزّاي من السّين في لغة بني كلاب وبعض العرب كما سبق الذّكر، عند عرض صور الإبدال الصّرفي، ومن أمثلة هذا الإبدال في كلامهم دون ذلك، قولهم: "أسعلته وأزعلته: أنشطته، والسَّعل والزَّعل:النّشاط".[7] وكذلك قولهم: "قد تسلَّع جلده وتزلَّع أي تشقَّق"[8] وقولهم: "خَسَقَه وخَزَقَه، إذا طعنه"[9] وسُرْسُورُ مال وزُرْزُورُ مال: إذا كان حسن القيام عليه، عالما بمصلحته."[10]

كما اختارت القبائل البدوية صوت الزّاي المجهور دون السّين والصّاد المهموسين، فقالوا: زقر في سقر وصقر، والزّاي يشارك صوتي السّين والصّاد في المخرج والصّفات ما عدا صفة الجهر التي يتميّز بها، فهو إبدال جائز الوقوع، ويعدُّ من الظّواهر الصّوتية التي تجيزها الدّراسات الصّوتية الحديثة، طالما

---

[1] م. س: مادتا (رصن) و(رزن).

[2] م. س: مادة (هبص).

[3] السيوطي: المزهر م. س: ج1 ص467.

[4] م. س.ص. ووينظر ابن منظور: مادت (نشز) ومادة (شرز).

[5] السيوطي: المزهر م. س: ج1 ص467.

[6] م. س.ص.

[7] كمال ربحي م. س: ص120 و129.

[8] م. س.ص.

[9] المزهر في علوم اللغة 467/1.

[10] ابن منظور: مادة (سرس).

أنَّها من مجموعة صوتية واحدة وتشترك في الكثير من الصّفات، ولَمَّا كان الصّوت المجهور أوضح في السّمع من نظيره المهموس، فهو يسمع من مسافة قد يخفى عندها المهموس: "فضَّلته القبائل البدوية التي تتخاطب في العراء، من دون حواجز تضبط الصّوت وتحصره."[1] فالأصوات تنتشر في مسافات شاسعة لا يعوقها عائق، ولا يحول دونها حائل، فهذه البيئة تتطلَّب توضيح الأصوات بطرق عدَّة، من بينها الجهر بالصوت واختيار صوت الإطباق، ليكون الخطاب أكثر وضوحًا في أذن السامع. وهذا يدلُّ -إن لم نقل يؤكِّد- أنَّ بني هلال بدو، والبداوة تتأصَّل فيهم، لأنَّ هذا الإبدال نسب إلى قبائل قيس وعذرة وكعب وبنو القين، وكلُّها قبائل بدوية تمركزت في وسط شبه الجزيرة وشرقيها.[2]

- ونجد قبائل بني هلال تبدل الصّاد المفخَّمة سينًا أحيانا، كقولهم:

(رَخِيسْ) في رخيص.

(سَرِيجْ) في صهريج.

إنَّ هذا الإبدال لا يعدو أن يكون من باب الحفاظ على نظام الصّوت العربي، الذي يستثقل الانتقال من الاستفال إلى الاستعلاء، فالعرب قالت: صقر في سقر، ولم تقل: قوص في قوس[3]، والأمر والأمر نفسه نجده في لغة قبائل بني هلال.

ز) إبدال الأصوات الأسنانية: الظّاهر أنَّه من النّادر أن نسمع هذه الأصوات في لغة بني هلال، فهي في غالب الأحيان مبدلة من أصوات أخرى، فالذّال والثّاء والظّاء أصوات رخوة، تتطلَّب جهدًا عضليًّا عند النّطق بها بإخراج طرف اللّسان ووضعه بين الأسنان، وبداوة قبائل بني هلال تجعلهم يجنحون دوما إلى الأصوات الشّديدة السّهلة المخرج والخفيفة على اللّسان، لأنَّها لا تحتاج إلى وقت طويل لإخراجها، فهي أقصر الأصوات زمنًا، فتخلَّصوا منها بأنواع الإبدال.

فأبدلوا الذّال وأحلُّوا محلَّها الدّال، فقالوا:

(دَابْ) في ذاب. (دْبَّانَهْ) في ذبابة. (دْبَحْ) في ذبح. (دْرَاعْ) في الذراع..... إلخ

---

[1] عبده الراجحي: القراءات القرآنية في اللهجات العربية م. س، ص176.

[2] م. س.ص.

[3] أبو الطيب اللغوي: م. س، ج1 ص12.

والثّاء أبدلوها تاء، فقالوا: (تُومْ) في ثوم. (تَّلْجْ) في ثلج. (تْرِيدْ) في ثريد. (عْتَرْ) في عثر. (حْرَتْ) في حرث..... إلخ.

أمّا الظّاء فقد أبدلوها ضادًا، فقالوا: (عْضَمْ) في العظم. (غْلِيضْ) في غليظ. (اْضَّلْ) في الظلّ. (ضَلْمَهْ) في الظلمة..... إلخ

قد حدث هذا في اللّغة العربية القديمة، فابن جني يذكر أنَّ الثّاء أبدلت تاء: "واعلم أنَّ الثّاء إذا وقعت فاء في (افتعل) وما تصرَّف منه قُلبت تاء، وأُدغمت في تاء (افتعل) بعدها، وذلك قولهم في افتعل من التَّريد: اتَّرد، وهو متَّرد، وإنَّما قُلبت تاء، لأنَّ الثّاء أخت التّاء في الهمس، فلمَّا تجاورتا في المخرج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، فقلبوها تاءً وأدغموها في التّاء بعدها ليكون الصّوت نوعًا واحدًا."[1] كما أبدلوا الضّاد من الظّاء، نحو قول شاعرهم: [2]

إلى الله أشكو من خليل أودُّه *** ثلاث خصال كلُّها لي غائض

فإنَّه أراد غائظ بالظّاء، فأبدل الظّاء ضادًا.[3] كما ذكر صاحب البيان والتّبيين: "أنَّ سيّدًا كانت له جارية اسمها ظمياء، إلا أنَّه يناديها ضمياء بإبدال الضّاد من الظّاء."[4]

وعن إبدال الذّال دالا، فالمصادر العربية تذكر نماذج عديدة منها: "خَرْدَل وخَرْذَل[5]، عَدُوف[6] وعَذُوف."[7] قنفد في قنفذ.[8]

---

[1] ابن جني: سر الصناعة م. س، ص171.

[2] ابن منظور: مادة (غيظ).

[3] ابن منظور: مادة (غيظ).

[4] الجاحظ: البيان والتبيين، دار إحياء التراث العربي– بيروت، لبنان، ج 2 ص211.

[5] عدف، العدف: الأكل. ينظر ابن منظور: مادة (عدف).

[6] خردل اللحم: بالدال والذال: قطّعه وفرّقه. ينظر ابن منظور: مادتا (خردل) و(خرذل).

[7] السيوطي: المزهر في علوم اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع دار الجيل –بيروت، لبنان، دط، دت، ج1 ص544-545.

[8] أبو الطيب اللغوي: م. س، ج1 ص357.

إنَّ الإبدال الذي أصاب هذه المجموعة، لا يعدو أن يكون مظهرا من مظاهر السّهولة والتّيسير في الكلام، وطبع من طباع البدو الذين يميلون نحو الأصوات الشّديدة، هذا ما ذهب إليه أحد المستشرقين عندما قال: "وقد نجد أحيانًا في اللّهجات البدوية التي يحتفظ أهلها عادة بالأصوات الرّخوة التي من بين الأسنان، أمثلة عارضة تنقلب فيها هذه الأصوات بدون سبب ظاهر أصواتًا شديدة."[1] ويرى الدّكتور إبراهيم أنيس، أنَّ الذّال والثّاء والظّاء، أصبحت في لغة الكلام أصواتا شديدة هي الدّال والتّاء والضّاد، لأنَّ هذه الأخيرة أسهل من الأصوات الرّخوة في النّطق، ويعلِّل ذلك قائلا: "لأنَّه قد يكون أسهل على المرء، وهو يجري بأقصى سرعته أن يصطدم بحائط أمامه، من أن يحاول الوقوف قبل الحائط بمسافة قصيرة، وكذلك اللّسان قد يسهل عليه الاصطدام بالحنك والالتقاء به التقاء محكمًا، ينحبس معه النّفس، وهو ما يكون مع الأصوات الشّديدة من أن تقف حركته عند مسافة قصيرة من الحنك، ليكون بينهما مجرى يتسرَّب منه الهواء، كما يحدث في الأصوات الرّخوة."[2] فعملية الإبدال هذه، تَّمت "بإرجاع مخرج هذه الأصوات إلى الخلف، أي بنقله إلى ما وراء الأسنان."[3] لكن ليس معنى هذا أنَّنا نعدم سماع هذه الأصوات البتَّة، فتفضيل قبائل بني هلال الأصوات المفخَّمة، جعل صوت الظّاء يحافظ على مكانه في ألسنتهم، وهو ينطق مبدلا من صوت الذّال، وقد جاء في قولهم: (خَاظِ) في آخذ، و(فْخَظْ) في فخذ، وهما صوتان متجانسان، مخرجهما واحد، كما أنَّهما يشتركان في الجهر والرّخاوة، إلا أنَّ الظّاء مفخَّم وقد جنحت إليه قبيلة تميم البدويّة، التي اشتهرت بميلها إلى الأصوات المفخَّمة والمجهورة والشّديدة، تماشيا مع حياتها القاسية والخشنة، أمَّا الذّال فمرقَّق.

– ومن مظاهر الإبدال في لغة قبائل بني هلال، الذي نجده على امتداد اللّهجات العربية القديمة، إبدالهم التّاء فاء، كقولهم:

(نَّاثِلَه) في نافلة. (مَفْرَدْ) في مثرد. (فَمَّ) في ثمَّ... فحين اختار الحجازيون صوت الفاء وقالوا: "تلفَّمت لفامًا، آثر التّميميون صوت الثّاء، فهم يقولون: لثام، تلثمت تلثمًا."[4] وهو إبدال تؤيِّده الدّراسات

---

[1] جان كانتينو: م. س، ص76.

[2] إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية م. س، ص171.

[3] رمضان عبد التواب: التطور اللغوي –مظاهره وعلله وقوانينه، م. س، ص52-53.

[4] ابن منظور: مادة (لثم).

الصّوتية الحديثة، فهما صوتان متقاربان مخرجًا ومتحدّان صفةً، الثّاء صوت أسناني، والفاء صوت شفهي أسناني، ويشتركان في صفات الرّخاوة والهمس والتّرقيق.

ح) إبدال أصوات الشّفة: الملاحظ أنَّ المجموعة الشّفهية تتناوب الإبدال فيما بينها في لغة بني هلال، نحو قولهم في إبدال الباء فاءً:

(عَفْسْتَكْ) في عبستك، من العبوس عكس الطّلاقة والانشراح.

(كْرَافَاجْ) في الكِرْبَاجْ، وهو السّوط.[1]

وقولهم في إبدال الباء ميما:

(مُقْرَاجْ) في بقراج، وهي آنية حديدية تستعمل لتّسخين الماء.[2]

(رْجَمْ) في رجب، من الأشهر الهجرية.

وقولهم في إبدال الميم باء:

(صْنَبْ) في صنم.

(تْبَزَّقْ) في تمزَّق.

(خَرْبَشْ) في خَمَّشَ، بمعنى شَوَّش وأفسد، أُبدل الرّاء من الميم المضاعفة، ثمّ أُبدل الباء من الميم الأخرى، فأصل (خربش) هو خرمش.[3]

وفي كلام العرب قديمًا، أبدلت الفاء من الباء في قبيلة حنظلة، فقد روى الأزهري (ت980م) " أنَّه سمع أعرابيًّا من بني حنظلة يسمّي المصطبة المصطفة بالفاء."[4] وممَّا رواه أبو عمرو الشّيباني* (260هـــ) في هذا الصّدد، قولهم: "القنيب والقنيف: الجماعة من النّاس."[5] كما نقلت المصادر نماذج أخرى في هذا الإبدال، فمن العرب من قال: تمر بَذّ وفَذّ، وهو المتفرِّق الذي لم يكتر، فلا يجتمع ولا

---

[1] الكلمة فارسية الأصل: ينظر القاموس مادة (كربج).

[2] الكلمة تركية الأصل: ينظر محمد بن شنب: معجم الألفاظ التركية.

[3] أحمد رضا: متن اللغة، دار الحياة. مادة (خ ر م) ج2 ص264.

[4] ينظر ابن منظور: مادتا (صطب) و(صطف).

[5] كمال ربحي م. س: ص118.

يلتصق بعضه ببعض.[1] وكذلك قولهم: كبحت الفرس باللجام أكبحه كبحا، وكفحته أكفحه كفحا."[2]

مثلما حدث في لهجات العرب قديمًا أن: "أبدلوا الباء من الميم في قولهم: بعكوكة التي أصلها معكوكة. وهي من المعك"[3](شدّة الدَّلك)، كما أبدلوا الميم من الباء فقالوا: "راتمًا في راتبًا أي مقيمًا"[4] هذا الإبدال له ما يسوِّغه في الدّراسات الصّوتية الحديثة، للقرابة الصّوتية التي تجمع بين الصّوتين مخرجًا وصفةً.

وعلى الرّغم من حرص قبائل بني هلال الشّديد، على اختيار الصّوت المجهور المفخَّم دون المهموس المرقَّق، إلا أنّنا وجدناهم أبدلوا الفاء المهموسة من الباء المجهورة، ولا نستغرب الأمر إذا علمنا أنَّ هذا الإبدال قد حدث في قبيلة حنظلة البدويّة، فاختارت الصّوت المهموس الفاء، دون نظيرها المجهور الباء. ولعلَّ مثل هذا الإبدال راجع إلى عامل المجاورة بين القبائل العربية القديمة، وتأثُّر لهجات أبنائها بعضهم ببعض، فنجد القبائل البدويّة التي تميل بطبعها إلى الجهر والتّفخيم، قد مال بعض من أبنائها إلى الهمس، والعكس بالنّسبة إلى القبائل الحضرية، فالأمر نفسه حدث في لغة قبائل بني هلال.

بهذا نكون قد أتينا على ذكر مختلف أوجه الإبدال في لغة بني هلال، وكما رأينا أنَّ كلَّ وجه منه إلا وله صورة مقابلة في لهجات العرب القديمة، فحبل الوصال قائم بينهما، وأنَّ اختلاف القبائل العربية القديمة في نطق بعض الأصوات، وتفضيلها لصوت دون الآخر لتستقرَّ عليه لا يزال قائمًا حتَّى الآن، حيث يمكننا أن ننسب بعض صور الإبدال في لغة القبائل الهلالية إلى قبيلة معيَّنة، أو بالأحرى إلى لهجة من لهجات الجزيرة العربية، ممَّا يؤكِّد أنَّه انحدرت إلى هذه المنطقة لهجات عربية قديمة مختلفة، وأنَّ القبائل التي نزحت إلى هذه المنطقة لم تكن ذات لهجة واحدة، بل لقد وفدت إليها ومعها لهجات مختلفة وأقامت بها، وكلٌّ منها يحتفظ بخصائصه وعوائده في لهجات التّخاطب التي تأثَّر بها أهل البلاد المفتوحة، وبدؤوا يحذون حذوها في لهجات كلامهم وفي تخاطبهم، بدليل وجود بعض الألفاظ

---

[1] ينظر ابن منظور: مادتا (فذذ) و(بذذ).

[2] كمال ربحي: م. س.ص.

[3] ابن جني: سر الصناعة م. س، ج1 ص119. وينظر ابن منظور: مادة (معك).

[4] م. س. ص.

الفارسية مثلا، فمِن أين أتت إذا لم تطأ أرض الجزائر أقدام الفُرس؟ فما من شكّ أنَّها أتت مع لهجات الفاتحين الذين جُبِلوا على إبقائها، وكانوا قد اختلطوا بغيرهم من أبناء الأمم الأخرى التي دخلت الإسلام، الأمر الذي أدَّى إلى امتزاج الألسن، هذا ما يعلِّل سبب وجود تلك المظاهر اللّهجية القديمة، التي لا تزال سائدة حتّى يومنا هذا في لغة قبائل بني هلال مثل: العنعنة والفحفحة وغيرهما... التي وقفنا عندها، ويؤكِّد إلى حدٍّ ما أنَّ هذه اللّهجة ما زالت قوَّية الوشيجة بعربيتنا الفصحى.

2.1 إبدال الصّوائت

تستعمل اللّهجات الحديثة أصوات اللّين استعمالا متفاوتًا، من حيث وجودها في المقاطع المختلفة، فلم يبق سوى القليل منها على بنائه الفصيح، فإمَّا أنَّها اختفت حينًا، أو تناوبت فيما بينها حينًا آخر، وربَّما أُشبعت في حالات أخرى، وحلَّ السّكون محلَّها حتَّى أصبح شائعًا في بنية الكلمة، بالإضافة إلى اختلاس الكسرة والضمَّة، في عدد كبير من الألفاظ.

وإنَّ التّغيُّرات المختلفة التي أصابت نظام المصوِّتات العربية القديمة، على ألسنة متكلّمي اللّهجات العربية الحديثة، قد طرأت على مستويين اثنين:[1]

الأوَّل: التّغيُّرات الطّارئة على الأجراس؛ إذ أنَّ التّغيُّرات الجرسية المعروفة في العربية الفصيحة تطوَّرت قليلا، إلّا أنَّه ليس لها في الأغلب أيُّ قيمة وظيفيّة.

ثانيًا: التّغيُّرات الطّارئة على مدَّة الصّوت الصّائت؛ فلئن ثبتت الحركات الطّويلة في العادة ثبوتًا يكاد يكون كاملا، فإنَّ كثيرًا من الحركات القصيرة، إمَّا أصبحت قصيرة للغاية (مختلسة) وإمَّا سقطت، فنتج عن ذلك أن اعتلَّ تركيب المقاطع في كثير من الألفاظ. والدّارس يكتشف ذلك، أنَّ المصوِّتات تترع إلى التّغيُّر وعدم الاستقرار، وهي كثيرة السّقوط والتّقلبات، وإذا كان هذا يحدث في الفصحى التي ضُبطت مقاييسها وأُحصِنت بالكتابة، فكيف لا يحدث في اللّهجات الحديثة التي لا تلتزم بمعايير كما تلتزم الفصحى، وأُصيبت مستوياتها بانحرافات نتيجة اختلاط واحتكاك أهاليها بأجناس عديدة، جرَّاء الغزوات وعلاقات التّعامل مع الشّعوب المختلفة.

حيث نجد المصوِّت الواحد ينتقل من نقطة إلى أخرى، ويحلُّ محلَّ الآخر في لفظة واحدة، كما ينقلب إلى صورة غير الصّورة الأصلية، فيظهر طويلا بعد أن كان قصيرًا، وبسيطًا بعد أن كان مركَّبًا، والعكس كذلك دون أن يؤدِّي إلى تغيُّر في المعنى. هذا الإبدال ليس محصورًا بين مصوِّت وآخر من

---

[1] جان كانتينو: ص149.

جنسه فقط، بل يتنوَّع، فهناك إبدال بين الكسر والضمِّ، وبين الكسر والفتح، وبين الضمِّ والفتح، وإبدال آخر يحدث بين المصوِّتات الثّلاث، فتظهر اللّفظة بصور ثلاث: صورة بالضمِّ، وأخرى بالكسر، وصورة بالفتح، وهي باقية محافظة على معناها الأصلي.

لغة قبائل بني هلال تعرَّضت لهذا النّوع من القلب في تراكيب وصيغ ألفاظها، ويبدو ذلك واضحًا من خلال مجموعة المفردات التي وقفتُ عليها، وهي موضَّحة حسب نظام المصوِّتات في العربية الفصحى، مقترنة بنماذج من اللّهجات العربية القديمة، تشبه ما يحدث من إبدال في لغة بني هلال، وكذلك نماذج من القراءات القرآنية – التي تعدُّ المرآة الصّادقة العاكسة للواقع اللّغوي الذي كان سائدًا في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام–[1] علَّنا نوطِّد الصّلة بينهما، لأنَّ هذه النّماذج التي سنعرضها، ستكون بمثابة الجسر الرّابط الذي يصل بين اللّهجات العربية القديمة التي تمثِّل في توحُّدها اللّغة الفصحى، واللّهجات العربية الحديثة التي تمثِّلها لهجة الجزائر.

بداية يمكن ملاحظة أنَّ المصوِّتات القصيرة في لغة بني هلال، تتردَّد أكثر من المصوِّتات الطّويلة في السّياق الصّوتي، أي أنَّ المقطع القصير أكثر استعمالا من الطّويل في هذه اللّغة، وأنَّ هذه المصوّتات كثيرة التّغيُّر وتنزع إلى القلب والتطوُّر السّريع، دون أن يؤدِّي ذلك إلى تغيُّر في المعنى.

1.2.1 الإبدال بين الفتح والكسر: كثر سماعنا للفتحة المنقلبة عن الكسرة في لغة بني هلال بنسبة كبيرة، وفي حالات مختلفة نذكرها فيما يلي:

- في الأسماء التي تكون على وزن "**فِعْل**" نحو قولهم: (قــدْرَه) في قِدْر، (مَسْكْ) في مِسْك، (رَزْقْ) فيرِزْق، (سَّنْ) في سِّن...
- في الأسماء التي يأتي جمعها على صيغة "**فِعْلان**" نحو قولهم: (جَدْيَانْ) في جِدْيان...
- في بعض الأسماء التي يأتي جمعها على صيغة "**فَوَاعِل**"، كما في قولهم: (حْوَاجَبْ) في حَوَاجِب، (عْــقَارَبْ) في عَقَارِب، (مْطَارَحْ) في مَطَارِح...

---

[1] يرى عبده الراجحي أنَّ القراءات القرآنية هي أصل المصادر جميعا في معرفة اللهجات العربية؛ لأنَّ منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كلِّ الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والنثر، فالقراءة لا تكتفي في النقل بالسماع، =بل لا بدَّ من شرط التلقي والعرض، وهما أصحُّ الطرق في النقل اللغوي وقد رأينا ما كان من رسول الله عليه الصلاة والسلام من تلقيه الوحي ثم عرضه على جبريل، وما كان من إقرائه الصحابة عليه. ينظر عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية م. س، ص 101.

- في بعض الأسماء "**المضاعفة الآخر**" مثل: (فَضَّه) في فِضَّة، (قَـــطَّة) في قِطَّة، (صَحَّه) في صِحَّة، (حَنّه) في حِنّاء...

- في "**عين بعض أسماء الفاعل**" نحو: (صامَط) في صامِط، (حامَظ) في حامِظ، (ناشَف) في ناشِف، (باطَل) في باطِل...

- في بعض الأسماء التي تأتي على صيغة "**مِفْعَلْ**" نحو قولهم: (مَشْرَطْ) في مِشرط، (مَنْجَلْ) في مِنجل، (مَنْبَرْ) في مِنْبر...

- في بعض الأسماء التي تأتي على صيغة "**مِفْعَال**" مثل: (مَصْمَار) في مِسْمَار، (مَفْتَاح) في مِفتاح، (مَهْرَاز) في مِهراس...

- في أول بعض الأسماء التي تأتي على صيغة "**فِعْلَة**" مثل: (قِـــرْبَة) في القِرْبَة، (قَبْلَه) في القِبْلَة، (حَكْمَه) في الحِكْمَة...

إنَّ مثل هذه الحالات من القلب نجد لها أصولا في لهجاتنا العربية القديمة، فقد روي عن تميم أنّها تقول: (الحِجّ)، (الكِثرة)، (نِعجة)، (الرِّضَاعَة) بالكسر، وغيرهم يقول بالفتح.[1] وأنَّها تقول: (الحَصاد) بالفتح بينما (الحِصاد) بالكسر لغة أهل الحجاز[2]، في حين نجدها تقول (تِمَام) بالكسر وأهل الحجاز يقولون ذلك بالفتح (تَمام).[3] وممّا ورد في القراءات القرآنية من أمثلة هذا القلب، أنَّ حمزة (154ه) والكسائي (189ه) قرآ من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يوم حِصَادِهِ﴾[4] وقوله تعالى:

---

[1] السيوطي: المزهر م. س، ج2 ص276 – 277. وينظر: أبو حيان: البحر المحيط م. س، ج5 ص24، ابن سيده م. س: ج14 ص34، وفاضل غالب المطلبي: في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المد العربية، الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والإعلام دائرة الشؤون الثقافية والنشر، دار الحرية، بغداد / 1984م، ص 158.

[2] السيوطي م. س.ص.

[3] م. س.ص.

[4] حيث نجد قوله تعالى: ﴿وَمَرُوا وَءَاتُوا حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓا﴾ سورة الأنعام: الآية 141.

﴿والوِتْر﴾[1] وقوله تعالى: ﴿حِجُّ البَيْتِ﴾[2] بالكسر[3]، وقرأ الباقون بالفتح[4] ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، ﴿والوَتْر﴾، ﴿حَجُّ البَيْتِ﴾.

وأنَّ عاصمًا قرأ في رواية من قوله عزَّ وجلَّ: (غَلْظَة)[5] بفتح الغين، وقرأ الباقون بكسرها (غِلْظَة).[6] كما قرأ ابن كثير ونافع والكسائي من قوله عزَّ وجلَّ: (السَّلْم)[7] بفتح السّين وقرأ الباقون بالكسر (السِّلْم).[8] وقرأ نافع وحده من قوله عزَّ وجلَّ: (عِسيتم)[9] بكسر العين، وقرأها الباقون بالفتح (عَسيتم).[10]

حين نتساءل عن أي الصّوتين أيسر في النّطق، أو أيُّهما الذي يحتاج إلى جهد عضلي أكثر؟ "نجد أنَّ الكسرة صوت أمامي ضيِّق تتكوَّن بتحرُّك أدنى اللّسان"[11] في حين أنَّه لا عمل للّسان في أثناء أداء صوت الفتحة[12]؛ أي أنَّ اللّسان يكون مستويًا في أسفل الفم أثناء أداء صوت الفتحة، هذا يعني أنَّ الفتحة أخفّ من الكسرة هذا من جهة، ومن جهة أخرى هما صوتان متقاربان جدًّا، فلا نستغرب أن يجنح الهلاليون نحو الفتح، الذي لا يتطلّب مجهودًا عضليًّا أثناء النّطق به. ويمكن تفسير قلب الكسرة إلى الفتحة عمومًا، في تلك المجموعة من المفردات التي جمعناها، على أنَّه طلب أو سعي لتحقيق الانسجام،

---

[1] نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ سورة الفجر: الآية 3.

[2] حِجُّ في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ آل عمران: الآية 97.

[3] عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية م. س: ص141.

[4] م. س.ص.

[5] في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ سورة التوبة: ص 123.

[6] عبده الراجحي: م. س.ص.

[7] نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ سورة البقرة: الآية 208 وقوله: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ سورة الأنفال: الآية 61.

[8] عبده الراجحي م. س: ص140.

[9] في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾ سورة محمد: الآية 22.

[10] عبده الراجحي م. س.ص.

[11] فضل غالب: دراسة في أصوات المد العربية م. س، ص216. وينظر محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة: ص 92.

[12] سيبويه: الكتاب م. س، ج2 ص357. وينظر محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة: ص 92.

وابتغاء شيء من المماثلة الصّوتية بين الكسرة والفتحة التي تليها، وهذا ما نلحظه في قولهم: (فَضَّهْ، گَطَّهْ، صَحَّهْ...) فانقلبت الكسرة حتَّى تنسجم مع حركة الفتح بعدها.

أمّا في قولهم (صَامَطْ، لْبَاطَلْ، نَاشَفْ...) فالظّاهر أنَّ الكسرة انقلبت لتنسجم مع حركة الفتحة قبلها؛ أي حدث هناك نوع من التّأثّر الرّجعي، بحيث أثّر المصوّت الثّاني في المصوّت الأوّل، وفي المجموعة الثّانية حدث العكس، فهناك تأثّر تقدمي، حين أثّر المصوّت الأوّل في المصوّت الثّاني.

كذلك وجدنا أنَّ كسرة الميم انقلبت إلى فتحة في صيغتي اسم الآلة "مَفْعَل ومَفْعَال"، اللّتين أصبحتا في لغة بني هلال (مِفْعَل ومِفْعَال)، ذلك لأنَّ حركة الميم تأثّرت بحركة العين، فهو نوع من التّأثّر الرّجعي، تأثّر المصوّت الثّاني بالمصوّت الأوّل كما علّل ذلك أحد الدّارسين، وذكر أنَّ هذا الإبدال كان مطّردًا تمام الاطراد منذ القرن الرّابع الهجري في لهجة الأندلس، فقد روي عن ابن هشام اللّخمي (ت577هـ) أنَّ الأندلسيين كانوا يقولون: "مَصْيَدَة، ومَطْرَقَة، ومَغْرَفَة، ومَنْجَل، ومَرْوَحَة ومَعْلَقَة."[1]

والملاحظ كذلك أنَّ المواضع التي انقلبت فيها الكسرة فتحة خالصة، تنوّعت فيها الفتحة بين التّفخيم والتّرقيق، فهي مفخّمة مع صوت القاف الذي ينطق في لغة بني هلال گيمًا سامية (ڤ)، نحو قولهم: (ڤدْرَه، ڤطَّه) في "قِدر، وقِطَّة" وكذلك مع صوت الضّاد والطّاء في قولهم: (فَضَّة، بَاطْل)، وجاءت مرقّقة في قولهم: (حْوَاجَبْ، صَحَّه، نَاشَفْ...) إنّ السرَّ في هذا التّباين يكمن في الصّوامت التي اقترنت بنوع المصوّت، فالتّفخيم لا يقتصر فقط على الصّوامت بل يتعدّاها أيضًا إلى الصّوائت، لكنّها لا توصف بترقيق ولا تفخيم، بل بحسب ما تقترن به فإنّها تتّبعه ترقيقًا وتفخيمًا، وابن الجزري (ت833هـ) يؤكّد ذلك في قوله: "أمّا الفتحة، فإنّها تنطق مفخّمة بعد أصوات الاستعلاء، وصوتي الرّاء واللّام المفخّمين، فالصّائت بفرعيه لا يقوم بنفسه، بل هو تابع للصّامت الذي يصاحبه، ومنه يكتسب التّرقيق أو التّفخيم، والأمر لا يقتصر على الفتحة فحسب، فكما أنَّ الفتحة تنطق مفخّمة مع الأصوات المستعلية، فكذلك الكسرة والضّمّة."[2] ولأنّ الرّاء صوت يعتريه التّفخيم فهو تارة مفخّم، وتارة أخرى مرقّق، فقد جاء في لعة بني هلال كذلك بحسب السّياق الصّوتي الذي يقع فيه، فجاء مفخّمًا في قولهم: (فْرَحْ) المنقلبة عن" فَرِح" فقد توسّط حركتين مفتوحتين، في حين جاء مرقّقًا في قولهم: (رْزَقْ) عن "رِزْق"، لأنَّه تلاه سكون فقللّ من صفته التّفخيمية. والرّأي نفسه

---

[1] رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 1905م. ص 198-191 و237-238.

[2] ابن الجزري: النشر م. س، ج1 ص215.

ذهب إليه المحدثون من أنَّ تفخيم المصوّتات وترقيقها مرهون بالصّوامت التي تتّبعها، تفخّم مع الصّامت المفخّم، وترقّق مع الصّوت المرقّق، يقول أحد الدّارسين: "الفتحة مثلا قد تكون مفخّمة مع أصوات الإطباق، وهي الصّاد والضّاد والطّاء والظّاء، وهي في الحالة الوسطى بين التّفخيم والتّرقيق مع القاف والغين والخاء، ولكنّها مرقّقة في المواقع الصّوتية الأخرى"[1]، والقول نفسه ينطبق على الحركات الأخرى الضمّة والكسرة كما يسري عليها هذا في حالة الطّول، أي الألف والياء والواو، باعتبار أنَّ الألف فتحة طويلة والواو ضمّة طويلة والياء كسرة طويلة.[2]

2.2.1 الإبدال بين الكسر والضمّ: ونجده مثلا في لفظة (غُرْبَال) التي وردت في لغة بني هلال بالضمّ، مع أنَّها مكسورة في الفصحى"غِربال"[3] على صيغة مِفعال، ومثل هذا القلب ورد في لهجات العرب القديمة، من ذلك أنَّ تميم تقول:

(القُثَاء*)،(أُسْوَة)، (قُدْوَة)، (صُنْوَان*)، (رُضْوَان) بالضمّ[4]، وأهل الحجاز يقولون بالكسر: (القِثَاء)، (إِسْوَة)، (قِدْوَة)، (صِنْوَان)، (رِضْوَان).[5] وهي تقول: (قُبَلَ) و(وُدّ) بالضمّ، في حين بعض بني قيس يكسرونهما فيقولون: (قِبَلَ) و(وِدّ).[6]

---

[1] كمال بشر: علم اللغة م. س، ص148.

[2] المحدثون صححوا الرأي الذي قال: إن المد الطويل يختلف عن القصير في الكمية فقط وإنما في الكيفية أيضا إذ إنّ موقع اللسان مع أحد هذين الصوتين مختلف قليلا عن موضع الصوت الآخر يصحبه اختلاف طفيف في درجة انفتاح الشفتين.(ينظر أحمد مختار عمر م. س: ص 182 كمال بشر م. س: ص120).

[3] غربل الشيء: نخله، الغِرْبَالُ: ما ينخل به. ينظر اللسان مادة (غربل).

* القثاء والقثاء: الواحدة قثاءة.نوع من النبات ثمره يشبه ثمر الخيار (ينظر ابن منظور: مادة قثأ).

* الصنو والصنو: ج أصناء وصنوان: إذا خرجت نخلتان أو أكثر من أصل واحد. فيقال: "النخل أنبت الصنوان" فكل واحدة منهما هي صنو والاثنتان صنوان وصنيان يقال: "ركيتان صنوان" أي متجاورتان أو تنبعان من عين واحدة. ومنه صنوان، وصنوان الأخ الشقيق (ينظر ابن منظور: مادة صنا).

[4] ينظر: الزركشي: البحر المحيط م. س، ج5 ص 357، المزهر: 2/ 277.

[5] اللهجات العربية في القراءات القرآنية: 146.

[6] هامش تفسير الجلالين، الطبعة الثانية، 1954م، ج1 ص 137.

كما وجِد هذا الإبدال في القراءات القرآنية كذلك وفي مفردات بعينها، فقد قرأ عاصم قوله عزّ وجلّ: ﴿ورُضوان﴾.[1] وقوله تعالى: ﴿أُسْوَة حَسَنَةً﴾[2] بالضمّ، وقرأ الباقون ﴿ورِضوان﴾ ﴿إسْوَة حَسَنَة) بالكسر.[3]

وأنّه قرأ من قوله تعالى: ﴿خِفْيَةً﴾[4] بكسر الخاء، وقرأ الباقون ﴿خُفْيَةً﴾ بالضمّ.[5] وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم من قوله تعالى: ﴿من حُليّهِمْ﴾[6] بضمّ الحاء، وقرأ حمزة والكسائي ﴿من حِلِيِّهم﴾ بالكسر.[7] إلى غير ذلك من الأمثلة العديدة. وتفسير ذلك يعود إلى القرابة الشّديدة بين هذين المصوّتين (الضمّة والكسرة) الأمر الذي يجعل تطوّر أحدهما إلى الآخر تجيزه الدّراسات الصّوتية، فكلاهما من الأصوات الضيّقة، التي يبلغ اللّسان معهما أقصى ما يمكن أن يصل إليه من صعود نحو الحنك، والفراغ بينهما أضيق ما يمكن أن يصل إليه للنّطق بمصوّت، "والفرق بينهما لا يعدو أن يكون في حركة اللّسان، فمع الكسرة يتصعّد اللّسان نحو الأعلى، أمّا مع حركة الضمّة فتصعد مؤخّرة اللّسان نحو الطّبق.[8]

هذا الأمر وقف عنده القدامى من أمثال ابن جني الذي توصّل إلى أنّه "بين الضمّة والكسرة من القرب والتّناسب، ما ليس بينهما وبين الفتحة.[9] لعلّ هذا ما جعل الأستاذ براجستراسر يذهب إلى القول بأنّ اللّغات السّامية، كانت تنظر في حقبة ما إلى الضمّة والكسرة على أنّهما يمثّلان صوتًا

---

[1] نحو قوله تعالى: ﴿ما ء يس خ ط أ و د ه ج ه ن م و بئ س ٱ م ص ير ﴾ سورة آل عمران: الآية 162. وقوله: ﴿ٱ ل ب وا ب ٱ ف ض ل ٱ و ذ و ف ض ل ع ظ يم ﴾ سورة آل عمران: الآية 174.

[2] نحو قوله تعالى: ﴿أ س و ة ٱ ل ذ ين م ع ه و﴾ سورة الممتحنة: الآية 4.

[3] عبده الراجحي م. س: ص146-147.

[4] نحو قوله تعالى: ﴿و ٱ ل ب ح ر ت ف و ي ة ل ن ا ن ج ا م ن ه ذ ه ل ن ك و ن ن ٱ ل ش ك ر ين ﴾ سورة الأنعام: الآية 63.

[5] عبده الراجحي م. س: ص146.

[6] نحو قوله تعالى: ﴿و ٱ ت خ ذ ق و م م و س ى م ن ب ع د ه م ن ح ل ي ه م ع ج ل ا ج س ا ل ه خ و ا ر أ ل م ي ر و ا أ ن ه ل ا ي ك ل م ه م و ل ا ي ه د ي ه م س ب ي ل ا ٱ ت خ ذ و ه و ك ا ن و ا ظ ٰ ل م ين ﴾ سورة الأعراف: الآية 148.

[7] عبده الراجحي م. س: ص146.

[8] رمضان عبد النواب: مدخل إلى علم اللغة م. س، ص92.

[9] ابن جني: سر الصناعة م. س، ج1 ص60-61.

واحدا"[1]، وخاصّة بعد أن وجد "تناوب قويّ بين هذين الصّوتين في اللّغات السّامية عمومًا، ومن تلك القربى (التّشريحية) بين الصّوتين".[2] والقول نفسه ينطبق عليهما في حالة الطّول أي الياء والواو، كون الواو ضمّة طويلة والياء كسرة طويلة، مثلما يحدث في لفظة (عْرِيسْ) التي تنطقها قبائل بني هلال، مع أنَّها مضمومة "عَرُوس"[3] في الفصحى. أو ربّما يرجع هذا القلب في هذه اللّفظة للتمييز بين بين الرّجل والمرأة، لأنَّ هذا القلب لا يحدث في لغة بني هلال، إلا إذا قصدوا الرّجل.

3.2.1 الإبدال بين الفتح والضمّ: نجد هذا القلب مثلا في قولهم:

(ظَلْمَه) في ظُلْمة وظُلُمة.(قُرُنْفَل) في قَرَنْفُل وقَرَنْفُول.[4]

(سَّمْ) في سَّمّ وسُّمّ وسِّمّ[5] الألفاظ الثلاثة كلّها أصلية، لكنّ بني هلال يفضّلون النّطق الأوّل.

(فُمْ) في فَمٌّ وفُمٌّ[6] الكلمتان أصلان، لكنّ بني هلال يؤثرون اللّفظة الثّانية.

ففي (ظَلْمَه) التي هي في الفصحى مضمومة "ظُلمة"، قُلبت الضمّة فتحة لتنسجم مع حركة الفتحة بعدها، خاصّة وأنّ المصوّت الذي مسّه القلب هو الموالي للضّاد، وما يتميّز به إطباق وتفخيم الذي يناسبها فتأتي معهما مفخّمة. أمّا عن قلب الضمّة فتحة في كلمة " قَرُنْفُل" التي أصبحت في لغة بني هلال (قْرُونْفَل)، فقد عللّ أحد الدّارسين هذا القلب في هذه اللّفظة، أنَّه يمكن أن يكون الأصل (قَرَنْفُل) ثم تطوّرت حركتا القاف والرّاء (أي الفتحتين) إلى ضمّتين لتجانسا حركة الفاء، فأصبح اللّفظ (قْرُونْفَل)، وفي لغة بني هلال أسقطت الضمّة الأولى لأنَّ اللّهجة تبدأ بساكن.

أمّا في اختيارهم للفتحة دون الضمّة، في قولهم: (فُمْ) في فَمّ، فلعلّ تفسير ذلك يعود إلى كون الفتحة هي أوّل الحركات ويسهل نطقها في اللّهجة.

ومن أمثلة هذا الإبدال في لهجات العرب القديمة، أنَّ نطق (عُشوَة)*، (عُدوة)*، (زُعم)* ، (قُرح)* بالضمّ هو لغة تميم وأهل الحجاز يفتحون[1] فيقولون: (عَشوة)، (عَدوة)، (زَعم)، (قَرح).

---

[1] براجستراسر: التطور النحوي للغة العربية م. س، ص 34-36.

[2] فاضل المطلبي: دراسة في أصوات المد العربية م. س، ص 161.

[3] العروس: نعت يستوي فيه الرجل والمرأة. وفي الصحاح: ما داما في إعراسهما. يقال: رجل عروس في رجال أعراس، وامرأة عروس في نسوة عرائس. وفي المثل: كاد العروس يكون أميرًا. وفي الحديث: فأصبح عروسًا. يقال للرجل عروس كما يقال للمرأة، وهو اسم لهما عند دخول أحدهما بالآخر. ينظر ابن منظور: مادة (عرس).

[4] ابن منظور: مادة (قرنفل).

[5] السَّمّ والسِّمّ والسُّمّ: القاتل وجمعها سمام. اللسان مادة (سمم).

[6] ابن منظور: مادة (فمم).

وأنّ (السُّم) و(الشُهد) بالضمّ لغة أهل العالية وبالفتح لغة تميم.[2]مثل هذه الأمثلة نجدها في القرآن الكريم جنبًا إلى جنب مع الصِّيَغ في اللّغة العربية القديمة، ذلك أنَّ القرآن حوى العديد من نطق اللّهجات العربية القديمة لمفردات بعينها، واختلف القرَّاء في نطقها كلٌّ حسب تعوّده ولغته التي جُبل عليها.

- فقد قرأ ابن كثير (ت120هـ) ونافع (ت169هـ) وأبو عمرو بن العلاء (ت154هـ) من قوله تعالى:﴿قَرْح﴾[3] بفتح القاف، و﴿كَرْهًا﴾[4] بفتح الكاف.

وقرأ حمزة (ت156هـ) والكسائي (ت189هـ) بالضّمّ ﴿قُرْح﴾.[5] و﴿كُرْهًا﴾.[6]

- قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو من قوله تعالى: ﴿الرَّهْب﴾[7] بفتح الرّاء، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر بالضمّ ﴿الرُّهْب﴾.[8] وقرأ عاصم وحمزة من قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعف﴾[9]

---

* العَشوة والعُشوة: الشعلة من النار ترى ليلا من بعيد فتُقْصد وأصله من عَشواء الليل. العَشوة والعُشوة الظلمة، أوّل ربع من الليل، يقال: "رأيته في عَشوة العتمة وفي عَشوة السحر" أي في ظلمة العتمة وفي ظلمة السحر.ابن منظور: مادة (عشا).

= * العَدوة والعُدوة: ج عِداء وعداوات: المكان المرتفع. شاطئ الوادي وجانبه. المكان المتباعد.

* الزَّعْمُ والزُّعْمُ والزِّعْمُ، ثَلَاثُ لُغَاتٍ: الْقَوْلُ، زَعَمَ زَعْماً وزُعْماً وزِعْماً أي قَالَ، وَقِيلَ: هُوَ الْقَوْلُ يَكُونُ حَقًّا وَيَكُونُ بَاطِلًا. م س: مادة (زعم).

* قرح :القَرْحُ والقُرْحُ، لُغَتَانِ: عَضُّ السِّلَاحِ وَنَحْوُهُ مِمَّا يَجْرَحُ الجسدَ وَمِمَّا يَخْرُجُ بِالْبَدَنِ؛ وَقِيلَ :القَرْحُ الآثارُ، والقُرْحُ الأَلَمُ. م س: مادة (قرح).

[1] السيوطي: المزهر م. س، ج2 ص277. التهذيب: ج 2 ص158. فاضل المطلبي: دراسة في أصوات المد العربية م. س: ص160.

[2] ابن سيده م. س: ج 15 ص76.

[3] نحو قوله تعالى: ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾ سورة آل عمران: الآية 172.

[4] نحو قوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها﴾ سورة الأحقاف: الآية 15.

[5] عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية م. س، ص 134.

[6] عبده الراجحي: م. س.ص.

[7] نحو قوله تعالى: ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ سورة القصص: الآية 32.

[8] عبده الراجحي: م. س.ص.

[9] نحو قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ﴾ سورة الروم: الآية 54.

بفتح الضّاد، وقرأ الباقون بالضمّ ﴿ضُعْف﴾.[1]

- أيضًا قرأ حمزة والكسائي وعاصم من قوله تعالى: ﴿سَدًّا﴾[2] بفتح السّين، وقرأ الباقون بالضمّ ﴿سُدًّا﴾.[3]

- قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو من قوله تعالى: ﴿غَرْفَة﴾[4] بفتح الغين، وقرأ الباقون بالضمّ ﴿غُرْفَة﴾.[5]

4.2.1 الإبدال في عين الأفعال: تعدّى إبدال المصوّتات في لغة بني هلال حدود الأسماء ليشمل أبنية الأفعال، فقد مسّ العنصر الثّاني من الأصل في بنية الفعل وهو الصّوت الأساسي في جذر الفعل، الذي يطلق عليه في العربية مصطلح عين الكلمة، ونجد هذا الإبدال في الحالات الآتية:

قلب الكسرة فتحة:

- في الأفعال الماضية التي تأتي على صيغة "فَعِلَ" مثل قولهم:

(فْرَح) في فَرِح. (لْصَـــق) في لَصِق. (لْعَـــق) في لعِق (العسل بإصبعه). (لْعَب) في لَعِب. (هْرَب) في هَرِب. (سْمَع) في سَمِع. (خْسَر) في خَسِر. (لْبَس) في لَبِس. (حْزَن) في حَزِن...

- في بعض الأفعال المضارعة التي تأتي على صيغة "يَفْعِل"، مثل قولهم:

(يَعْرَف) في يَعْرِف. (يِقْسَم) في يَقْسِم. (يِحْصَد) في يَحْصِد. (يِحْفَر) في يَحْفِر. (يِعْزَمْ) في يَعْزِم...

- في بعض الأفعال المضارعة التي تأتي على صيغة "يَنْفَعِل"، مثل قولهم:

(تَنْـــقْـــطَع) في تَنْقَطِع. (تَنْطْبَع) في تَنْطَبِع....

- في بعض الأفعال المضارعة التي تأتي على صيغة "يُفَعِّل"، مثل قولهم:

(يْصَعَّب) في يُصَعِّب. (يْدَرَّقْ) في يُدَرِّق. (يُخْفِي)....

---

[1] ابن الجزري: النشر م. س، ج2 ص245.

[2] نحو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ سورة يس: الآية 9. وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ سورة الكهف: الآية 94.

[3] عبده الراجحي م. س، ص144.

[4] نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ سورة البقرة: الآية 249.

[5] م. س.ص.

– في بعض أفعال الأمر التي تأتي على صيغة "فَعِّل" مع ضمير المخاطب " أنتَ":
(عَلَّـــــقْ) في عَلِّق. (سَطَّرْ) في سَطِّر. (رَقَّـــعْ) في رَقِّع...
– في بعض أفعال الأمر التي تأتي على صيغة "أَفْعِل" مع ضمير المخاطب "أنتَ":
(وَجَّدْ) في أَوْجِد. (وَصَّلْ) في أَوْصِل. (وَخَّرْ) في أخِّر...

- **قلب الضمة فتحة:** ونجده في الحالات الآتية:

– في الفعل الثّلاثي الذي يأتي على وزن فَعُلَ، مثل قولهم:
(صْغَرْ) في صَغُرَ. (ضْعَفْ) في ضَعُفَ. (كْبَرْ) في كَبُرَ. (كْثَرْ) في كَثُر....
– في مضارع الفعل الثلاثي "المضعّف الآخر"، مثل:
(يْعَسّْ) في يَعُسُّ. (يْعَدّْ) في يَعُدُّ. (يْمَدّْ) في يَمُدُّ. (يْحَدّْ) في يُحُدُّ....

مثل هذه الحالات من القلب في حركة عين الفعل، نجد لها أصولا في لهجاتنا العربية القديمة، سواء كان الفعل ماضيًا أو مضارعًا، حيث ثبت أنَّ:

– تميم تقول بطَش يبطَش، وأهل الحجاز يكسرون عين المضارع منه فيقولون يبطِش.[1] وأنّ رَكِن يَرْكَن لغة قريش وأهل الحجاز، ورَكَن يركُن لغة تميم.[2]
– تميم تقول: جَنَح يَجْنَحْ بالفتح، وجَنَح يَجْنُح بالضمّ لغة قريش.[3]
– تميم تكسر عين الماضي فتقول: ظَلِلْت أَظِل، وأهل الحجاز يقولون: أَظَلّ بالفتح.[4]
– أهل الحجاز يقولون: بَرَأْتُ من المرض، وتميم تقول: بَرِئْت من المرض.[5]
– أهل الحجاز يقولون: فَرَغَ يَفْرَغ، وتميم تقول: فَرِغ يَفْرَغ.[6]
– نَكِل ينكِل بالكسر لغة تميم، ونكَلَ يَنكَل بالفتح لغة أهل الحجاز.[7]
– رَضِع يَرْضِع لغة قيس وتميم وعامّة أهل نجد، ورضَع يَرْضَع لغة أهل الحجاز.[1]

---

[1] السيوطي: المزهر م. س: ج2 ص275.

[2] البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي القاهرة: د ط، 1329 هـــ، ج5 ص269، وج9 ص108.

[3] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، عالم الكتب، 1423 – 2003، ج8 ص39.

[4] م. س: ج6 ص438. وينظر المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة الكويت، ج7 ص411.

[5] السيوطي: المزهر م. س، ج2 ص276. وينظر: الزبيدي التاج: ج1 ص465.

[6] البحر المحيط: ج8 ص194.

[7] نكل: نكص وجبن. ينظر ابن سيده: المخصص م. س، ج3 ص64.

وهناك أمثلة أخرى نستشفّها في القراءات القرآنية، توضّح أنَّ حركة العين غير مستقرّة في أفعال العربية، ذلك أنَّ القرآن حوى العديد من نطق اللّهجات العربية القديمة لمفردات بعينها، واختلف القرَّاء في نطقها كلٌّ حسب تعوّده ولغته التي جُبل عليها، فقد ورد أن:

– ابن كثير ونافعا وأبا عمرو والكسائي قرؤوا من قوله عزّ وجل ﴿يحسِبهم﴾.[2] وقوله تعالى: ﴿تحسِبنّ﴾[3] بكسر السّين في كلّ القرآن، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر بفتح السّين ﴿يحسَبهم﴾. و﴿تحسَبنّ﴾ في كلّ القرآن.[4]

– قرأ عاصم ونافع من قوله سبحانه: ﴿وقَرن﴾[5] بفتح القاف، وقرأ الباقون بالكسر ﴿وقِرن﴾ ومن القراءات الشّاذّة[6]، ما رواه أبو عمرو: أنَّ قتادة وطلحة والأشهب.

و قرؤوا من قوله تعالى: ﴿وَلا تَرْكُنُوا﴾[7] بضمّ الكاف، وقرأ غيرهم بالفتح ﴿وَلا تَرْكَنُوا﴾.[8]

– قرأ الكسائي وحده من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَعزِب﴾[9] بكسر الزّاي، وقرأ الباقون بضمّها ﴿يَعزُب﴾.[10]

– قرأ الكسائي وحده أيضًا في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمُثْهُنَّ﴾[11]

---

(1) الزبيدي: التاج م. س، ج5 ص335.

(2) نحو قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ سورة البقرة: الآية 273.

(3) نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ سورة إبراهيم: الآية 42.

(4) أبو علي الفارسي: الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق: علي النجدي ناصف، الدكتور عبد الحليم النجار، الدكتور عبد الفتاح شلبي. مراجعة محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1385ه، ج3 ص43 وينظر البحر: ج2 ص328.

(5) في قوله عزوجل: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ سورة الأحزاب: الآية 33.

(6) أبو علي الفارسي: الحجة م. س، ج6 ص 154.

(7) نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ سورة هود: الآية 113.

(8) البحر: ج5 ص269.

(9) نحو قوله تعالى: ﴿السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ سورة سبأ: الآية 3، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ سورة يونس: الآية 61.

(10) الحجة: ج6 ص162.

(11) نحو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ سورة الرحمن: الآية 56. وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ سورة الرحمن: الآية 74.

بضمّ الميم، وقرأ الباقون بكسرها ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾.[1]

– قرأ حمزة والكسائي في قوله سبحانه: ﴿يَعكِفون﴾[2] بكسر الكاف، وقرأ الباقون بضمّها ﴿يَعكُفُونَ﴾. [3]

– قرأ نافع وابن عامر وعاصم في قوله تعالى: ﴿انشُزوا﴾[4] بضمّ الشّين، وقرأ الباقون بالكسر ﴿انشِزوا﴾.[5]

– قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر في قوله تعالى: ﴿فاعتُلوه﴾ [6] بضمّ التّاء، وقرأ الباقون بالكسر ﴿فاعتِلوه﴾.[7]

– ومن القراءات الشّاذّة أنَّ الأعمش

قرأ في قوله تعالى: ﴿يعرِجون﴾[8] بكسر الرّاء

وقرأ الباقون ﴿يعرُجون﴾ بالضمّ.[9]

فالملاحظ ممّا سبق، أنَّ حركة العين سواء في اللّهجات الحديثة أو القديمة أو حتّى عند المشاهير من القرّاء، غالبًا ما نجدها غير ثابتة على أصلها، فهي كثيرة التغيّر والتقلّب، وأكثر ما وجدناها منقلبة عن الكسرة والضمّة اللّتين تطوّرتا إلى فتحة. ويمكن تفسير تطوّر حركة العين من الكسر إلى الفتح في تلك الطّائفة من الأفعال في لغة بني هلال، نحو (فْرَح، لْصَـــق، سْمَع، لْعَب) في: "فَرِحَ، التصق، سمِع، لعِب" أنَّه ناتج عن تأثّر حركة العين بالفتحة قبلها وبعدها، فانقلبت كسرة لتنسجم معهما.

---

(1) الحجّة: ج7 ص224.

(2) في قوله تعالى: ﴿وهم يعكفون على أصنام لهم﴾ سورة الأعراف: الآية 138.

(3) النشر في القراءات العشر: أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضبّاع، د ط، ج2 ص271.

(4) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ سورة المجادلة: الآية 11.

(5) الحجة: ج7 ص250. وينظر النشر: ج2 ص385.

(6) في قوله تعالى: ﴿خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم﴾ سورة الدخان: الآية 47.

(7) الحجة: ج7 ص137.

(8) البحر: ج5 ص448.

(9) في قوله تعالى: ﴿لو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾ سورة الحجر: الآية 14.

أمّا عن قلبهم الكسرة فتحةً في الأفعال المضارعة، نحو: (يَعْرَفْ، يَحْصَدْ...) في "يعرِف، يحصِد"، فحركة العين تأثّرت بالفتحة قبلها فانقلبت لتنسجم معها، أي حدث نوع من التّأثر التّقدّمي، تأثّر المصوّت الثّاني بما قبله وهي حركة الياء المضارعة، التي تجيء مفتوحة في الأفعال المعلومة.

وعن قلب حركة العين في تلك الأفعال المضارعة التي جاءت على صيغة " يُفَعِّلْ " نحو:
(يْصَعَّبْ، يْدَرَّفْ) في "يُصَعِّب، يُدَرِّك" فإنّ حركة الكسر تأثّرت بحركة الفتح قبلها. والأمر نفسه حدث مع أفعال الأمر نحو: (وَجَّدْ، وَصَّلْ، وَخَّرْ) في " أَوْجِد، أَوْصِل، أَخِّر" وعملية القلب تمّت على مرحلتين:

ففي الأولى: أُسقطت همزة الأمر، وانتقلت إلى الصّوت الذي يليها.

وفي الثّانية: تأثّرت حركة الكسرة بما قبلها (الفتحة).

أَوْجَدَ أَوْجِدْ وَجِّدْ وَجَّدْ

وما قيل عن قلب الكسرة إلى فتحة، يقال عن قلب الضمّة إلى فتحة، فهو ناتج عن تأثّر تقدّمي، حيث تأثّرت ضمّة العين بالفتحة قبلها فقُلبت فتحة، هذا في الأفعال الثّلاثية التي جاءت على وزن (فَعُلَ) نحو: (صَغُرَ، كَثُرَ) وتطوّرت في اللّهجات الحديثة إلى (صْغَر وكْثَر). أمّا في الأفعال المضارعة المضاعفة الآخِر نحو: "يَعُسُّ، يَمُدُّ، يَحُدُّ..". التي أصبحت (يْعَسّْ، يْمَدّْ، يْحَدّْ) فهو ناتج عن تأثّر حركة الضمّ بما قبلها من الفتحة المصاحبة لياء المضارعة، وكان قد مرّ بنا نماذج وضّحت لنا أنَّ اللّهجات العربية القديمة، كذلك اختلفت في حركة عين الفعل، ماضيًا كان أو مضارعًا في مجموعة من الأفعال، ووجدنا هذه الظّاهرة حتّى في بعض القراءات.

لعلّ هناك من يسأل لماذا هذه العناية الشّديدة بتغيّرات مصوّت عين الكلمة دون سواه؟ إنّ السّبب يكمن في "أنَّ المصوّت الذي يكون في هذا الموضع، إنّما هو المصوّت الرّئيس في الكلمة، وهو ما بدا واضحًا في أبنية الأفعال، ولعلّ هذه الأهمّية متأتّية من قوّة العنصر الثّاني من الأصل على الثّبات؛ بسبب ابتعاده عن اللّواحق والسّوابق والتّأثيرات الإعرابية."[1] وهو رأي القدامى كذلك كما يبدو في قول ابن جني: "العين أقوى من الفاء واللّام، وذلك لأنَّها واسطة لهما ومكنونة بهما، فصارا كأنَّهما سياج لها ومبذولان للعوارض دونها."[2]

---

[1] غالب فاضل المطلبي م. س: ص252.

[2] ابن جني: الخصائص م. س، ج2 ص155.

كما يجب التّنبيه إلى ظاهرة لها جذور في القِدم، استوقفتني وأنا أستقصي صور الإبدال في تلك الطّائفة من الأفعال المضارعة في اللّهجة الجزائرية، ألا وهي كسر حرف المضارعة في نحو: (يِعْرَف، يِقْسَم...) في "يَعْرَفْ، يَقْسَمْ، ..". والمعروف أنَّ صوت المضارعة يحرّك بالفتحة، إلا إذا كان الماضي فعلا رباعيًا فإنّه يضمّ. مثل هذه الظّاهرة "كسر حرف المضارعة" عرفتها بعض اللّهجات العربية القديمة، على ألسنة بعض القبائل وسمّيت بـــ "التّلتلة"، وقد ذكرها القدامى في مصنّفاتهم ونسبوها إلى بهراء، يقول ابن جني: "وأمّا تلتلة بهراء، فإنّها تقول: تِعلمون وتِفعلون وتِصنعون بكسر أوائل الحروف."[1]

ويذكر أبو حيّان أنَّها "لغة فاشية في العرب كقيس وتميم وأسد وربيعة"[2]، وفي موضع آخر يضيف أنَّ "بعض بني كلب يكسرون أيضًا في الياء يقولون: هل يِعلم؟"[3] فانتشار الكسر كان في قبائل كثيرة على ما يبدو، والظاهر أنَّه اشتهر عند أرباب الفصاحة من القبائل المشار إليها، "فبهراء من قضاعة كانوا يقطنون ناحية الشّام قريبًا من العراق، وربيعة مسكنها الحيرة، وأسد كانت تسكن قبل الكوفة بخمس مراحل، وتميم من قبائل شرقي الجزيرة بالقرب من العراق، وهذيل من سكان الحجاز"[4] فهذه القبائل بدويّة على العموم، ممّا يدل على أنَّ البداوة سمة النّاطقين باللّهجة الهلالية، وضاربة فيهم.

كما تناول أحد المحدثين هذه الظّاهرة وعلّل حدوثها وشيوعها في (التّاء والنّون والياء)، على أنَّ "هذه الأصوات الثّلاثة من أصوات مقدّم الفم، والكسر مصوّت أمامي يسهل البدء به مع الأصوات المتقدّمة."[5] ويضيف مشيرًا إلى أنَّ "ظاهرة كسر حرف المضارعة سامية قديمة، أمّا الفتح في أحرف المضارعة جاء في العربية القديمة، دون سواها من اللّغات السّامية الأخرى، وأنّ استمرار الكسر في حروف المضارعة، حتّى الآن في اللّهجات العربية الحديثة كلّها، يؤكّد أصالة الكسر"[6]، ووجودها في

---

[1] ابن جني: سر الصناعة م. س، ج1 ص235.

[2] م. س.ص.

[3] البحر المحيط: ج1 ص24 وج7 ص343 وج1 ص23.

[4] م. س.ص.

[5] عبد الغفار حامد هلال: ص74.

[6] عبد الغفار حامد هلال: ص74.

لغة بني هلال، يؤكّد أنَّ هذه اللّهجة التي تعدّ نموذجًا حيًّا لبعض اللّهجات العربية الحديثة، هي امتداد للّهجات العربية القديمة.

5.2.1 الإبدال بين المصوّتات القصيرة والطّويلة: مالت لغة بني هلال في حالات قليلة إلى تقصير المصوّت الطويل، وفي حالات أخرى إلى مدّه إذا كان قصيرا، ومن صور هذا الإبدال نذكر:

أ) إبدال المصوّت القصير مصوّتا طويلا (إشباع المصوّت القصير): إنّ المصوّتات القصيرة: الضمّة، الكسرة والفتحة، تتحوّل عن درجة القصر إلى درجة الطّول، فتُقلب واوًا وياءً وألفًا؛ أي أنَّ الحركة تُقلب إلى صوت من جنسها دون أن يتغيّر معنى اللّفظة، وأطلق اللّغويون القدامى على هذا القلب أو التحوّل مصطلح "مطل الحركات"[1] أو مدّ الحركة، أمّا المحدثون فيسمّون هذه العملية، بـــ"الإشباع". ومن صور هذا القلب في لغة بني هلال، ما يلي:

- **إبدال الضمَّة، ضمَّة طويلة:**

في بعض الأسماء: (قـــنْفُود) في قُنْفُد، (قرُونْفَل) في قرُنفل، (فُوقَهَ) في فُقَهَاء (أسقطوا الهمزة المتطرّفة)...

في الفعل الثّلاثي المتصرّف في الأمر: نحو قولهم: (قُول) في قُل، (كُول) في كُل، (صُوم) في صُم...

في أوّل الضّمائر المنفصلة التالية: (هُووَ) في هوَ، (هُومَا) في هُمَا، (انْتُوما) في أنتُما، أنتُم، أنتُنّ.

- **إبدال الفتحة، فتحة طويلة:**

في أوّل بعض الأسماء، نحو قولهم: (لْعَاهَد) في العَهد، (لعَاصَر)، في العَصر، (لآجَل) في الأَجل..

في وسط بعض الأسماء، مثل: (عُمَار) في عُمَر..

في أواخر الأفعال الماضية المقترنة بكاف الخطاب، وهاء الغائب المسندة إلى تاء التّأنيث، كما في قولهم:

(كْشَّاتَك – كْشَّاتَه) في كَمَشَتك – كَمَشَته.

(صَفْعَاتك – صفعَاته) في صَفعَتك – صفعَته.

(ضرَبَاتك – ضرَبَاته) في ضرَبتك – ضرَبته.

في الأفعال المعتلَّة الآخر والمتصرِّفة في الماضي مع ضمير الجمع للغائب "هم"، كما في قولهم:

(نْسَاوْ) في نَسَوا، (بْقَاوْ) في بَقَوا، (مْشَاوْ) في مَشَوا....

- **إبدال الكسرة، كسرة طويلة:**

---

[1] ابن جني: الخصائص م. س، ج3 ص 121.

يظهر هذا القلب في قولهم: (جِيهَ) في جِهَة، (خْشِينْ) في خَشِن، (صِيفَه) في صِفة...
في الفعل الثّلاثي الأجوف المتصرّف في الأمر، نحو قولهم:
(زِيدْ) في أنتَ زِد.
(زِيدِي) في أنتِ زِدِي.
(زِيدُوا) في أنتما زِدَا، أنتم زِدُوا، أنتن زِدْن.
(بِيعْ) في أنتَ بِعْ.
(بِيعِي) في أنتِ بِعِي.
(بِيعُوا) في أنتما بِعَا، أنتم بِعُوا، أنتن بِعْنَ.

- **إبدال الفتحة كسرة طويلة:** نجد هذا القلب في لام الجرّ عند اتّصالها بضميري الغائب والمخاطب: (لِيهْ) في لَه، (لِيهُم) في لَهم، (لِيهَا) في لَها، (لِيكْ) في لَكِ، (لِيكُم) في لَكُم.

وممّا نقلته المصادر، من قبيل أمثلة قلب المصوّت القصير مصوّتا طويلا في اللّهجات العربية القديمة، ما أورده ابن جنّي في خصائصه وهو موضوع على النّحو الآتي:

- **قلب الفتحة ألفًا:** يظهر هذا القلب فيما أنشده أبو علي لابن هرمة يرثي ابنه: [1]

فأنتَ من الغوائل حين تُرمى *** ومن ذمّ الرجال بمنتزاح[2]

أراد: بمنتزح[3] (مفتعل من النازح).

وما أنشده أيضًا لعنترة:[4]

زيافة مثل الفتيق المقرم *** ينباع من ذفري غَضُوب جَسْرة[5]

أراد: ينبع، (أشبع الفتحة، فأنشأ عنها ألفًا).

---

[1] البيت أورده في الحماسة البصرية في قطعة في مدح عبد الواحد وهو أحد القريشيين كان قاضيا لجعفر بن سليمان، ومطلعها:
أعبد الواحد المحمود إني *** أغض حذار سخطك بالقراح

[2] ابن جني: الخصائص م. س، ج3 ص 121. وج 2 ص316.

[3] النزوح: البعد.

[4] ابن جني: الخصائص م. س، ج3 ص121 وج2 ص316.

[5] ينباع: أي العرق. والذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن إلى آخر الأوصاف من وصف ناقته. يذكر أن عرق ناقته يسيل من جهدها في السير (البيت في المعلقة).

ومن ذلك أيضًا: قول الهذلي:[1]

بينا تعنّقه الكُماةَ وروغه *** يوما أُتيح له جريءُ سُلْفَعُ[2]

أي: بين أوقات تعنّقه (أشبع الفتحة، فأنشأ عنها ألفا).

- **إبدال الكسرة، كسرة طويلة:**

من أمثلة هذا القلب ما ورد في قولهم: "من الصّياريف*، والمطافيل*، والجلاعيد*" [3]كقول الشاعر:[4]

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة *** نفرَ الدراهيم تَنقادُ الصيارِيف

قال أبو النّجم:[5]

حتّى تراعت في النّعاج الخذل *** منها المطافيل وغير المُطفِل[6]

وقول الهذلي:[7]

وإنَّ حديثًا منك لو تبذلينه *** جنى النّحل في ألبان عَوْذٍ* مَطَافِيل[8]

---

[1] ابن جني: الخصائص :م. س، ج 3 ص 122. الهذلي هو أبو ذؤيب في مرثيته العينية المشهورة (القصيدة في آخر المفضليات).

[2] تعنقه الكماة: دنوه منهم في الحرب والتزامه لهم، كما يتعانق الرجلان. وروغه أن يحيد عن ضرباتهم. والسلفع الجسور السليط، يذكر شجاعا يدل بقوته وعلمه بفن الحرب، فهو يعتنق قرنه حينا ويروغ من ضربه حينا آخر وبينما هو في المعمعة ومنازلة أقرانه جاءه من لا يأبه له فصرعه وذلك جزء سليط ما كان ليحسب له حساب.

* الصياريف: إنّما هي الصيارف جمع صيرف، والصيرفيّ: بياع النقود بنقود غيرها. ينظر ابن منظور: مادة (صرف).

* المطافيل: إنّما هي المطافل جمع المُطفل: وهي ذات الطفل من الإنس والوحش. ينظر ابن منظور: مادة (طفل).

* الجلاعيد: إنّما هي الجَلاعد، بالفتح: جمع جلعد وهو الشديد الصلب أو الغليظ. ينظر ابن منظور: مادة (جلعد).

[3] ابن جني م. س: ج3 ص 123.

[4] م. س: ج 2 ص 315.

[5] هو أبو النجم العجلي (ت 747هـ) : شاعر من أكابر الرجاز امتاز بالطرق وحسن الإنشاد، مدح الخلفاء الأمويين لا سيما عبد الملك وولده هشاما، والبيت هو الشطر التاسع من أرجوزته الطويلة وقد صدرها بوصف الإبل.

[6] النعاج الخذل: بقر الوحش، يريد أن الإبل رعت مع البقر والمطفل: التي معها طفل وهي حديثة عهد بالولادة، يكون في النوق والبقر والبقر والنعم، فقوله: منها المطافيل... يحتمل عوده للإبل وعوده للنعاج، وهو الأقرب.

[7] هو أبو ذؤيب الهذلي (ت نحو 648) : شاعر مخضرم.

[8] * العوذ: جمع العائذ، وهي حديثة العهد بالنتاج من النوق، ويريد بجني النحل عسله.

- **إبدال الضمّة ضمّة طويلة:**

من نماذج هذا القلب ما أنشده شاعر منهم:[1]

وإنني حيث ما يسرِي الهوى بصري *** من حيث ما سلكوا أدنو فأنظور

وقول آخر:[2]

ممكورة* جُمُّ العظام عُطْبُول* *** كَأَنَّ في أَنْيَابِها القَرَنْفُول [3]

يراد في البيت الأوّل: "فأنظر". وفي البيت الثّاني: "القرنفُل".

والملاحظ من خلال هذه الأمثلة، أنَّ قلب المصوّت القصير إلى صورة أطول، قد كثر استعماله في الشّعر، لأنَّ الضّرورة الشّعرية تتطلّب هذا المدّ حتّى يستقيم الوزن.ويظهر إشباع القصير كذلك في القرآن، فقد أُشبعت الفتحة وأصبحت ألفًا في مواضع عديدة، نحو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَيأسُوأْمِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَيۡأَسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.[4] وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَيۡأَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ ي ش ء ٱ ل ه د ى ٱ ل ن ا س ج م ي ع ا﴾.[5] ذوقوله: ﴿ن ب ا ي ل ي ط ا ن م ب ي ن﴾.[6] وأُشبعت الضمّة أيضًا، كما في قوله تعالى: ﴿ر ٱ ل ع ذ ا ب ا ل ح ق﴾[7] وقوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَستعجِلُونِ﴾[8].

كذلك نجد الكسرة أُشبعت في الكثير من المواطن، منها قوله تعالى: ﴿مِن نَّبَإِيْ المرسلين﴾[9] وقوله تعالى: ﴿مِن تِلقَآيِ نَفسِيۖ﴾[10]. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِيتَآيِ ذِي ٱلقربى﴾.[11]

---

[1] م. س: ج2 ص 316. *يسري: يلقى من سريت الثوب عني، ألقيته، ويروى "يشرى" بضم الياء، أي يميل أو يحرك.

[2] ابن جني :م. س: ج3 ص123.

[3] امرأة ممكورة: مستديرة الساقين. ينظر ابن منظور: مادة (مكر). عطبول: من الظباء والنساء، يقال جارية عطبول: جميلة فتية، ممتلئة وطويلة العنق. وقيل الحسنة التامة. ينظر ابن منظور مادة (عطبل).

[4] سورة يوسف: الآية 87.

[5] سورة الرعد: الآية 31.

[6] سورة النمل: الآية 21.

[7] سورة الأعراف: الآية 145.

[8] سورة الأنبياء: الآية 37.

[9] سورة الأنعام 34.

[10] سورة يونس: الآية 15.

[11] سورة النحل: الآية 90.

وهذا الإشباع الوارد في القرآن الكريم، إنّما هو لحكمة أرادها الله عزَّ وجلَّ، ليقع التدبّر والتّذكار في معنى الكلمة التي مُدّت حركتها، وقد فصّل العلماء الأجلّاء في ذلك كثيرًا. فالزّركشي أوضح في برهانه أنَّ الألف زيدت مثلا في الآيات المذكورة أعلاه، لتكون بمعنى زائد بالنّسبة إلى ما قبله في الوجود مثل ﴿لا أذبحنَّه﴾ زيدت الألف تنبيها على أنّ المؤَخّر أشدّ في الوجود من المقدَّم عليه لفظًا، فالذبح أشدُّ من العذاب. وكذلك في ﴿أفلم يايئس﴾ لأنَّ الصّبر وانتظار الفرج أخفُّ من الإياس، والإياس لا يكون في الوجود إلا بعد الصّبر والانتظار. وأنّ الواو زيدت في تلك المواضع للدّلالة على ظهور معنى الكلمة في الوجود، في أعظم رتبة في العيان، أمَّا الياء فزيدت لاختصاص ملكوتي باطن.[1]

ب) إبدال المصوّت الطويل مصوّتا قصيرا (تقصير المصوّتات): ويظهر في قولهم:

(رَقْـــبْ) في رَاقَبَ.

(هَجْ) في هَاج، لمن ثار لمشقّة أو ضرر.

إنّ مثل هذا النّوع من الإبدال قد وجدناه في اللّهجات العربية القديمة، فقد استعملت بعض اللّهجات تقصير المصوّت في سياقات عامّة من كلامها، "وكأنّ ذلك صار شيئا من عادة نطقية"[2]، والمصادر العربية روت لنا نماذج كثيرة ومتنوّعة، من ذلك قولهم: (قَامُ) في "قَامُوا"[3]، وقولهم: (احمرَّ) في "احمارَّ"،[4] وكذلك قولهم: (لا أَدْرِ) في "لا أَدْرِي" التي هي لغة هذيل.[5] وقد ردّ سيبويه (ت 180هـــ) والجوهري (ت 393هـــ) علّة ذلك لكثرة الاستعمال، كما قالوا: (لم يَكُ) في "لم يكن." أمّا الأزهري (ت 370هـــ) فرأى "أنّ العرب ربّما حذفوا الياء من قولهم: (لا أدرِ) في موضع "لا أدري" اكتفاءً بالكسرة منها، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيلِ إِذَا يَسرِ﴾[6] والأصل "يسري". وقوله تعالى:

---

[1] الزركشي: البرهان م. س، ج1 ص381-382 و386.

[2] غالب فاضل المطلبي: دراسة في أصوات المد العربية م. س، 296.

[3] م. س: ص294.

[4] سيبويه: الكتاب م. س، ج2 ص392.

[5] ابن منظور: مادة (دري).

[6] سورة الفجر: الآية 4.

﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبغِۚ﴾[1]، ﴿ٱلكَبِيرُ ٱلمُتَعَالِ﴾[2] بحذف ياء المدّ في (نبغي) و(المتعالي) كذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾[3] في (يا عبادي) وقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾[4] في (يا أبتي).

كما حُذفت واو المدّ في الفعل (يمحو) و(سندعو) في قوله جلّ وعلا: ﴿ويمحُ ٱللَّهُ ٱلباطِلَ﴾.[5] وقوله تعالى: ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[6] وفي قوله تعالى: ﴿يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾[7] حُذفت الواو في في (يدعو) والياء في (الدّاعي).

كما أنَّ هذه الظاهرة عُرفت في الشّعر أكثر، فشاعت بين الشّعراء وعدّوها من الضّرورة، من ذلك قول أحدهم:[8]

فَلَوْ انَّ الأَطِبَّاء كَانُ حَوْلِي *** وكَانَ مَعَ الأَطِبَّاء الإِسَاءُ*

أراد قول: كانوا حولي.

ونحو ذلك قول الشّاعر:[9]

كَفَاك كفٌّ ما تليق درْهمَا ***جودا وأُخْرَى تُعْطِ بالسَّيْفِ الدَّمَا

وكقول آخر:[10]

إنّ الفَقِيَر بَيْنَنَا قَاضٍ حَكَمْ *** أَنْ تَرِد الماءَ إذا غَابَ النُجُمْ

---

[1] سورة الكهف: الآية 64.

[2] سورة الرعد: الآية 5.

[3] سورة الزمر: الآية 16.

[4] سورة يوسف: الآية 4 و100.

[5] سورة الشورى: الآية 24.

[6] سورة العلق: الآية 18.

[7] سورة القمر: سورة 6.

[8] ابن يعيش: شرح المفصل م. س، ج4 ص9.

* الأسا: مفتوح مقصور: المداواة والعلاج، وأسا الجرح أُسُوًا وأسًا: داواه، والأسوّ والإساءُ، جميعا: الدواء، والجمع: آسية. والإساء: ممدود مكسور: الدواء بعينه، وإن شئت كان جميعا للآسي: وهو المُعالج. ينظر اللسان مادة (أسا).

[9] حسام سعيد النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت، 1980م، ص 234.

[10] ابن جني: الخصائص م. س، ج3 ص133.

في البيت الأول: يريد تعطي.

في البيت الثاني: يريد النّجوم.

حاول الدّارسون المحدثون تعليل هذا الانتقال من درجة الطّول إلى درجة القصر، ومن درجة القصر إلى درجة الطّول، فرأوا أنَّ هذا التّحوّل قد يكون "نتيجة لأسباب صوتية بحتة كالنّبر في الكلام، أو لعادة نطقية معيّنة كسرعة الأداء."[1]

والنّبر هو ضغط المتكلّم على مقطع معيّن من مقاطع الكلمة، بحيث يميّز عن غيره من المقاطع ويزداد وضوحه في السّمع [2] فهو إذن، "وضوح نسبي لصوت أو مقطع، بحيث إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام كان أكثرها بروزًا" [3]، وقد عرفته العربية وعبّرت عنه بمسمّياتها المختلفة، الهمز، العلو، الرّفع، مطل حركات، الارتكاز، الاشباع، المدّ، التوتّر، التّضعيف وكلّها تفضي إلى مستوى دلالي واحد، يقوم بوظائف متباينة تبعًا للسّياق وبروز القيم الاستدلالية في النّص اللغوي.[4] أي أنَّ السّياق هو الذي يحدّد نوع النّبر، الذي قد يؤدّي ببعض المصوّتات في المقاطع غير منبورة إلى الاختفاء، فإذا كان النّبر توتريًّا مثلا، فإنّ "درجته تقتضي ضغط المتكلّم على مقطع معيّن من مقاطع الكلمة، بحيث يتميّز عن غيره من المقاطع ويزداد وضوحه في السّمع"[5]، ممّا يؤدّي إلى حذف المصوّت من المقطع المنبور أو إلى قصره، لأنَّ هذا النّوع من النّبر (النّبر التّوتري) يستدعي توترًا في أعضاء النّطق، بحيث لا يسمح بخروج الهواء، فلمّا كانت أصوات المدّ تعتمد حريّة خروج الهواء حريّة تامّة، تعذّر نطقها في هذه الحالة، فسقطت."[6]

---

[1] غالب فاضل المطلبي: م. س، ص296.

[2] عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية م. س، ص97. وجان كانتينو: ص194.

[3] تمام حسان: مناهج البحث في اللغة م. س، ص160و 110.

[4] م. س.ص.

[5] عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية م. س، ص97. جان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية م. س، ص 194.

[6] غالب فاضل المطلبي: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، دار الحرية للطباعة، العراق / بغداد، 1398هـ / 1978م، ص 217-218-217.

فالذي يحدث في عملية تقصير المصوّت الطّويل هو التّوكيد النّبري، "بحيث يتّضح أنَّ الرّغبة عند المتكلّم توجّه النّبر من الصّوائت الطّويلة، أوّلا بتقصيرها، ومن ثمّ الضّغط على الفونيم الذي يحمل درجة بروز أكثر وسط المقاطع[1]، وهذا ما أشار إليه هنري فليش "أنَّ هذا الحرف قد يكون بسبب من أنَّ هؤلاء إنّما كانوا ينبرون في هذا الموضع[2]، وظاهرة التّخفيف، أو حذف المصوّت ظاهرة معزوة إلى تميم وكثير من أهل نجد.[3]

ويشير أحد الدّارسين إلى أنّ "العربية الفصحى من طبيعتها، أنَّها تقصّر الحركة الطّويلة في المقطع المفتوح، إذا كان يسبق مقطعًا آخر منبورا ذا حركة طويلة، فأصل مصدر "فِعَال" في العربية القديمة هو "فِيعَال" بنبر المقطع الثّاني، وقد ترتّب على خلوّ المقطع الأوّل من النّبر، أن قُصّرت حركته، وصار المصدر "فِعَال" مثل "قَاتَل قِتَالا" بدلا من "قتل قِيتَالا"[4]، ولعلّ هذا ينطبق على تلك النّماذج التي وجدناها في لغة بني هلال.

وهناك من يعلّل قصر المصوّتات الطّويلة إلى سرعة الأداء في الكلام، "فبعض اللّهجات تميل إلى الإسراع في الكلام أكثر من غيرها، فيؤدّي إلى سقوط بعض أصوات المدّ من كلامها"[5]، كما يرون أنَّ أنَّ هذه الظّاهرة هي من ميزات البدو خاصّة، فالقبائل البدويّة قديمًا كتميم وغيرها مالت إلى السّرعة في الكلام وتلمّس أيسر السّبل، فكانت تحذف أو تسقط ما يمكن الاستغناء عنه، من المصوّتات طلبًا للتّخفيف، فحذا النّاطقون باللّهجة الهلالية حذوهم في ذلك.

أمّا عن الانتقال أو التحوّل من درجة القصر إلى درجة الطّول، الذي شاع في لغة بني هلال وظهر في العربية الفصحى، حيث كثر استعماله هو الآخر في الشّعر ليستقيم الوزن، هذا النّوع من القلب سمّاه المحدثون بـــ"الإشباع" وكان القدامى قد أطلقوا عليه مصطلح "مطل الحركات"[6]، فقد أشار ابن جني إلى ذلك، ممّا يدل أنَّ مثل ذلك قد وجد في العربية القديمة، فهو يقول: "الحركات عند التّذكّر يمطلن،

---

[1] عبد القادر عبد الجليل: التنوعات الصوتية م. س، ص119.

[2] غالب فاضل المطلبي: دراسة في أصوات المد العربية، ص173.

[3] غالب المطلبي: ينظر لهجة تميم وأثرها في العربية م. س، ص 148.

[4] رمضان عبد التواب: التطور اللغوي علله وقوانينه ومظاهره، ص128.

[5] عبد القادر عبد الجليل: التنوعات الصوتية م. س، ص119.

[6] ابن جني: الخصائص م. س، ج3 ص129.

وذلك كقولهم عند التّذكر مع الفتحة في قُمْتَ: قُمْتَا، ومع الكسرة: أَنْتِي أي أنتِ، ومع الضّمّة: "قُمْتُو في قُمْتُ."[1]

فالمطل عند ابن جني كما يبدو في قوله: "هو زيادة قوّة الارتكاز، بالإشباع أو التّضعيف إذا ما علمنا أنَّ الألف ضِعْف الفتحة، والياء ضِعْف الكسرة، والواو ضِعْف الضمّة، والقصد من هذا الإشباع زيادة الضّغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السّمع، لتحقيق غرض قصدي."[2] وهذا ما نلحظه في موضع آخر أورده ابن جني، فهو يقول: "التّطويح والتّطريح، والتّفخيم والتّعظيم ما يقوم مقام قوله طويل أو نحو ذلك، وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأمّلته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثّناء عليه، فتقول: كان والله رجلا! فتزيد في قوّة اللّفظ، وتتمكّن في تمطيط اللّام وإطالة الصّوت[3]، ممّا يؤكّد أنَّ وظيفة النّبر تتوقّف على الدّلالة التّمييزية للمعنى بالدّرجة الأولى، وهنا يمكن أن نعدّه سمة صوتية وظيفية لها قيمة دلالية في التّوجيه، إذا استطاع أن يحقّق الغرض القصدي، فهو يعتبر من الملامح التّمييزية التي يعتمد عليها السّياق، وهذا لا يتحقّق إلا في مواضع معيّنة."[4]

ولا يمكننا أن نحدّد الأماكن التي يقع فيها النّبر، سواء كان من نوع القصر أو المدّ، "فكلمات اللّغة العربية لا تملك درجة واحدة ذات مستوى نبري واحد، وإنّما تتفاوت مقاطع الوحدة الدّلالية في القدرة على البروز والعلوّ"[5] تتحدّد بالسّياق، والأمر نفسه ينطبق على لهجة بني هلال، فالأغراض والمقاصد الكلامية والتّوجيهات الإنسانية هي التي تتحكّم بالنّبر ونوعه، هذا ما يقرّره المحدثون من أنَّه "يصعب علينا أن نحدّد أسباب ميل اللّغة أو اللّهجة، إلى النّبر على مقطع بعينه من مقاطع الكلمة، لأنَّ الحركات التي تنتج النّبر قد تكون بأسباب سيكولوجية"[6] كبعض الحالات النّفسية التي يحاول المتكلّم فيها أن يزيد في تأكيد المراد من كلامه، أو التّقليل من أهمّية بعض الأمور، أو القلق أو الخجل وما إلى

---

[1] ابن جني: الخصائص م. س، ج3 ص129.

[2] عبد القادر عبد الجليل: التنوعات الصوتية م. س، ص 111 و113.

[3] ابن جني: الخصائص: 370/2-371.

[4] عبد القادر عبد الجليل: التنوعات الصوتية م. س، ص111 و113.

[5] م. س.ص.

[6] فندريس: اللغة م. س، ص 87-88 وعبد القادر عبد الجليل: التنوعات الصوتية م. س، ص113.

ذلك."[1] والمعروف" أنَّ العربي شديد الحرص على بيان مقاصده الكلامية وأغراضه النّطقية، وهذا لا يتحقّق إلا باستخدام هذا الملمّح التّمييزي، فالنّبر يعرف من فعل المتكلّم لا من فعل السّامع."[2]

6.2.1 إبدال صوت المدّ المركّب صوتا بسيطا (انكماش الأصوات المركّبة): وهو قلب صوت المدّ المركّب الذي يتألّف من صوت مدّ ونصف مدّ ساكن على التّوالي، إلى صوت مدّ بسيط بشكل مطلق، حيث يُقلب كسرة طويلة، إذا كان الصّوتان المتتابعان الأوّل منهما فتحة والثّاني ياء، في حين يُقلب ضمّة طويلة، إذا كان الأوّل منهما فتحة والثاني واوا.

ومن مظاهر هذا القلب في لغة بني هلال نذكر ما يلي:

أ) **إبدال الصّوت المركّب كسرة طويلة:** ويظهر في قولهم: (زِيتْ) في زَيْت، (بِيتْ) في بَيْت، (لِيلْ) في لَيْل، (شِينْ)[3] في شَيْن.

(زِينْ)[4] في زَيْن، (غِيرَه) في غَيْرة، (قِـيحْ)[5] في قَيْح، (جِيبْ) في جَيْب، (دِينْ) في دَيْن،...

ب) إبدال المصوّت المركّب ضمّة طويلة: كما في قولهم:

(لُونْ) في لَوْن، (ثُومْ) في ثَوْم، (يُومْ) في يَوْم، (شُوكْ) في شَوْك، (زُوجْ) في زَوْج، (فُوقْ) في فَوْق، (لُوزْ) في لَوْز، (صُومْعَه) في صَوْمَعَة، (لُوحْ) في لَوحْ،...

إنّ مثل هذا القلب في الأصوات المركّبة، حدث في عصور العربية الأولى، وفي عصور الفصاحة أيضًا، فقد ذكر ابن السّكيت (ت 244هـ) في كتابه إصلاح المنطق العديد من نماذج هذا القلب، من ذلك قوله: "الكَوْسَج*، ولا تقل: الكُوسج، وهو الجَوْرَبْ* ولا تقل: الجُورَبْ."[1] بل حدث في عصور

---

[1] غالب المطلبي: دراسة في أصوات المد العربية م. س، ص40-45.

[2] عبد القادر عبد الجليل: التنوعات الصوتية م. س، ص115.

[3] شَيْن: خلاف الزَّيْنِ، يقال: شانَهُ يشينه، والمَشاينُ المَعايب والمقابح.

[4] زَيْن: خلافُ الشَّيْن.

[5] قَيْح: بتفخيم القاف، نقول قَيَّح الجرح وتَقَيَّح: والقَيْحُ: المِدَّةُ الخالصة لا يخالطها دم.

* الكوسج: سمك خرطومة كالمنشار ويطلق على الرجل الذي لحيته على ذقنه الأعلى العارضين.

* الجورب: لفافة الرجل (فارسية).

عصور الفصاحة أيضًا، من ذلك ما رُوِيَ عن الأصمعي (ت 216ه): "يقال: هو الضَّوْء والضُّوء."[2] وأيضًا: "إنّ بني فلان لفي دُوكَة ودَوْكَة*، يعنون خصومة وشرًّا"[3] وكذلك: "وَحوْبَة الرّجل أمّه، وقال بعضهم: حُوبَة.*"[4]

وقد تابع الدّارسون القدامى العرب من بعده التّنبيه على هذا القلب، مثل ما في كلمتي: "الغِيرة" في الغَيْرَة و"القِيح" في القَيْح عند الزبيدي (ت379هـ). وكلمة "سُوسَنْ" في سَوْسَن عند الحريري (ت516هـ). و"لُوح" في لَوْح، و"جِيب" في جَيْب عند ابن هشام اللّخمي (ت577هـ). و"فُوق" في فَوْق، و"جُوف" في جَوْف عند ابن الإمام (ت827ه). و"العِيش" في العَيْش عند ابن كمال باشا (940ه)."[5]

وقد قُلب صوت المدّ المركّب فتحة طويلة مطلقًا، مهما كان نوع نصف المدّ؛ أي أنَّ القلب لم يتمّ حسب جنس هذا الأخير، ونجد هذا القلب في قول بعض العرب: "إنّ الرّجز لعاب، أي لعيب، والرّجز ارتعاد مؤخّر البعير"[6] وقولهم: "ما كنت أزعم في خصمي العَاب، يريد: العَيْب...ويقال: بَوْع وبَاع، وصَوْع وصَاع". كما جاء في قولهم: "تُبْتُ إليك فتقبّل تَابتي، وصُمْتُ إليك فتقبّل صَامتي، أي تَوْبتي وصَوْمتي."[7] ومثل ذلك: "القَال"بدلا من "القَوْل" في عبارة: "القيل والقال."[1]

---

[1] ابن السكيت: إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط 4، 1949م، ص 162.

[2] م. س: ص91.

* دوكة: الخصومة والشرّ.

[3] م. س: ص13.

* الحوبة: الأبوان – الأخت، والبنت. والحيبة: القريبة من الأمّ، يقال "لي فيهم حوبة "أي قرابة من أمّي / الحوبة: الحاجة.

[4] م. س: ص114.

[5] الزبيدي: لحن العوام، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، المطبعة الكمالية، ط1، 1964م، ص144 و185. وينظر: الحريري: درة الغواص، ص78 – اللخمي: المدخل إلى تقويم اللسان، ص62 و66 – ابن إمام: الجمانة في إزالة الرطانة، ص5، ابن كمال باشا: التشبيه على غلط الجاهل والنبيه، ص20.

[6] أبو زيد الأنصاري: النوادر، ص3 و5.

[7] م. س.ص.

كما روي في المصادر اللّغوية: "يَاءِسُ" و"يَابَسُ" في "يَيْأَس" و"يَيْبَس."[2] وأنّ أهل الحجاز كانوا يقولون: يَاجَلُ في يَوْجَل.[3] وأنّ بنو الحارث بن كعب –قبيلة يمنية– كانت تلزم المثنّى وما جرى مجراه، الألف في كلّ حال"[4] فقد قال أبو زيد الأنصاري في تفسير قول الرّاجز:

طاروا علاهن فشُلْ علاها

واشدُدْ بمثنى حقب* حقواها*

ناجية وناجيا أباها.

"فشل علاها": أراد عَلَيْهَا، ولغة بلحرث بن كعب قلب الياء السّاكنة، إذا انفتح ما قبلها ألفًا، يقولون: أخذت الدّرهمان، واشتريت ثوبان، والسّلام علاكم، وهذه الأبيات على لغتهم."[5] ومثله (علاهن وحقواها) فلزوم الألف لغة حارثية. وقرأ نافع (169هـ) وابن عامر (118هـ) والكوفيون، قوله تعالى: ﴿إِن هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾[6] ووافق في ذلك الحارثيين بنو الهجيم وبنو العنبر[7]، ومنه قول الشّاعر هَوْبَرٍ الحارِثي:

تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أُذُنَاهِ ضَرْبَةً *** دَعَتْهُ إِلَى هَابِي التُّرَابِ عَقِيمُ[8]

يريد: (بين أذنيه).

إنّ هذا التّتابع بين صوت المدّ ونصف المدّ، هو ما اصطلح عليه المحدثون صوت المدّ المركّب الهابط[1]، وانقلاب هذا الصّوت المركّب إلى مصوّت طويل، يكون بحسب نصف المدّ الذي يكون تاليًا

---

[1] ابن منظور: مادة (قول).

[2] المبرد: المقتضب م. س، ج1 ص 90 و92.

[3] المبرد: المقتضب م. س، ج1 ص 90 و92.

[4] الجياني: شرح التسهيل، ج1 ص66.

* الحَقَب: الحزام الذي يلي الحِقو. ينظر اللسان مادة (حقب).

* الحِقْو الحَقْو والحِقَاء: كلّه الإزار. ينظر اللسان مادة (حقا).

[5] ابن فارس: الصاحبي، ص49.

[6] سورة طه: الآية 63.

[7] الجياني: م. س.ص.

[8] أبو زيد الأنصاري: النوادر، ص 3 و5.

للمصوّت، وقد سمّى الدّارسون المحدثون عملية القلب هذه بـــ"انكماش الأصوات المركّبة" [2]، وعدّوها مظهرًا من مظاهر السّهولة والتّيسير في اللّغة. "فتحوُّل الصوت المركب (**aw** – وْ) إلى ضمّة طويلة ممالة (o – و) في مثل نطقنا لكلمة (يُومْ، نُومْ وصُومْ) بدلا من "يَوْم، نَوْم، صَوْم"، وكذلك تحوّل الصّوت المركّب (**ay** – يْ) إلى كسرة طويلة (**é** – ي) في مثل نطقنا لكلمة (بِيتْ، لِيلْ وعِينْ) بدلا من "بَيْت، ولَيْل، عَيْن"، كلّ ذلك سببه إيثار اللّغة الانتقال من العسير إلى اليسير من الأصوات،[3] ذلك أنَّ اللّسان في أثناء نطق الصّوت المركّب الهابط ينتقل مباشرة من موقع صوت مدّ، إلى موقع نطق صوت مدّ آخر."[4]

وهذا يعني أنَّ على أعضاء النّطق أن تتوقّف زمنًا، لينطلق كلّ من صوتي المدّ على حدة، يكون على المتكلّم في أثناء ذلك أن يقطع مجرى نفسه، ثم يستأنفه مرّة أخرى."[5] ويضيف ماريو باي مفسّرا هذا القلب بقوله: "لا يمكن قطع مجرى النّفس ثم استئنافه مرّة أخرى قطعًا، فكان على جهاز النّطق أن يتحايل على ذلك بأن يفصل بين الصّوتين باحتكاك بسيط، يكون بمثابة فاصل يستريح فيه اللّسان برهة لكي يستطيع اتّخاذ الوضع الآخر، ومن أجل ذلك يتحوّل أحد صوتي المدّ –يكون الثّاني في الغالب– إلى نصف مدّ، ممّا يسهّل اجتماعهما."[6]

---

[1] قد يكون صوت المد بسيطا، وقد يكون مركبا، فهو بسيط إذا اقتضى موقعا ثابتا لا يتغيّر في أثناء النطق. وهو مركّب إذا انتقل اللسان في أثناء النطق مباشرة من موقع صوت مد إلى موقع نطق صوت مد آخر (ينظر أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي م. س: ص116). كما بيّن الباحثون أن هناك نوعين من أصوات المد المركبة نسبة إلى موقع صوت المد المحض فيه هما: صوت مد مركب صاعد: إذا كان صوت المد تاليا لنصف المد نحو: يسر. وهو صوت مد مركب صاعد: إذا كان صوت المد سابقا على نصف المد نحو (بيت، حوض) ينظر ماريو باي: أسس علم اللغة م. س، ص81 وإبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية م. س: ص89.

[2] رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه م. س، ص 49–50 وجان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية م. س، ص 171.

[3] رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص 49–50.

[4] أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي م. س: ص 116.

[5] ماريو باي: أسس علم اللغة م. س، ص150.

[6] ماريو باي: أسس علم اللغة م. س، ص150.

ولقد فطن اللّغويون العرب القدامى إلى هذا التّتابع الذي اصْطُلِح عليه "صوت المدّ المركّب"، والمدهش أنّهم فطنوا في وقت مبكّر إلى أنّ "الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما وكانتا ساكنتين، لم تخرجا من المدّ كلّ الخروج"[1]، كما فطنوا بعض الشّيء إلى أنّه ثمّة تداخل بين صوت الفتحة القصيرة، وصوت الواو أو الياء، هذا ما يبدو في قول ابن جني عندما حاول تفسير هذا التّتابع قائلا: "الفتحة وإن كانت مخالفة الجنس للياء أو الواو، فإن فيها سرًّا له، ومن أجله جاز أن تمتدّ الياء والواو وبعدها في نحو ما رأينا، وذلك أنّ أصل المدّ وأقواه وأعلاه وأنعمه وأنداه، إنّما هو للألف، وإنّما الياء والواو محمولان عليها وملحقان في الحكم بها، والفتحة بعض الألف، فكأنّها إذا قدمت قبلها في نحو" بَيْت وسَوْط"، إنّما قدمت الألف إذا كانت الفتحة بعضها، فإذا جاءتا بعد الفتحة، جاءتا في موضع قد سبقتهما إليه الفتحة التي هي ألف صغيرة، فكان ذلك سببًا للأنس بالمدّ، لا سيما وهما بعد الفتحة لسكونهما أختا الألف، وقريبتا الشّبه بها فصار "ثُوب وشِيخ" نحوا من "شَاخ وثَاب"، فلذلك ساغ وقوع المدّ بعدهما."[2]

كما نجد من القدامى أيضًا الأستراباذي (688هـ)، هو الآخر قد فطن إلى الصّوت المركّب ولاحظ اختلاط صوتي التّتابع، وأنّ حال الواو والياء السّاكنتين بعد فتح، يكونان فيها أقصر من صوت المدّ المحض، أي أنّ هذا المدّ يقلّ "في حروف اللّين إذا كانت حركة ما قبلها من غير جنسها، نحو: "قَوْل وبَيْع"، وذلك لأن في نحو "قُول" المضموم قافه، تتهيّأ بعد النّطق بالقاف للواو وذلك لأنّ الضمّة بعض الواو، فيسهل عليك المجيء بعد الضمّة بالواو كاملة، لأنّه لم يخالطها إذن نوع آخر من المدّ كما خالطها في نحو "قَوْل" المفتوح قافه، فإنّك إذا تهيّأت فيه بعد القاف للمدّ الألفي أي الفتحة، ثم انتقلت في الحال إلى المدّ الواوي شائبًا شيئًا من المدّ الأوّل بالمدّ الثّاني، وميل كلّ واحد من المدّيْن إلى جانب غير جانب الآخر، فلا جرم أنّك لم تتمكّن من إشباع المدّ الواوي تمام التمكّن".[3]

فهذا الرأي تؤيّده الدّراسات الصّوتية الحديثة، فهي تقرّ أنّ تتابع الفتحة ونصف المدّ السّاكن، يؤدّي إلى اختلاط الصّوتين بسبب من الانتقال المباشر، من وضع جهاز النّطق في أثناء أداء الفتحة، إلى وضعه في أثناء أداء نصف المدّ من غير أن يفصل بينهما صامت."[4] كما أنّ الانتقال المباشر من صوت

---

[1] ابن جني: المنصف ج1 ص224. وينظر: غالب المطلبي، دراسة في أصوات المد العربية م. س، ص88.

[2] ابن جني: الخصائص م. س، ج3 ص127و 128.

[3] ينظر الأستراباذي: شرح الشافية، م. س، ج 2 ص211 و212. وينظر المصدر نفسه: ص 246-248).

[4] غالب المطلبي: دراسة في أصوات المد العربية م. س، ص104.

إلى آخر، يمثّل حالة صعبة بالنّسبة إلى المتكلّم، لأنّه يتطلّب منه أن يغيّر وضع أعضاء النّطق من موضع إلى آخر.

إذن، نحن أمام صور كثيرة من إبدال المصوّتات في لغة بني هلال وأبرزها الصّور الثّلاث: فتح وكسر، وفتح وضمّ، وكسر وضمّ، ونظائرها الطّوال. ويمكن أن نردّ عمومًا كثرة تقلّبها وعدم استقرارها، إلى تلك القرابة بين الأصوات الثّلاثة من النّاحية الصّوتية، من تقارب عدد الذّبذبات بين هذه الأصوات الثّلاثة تقاربًا شديدا، ممّا قد يجعل وقعها على أذن السّامع واحدًا في بعض الظّروف، "هذا إلى جانب عدم استقرارها وقدرتها العالية على التّغيّر."[1]

وقد عُدّ الضّمّ صفة من صفات الخشونة التي يحرص عليها البدويّ، لهذا كنّا نتوقّع بعد أن تأكّدت لنا بداوة بني هلال، من خلال عرضنا واستقصائنا للتّغيرات الطّارئة على الصّوائت في لغتهم، أن يشيع الضّمّ بها، مثلما شاعت الأصوات المفخّمة والشّديدة، لكن ما حدث ووجدناه، كان عكس ما توقّعناه، والذي حدث أنّ قبائل بني هلال ينطقون على سجيّتهم، فنطقوا بالكسرة حيث كنّا نتوقّع منهم الضمّ، ونطقوا بالفتح، حيث كنّا نتوقّع منهم الكسر أو الضمّ. فشاع الفتح لأنّه الأخفّ، وتلاه الكسر الذي هو أخفّ من الضمّ، والحقيقة أنّ الأمر يبدو منطقيًّا، لأنّ البيئة البدوية تميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، وتنتهج أيسر السّبل في بذل أقلّ جهد ممكن أثناء النّطق، فليس بالغريب إذن أن يشيع الفتح. وفي مثل هذه الحال، لا يمكننا أن نحكّم عامل البيئة في تحديد عوامل اختيار الأصوات، لأنّ ناموس الاقتصاد في الجهد، وقانون السّهولة اللّذيّن يعدّان مبدأين ثابتين في اللّغة ينشدهما كلّ متكلّم، قد بسطا نفوذهما على ألسنة قبائل بني هلال.

2. التّنوعات الصّوتية

تضمّ هذه التّنوعات الفونيمات فوق التّركيبية وهي:

1.2 المقطع le syllabe

يعدّ أصغر وحدة في تركيب الكلمة من حيث تميزه في كلّ لغة. يتكوّن المقطع في أبسط أشكاله من صوتين، الأوّل صامت والثّاني صائت مثل: (كَ)، (لَ)، (مَ). ويمكن أن نرمز للصّوت الصّامت (السّاكن) بالحرف (س) والصّوت الصّائت (المتحرّك) بالحرف (ح).

وتتشكّل اللّغة العربية الفصحى من خمسة أنواع من المقاطع:

---

[1] م. س: ص161.

(س ح)، (س ح س)، (س ح ح)، (س ح ح س)، (س ح س س)

فالواحد منها في أبسط أشكاله يتكوّن من صوتين: الأوّل صامت والثّاني صائت، وكلّ واحدة من هذه الأنواع الخمسة، لا يبتدأ إلا بصامت متلوًّا بصائت قصير أو طويل. وتسمّى المقاطع المنتهية بحركة: بالمقاطع المفتوحة، والمقاطع المنتهية بصوت صامت: بالمقاطع المغلقة.[1]

الملاحظ أنّ التّركيب المقطعي في لغة قبائل بني هلال لا يختلف عن الفصحى، أي أنَّ الأنواع الثّلاثة الأولى هي الأكثر شيوعا، في حين أنّ النّوعين الآخريّن هم الأقلّ شيوعًا، فقط أنّ الاختلاف يكمن في أنّ هذه اللهجة، تبدأ بساكن أي بالمقطع القصير والمغلق، لذا سأجمل ملاحظاتي خلال الحديث عن التّنوعات الصّوتية الأخرى.

2.2 النّبر l'accent

هو نشاط ذاتي للمتكلّم، ينتج عنه نوع من البروز لأحد الأصوات أو المقاطع بالنسبة لما يحيط به، أمّا الأثر السّمعي المرتبط بالنّبر فهو العلوّ[2] ويُعتمد عليه أساسًا للتّفريق بين معاني التّركيب، وبالتّالي خلق دلالات جديدة.

إنّ الدّارسون اللّغويون، لا يمتلكون الدّليل على الكيفية التي كان العرب الأوائل ينبرون بها كلماتهم، ويبدو أنَّ الظاهرة لم تلفت انتباهالقدامى، لذا فإنّهم لم يولّوها أهمية بالدّرس والتّتبّع، لكن هذا لا يعني خلوّها منه -إذ لا تكاد تخلو أي لغة من النّبر- وما ظهوره في اللّهجات العربية الحديثة، إلّا امتدادا طبيعيا لذلك النّبر، الذي كان شائعا في اللّهجات العربية القديمة. وما لاحظته أنَّ قبائل بني هلال في هذا الإقليم عموما ينبرون، أينما وجدوا ضرورة لإبراز صورة، أو إجلاء غامض، كما أنَّهم يمتلكون ملمّحات نبرية تمييزية حال النّطق بها، بإمكان السّامع إدراك إن كان المتكلّم ينتمي إلى المنطقة أم لا،

---

[1] تمام حسان: مناهج البحث في اللغة م. س، ص170، ماريو باي: أساس علم اللغة م. س، ص69.

[2] أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي م. س، ص188، وإبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية م. س، ص174-175، كمال بشر: علم اللغة م. س، ص206.

واستخدامهم له لا يمكن أن يعدّ حالة مستثناة، إنّما هو تشترك فيه كلّ اللّهجات لما له من خاصّية مرتبطة بالدّلالات، حسب المواقع التي يقع فيها ودرجات مستوياته الثّلاث المتمثّلة في:[1]

1- النّبر الأوّلي (الأساسي) 2- النّبر الثّانوي 3- النّبر الضّعيف

أمّا المواقع التي يقع فيها، فنقصد بها إمّا:

1.2.2 **نبر كلمة:** ويتحقّق ببروز أحد مقاطع الكلمة، ويسمّى المقطع البارز حامل نبر الكلمة، وكذلك يسمّى النّبر المجرّد، والنّبر الصّرفي.

2.2.2 نبر جملة: وهو أن يعمد المتكلّم إلى كلمة في جملته، فيزيد من نبرها ويميّزها على غيرها من كلمات الجملة، رغبة منه في تأكّيدها أو الإشارة إلى غرض خاصّ.[2]

غير أنّ استخدامات النّبر وفق درجاته في البنى الترّكيبية للغة قبائل بني هلال، يؤدّي إلى دلالات إضافية يمكن أن نميّزها مثل: النّبر التّأكيدي والنّبر الانفعالي.

ففي الصّورة الأولى يمكن أن نتمثّلها في الترّكيب النّطقي:

(وِينْ كُنْتْ؟) والتي تقابل "أين كنت؟ التي يكون تركيبها المقطعي في حالة عدم التّأكيد، أي الصّورة الاعتيادية: س ح س / س ح ح س

أمّا في حالة التّأكيد لإبراز دلالة جديدة، فيكون الترّكيب المقطعي: س ح ح س/ س ح ح س بإشباع حركة المدّ القصيرة في المقطع الأوّل، وهنا يمكن أن نسجّل بأنّ أهل المنطقة إذا أرادوا الاستفهام، فإن حالة الضغط تأخذ الدّرجة الثّانية "stress secondary" وتكون على المقطع الثّاني " س ح حّ س".

أمّا في حالة الإنكار، فإن الضّغط يبلغ أعلى درجاته "stress primary" ويقع على المقطع الأوّل س حّ ح س.

والخلاصة أنّ أهل بني هلال ينبرون أينما وجدوا ضرورة لإبراز صورة أو تبيان أمر مبهم، وهم يمتلكون ملمّحات نبرية تمييزية حال النّطق بها، يستطيع أن يدركها كلّ من ينتمي إليهم.

3.2.2 التّنغيم: intonation

---

[1] سلمان حسن العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، ص134 و135.

[2] كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص515-516.

التّنغيم ركن أساسي في الأداء لا تخلو منه أي لغة من لغات البشر، يستعمل في اللّغة للدلالة على معان مضافة، فهو ما يلاحظ من تنوّعات موسيقية في الكلام، ويظهر هذا التنوّع من خلال تغيّر طبقة الصّوت "حيث يحصل تموّج على مستوى الجملة، فيتغيّر التّنغيم في العلوّ والانخفاض"[1]، فنجد مثلا أنّ الجملة المثبتة تكون ثابتة التّنغيم، على مستوى مقاطعها الصّوتية، في حين أنه يرتفع في الجملة الطّلبية، ويرتفع أكثر في الجملة التّعجبية، وهذا يحصل بالنّسبة إلى الكلام المنطوق الملفوظ، حيث تنوب عنه في الكتابة علامة الإعجاب والتّنقيط.

فمن مظاهر التّنغيم أنّه يزيل اللّبس عن معنى الجملة، وبه يُدرك الفرق بين المعاني، وهذا يتأتّى بإتقان مجموعة طرق الأداء في النّطق تتمثّل في النّبر، والوقف، والسّكت والإيقاع، ووصل بعض الكلام، واختلاس بعض الأصوات والاستغناء عن بعضها، ومدّ بعضها لتكون واضحة.

هذه الأمور هي علامات بارزة وهي ما يكوّن التّنغيم، فالمتكلّم قد يهدف بحديثه وتتابع نغمات كلامه العتابَ، أو الاستحثاثَ، أو لفتَ النّظرِ، أو الامتعاضَ إلى غير ذلك.

إنّ التّنغيم أوسع من أن يحصر، فيما يسمّى بهبوط النّغمة أو صعودها، ولكن كلّ ما يحيط بالنّطق من طرق الأداء التي تشمل الوقف، والسّكت، وعلوّ الصّوت، ونبر المقاطع، وطول الصّوت وغير ذلك، لا سيما أنّ التّنغيم يقتصر على التّراكيب المسموعة دون التّراكيب المقروءة.

فالأداء وما يحمل من نبرات، تنغيمات، وفواصل له أثر كبير في نفوس السّامعين، ومتابعتهم، وحسن إصغائهم، وفهم المراد.

من مميزات التّنغيم في لهجة قبائل بني هلال في إقليم الغرب الجزائري، تلوين الصّوت بما يعبّر عن المعنى، فيرفعون الصّوت في شيء من المبالغة عند الدّهشة، والاستفهام، والتّعجب، أو التّوكيد، فتقع عباراتهم حادّة في السّمع، ولكنّها تكون قويّة التّعبير، نحو قولهم:

(لِيهْ اشَّجْرَه بْلَا عْرُوقْ) أي: "هل الشّجرة بدون عروق!" فالجملة جملة تعجبيّة والذي دلّ عليها هو تنغيم التّعجب.

هذا بالنسبة إلى التّنغيم المرتبط بإيقاع الجملة، ويمكن التّمثيل لذلك بالتّركيب المنطوق الآتي:

---

[1] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها م. س، ص 6. وعبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية م. س، ص255 و257.

(كَانْ يْزْقِـــي فِ اْجْنَانْ) أي: "كان يسقي في البستان"، فالترّكيب المقطعي في حالة الاستفهام الإنكاري: س ح ح س/ س ح/ س ح ح س/ س ح/ س ح س

ويكون النّبر في درجته الاولى على المقطعين الثّالث والخامس، مع توافر نغمة الصّعود والهبوط وفق المخطّط الآتي: س ح ح س/ س ح/ س ح ح س/ س ح/ س ح س

حيث نلاحظ أن المقطعين الثّالث والخامس تربعًّا على أعلى قمّة اسماع.

أمّا في حالة التّنغيم التّقريري فيكون الترّكيب المقطعي: س ح ح س/ س ح/ س ح س / س ح /س ح س

ويكون النّبر في درجته الثّالثة الضّعيفة، في حين تأتي باقي المقاطع بدرجات لا تتفاوت في عمليتي الصّعود والهبوط.

وفي حالة التّعجب، تتّخذ الصّورة النّطقية الترّكيبة والتّنغيم الشّكل الآتي:

س ح س / س ح / س ح س /س ح/ س ح

والنّبر الأوّلي يقع على المقطعين الرّابع والخامس.

ويبقى للتّنغيم وظيفة صوتية تتمثّل في انسجام الأصوات، حيث تكتمل فيه النّغمات وتتآزر مؤدّية المعاني والمقاصد. وقد أشرنا إلى أنّ التّنغيم أوسع من أن يحصر، فالوظيفة الدّلالية يمكن رؤيتها ليس في اختلاف علوّ الصّوت وانخفاضه فحسب، ولكن في اختلاف التّرتيب العامّ لنغمات المقاطع.

4.2.2 المفصل (الفاصلة) virgule

هو عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات عدّة أو مقاطع، قصد تحديد نهاية تركيب أو مقطع، وابتداء تركيب أو مقطع آخر، فهو يساعد على التعرّف على حدود الكلمة من النّاحية الصّوتية وسط التّيار الكلامي، نجدها ضعيفة في لغة قبائل بني هلال تمامًا، مثلما هي ضعيفة في أكثر الألسنة الدّارجة العربية الأخرى، وهذا لأنّ موقع النّبر من الكلمة في العامية ليس ثابتا ومستقرًا، وعليه فنحن نشعر بوجود نبرة الجملة -أي التّنغيم- أكثر ممّا نشعر بوجود نبرة الكلمة، بيد أنّه من الممكن تمييز المفصل في منطوق بعض البدو الرّحل، الذي يتّسم بالكلمة ذات النّبرة القويّة، المكوّنة من خليط من الارتفاع الموسيقي ومن الشدّة.

3. الإسقاط والقلب

1.3 الإسقاط (الحذف)

هو إحدى الظّواهر الصّوتية التي تعتري أصوات الكلمة، كما هو الشّأن في باقي اللّهجات العربية القديمة والحديثة، ويقصد به التّخفيف والتّسهيل وتوفير الجهد الذي لا يترتّب عليه تغيير في المعنى الصّرفي أو النّحوي للكلمة، نحو قولهم:

- (كْشَّاتَهْ) في كمشته، فهنا أسقطوا صوت "الميم"، واستعيض عنه بمدّ حركة "الشّين" لكنّ الكلمة لم تفقد معناها.

- (نَاضْ) في نهض، أسقطوا صوت الهاء، واستعيض عنه بمدّ حركة فاء الفعل حتّى يكون مسموعا.

- إسقاط واو "لو" الشّرطية في صيغة "لو كان" نحو قولهم: (لُكَانْ جِيتْ نْخَالَه يَنْقُبْكْ الدْجَاجْ) أي: "لو كنت نخالة لنقبك الدجاج."[1]

- إسقاط صوت فاء "كيف" الحالية مطلقا في كلامهم، ففي التّحية مثلا يفضّلون أن يقولوا:

(صّْبَاحْ الْخِيرْ كِي اصْبَحْتْ) أي: كيف أصبحت؟

(مْسَا الْخِيرْ كِي مْسَيْتْ) أي: كيف أمسيت؟

- حذف التّاء في كلمة الوقت، فهم يقولون: (دَرْوَكْ) أي "هذا الوقت" فقد حذفت هاء التّنبيه (ه) وبقي (ذ) الذي ينطقونه (دالا)، ثم حذفت (التّاء)، وأبدلت (القاف) كافا، ولام التّعريف راءً مشدّدة تعويضا عن حذف اسم الإشارة.

- (الْلِي) في الذي، تحذف الذال من الاسم الموصول مطلقا في كلامهم نحو قولهم:

(الْلِي ضَرْبَاتَهْ يْدَهْ مَا تُوجْعَهْ) أي: "الذي ضربته يده فإنّها لا توجعه."

ونحو قولهم: (الْلِي كَانْ لَكْ عَبْدْ كُونْ لَهْ خَادَمْ) أي: "من كان لك عبدا كن له خادما"... إلخ

- إسقاط معظم أصوات الفعل "أخذ"، فهم يقولون:

(اْدَّ) في أخذ، (اْدِّيهْ) في خذه وخذيه، (اْدَّتَهْ) في أخذته، (اْدَّوَهْ) في أخذوه...

- حذف صوت الرّاء من الأعداد المركّبة من أحد عشر إلى تسعة عشر، فهم يقولون:

---

[1] النُّخالة: ما نُخِلَ من الدقيق.

(حْدَاعَشْ-ثْنَاعَشْ-... إلخ).

- حذف الميم بشكل مطلق في لفظة "متاعي" التي ينطقونها (تَاعِي)، فهم يقولون: (هَادْ الْكْتَابْ تَاعِي) أي: "هذا الكتاب هو متاعي"، وهناك من يبدل الميم نونا فيقول: (نْتَاعِي).

- حذف الهمزة المتطرّفة بشكل مطلق سواء في الأفعال أو الأسماء، نحو قولهم: (جَا) في جاء، و(يجي) في يجيء، (شيّ) في شيء، (أسما) في أسماء، (شيما) في شيماء....

- حذف الذّال الممدودة من لفظة "هكذا"، فهم ينطقونها: (هَكَّ) بشكل مطلق في كلامهم.

- حذف النّون من حرف الجرّ "من" إذا دخلت على الاسم المعرّف، نحو قولهم:

(جِيتْ مْ ْادَارْ) أي: "جئت من الدار".....

- كذلك حذف الياء من حرف الجر "في" إذا دخلت على الاسم المعرّف، نحو قولهم:

(حَطَّهْ فْلَرْضْ) أي: حطّه في الأرض.[1]

لقد جاء في المصادر أنّ مثل هذه الظّاهرة وجدت في بعض القبائل، نحو قبيلة بلحارث بن كعب وزبيد وخثعم، مثل قول أحد الشّعراء:[2]

نحن ركب (ملجنِّ) في زيِّ ناس*** فوق طير لها شُخُوصُ الجمالِ

فهو يقصد "من الجنّ" حذفت النّون لمجاورتها لام التّعريف.

كما شاعت بين قبائل تميم وهذيل وخزاعة، مثل قول أحد الشّعراء:[3]

كأنّهما (ملآن) لم يتغيّرا *** وقد مرّ للدّارين من بعدنا عَصْرُ

فهو يقصد "من الآن."

فهذه الظّاهرة لم تتوقّف عند القبائل القديمة، وإنّما استمرّت وانتشرت لتمتدّ جذورها في لغة قبائل بني هلال في منطقة الغرب الجزائري.

---

[1] الحَطُّ: الوَضْعُ، حطَّه يَحُطُّه حَطًّا فانْحَطَّ. لسان العرب مادة (حطط).

[2] ابن يعيش: شرح المفصل م. س، ج10 ص 154-155 وابن جني: الخصائص م. س، ج1 ص302.

[3] أحمد علم الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث م. س، ج2 ص703.

– حذف أجزاء أو أواخر بعض أسماء الأعلام نحو قولهم: (حَمُ) في محمّد، (نورِ) في نور الدّين، (عبد قَ) في عبد القادر، (نصرُ) في نصر الدّين... إلخ وهي من بقايا ظاهرة معروفة في اللّهجات العربية القديمة، امتدّت جذورها إلى اللّهجات العربية الحديثة، وقد نسبت هذه الظّاهرة قديما إلى قبيلة طيّء، وعدّها الفيروزآبادي عيبا نطقيا، فهم يقولون مثلا في "يا أبا الحكم" (يا أبا الحكا) وهذا ما يعرف بالتّرخيم في اللغة العربية.[1] لقد وقف اللّغويون المحدثون عند هذه الظّاهرة، وأشاروا إلى أنّ القدامى عدّوها من معايب اللخلخانية[2] التي تميل إلى حذف بعض أصوات الكلمة.

وهي ظاهرة عامّة ليس فقط عند قبائل بني هلال في الجزائر، وإنّما في كلّ اللّهجات العربية الحديثة.[3]

2.3 القلب المكاني

هو تغيير في ترتيب حروف الكلمة المفردة عن الصّيغة المعروفة لها، حيث يتمّ فيها إبدال مواقع الأصوات في الكلمة، فيتغيّر تركيبها بتغيير أصواتها المقدّمة أو المؤخّرة، على السّواء مع حفاظ الكلمة على معناها.[4] وقد عرّف العرب هذه الظّاهرة وسمّوها القلب، عدّه بعض اللّغويين القدامى كابن فارس(ت395هـ) من سنن العرب في كلامها، ومثّل له بقولهم: "جذب وجبذ، ضبّ وبضّ، بكل ولبك، طمس وطسم"[5] ونحو قول الشّاعر:[1]

---

[1] عيد محمد الطيب: اللهجات العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ص 58. وينظر إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية م. س، ص134.

[2] واللَّخْلَخانيَّةُ العجمة في المنطق؛ رجل لَخْلَخانيٌّ وامرأَة لخلخانية إِذا كانا لا يفصحان. وفي الحديث: فأَتانا رجل فيه لَخْلَخانيَّة؛ قال أَبو عبيدة: اللخلخانية العُجمة؛ قال البعيث: سيترُكُها، إِن سلَّم الله جارَها، بنو اللَّخْلَخانيَّات، وهْي رُتُوع وفي حديث معاوية قال: أَيّ الناس أَفصح؟ فقال رجل: قوم ارتفعوا عن لَخْلَخانيَّة العراق، قال: وهي اللكنة في الكلام والعجمة؛ وقيل: هو منسوب إِلى لَخْلَخان وهي قبيلة؛ وقيل: موضع؛ ومنه الحديث: كنا بموضع كذا وكذا فأَتى رجل فيه لَخْلَخانيَّة. ينظر: ابن منظور مادة (لخلخ).

[3] إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية م. س، ص135 وينظر عيد محمد الطيب: اللهجات العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة م. س، ص58-59.

[4] محمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة م. س، ص274. وينظر: أحمد علم الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث م. س، ج2 ص647.

[5] ابن فارس: الصاحبي م. س، ص208. وينظر: أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وأسرار العربية م. س، ص247.
ضبّ وبضّ: سال. ينظر المادتان عند ابن منظور.
بكل ولبك: الخلط. ينظر المادتان في م. س.

وكلّ خليل راءني فهو قائل *** من أجلك هذا هامة* اليوم أوغد*

في هذا يقول سيبويه: "إنّما أراد "رآني" ولكنّه قلب وإن شئت رءاني"[2]

وقد عرفت اللّهجات العربية القديمة القلب المكاني، فهذا الشّاعر ابن أحمر، وهو شاعر ينتمي إلى قبيلة باهلة يقول:[3]

ومنحتها قولي على عرضيّة *** عُلُط أُداري ضغنها بتودُد

يعلّق ابن فارس على هذا البيت قائلا: "عُلُط، وإنّما ذاك مقلوب والأصل عُطُل، وهي المرأة التي لا حلى لها".[4]

وحتّى القراءات القرآنية لم تخل من هذه الظّاهرة، فقد ذكر النّحاس أنَّ أبا إسحاق قال إنّه يجوز بدل همزة قوله تعالى: ﴿ أحسن أثاثا ورءيا﴾[5] بياء بعدها همز فتكون حينئذ (ريئا)[6]، وجاء في معجم القراءات القرآنية أنّها قراءة عاصم وشعبة والأعمش وحميد.[7] فلا غرابة – إذن– أن يشيع في لغة قبائل بني هلال، فهو ضرب من الجنوح نحو التّخفيف والتّسهيل، وكذلك الاختلافات الإقليمية واللّغوية بين أفراد المجتمع الواحد، دون أن ننسى الخطأ السّمعي الذي يتوارثه الأجيال.[8]

طمس وطسم: درَسَ وامَّحى أَثَرُه. ينظر المادتان في م. س.

[1] سيبويه: الكتاب م. س، ج3 ص467-468.

[2] م. س.ص.

[3] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1979 م، ج4 ص125.

[4] ابن فارس: معجم مقاييس اللغة م. س، ج4 ص125.

[5] سورة مريم: الآية 74.

[6] إعراب القرآن: ج3 ص26.

[7] أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم: معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القرّاء، جامعة الكويت، ط2، 1408هـ / 1988م.

[8] إبراهيم السمرائي: التطور اللغوي التاريخي م. س، ص120. وينظر: أحمد علم الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث م. س، ج2 ص653.

من الألفاظ التي حدث فيها قلب مكاني في لغة قبائل بني هلال، نذكر قولهم:

(عْمَايَ) بدلا من معاي.

(رَوْزْ) بدلا من أُرْزْ، أبدلوا الهمزة واوًا.

(عْزَجْ) بدلا من عجز.

وكذلك قولهم: (عْزُوجْ) في عجوز.

(سْمْشْ) بدلا من شمس.

(زْهَاجْ) بدلا من جهاز، في ما يجهّز من أغراض للعروس.

(يْزَاجِي) بدلا من يجازي في معنى الجزاء.

(سْدَّاجَة) بدلا من سجّادة.

(كْلَحْ) بدلا من لكح، في الذي انكشفت شفته عن أسنانه من شدّة العطش.

(جْبْدْ) بدلا من جذب (وفيها إبدال بين الذّال والدّال).

(يْنْعَلْ) بدلا من يلعن.

(يْفَرْفَرْ) بدلا من رفرف.

(قْــضَبْ) بدلا من قبض (بإبدال القاف گيما قاهرية)... إلى غيرها من الكلمات التي لا تحصى ولا تعدّ، والتي ساهمت في نماء وإثراء القاموس اللّغوي المتداول بين هذه القبائل.

بعد كلّ ما تقدّم من خلال المباحث السّابقة، تبيّن لنا كيف أنَّ الدّراسات الصّوتية القديمة والحديثة وتفسيراتهما، قد أيّدت كلّ المظاهر الصّوتية التي اختصّت بها لغة قبائل بني هلال، وأنّ هذه الأخيرة ما هي إلا امتداد طبيعي للّهجات العربية القديمة.

الفصل الثاني الباب الثاني

الخصائص الصرفية في لغة بني هلال في الغرب الجزائري

نقصد بالخصائص الصّرفيّة، تلك التي تتعلّق بالكلمات المفردة أو المركّبة وأبنيتها، وذلك خارج نطاق التّركيب. وبنية الكلمة في اللّغة العربية، هي الحروف الأصلية مع الحركات والسّكنات، والحروف الزّائدة إن وجدت. أمّا الأصلية فهي ثلاثة حروف بالنّسبة إلى الثّلاثي، وأربعة، أو خمسة بالنّسبة إلى الرّباعيّ أو الخماسيّ. وهذه الحروف الأصول تفرز معنى عامًّا مشتركا نجده في كلّ الكلمات التي تربطها علاقة اشتقاقية غير خافية، وأمّا من حيث حروف الزّيادة فالكلمة في العربيّة إمّا مجرّدة، أو مزيدة. وبهذه التّصوّرات لا اعتداد لحركة الحرف الأخير في الكلمة اسما كانت، أو فعلا لأنّها إمّا هي علامة إعراب أو علامة بناء. هذه الأبنية في العربيّة، إن أردنا إحصاءها كثيرة مختلفة، سواء تعلّقت بالأفعال المتصرّفة أو الأسماء المتمكّنة، وهذه الأبنية من باب التّصريف هي عرضة للكثير من التّغيير والتّحريف، ولغة قبائل بني هلال لم تنجُ من هذا القانون العامّ، بل خضعت له بشكل حتمي فقد أخذت المفردة تتفرّع، وتختلف عن الأصل الأوّل الذي انتسلت منه في كثير من مظاهر التّصريف على ما شاع، من حيث تصريف الفعل حسب الصّيغ (الماضي والمضارع والأمر)، والتّصريف حسب البناء للمعلوم والمجهول، والتّصريف حسب الضّمائر المختلفة (المتكلّم والمخاطب والغائب والمفرد والمثنّى والجمع والمذكّر والمؤنّث)، أيضا تصريف الاسم حسب المقولات النحويّة، كالتّعيين (التّعريف والتّنكير)، والجنس (المذكّر والمؤنّث)،

والعدد (الفرد والمثنّى والجمع)، هذا بالإضافة إلى أشكال التّصريف الشّائعة المتداولة عند جمهور علماء الصّرف، ألا وهي التّكسير والتّصغير والنّسبة، وهذا ما سنكتشفه معا بين ثنايا هذا الفصل.

1. صيغ الأفعال

صيغ الأفعال من حيث الدّلالة الزّمنية في لغة قبائل بني هلال، لا تختلف عن صيغ الأفعال في اللّغة الفصحى، وإنّما الاختلاف يكمن في أوزان هذه الأفعال التي يمكن جردها على النّحو الآتي:

1.1 الفعل الماضي

1.1.1 **الثّلاثي المجرّد**: وله في هذه اللّهجة ثلاثة أوزان (فْعَلْ، فَعَلْ، فَعْلْ)

- صيغة فْعَلْ: وهي الصّيغة الأكثر شيوعا على الألسنة، سواء كان الفعل صحيحا أم كان معتلا، نحو قولهم في:

أ) **الفعل الصّحيح**: ويشمل السّالم والمهموز

- السّالم: مثل: خْرَجْ، دْخَلْ، ذْبَحْ، حْرَثْ، حْصَدْ... إلخ.
- المهموز: مثل: (بْدَا) في بدأ، (مْلا) في ملأ، (بْرَا) في برأ... إلخ.

ب) الفعل المعتلّ: ويشمل النّاقص والمثال واللّفيف بنوعيه:

- النّاقص: ما كانت لامه حرف علّة، ونجده في قولهم: مْشَى، بْكَى، حْكَى، نْسَى، زْگَى... إلخ.
- المثال: ما كانت فاؤه حرف علّة، ونجده في قولهم: وْصَلْ، يْبَسْ، وْزَنْ، وْرَثْ... إلخ.
- اللّفيف المفروق: ما كانت فاؤه ولامه حرف علّة، ونجده في قولهم: وْعَى، وْفَى... إلخ.
- اللّفيف المقرون: ما كانت عينه ولامه حرف علّة، ونجده في قولهم: حْيَا، عْيَا، شْوَى... إلخ.

- صيغة فَعْلْ: ونجد هذه الصّيغة في الفعل الأجوف والفعل المهموز الوسط، لأنّ هذينالأخيرين لا يمكنهما البدأ بالسّاكن.

- الفعل الأجوف: ما كان حرفه الثّاني حرف علّة (واوًا أو ياءً) نحو قولهم: (بَاعْ، قَـــالْ، خَافْ... إلخ). فهذه الأفعال لم تبدأ بساكن لأنَّ الفتحة جاورت صوتا لينًا من جنسها، "الفتحة بعض من الألف"[1] ومن ثمّ لا يمكن بأي حال من الأحوال النّطق بساكن مع هذه الأفعال.

- الفعل المهموز الوسط: نحو قولهم: (سَوَّلْ) في سأل، (فَوَّلْ) في فأل، ....

الملاحظ أنّ الهمزة سُهِّلت فأبدلت واوا، لكنّها بقيت محافظة على حركتها الأصلية (حركة الفتح)، فأصبح الفعلان ينطقان كالأجوف تماما، والسّبب طبعا هو الجنوح نحو السّهولة في النّطق، والاقتصاد في الجهد العضلي الذي هو سمة بارزة عند البدو.

2.1.1 الفعل الثّلاثي المضعّف: ما كان ثاني حروفه وثالثها من جنس واحد نحو: (مَدّْ - شَدّْ - شَمّْ - عَسّْ... إلخ). هذه الأفعال حافظت على وزنها في هذه اللّهجة، ذلك لأنّ عين الكلمة ساكنة، ومنه لا يمكن صوتيا بدء الفعل بساكن، أي بمقطعين مزدوجي الإغلاق وبذلك فهي لم تخرج عن القاعدة العامّة للغة العربية الفصحى.

3.1.1 **الفعل الثّلاثي المزيد:** لا تختلف أوزانه كثيرا عن الفصحى، كما أنّ حروف الزّيادة فيها واحدة، ويمكن أن نحصي صيغه فيما يأتي:

- صيغة فَعَّلْ: نحو قولهم: (سَهَّلْ، جَرَّبْ، وَصَّلْ، عَلَّـــقْ في علّق، رَقّـَــعْ في رقّع... إلخ)

فالزّيادة هنا بالتّضعيف، وهذا البناء لا يختلف عن اللّغة الفصحى.

- صيغة فَاعَلْ: نحو قولهم: (وَالَفْ، عَاوَنْ، عَايَرْ، صَافَحْ... إلخ) الزّيادة هنا بالألف، أيضًا هذا البناء لا يختلف عن اللّغة الفصحى.

- صيغة فْعَالْ: نحو قولهم: (كْحَالْ، صْفَارْ، حْمَارْ، عْوَارْ... إلخ) الزيادة هنا بالألف، ونجد هذا البناء لا يستعمل إلا في أوصاف اللّون والعيب تماما مثل العربية، والفرق بينهما أنّ لغة بني هلال تبدأ بساكن، بينما في الفصحى بمتحرّك، ولام الوزن مضعّف في الفصحى (اصفارّ، احمارّ...) بينما في هذه اللّغة ليس مضعّفا، ربما طلبا للخفّة والسّهولة.

---

[1] ينظر ابن جني: الخصائص م. س، ج2 ص315-316.

- صيغة اتَّفْعَل: نحو قولهم: (اتَّحْرَقْ، اتَّضْرَبْ... إلخ)، الزّيادة هنا بالهمزة والتّاء والتّضعيف، ويقابل في اللّغة الفصحى الفعل المبني للمجهول بصيغتيه "فُعِلَ – تُفُوعِلَ" فصيغة (اتّفعل) إذن تختصّ بها هذه اللهجة، لكن هناك من الدّارسين من عزا هذه الصّيغة إلى الآرامية، فربّما دخلت إلى لهجات العربية عن طريق الاحتكاك بها.[1]

- صيغة انْفَعَلْ – اتَّفْعَلْ: نحو قولهم: (انْقَسَمْ واتّقْسَمْ) في انقسم، (انقَطَعْ واتّقطَعْ) في انقطع، (انفلت واتْفَلَتْ) في انفلت... إلخ، وكلتا الصّيغتين تستعملان في هذه اللّهجة، والزّيادة هنا بالهمزة والنون وهو بناء لا يختلف عن الفصحى، بينما الصّيغة الثّانية الزّيادة فيها بالهمزة والتّاء والتّضعيف.

- صيغة تْفَاعَلْ: نحو قولهم: (تْفَاهَمْ، تْشَابَهْ، تْسَامَحْ... إلخ)، الزّيادة هنا بالتّاء والألف وهي

تقابل صيغة "تفاعل" في الفصحى، فقط أنّ في لغة بني هلال البناء يبتدأ بالمقطع القصير المغلق كعادة اللّهجة، في حين هو قصير مفتوح في الفصحى.

- صيغة اسْتَفْعَلْ: نحو قولهم: (اسْتَكْبَرْ، اسْتَهْزَا، اسْتَرْزَقْ، اسْتَفْسَرْ... إلخ)، الزّيادة هنا بالهمزة والسّين والتّاء، وهي لا تخالف البناء في الفصحى.

فالملاحظ أن هذه اللّهجة متّفقة إلى حدّ ما مع الفصحى من حيث الأوزان وحروف الزّيادة، والاختلاف يكمن في أن اللّهجة لا تستعمل كلّ الأوزان الموجودة في الفصحى كصيغة (افعوعل، افعوّل، أفعل)، كما أنّها تطيل الحركات أحيانا، وتبدأ بالمقطع القصير المغلق، لكنّها حافظت على بقاء العين مفتوحة في جميع صيغها تماما مثل الفصحى.

4.1.1 الفعل الرّباعي المجرّد: للرّباعي المجرّد في الفصحى وزن واحد وهو " فَعْلَلْ" مثل: دحرج، والأمر نفسه نجده في هذه اللّهجة نحو قولهم: (دَغْدَغْ، فَرْفَرْ [2]، دقْدَقْ [3]، طَبْطَبْ[1]... إلخ).

---

[1] ينظر برجستراسر: التطور النحوي م. س، ص92.

[2] بمعنى رفرف حدث قلب مكاني.

[3] بمعنى الدَّقُّ: الكَسر والرَّضُّ في كل وجه، وقيل: هو أَن تضرب الشيءَ بالشيء حتى تَهْشِمَه، دَقَّة يَدُقُّه دَقًّا ودقَقْتُه فانْدَقَّ.

5.1.1 الفعل الرّباعي المزيد: مثلما يوجد في الفصحى أفعال رباعية مزيدة بأوزان مختلفة مثل: "فَعْلل" كجلبب أي: ألبسه الجلباب، "فَوْعل" كجوربه أي: ألبسه الجورب، "فعوْل" كهْوك في مشيته أي: أسرع، "فيْعل" كبيْطر أي: عالج الدّواب، "فعْيل" كشرْيف الزّرع أي: قطع شرياف، "فَعْلى" كسلْقى إذا استلقى على ظهره، "فعنل" كقلنسه أي: ألبسه القلنسوة[2]، كذلك يوجد في هذه اللّهجة عدّة أوزان وبصيغ مختلفة نحو:

- (تَفَعْلَلْ) مثل قولهم: تْزَلْزَلَ، تْكَرْكَرْ، تْكَرْكَبْ[3]، تْسَلْسَلْ... إلخ.

- (فَعْوَلْ) نحو قولهم: دْهْوَرْ[4]، تْكَلَّلْ[5]... إلخ.
- (تَمَفْعَلْ) نحو قولهم: تْمَسْكَنْ، تْمَسْخَرْ (من السّخرية)، تْمَهْبَلْ[6]... إلخ.
- (تْفَيْعَلْ) نحو قولهم: تْشَيْطَنْ، تْفَيْهَمْ... إلخ.

2.1 الفعل المضارع

1.2.1**صياغة الفعل المضارع:** يصاغ في هذه اللّهجة من الفعل الثّلاثي، ومن الفعل غير الثّلاثي بزيادة أحد حروف المضارعة (الهمزة، والنّون، والتّاء، والياء) مثل اللّغة الفصحى، فهي:

---

[1] بمعنى يدقّ الباب.

[2] سيبويه: الكتاب م. س، ج4 ص286.

[3] الشّيء إذا سقط وتدحرج.

[4] دْهْوَر: تدهور، أدغموا التّاء في الدّال.

[5] المُكَلَّل هُوَ السَّحَابَةُ يَكُونُ حَوْلَهَا قِطَع مِنَ السَّحَابِ فَهِيَ مكَلَّلة بِهنَّ. وهم يطلقونها على الحليب إذا فسد وتحوّل إلى قطع.

[6] أصلها من الهبل: رجل أهبل، أي: فاقد العقل أو أحمق.

- تستعمل تاء المضارعة في هذه اللّهجة للمخاطب المفرد، والمثنى، والجمع للمذكّر والمؤنّث، وللمفردة الغائبة مثل الفصحى نحو قولهم:

(أنا ارُوحْ) في أنا أروحُ.

(حْنَا نْخَيْطُ) في نحن نخيطُ.

(أنتَ تِلْعَبْ) في أنتَ تلعبُ.

(أنتِ تِكْتْبِي) في أنتِ تكتبين.

(أنتما-أنتم-أنتن تَحَصْدُوا) في أنتما تحصدان - أنتم تحصدون.

- تستعمل الياء للغائب المذكّر وللغائبين والغائبات نحو قولهم:

(هو يِقْرَا) في هو يقرأ.

(هي تَغْسَلْ) في هي تغسل.

(هما- هم- هن يِحصدوا) في هما يحصدان - هم يحصدوا - هن يحصدن.

وإنّما الاختلاف يكمن في:

- أنَّ هذه اللّهجة لا تستعمل الهمزة وإنّما تستعمل صوت "النون" للمتكلم المفرد بنوعيه وللجمع بنوعيه، وهي ظاهرة عامّة ليس فقط عند بني هلال، وإنّما في جميع اللّهجات العربية الحديثة[1] نحو قولهم: (أنا نَكْتَبْ) في أنا أكتب، (حْنَا ناكْلُ) في نحن نأكل، والعلّة في هذه الظّاهرة، أنّ النّاطقين يتخلّصون من الهمزة كعادتهم -مثلما رأينا في إبدال الهمزة- إمّا بالحذف أو بالقلب وإمّا بالإبدال.

- صيغة المضارع (يُفْعَلْ) المصاغ من الوزن (فْعَلْ) جاءت على صيغة فعل المضارع المبني للمجهول نحو قولهم: (يُكْتَلْ) في يَقْتُلْ.

[1] عبد العزيز مطر: لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربي -دراسة لغوية، دار المعارف، مصر، 1981م، ص118.

- لم تراع هذه اللّهجة قاعدة أنَّ المضارع لا يأتي من (فَعَلَ) على وزن (يَفْعَل) بفتح العين في الماضي والمضارع، إلا إذا كانت عين الفعل أو لامه صوتا من أصوات الحلق[1]، وإنّما ظاهرة فتح العين شائعة فيها ولا تخضع لقاعدة معيّنة.

2.2.1 مظاهر أحرف المضارعة:

- سلكت هذه اللّهجة منهج الفصحى بشيوع ظاهرة فتح أحرف المضارعة في معظم صيغها، ولا تضمُّه -أي حرف المضارعة- إلّا إذا كان الفعل المضارع قد صيغ من المثال الواوي نحو: (يُوصَلْ) في يَصِل، (يُوزَن) في يَزِنُ، (يُوقَـــــفْ) في يقف... أو من اللّفيف المفروق، نحو: (يُوحِي) في يَحِي.

- هذه اللّهجة تكسر عين المضارعة المصاغ من الثّلاثي النّاقص، مهما يكن نوع لامه، بخلاف الفصحى التي تحدّد حركة العين فيها نوع لام الفعل، فإن كانت كسرة كانت لام الفعل ياءً، وإن كانت ضمّة كانت اللّام واوًا، وإن كانت فتحة كانت اللّام ألفًا، باستثناء الأفعال المقصورة مثل: (سعى، لقى...) فإنّها تأتي على وزن (يَفْعَل) بفتح عين المضارعة.

- يأتي حرف المضارعة ساكنا دائما ومع جميع الضّمائر، في المضارع المصاغ من الرّباعي المجرّد الذي على وزن (فعلل) نحو قولهم: (يدَقْـــدَقْ) في يُدَقْدِقُ، (يطَبْطَبْ) في الباب يدقّه،... كما أنَّ حركة ما قبل الآخر لا تتغيّر، بل تبقى دائما الفتحة لأنّها أخفّ الحركات، بخلاف الفصحى التي لا يأتي فيها إلا مضمومًا، وحرف ما قبل الآخر مكسورًا.

- في الأفعال المزيدة يكتفي الفعل المضارع في هذه اللّهجة، بإضافة أحد أحرف المضارعة (ي- ت - ن) إلى الفعل الماضي دون تغيير في بنية الكلمة، نحو قولهم:

(جَرَّبْ - يجَرَّبْ)، (عَايَرْ - يعَايَرْ [2])، (اكْحَالْ - يكْحَالْ)، (اتَّحْرَقْ - يتَّحْرَقْ) في احترق - يحترق، (انْـــــــقْـسَمْ - ينْـــقْسَمْ) في انقسم - ينقسم، (تْعَذَّبْ - يتْعَذَّبْ)، (اسْتَهْزَى -

---

[1] عبد العزيز مطر، م. س: ص121.

[2] يقال هما يتعايبانِ ويتعايران، فالتعايُر التسابّ، والتَعايُب دون التَّعاير إذا عاب بعضهم بعضا. ينظر: ابن منظور: مادة (عير).

يِسْتَهْزَى)،... بخلاف الفصحى التي تشترط كسر حركة الحرف الذي قبل الآخر، في مضارع الفعل الرّباعي مثل: "أكرم- يُكرِمُ" وكذلك في مضارع الفعل الخماسي والسّداسي، إذا كان الماضي مبدوءًا بهمزة وصل مثل: "اجتمع - يجتمِع" "استخرج – يستخرِج." أمّا في مضارع الفعل الخماسي المبدوء بتاء زائدة، فإنّ الحرف ما قبل الآخر يكون مفتوحا مثل: "تقدّم -يتقدّم" "تقاتل – يتقاتل."

- يُكسر حرف المضارعة المصاغ من الفعل "يَبِسَ" فيقولون: (يِيبَسْ) بدلا من "يَيْبَسُ" في الفصحى، ومثل هذه الظّاهرة وردت في كلام العرب قديما وسمّوها "التلتلة"، وقد نسبها اللّغويون القدامى إلى قبيلة بهراء، التي كانت تكسر تاء (تفعلون) وربطوها باسمها فقالوا: "تلتلة بهراء."[1] وهناك من يجعلها شائعة في العرب دون قريش[2] كما قرأ العديد من القرّاء بهذه الصّيغة، وإن عدّها البعض من القراءات الشّاذّة.[3]

3.1 فعل الأمـــر

يصاغ من الفعل الثّلاثي المجرّد بأنواعه (الصّحيح، معتلّ اللّام، أو المهموز) وذلك بزيادة همزة وصل على الماضي -غالبا- نحو قولهم: (اُخْرُجْ) في أُخرج، (اُسْعَى) في اِسعى، (اُقْرَا) في اِقرأ،...

- أمّا إذا كان معتلّ الفاء، فإنّ حرف العلّة لا يحذف نحو قولهم: (اُوْقِـــفْ) في قِف، (اُوْزَنْ) في زِن... إلخ، بينما مع بعض الأفعال تسقط الهمزة ويبقى حرف العلّة، وتشدّد وتفتح عين الفعل نحو قولهم: (وَصَّل) في أوصِل، (وَكَّد) في أكِّد -أبدلت الهمزة واوًا- (وَرَّث) في أورِث... إلخ.

- أمّا إذا كان من الأجوف، فإنّ حركة فاء الفعل تمدّ فينتج عنها صوت لين طويل من جنسها نحو قولهم: (كُولْ) في كُلْ، (زُورْ) في زُرْ، (زِيدْ) في زِدْ، (بِيعْ) في بِعْ... إلخ.

- يصاغ من غير الثّلاثي مثلما هو في الفصحى، باستثناء حركة ما قبل الآخر فإنّها تفتح في اللّهجة، في حين تكسر في الفصحى نحو قولهم: (دَقْدَق) في دَقْدِق، (عَانَد) في عَانَدَ، (جَرَّب) في جَرِّب... إلخ.

---

[1] ابن جني: سر الصناعة م. س، ج2 ص235.

[2] عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص138.

[3] م. س، ص135.

والملاحظ أنّ الصّيغة الكتابية لفعل الأمر، هي نفسها صيغة الفعل الماضي غير الثّلاثي، ولكن السّياق يفرق بينهما.

2. صيغ الأسماء

1.2 صيغة الاسم الثّلاثي المجرّد

بعد استقرائنا للأسماء الثّلاثية المجرّدة في هذه اللّهجة، تبيّن لنا أنّها تشتمل على عدّة صيغ، منها صيغ أصلية موجودة في اللّغة العربية الفصحى، ومنها ما ليس موجودا، أمّا التي ليست موجودة يمكن القول عنها أنّها فروع للصّيغ الأصلية، تولّدت نتيجة تغيّر حركات الكلمة، خاصّة فاء الكلمة باعتبار أنّ اللّهجة في غالب الأحيان تبدأ بالسّاكن، طلبا للتّخفيف والانسجام الصّوتي ويمكن إحصاء هذه الصّيغ فيما يلي:

– **صيغة فَعْلٌ**: تستعمل كثيرا تماما مثلما تستعمل في العربية الفصحى مثل: (قَـمْحْ) في القمح، (بَرْدْ) في البرد، (عَبْدْ) في العبد، (كَبْشْ) في الكبش... إلخ، إلّا أنّه تفرّع عنها في هذه اللّهجة ثلاث صيغ هي:

- فْعَلْ: نحو قولهم: (شْهَرْ) في شّهر، (شْعَرْ) في شّعر، (زْرَعْ) في زّرع، (لْحَمْ) في لّحم... إلخ، فالأسماء ابتدأت بساكن.
- فِعْلٌ: نحو قولهم: خِيرْ، شِيخْ، زِيتْ، جِيبْ... إلخ، تحوّلت فتحة فاء الاسم إلى كسر.
- فُعْلْ: نحو قولهم: لُوحْ، مُوتْ، يُومْ... إلخ، تحوّلت فتحة فاء الاسم إلى ضمّة.

– **صيغة فِعْلٌ**: تُستعمل مثل الفصحى نحو قولهم: قِرْدْ، رِيحْ، رِيشْ، دِينْ... إلخ، إلّا أنّه تفرّع عنها في هذه اللّهجة صيغتان أخريان هما:

- فْعَلْ: نحو قولهم: (تْبَنْ) في التّبن، (رْبَحْ) في الرّبح، (سْتَرْ) في السّتر... إلخ.
- فَعْلْ: نحو قولهم: ثَلْجْ، بَنْتْ، مَلْحْ، ضَيْفْ... إلخ.

– **صيغة فُعْلْ**: تستعمل في اللهجة مثل الفصحى مثل: خُبْزْ، نُورْ، خُرْصْ... إلخ وفي هذه اللّهجة تفرّع عنها الصّيغ الآتية:

- فَعْلْ: نحو قولهم: (مَلْكْ) في الملْك، (عَرْسْ) في العُرس... إلخ.
- فْعَلْ: نحو قولهم: (عْشَبْ) في العُشْب، (عْجَبْ) في العَجَب، مْشَطْ (آلة الصوف).
- فْعُلْ: نحو قولهم: (كْحُلْ) أي الكحل.

– **صيغة فُعُلْ**: مثل: خُلُقْ، رُبُعْ، خُمُسْ، عُشُرْ...في الفصحى أمّا في هذه اللّهجة، فقد حافظوا على هذه الصّيغة في نطقهم، إلا أنّه تفرّع عنها صيغة أخرى وهي:

- فَعْلْ: نحو قولهم: (عْمَرْ) في عُمَر، (وْدَنْ) في أُذُن... إلخ.

– **صيغة فَعَل**: طلب، عسل، عمل... في الفصحى، أمّا في اللّهجة فهي قليلة الاستعمال، ولكن يستعملون صيغا أخرى متفرّعة عنها وهي:

- فَعْلْ: نحو قولهم: (الْمَرْضْ) في المرض.
- فْعَلْ: نحو قولهم: (عْسَلْ) في العسل، (حْجَرْ) في الحجر، (شْبَرْ) في الشِّبر... وهذه الصّيغة هي الأكثر استعمالا من الأولى.

2.2 صيغة المثـــــنى

هو في الفصحى اسم لحقته ألف ونون مكسورة في حالة الرّفع، وياء ونون مكسورة في حالة النّصب والجرّ، ليدلّ على اثنين. نحو: "كتاب + انِ= كتابانِ" و" كتاب + يْنِ = كتابَيْنِ".

أمّا في لهجة بني هلال فيُتَّبَع طريقتين في التّثنية، وهما:

1.2.2**بلفظة زوج**: يأتون بالمثنى في صيغة الجمع مسبوقا بكلمة (زُوجْ)، سواء كان الاسم المفرد مذكّر أم مؤنّث، نحو قولهم: (زُوجْ رْجَالْ) في رجلين، (زُوجْ خُبْزَاتْ) في خبزتين، (زُوجْ كْلَابْ) في كلبين، (زُوجْ شْمْعَاتْ) في شمعتين،...إلخ فلفظة (زُوجْ) هي ليست بعيدة عن الفصحى وهم يستعملونها للدّلالة

على معنى "اثنين" فقط ليس إلّا، وقد جاء في القرآن ما يشبه هذا مثل قوله تعالى: ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوجَينِ ٱثنَينِ﴾[1]

وفي قوله تعالى: ﴿زَوجَينِ ٱثنَينِ﴾[2] أي: مِن كلّ صنفٍ اثنين. قال الطّبري: "وقال بعض أهل العِلم بكلام العرب مِن الكوفيّين: الزّوجان في كلام العرب: الاثنان"، قال: "ويُقال: عليه زَوجا نِعَالٍ إذا كانت عليه نَعْلان، ولا يقال: عليه زَوج نِعالٍ، وكذلك: عنده زَوجا حَمام، وعليه زَوجا خفّين". وقد قال أهل العربيّة في قوله تعالى: ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنثَى﴾[3] فإنّما هما اِثنان.

2.2.2 إضافة الياء والنّون: يكون ذلك في آخر الاسم المراد تثنيته، نحو قولهم:

(الْوَالْدِينْ) في الوالدين، (يْدِينْ) في يدين.

(جِهْتِينْ) في جهتين، (يُومْينْ) في يومين.

(وْدْنِينْ) في أذنين، (عَيْنِينْ) في عينين.

(عَامِينْ) في عامين، (لِيلْتِينْ) في ليلتين.

(كَرْعِينْ[4]) في رجلين... إلخ

---

[1] سورة الرعد: الآية 3. جاء في تفسير الجواهر في قوله تعالى: ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: جعل فيها من أصناف الثمرات زوجين اثنين ذكرًا وأنثى في أزهارها عند تكوّنها، فقد أظهر الكشف الحديث أن كل شجر وزرعٍ لا يتولّد ثمره وحبّه إلا بين اثنين ذكرٍ وأنثى. فعضو الذكر قد يكون مع عضو الأنثى في شجرة واحدةٍ كأغلب الأشجار، وقد يكون عضو الذكر في شجرةٍ والآخر في شجرةٍ أخرى كالنخل، وما كان العضوان فيه في شجرةٍ واحدة، إما أن يكونا معًا في زهرة واحدة، وإما أن يكون كلٌّ منهما في زهرةٍ وحده، والثاني كالقرع، والأول كشجرة القطن، فإن عضو التذكير مع عضو التأنيث في زهرةٍ واحدةٍ. ينظر تفسير الميزان: ج11 ص294.

[2] سورة هود: الآية 40.

[3] سورة النجم: الآية 45.

[4] ويقصدون بهما الرجلين والكلمة فصيحة، فقد ورد في اللسان: والكُراعُ من الإنسان: ما دون الركبة إلى الكعب، ومن الدوابِّ: ما دون الكَعْبِ.

الملاحظ من خلال هذه الأمثلة، أنّ الاسم في اللّهجة يثنّى مثل الفصحى مذكّرا كان أم مؤنّثا، ودون أن تتغيّر بنية الكلمة، وإنّما الاختلاف يكمن في أنّ هذه اللّهجة تلتزم حالة إعرابية واحدة، وهي الياء والنّون في معظم حالات الإعراب "الرّفع والنّصب والجرّ" كما كانت قبيلة بلحارث بن كعب تلتزم الألف والنّون في تثنيتها للأسماء في جميع الحالات.[1]

وشيوع هذه الظّاهرة في لهجة بني هلال، وفي معظم اللّهجات العربية الحديثة، يوحي بأنّ لها جذورًا ضاربة في القدم تعود للهجات عربية قديمة أغفلتها المصادر -والله أعلم-.

كما يمكن أن نسجّل ثلاث ملاحظات مهمّة وهي:

- خلو اللّهجة من ضمائر المثنى الموجودة في الفصحى المتّصلة والمنفصلة على حدّ سواء، وكذلك أسماء الإشارة المثناة، والصّفات وغيرها.
- مثلما التزم المثنى الياء وهو منفصل عنها، التزمها وهو مضاف، فقلبت الألف ياء وأُدغمت في أختها نحو قولهم: (يِدِيَّ، وذِنَّ، عينَّ...) في "يداي، أذُناي، عيناي".
- هناك ألفاظ تجيء بصيغة الجمع ويقصد بها التّثنية، نحو قولهم:

(شْوَارَبْ) بمعنى الشّاربين.

(شْنَايَفْ) بمعنى الشّفتان.

(اذْرْعَى) بمعنى الذّراعين.

(لْفْخَاذْ) في الفخذين.

(بْزَازْيلْ) بمعنى الثّديين.[2]

---

[1] ينظر ابن خالويه: الحجّة م. س، ص96 وهناك من ينسبها إلى قبائل كثيرة منها: كنانة، بلعنبر، بنو الهجيم، وبطون من ربيعة، بكر بن وائل، زبيد، خثعم، همدان، مراد وعذرة. ينظر السيوطي: همع الهوامع م. س، ج1 ص133 وأبو حيان: البحر المحيط: ج6 ص255.

[2] الكلمة عربية فصحى، فقد جاء في اللسان بَزَل الشيءَ يبزُله بَزْلا وبَزَّله فَتَبَزَّل: شَقَّه. وتَبَزَّل الجسد: تَفَطَّر بالدم، وتَبَزَّل السِّقاء كذلك. وسِقَاءٌ فيه بَزْلٌ: يَتَبزَّلُ بالماء، والجمع بُزُول. ينظر ابن منظور: مادة (بزل).

3.2 صيغة الجمع

الجمع في الفصحى ثلاثة أنواع: جمع المذكّر السّالم، وجمع المؤنّث السّالم، وجمع التّكسير، والحال نفسه في لغة قبائل بني هلال.

1.3.2جمع المذكّر السّالم: هو جمعٌ سَلِمتْ صورة مفرده، فلم يصبها التغيير، وزِيدَ في آخره واو ونون في حالة الرّفع نحو: "جاء كاتبون"، وياء ونون في حالتَيْ النّصب والجرّ، نحو: "رأيت كاتبِين، ومررت بكاتبِين"، أمّا في لغة بني هلال فإنّه يُجمع من الاسم المفرد أو المشتّق بكسر آخره وإضافة ياء ونون، نحو قولهم: (الْفْلَّاحِينْ، الْمُجَاهِدِينْ، الْمُعَلِّمِينْ... إلخ) فهم يلزمون حالة إعرابية واحدة رفعا ونصبا وجرا، كما يلتزمون الصّيغة نفسها في جمع الصّفات، نحو قولهم:

(الْمُعَلِّمِينْ غَايْبِين) أي: المعلمون غائبون.

(ارْجَالْ وَاقْـــفِينْ) أي: الرّجال واقفون.

(انْسَا قَـــاعْدِينْ) أي: النّساء قاعدات... إلخ

وفي جمع الأسماء المنسوبة نحو قولهم: (الْجَزَايْرِيِينْ، الْمَصْرِيِينْ، الْفِلْصْطِنِيِينْ... إلخ) أي: الجزائريين، المصريين، الفلسطنيين،...

2.3.2جمع المؤنّث السّالم: يجمع الاسم جمعا مؤنثا سالمًا، بأن يزاد عليه ألف وتاء مبسوطة في آخره، ويشمل العاقل وغير العاقل. ومن نماذج جمع المؤنّث السّالم في لغة بني هلال، نذكر قولهم:

أ) **بالنّسبة للعاقل:** نحو (انْسَاوِينْ) في النّساء، (لْبْنَاتْ) في البنات، (لْجَارَاتْ) في الجارات، (لْخْوَاتَاتْ) في الأخوات، (لُمَّاتْ) في أمّهات، (طَيَّارَاتْ) في طائرات... إلخ.

ب) **بالنّسبة لغير العاقل:** نحو (بَـــقْـــرَاتْ) في بقرات، (مَعْزَاتْ) في مِعزات، (تَمْرَاتْ) في تَمرات، خُبْزَاتْ، جِهَاتْ... إلخ).

ج) **بالنّسبة للصّفات المصغّرة للعاقل وغير العاقل:** (نْسِيوَاتْ) في نُسيّة ونُسيّات[1]، (مْرَيَّات) في مُرَيْئَات، فقد أبدلوا الهمزة ياء، وأدغموا المثلين. (وْلِيدَاتْ) في وِلدان، (تْمَيْرَاتْ)، (نْعَيْجَاتْ)، (شْوَيْهَاتْ)[2]، (خْطَيْوَاتْ)، (دْرَيْهْمَاتْ)... إلخ.

الملاحظ في جمع المؤنّث السّالم في لغة بني هلال، أنّها لا تراعي دوما قاعدة جمع المؤنّث في الفصحى،فهي تجمع كلّ مؤنّث بنفس الصّيغة، أي بإضافة الألف والتّاء المفتوحة، لكن في الفصحى هناك استثناءات، بحيث يستثنى من المختوم بالتّاء المربوطة ستّ كلمات هي: "اِمرأة–شاة – أَمة – شفة –ملّة –أُمّة" فإنها تجمع على: "نساء – شياه – إماء – شفاه – مِلَل –أُمَم".

كما أنّها –أحيانًا– تجمع المذكّر مثلما تجمع المؤنّث كما في قولهم:

(حَجْرَاتْ) في الأحجار.

(لْمُوهَاتْ) في المياه.

(كْبْدَاتْ) في أكباد... إلخ.

3.3.2 **جمع التّكسير:** هو ما دلّ على أكثر من اثنين، وتغيّرت صورة مفرده، نحو:

(كتاب: كتب)، (قلم: أقلام)، (عالِم: علماء)... إلخ، إلّا ما كان من نحو: فُلْك وهِجان[3] فصورته هي هي في المفرد والجمع. وأوزان جمع التكسير كثيرة مختلفة لا تخضع لقواعد ثابتة، فقد يجمع اسم واحد على عدّة صيغ مثل: "كبد" تجمع على "أكباد وكبود". ومثلما تعدّدت أوزان جمع التّكسير في الفصحى، تعدّدت في لغة بني هلال وتنوّعت، منها ما هو موجود في الفصحى ومنها ما ولّدته اللّهجة، وفيما يلي مختلف الأوزان التي استطعت أن أتوصّل إليها:

- فَعَّال: مثل: (لَيَّام) في أيّام... إلخ.

---

(1) عاملَ سيبويه لفظَ "النّسوة" معامَلة المفرد فنَسَبَ إليه (نِسْويّ) ، وصغَّره (نُسَيَّة) ، وجمَعَه جمعَ مؤنّث سالمًا (نُسَيَّات) وبالجُملة، فإنّ امرأة تجمع على نساء ونسوة ونسوان، وهذه الجُموع لا واحدَ لها من لفظِها. والعلّة في ذلك أنّه لم يُسمع عن العربِ مفردٌ من جنس لفظِ نسوة، ولا جمعٌ من جنس لفظِ امرأة.

(2) بمعنى الشّياه جمع شاة.

(3) الإبل: البيضُ الكرام. ينظر ابن منظور: مادة (هجن).

- فِعَّالْ: مثل: (خِيَّانْ) في خونة، (قِيَّادْ) في قادة... إلخ.
- فُعَّال: سُكَّانْ، (جُهَّالْ) في جهلاء، (ثُوَّارْ)، (شُبَّانْ)... إلخ.
- فْعَالَلْ: مثل: ادْرَاهَمْ...
- أَفْعَالْ: مثل: (لْصْحَابْ، لْكْتَافْ، لْرْزَاقْ...) في "الأصحاب، الأكتاف، الأرزاق".[1]
- فْعَالِيلْ: مثل: دْرَاوِيشْ، نْسَاوِينْ، زْغَارِيتْ...
- فْعِيلْ: مثل: لْحْمِيرْ[2]...
- فَعْلَة: مثل لفظة حَرْكَة[3]...
- فْعُولْ – فْعُولَه: مثل: جْدُودْ، خْدُودْ، شْهُورَه، حْنُوشَه[4]...
- فْعَايَلْ: مثل: دْقَايَقْ، قْصَايَصْ [5]، عْجَايَبْ، عْرَايَصْ [6]، عْمَايَمْ. [7]
- فْعُلْ: حْفُرْ، ڤْفــُفْ، قــصُعْ في قصع، مْدُنْ...
- فُعُّلْ: مثل: حُمُّرْ، صُفُّرْ، خُضُّرْ، طُرُّشْ...
- افْعَالْ: مثل: اوْلادْ، ادْيَارْ، ارْجَالْ، اجْبَالْ، اصْحَابْ...

---

[1] حذفت الهمزة وانتقلت حركتها إلى لام التعريف.

[2] جمع حمار.

[3] جمع حركي: وهو العميل أو الخائن لوطنه.

[4] جمع حنش كلمة أمازيغية تعني الثعبان.

[5] جمع قصة.

[6] جمع عروس.

[7] جمع عمامة.

- فْعَالِي: مثل: (قْهَاوِي) في المقاهي، (لْـــقْـــَامِي) في لقمات...
- مْفَاعِيل: مثل (مْفَاتِيحْ، مْهَابِيلْ، مْحَابِيسْ...) في مفتاح – مهبول[1] – محبوس.
- فِيعَالْ: مثل: (كِيسَانْ، رِيصَانْ، فيسان...) في كؤوس – رؤوس – فؤوس.
- فْوَاعَلْ: مثل: خْوَاتَمْ، جْوَامَعْ، شْوَارَبْ...
- فْوَاعِيل: مثل: ثْوَارِيخْ...
- فُعْلَان: مثل: بُلْدَانْ، فُرْسَانْ...
- فَعْلَان: مثل: نَسْوَانْ، خَرْفَانْ،...
- فِعْلَان: (جِدْيَانْ)، (بِنْيَان)،...
- فْعَالِيلْ: مثل: مْسَامِيرْ، ثْقَاشِيرْ [2]، كْوَابِيسْ.[3]
- أَفْعِلَاءْ: مثل: (لْأَنْبِيَا) في أنبياء، (لْوَلْيَا) في أولياء...
- فعْلَاءْ: مثل: (بُخْلَى) في بخلاء، (كُرْمَا) في كرماء، (شُرْكَا) في شركاء.....
- فْعُولة: (شْيُوخَة) في شيوخ، (بْغُولَة) في بِغال...

فمن خلال هذه الصيغ يتبيّن أن معظم ما جاء منها هو عربي فصيح، وإنّما تغيّرت بعض حركاته، أضف إلى ذلك أنَّ الصّيغ المهموزة قد سُهِّلت إمَّا عن طريق الحذف، وإمّا عن طريق الإبدال بحثا عن الخفّة والسّهولة، وما كثرة هذه الجموع وتكاثرها وتنوّع أوزانها، إلا مرآة عاكسة لتعدّد جموع التّكسير في اللّهجات العربية القديمة، التي ساهمت في تكوين اللّغة الفصحى، ودليل على ليونة هذه اللّهجة وقدرتها على التّعبير عن أشياء مختلفة.

---

[1] بمعنى مجنون.

[2] تقاشير جمع جورب.

[3] كوابيس جمع مسدس.

وهناك ظاهرة نلاحظها في هذه اللّهجة، وهي أنّها لا تستثني الكلمات الدّخيلة بصيغ خاصّة في الجمع، وإنّما تجمعها مثلما تجمع الألفاظ العربية، وتتنوّع في ذلك، تارة تجمعها جمع تكسير وتارةتجمعها جمع المؤنّث السّالم، نحو قولهم:

(لْكْمَايَنْ - كَمْيُونَاتْ) في Les camions

(لْـــقْرُودَه - قَرْدْيَانَاتْ) في Les gardiens

(لْمَاشَنْ - لْمَاشِينَاتْ) في les machines... إلخ

وإن كانت في أغلب الأحيان تجمعها جمعا مؤنّثا سالما نحو قولهم:

(لْكُوفِيرْطَاتْ) في les couvertures

(لْبَطِيمَاتْ) في les bâtiments

(لْفِيلَاجَاتْ) في les villages

3. التّذكير والتّأنيث

ينقسم الاسم في العربية الفصحى -مثل جميع اللّغات- إلى مذكّر ومؤنّث، ويعتبر المذكّر هو الأصل والمؤنّث فرع عليه، لأنّ الاسم المذكّر لا يحتاج إلى علامة، بخلاف المؤنّث الذي يحملعلامة التّأنيث التي تأتي إمّا لفظا وإمّا تقديرا، وعلامة التّأنيث اللّفظية إمّا التّاء أو الألف المقصورة أو الممدودة.[1]

أمّا لغة بني هلال فإنّها تختلف عن الفصحى، إذ علامة التّأنيث عند أهل المنطقة تقتصر على التّاء، فهي من أهمّ علامات التّأنيث وأكثرها استعمالا في التّمييز بين المذكّر والمؤنّث، سواء في الألفاظ التي وردت في العربية الفصحى مؤنّثة، أو في التي يستوي فيها التّذكير والتّأنيث، أو الخالية من إحدى علامات التّأنيث، مثل قولهم:

في الألفاظ التي يستوي فيها المذكّر والمؤنّث، والتي تجيء على وزن (**فَعُول**) ينطقها العامّة على الأصل أحيانا، كما في الفصحى بلا تاء وهو قليل، أو يلحقون بها التّاء فيحوّلونها إلى فعولة وهو الأكثر، نحو: (عْرُوسْ) ينطقونها تارة كما في الفصحى: (عْرُوصْ) وتارة (عْرُوصَة) -بإبدال السّين صادا- وهو

[1] ينظر ابن مالك: التسهيل: ص253 وابن عقيل: شرح ابن عقيل: ج2 ص429.

الشّائع، وهي لا تطلق إلّا على المؤنّث، في حين يطلقون على المذكّر لفظة (عْرِيسْ) على وزن (فعِيل)، أي بإبدال الضّمّة الطّويلة كسرة طويلة، بينما تطلق لفظة (عروس) في الفصحى على المؤنّث والمذكّر.

(عْزُوجْ) في (عْجوز) لا يطلقونه إلّا على المرأة، بينما تطلق في الفصحى على الذّكر والأنثى.

أمّا إذا أرادوا التّعبير عن الرجل الهرم أو المرأة الهرمة، قالوا: (شِيبَانِي)[1] للرّجل و(شِيبَانِيَة)[2] للمرأة.

وبعض النّاس يتحاشون ذكر اسم المرأة عامّة، -لاعتقادات معيّنة- فيكنّون عن ذكرها باسم (شِيبَانِيَة)، صغيرة كانت أم كبيرة، وإذا ورد في سياق الحديث الكلام عن المرأة قالوا: (دَارِي، أو عْيَالِي، أو مُولَاتْ الدَارْ)، وهذا الاستعمال جار على ألسنة العامّة ممن يسكنون الأرياف والقرى، ولا سيما مناطق الجنوب، لأنّ لفظ المرأة أو ذكر اسمها من الأمور المحظورة.

- أمّا بالنسبة للألفاظ التي وردت في العربية الفصحى مؤنّثة عن طريق السّماع، أي من دون علامة التّأنيث، فهناك من العامّة من يؤنّثونها بإلحاق تاء بآخرها، مثل: "المشط، القدر، الكبد، القدوم، ..". فهم يقولون: (مَشْطَة، قْـدْرَهْ، كْبْدَهْ، قْـدُومَه...) وهناك من حافظوا على نطقها، نحو قولهم: (الْـقَـادوم، الْفَاسْ، الْعَـقْرَبْ) في: القدوم، الفأس، العقرب...

- كذلك يؤنّثون ما كان في الأصل على صيغة (فَعلى) بفتح الفاء وكسرها، بإلحاق اللّفظ تاء في الأخير، فيقولون: (دْفْلَه)، (حَلْوَه)، (لَيْلَه)... في: "دفلى، وحلوى، وليلى..".

- الأسماء المؤنّثة في العربية الفصحى، التي جاءت على صيغة (فعلاء)، مثل: "حمراء، وزرقاء، وصفراء" ينطقها عامّة بني هلال بإسقاط الألف والهمزة، ويلحقون آخرها تاء، فيقولون: (حَمْرَه، زَرْقَـــــــه، صَفْرَه، بَيْضَه، خَضْرَه، عَمْيَه، كَحْلَه، سَوْدَه...) في حمراء، زرقاء، صفراء، بيضاء، خضراء، عمياء، كحلاء، سوداء... وهذا الاستعمال في هذه اللّهجة له نظير في معظم اللّهجات العربية المعاصرة في الأقطار العربية، وقد خالفت العربية الفصحى في هذا الاستعمال.

- الأسماء التي جاءت في اللّغة العربية الفصحى مؤنّثة، بألف التّأنيث المقصورة على صيغة (فَعلى)

([1]) يقصدون الرجل الأشمط الذي بدأ الشيب يغزو رأسه.

([2]) يقصدون المرأة الشمطاء.

بفتح الفاء، أو على أوزان أخرى، يؤنّثها العامّة في لغة قبائل بني هلال بالتّاء، فيقولون: (شَبْعَانَه، جعَانَه، سَكْرَانَه، عَطْشَانَه، حَيْرَانَه، مْلَانَه في ملآنة[1]، عَيَّانَه[2]، بَرْدَانَه، فَشْلَانَه، نَدْمَانَه، وفَرْحَانَه، غَضْبَانَه...) في شبعى، جوعى، سكرى، عطشى، حيرى، ملأى، عيّا، بردانة، فشلانة، ندمى، فرحى، غضبى... وهو مسلك مغاير للفصحى، ومسموع على ألسنة الجزائريين عامّة وليس عند الهلاليين فقط، مثلما هو مسموع في العديد من اللّهجات العربية المعاصرة. ومثل هذا الاستعمال اللّهجي له أصول في عربيتنا القديمة، إذ أوردت كتب اللّغة ومعاجمها أنّ قبيلة بني أسد- وهي من القبائل التي أُخذت عنها العربية الفصيحة- كانت تقول: "سكرانة، وملآنة"، أي أنّها خالفت الفصحى في تأنيث النّعوت التي على وزن (فعلان وفعلى).[3]

وقد أجاز المجمعان اللّغويان المصري والعراقي، في أثناء انعقاد دورتهما في بغداد عام 1965م، أن يؤنّث كلّ وصف على صيغة (فعلان)، على (فعلانة).[4]

ويبدو أنّ علامتي التّأنيث؛ الألف المقصورة والممدودة في طريق الانقراض من اللّهجات العربية المعاصرة، ولعلّ "السرّ في زوال هاتين العلامتين وحلول التّاء محلّهما، هو ميل اللّغة إلى السّير في طريق السّهولة والتيسير، فبدلا من أن تكون عندنا للتّأنيث ثلاث علامات، تصبح في اللّغة علامة واحدة لكلّ أنواع المؤنّث.[5]

كما نلاحظ أنّ هذه التّاء التي تلحق آخر الأسماء والصّفات، لا يتلفّظ بها تاء خالصة، بل يقفون عليها، فهي كالهاء في حالة الوقف في العربية الفصحى.[6]

---

[1] حذفوا الهمزة تخفيفا.

[2] عَيَّ بالأَمرِ عَيًّا وعَيِيَ وتَعايا واسْتَعْيا؛ هذه عن الزجَّاجي، وهو عَيٌّ وعَيِيٌ وعَيَّانُ: عجز عنه و لم يُطِقْ إحْكامه.

[3] ينظر ابن هشام اللخمي: المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان، 1995م، ص61.

[4] محمد خليفة التونسي: أضواء على لغتنا السمحة "سلسلة كتاب العربي": مطبعة حكومة والكويت، 1985 م، ص156-157.

[5] ينظر ابن الأنباري أبو البركات: البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب، مطبعة دار الكتب، 1970م، ص47.

[6] ينظر ص220 من أجزاء الرسالة.

- في اللّغة الفصحى أسماءٌ سُمِع عن العرب تذكيرها وتأنيثها، منها: "السّبيل- الحيّة – العنق الطّريق...، ولذلك تقول: "هذا أو هذه سبيل"، و"هذا أو هذه حيّة"، و"هذا أو هذه عنق"، و"هذا أو هذه طريق"...[1] ومما يذكّرونه ويؤنّثونه في لغة بني هلال، أسماء الجنس وإن كان تذكيرها أكثر اطّرادا، فهم يقولون: (هذا البقر، هذا النّخل، هذا التّمر، هذا النّحل...) ويقولون في المفردة المؤنّثة: (هذِ بقره، هَذِ نخله، هَذِ تمره وهَذِ نحله...إلخ) فهذا المسلك في التّذكير والتّأنيث يوافق استعمال العربية الفصحى، كما أنّه كان شائعا في اللّهجات العربية الفصحى، إذ أوردت المعاجم أنّ "الجنس المميّز الذي مفرده بهاء التّأنيث، يؤنّث في لغة الحجاز، ويذكّر في لغة تميم ونجد، وقد جاء القرآن بهما[2]"، فكلمة السّماء جاءت مؤنّثة في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾[3] ومذكّرة في قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ﴾.[4]

كما أنّ هذا الاستعمال عند النّاطقين بهذه اللّهجة، لا يقتصر على الألفاظ التي مُيِّز مفردها بهاء التّأنيث، بل هو عام ويشمل الأسماء الأخرى التي عُرف تأنيثها عن طريق السّماع. فتجدهم يذكّرون ما أصله التّأنيث باسم الإشارة، كقولهم:

(هَادْ الدَّارْ) في: هذه الدّار. (هَادْ الْبِيرْ) في: هذه البئر.

(هَادْ الْفَاسْ) في: هذه الفأس. (هَادْ اضَّرْسْ) في: هذه الضرس.

(هَادْ لْعْزُوجْ) في: هذه العجوز...

لكن إذا أرادوا أن يصفوا هذه الألفاظ، نجدهم ينطقون صفاتها مؤنّثة، فيقولون:

(هَادْ ادَّارْ كْبِيرَه) في: هذه الدّار كبيرة. (هَادْ الْبِيرْ عْرِيضَه) في: هذه البئر عريضة.

(هَادْ الْفَاسْ ثْقِيلَه) في: هذه الفأس ثقيلة. (هَادْ اضَّرْسْ مْسَوْسَة) في: هذه الضرس مُسوّسة.

---

(1) أحمد علم الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث: ج2 ص644. وينظر: ابراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط: 6، 1978م. ص16.

(2) ابن الأنباري: م. س، ص83.

(3) سورة البروج: الآية 1.

(4) سورة المزمل: الآية 18.

(هَادْ لْعْزُوجْ وْحِيدَه...) في: هذه العجوز وحيدة...

وهذا الاستعمال مسموع في جميع مناطق الغرب الجزائري.

- ومن الأسماء أيضا التي يقع فيها التّذكير والتّأنيث دون قاعدة معيّنة، أسماء أعضاء الجسم فهناك:

- أسماء مؤنّثة في الفصحى وبقيت مؤنّثة في لغة بني هلال نحو: (الكتف، اليد، النّفس، الأذن، الرّئة، الرّحم[1]، الرِّجل، السّن، الضّلع، الفخذ، القدم، الكرش...).
- أسماء مذكّرة في الفصحى وبقيت مذكّرة في هذه اللّهجة نحو: (الجلد، المخ، الدّماغ، الزند، الصّدر، الظّفر، القلب).
- أسماء مؤنّثة وقد تذكّر في الفصحى، لكنّها مؤنّثة في هذه اللّهجة دائما نحو: (الكبد).
- أسماء مؤنّثة وقد تذكّر في الفصحى، لكنها مذكّرة في هذه اللّهجة دائما نحو: (الرّأس، الأصبع، الذّراع، السّاق).
- أسماء مذكّرة ولكنّها مؤنّثة في هذه اللّهجة نحو: (الضّرس).
- أسماء مذكّرة وتؤنّث في الفصحى، لكنّها مؤنّثة دائما في الفصحى نحو: (الرّوح).

من خلال هذه العينة، يتبيّن أنّ لغة قبائل بني هلال قد حافظت إلى حدّ كبير على نطقها السّليم في الفصحى، وإن كانوا -أحيانا- نراهم يذكّرون ما أصله التّأنيث، ويؤنّثون ما أصله التّذكير، فهذا راجع إلى أنّ الكلمات نفسها لا تدلّ على المذكّر أو المؤنّث أصالة، زيادة على عدم وجود علامة تدلّ على تأنيثها.

كما أنَّ ميلهم إلى تذكير الأسماء يبدو ظاهرا، وهذا ربّما يرجع إلى إحساس العامّة عندنا بأن من سمات التّذكير التّعظيم، كما هو الحال عند القبائل العربية القديمة، وليس الأمر ببعيد أن تكون العامية في هذه المنطقة مسايرة في تطوّرها للغة العربية الفصحى، لأنّ "الأسماء التي تدلّ في العربية على التّذكير والتّأنيث في آن واحد، تميل في تطوّرها إلى الاستقرار على حال واحدة، وهي التّذكير".[2]

---

[1] يسمّى "الرحم" في لغة قبائل بني هلال: (الْوَالْدَة) بمعنى التي يتكوّن فيها المولود.

[2] ابن الأنباري: البلغة م. س، ص77.

ممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الازدواجية في التّذكير والتّأنيث، تعود إلى أصول قديمة في العربية الفصحى ولهجاتها، فقد روت كتب اللّغة ومعاجمها بعض الألفاظ معزوّة بالتّذكير إلى قبيلة، وبالتّأنيث إلى قبيلة أخرى.[1] وهذا إن دلّ على شيء، فإنه يدلّ على أنَّ ظاهرة الجنس من الأمور التي يصعب تحديد طبيعتها، لأنّها اختلطت بعناصر لا تمتّ للمنطق العقلي بصلة، ولا تخضع لقياس مطّرد.[2]

4. المصدر

1.4 صيغ وأوزان المصدر

المصدر اسم يدلّ على حدث مجرّد من الزّمان، وهو أصل جميع المشتقّات، يكون للثّلاثي ولغيره، وأبنيته كثيرة إذ توجد له حوالي ثمان وخمسين صيغة، وله ثلاثة أنواع قياسية، وهي:المصدر الأصلي، ويشمل المصدر الدّال على الهيئة والمرّة، والمصدر الميمي والمصدر الصناعي.[3]

1.1.4 **مصادر الأفعال الثّلاثية:** هي كثيرة غير قياسية ولا تُعرف إلا بالسّماع، إلا أنَّ هناك بعضا منها يدرك بالقياس، ومن صيغه التي جاءت في لغة قبائل بني هلال نذكر:

– **فْعَالَة:** وهذه الصّيغة تشمل كل ما يدلّ على حرفة أو نشاط نحو: (رْضَاعَة، فْلَاحَة، قْرَايَة، خْيَاطَة، حْدَادَة...) في: الرّضاعة، الفلاحة، القراءة، الخياطة، الحدادة... وهذه الصّيغة تقابل في الفصحى صيغة "فِعَالة".

– **فَعْلَانْ:** تشمل هذه الصّيغة كلّ ما يدلّ على حركة واضطراب، وهي تقابل في الفصحى "فَعْلان"، نحو قولهم: (نَوْضَانْ) بمعنى: نهضان، أسقطوا الهاء.

– **فُعْلَة – فَعْلَة:** نحو قولهم: (خُطْبَة، ثَوْرَة، هَدْرة[1]، خَدْمَة، عَوْلَة[2]...) وتقابل في الفصحى"فُعْلَة".

---

[1] م. س: ص 83. ابن الأنباري: البلغة م. س، ص83. وينظر السيوطي: المزهر م. س، ج2 ص225.

[2] إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة م. س، ص 164. غالب فاضل المطلبي: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة: دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978م، ص278.

[3] ينظر الأستراباذي: شرح الشافية م. س، ج1 ص151، 156. وينظر عباس حسن: النحو الوافي، ج3 ص181، 186، 193-199.

– **فْعِيل – فْعَال**: فيما دلّ على صوت الحيوان: يقابل في الفصحى "فَعِيلٌ أو فُعَالٌ"، نحو قولهم: (صْهِيل، نْهِيـــقْ [3] ، نْبَاح، صْيَاحْ...) في: الصّهيل، النّهيق، النّباح، الصّياح.

– **فَعْلْ**: نحو قولهم: (حَبْسْ، ضَرْبْ، نَقْشْ، حَرْثْ...) في: الحبس، الضّرب، النّقش، الحرث...

– **فَعِلْ**: نحو قولهم: (لْمَشِيْ، لْقَلِّيْ...) في: المشية، القلّي.

– **فُعْلْ**: نحو قولهم: (لْمُوتْ، لْقُوتْ، لْبُعْدْ، لْكُرْمْ، لْبُخْلْ...) في: الموت، القوت، البعد، الكرم، البخل.

– **فَعْلْ**: نحو قولهم: (لْعَيْبْ، لْبَيْعْ، شَّيْبْ...) في: العيب، البيع، الشّيب.

– **فْعُلْ**: نحو قولهم: (لْوْضُو...) في الوضوء، وهي صيغة تقابل في الفصحى "فُعُول".

– **فَعَلْ**: نحو قولهم: (اشَّرَفْ، اسَّكَنْ...) في: الشَّرف، السّكن.

– **فْعُولَة**: نحو قولهم: (حْشُومَة...) في الحشمة.

– **فِعْلَة**: نحو قولهم: (لْعِيشَة...) في المعيشة.

– **فْعِيلَة**: نحو قولهم: (فْضِيحَة، مْصِيبَة...) في: الفضيحة، المصيبة.

– **فْعِيل**: نحو قولهم: (اجْبِيدْ...). في الجبذ.

– **فْعُولْ**: نحو قولهم: (ادْخُولْ، الخْرُوجْ، اطْلُوعْ، الهْبُوط...) في: الدّخول، الخروج، الطّلوع، الهبوط.

– **تَفْعَالْ**: نحو قولهم: (تَصْيَاحْ، تَنْهَاقْ، تَعْوَاقْ [4]...) في الصّياح، النّهيق، العواء.

---

[1] هَذْرة: أصلها: الهَذَرُ، الكلام الذي لا يُعْبَأُ به. هَذَرَ كلامُه هَذْرًا: كثر في الخطإِ والباطل. ينظر ابن منظور: مادة (هذر).

[2] العولة: يقصدون بها الزاد الذي يستعان به في السفر، والكلمة فصيحة. فالعول: كُلُّ ما عالَكَ، والمُسْتَعانُ به، وقوتُ العِيالِ. ينظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط م. س، مادة (عال).

[3] نْهِيـــــقْ: نهيق. أبدلوا القاف گـــيما قاهرية.

[4] تَعْوَاقْ: العواء، أبدلوا الهمزة قافا، ثم أبدلوا القاف گـــيما قاهرية.

– **فْعَالْ**: نحو قولهم: (حْسَابْ، حْصَادْ...) في: الحساب، الحصاد.

2.1.4 مصادر الأفعال غير الثّلاثية: ومنها:

- الرّباعية مثل:

– **فْعَالْ**: نحو قولهم: (سّْلَامْ، فْرَاقْ...) في: السّلام، الفراق،...

- الخماسية مثل:

– **افتِعَالْ**: نحو قولهم: (لاحْتِفَالْ، لاحْتِرَامْ، لاعْتِرَافْ...) في: الاحتفال، الاحترام، الاعتراف،...

– **تَفْعِيلْ**: نحو قولهم: (تَسْلِيطْ، تَعْذِيبْ، تَدْرِيبْ...) في: التّسليط، التّعذيب، التّدريب،... فهاتين الصّيغتين لا تخالفا الصّيغة في الفصحى.

– **تَفْعَال**: نحو قولهم: (تِّصْفَارْ، تِّزْمَارْ، تِّطْبَالْ، تِّقْصَارْ، تِّصْفَاقْ، تِّحْوَاسْ...) في: التّصفير، التّزمير، التّطبيل، التّقصير، التّصفيق، التّجوال...

– **تَفْعِلَة**: نحو قولهم: (اتِّرْبِيَة...).

– **فَعْلَالْ**: نحو قولهم: (زَلْزَالْ، وَسْوَاسْ، تَقْطَاعْ، تَهْرَاسْ...) في: الزّلزال، الوسواس، التّقطيع، الهرس.

– **تَفْعَالْ**: نحو قولهم: (تَوْرَاكْ [1]، تَوْنَاسْ...) في: التّورُّك، الأنس.

- السّداسية مثل:

– **تْفَعْلِيلْ**: نحو قولهم: (اتْكَسْكِيسْ، اتْقَرْقِيبْ...) في: الكسكسة[2]، القرقبة.

---

[1] ووَرَكَ وَرْكًا وتَوَرَّكَ وتَوارَك: اعتمد على وَرِكه.

[2] الكسكسة: الدقّ الشديد، كَسَسْتُ الشَّيْءَ أُكُسُّهُ كَسًّا: إذا دَقَقْتَهُ دَقًّا شديدًا. ينظر الحسن بن محمد الصغاني: العباب الزاخر واللباب الفاخر مادة (كسس).

– **اسْتِفْعَالْ**: نحو قولهم: (لاسْتِغْفَارْ، لاسْتِعْمَارْ، لاسْتِقْلَالْ...) في: الاستغفار، الاستعمار، الاستقلال،...

2.4 أنواع المصادر

1.2.4 مصدر المرّة: يصاغ للدّلالة على عدد وقوع الفعل، يستعمله كثيرا قبائل بني هلال في كلامهم أينما استدعى المقام لاستعماله، نحو قولهم:

(ضْرَبْتْ الْمَسْمَارْ ضَرْبَة وَحْدَة) في: دققت المسمار دقّة واحدة.

(كْلِيتْ مَاكْلَه وَحْدَه) في: أكلت أكلة واحدة.

(شْرِيتْ شْعَالْ مَنْ شَرْيَة، وْبَعْتْ شْعَالْ مَنْ بِيعَة) في: اشتريت عدّة مرّات، وبعت عدّة مرّات..

2.2.4 مصدر الهيئة: يصاغ للدّلالة على الصّورة التي جرى عليها الفعل، أيضًا يستعمله النّاطقون بهذه اللّهجة كثيرا، لاسيما في أساليب السّخرية والتهكّمية نحو قولهم:

(يَمْشِي مِشْيَةَ الْفَكْرُونْ [1]) في: يمشي مشية السّلحفاة، كناية عن التّباطؤ.

(يَاكُلْ مَاكْلَةْ الدّْجَاجْ) في: يأكل كما يأكل الدّجاج، كناية عن من يأكل ويشتّت.

(يْصَلِّي صْلَاةْ الرِّيَاسْ) في: يصلي صلاة الرّؤساء، كناية عن من لا يصلي إلّا في المناسبات مثل صلاة الجمعة وصلاتي العيد.

3.2.4 المصدر الصّناعي: يشتقّ من كلمات المصدر بزيادة ياءٍ مشدّدة على آخره بعدها تاء، من جملة ألفاظه المتداولة في هذه اللّهجة، نذكر قولهم:

(لِنْسَانِيَة) في الإنسانيّة.

(ادِّيمُقْرَاطِيَة) في الديمقراطيّة.

(لْحُرِيَّة) في الحريّة.

4.2.4 المصدر الميمي: وهو الذي يبدأُ بميم زائدة، من نماذجه في لهجة بني هلال قولهم:

[1] الفكرون: هو السلحفاة باللغة الأمازيغية.

(لْمَسْجَدْ، لْمَطْمَرْ[1]، لْمَرْكَزْ، لْمَصْنَعْ، مَرْقَــدْ، مَوْعَدْ...) في المسجد، المطمر، المركز، المصنع، المرقد، الموعد...

هذه أهم صيغ المصدر في اللّهجة الهلالية التي استطعت أن أرصدها، وإن لم تمثّل كلّ المصادر المستعملة، فإن معظمها منها ما هو مستعمل في الفصحى، ومنها ما أصابه التّحريف، وهذا الأخير نجده يختلف مع الفصحى، كونه يبتدأ إمّا بمقطع قصير مغلق، أو أنّ حركاته غيّرت أماكنها، أو قُصّرت أو مُطلت.

5. التّـــــصغير

هو باب من أبواب الصّرف، يعالج المفردات التي حاول الإنسان العربي التّقليل من شأنها أو من قيمتها، كما يستعمل كذلك طلبا للتمليح والتحبّب فيها، أو تهويلا لشأنها، فيعمد إلى صياغتها وفق الأوزان التّالية: "فُعَيْل"، "فُعَيْعِيل"، "فُعَيْعِل".

إنّ تصغير الكلمات وارد في كلام العرب، لكنّه نادر في المصادر اللّغوية حتّى إنّنا نجد كتب النّحو تكرّر الأمثلة ذاتها تقريبًا، أمّا في لغة بني هلال في منطقة الغرب الجزائري، فإن التّصغير شائع وواسع الاستعمال، ممّا جعله يمثّل إثراءً للقاموس اللّهجي الجزائري من خلال مضاعفة عدد المفردات، وهو يحمل دلالة التحبّب والتلطّف، كما يحمل أحيانا أخرى دلالة التّحقير. ويتمّ صياغته على نحو أوزان الفصحى، لكن بفتح الأوّل أو تسكينه لا ضمّه، وبفتح ما قبل الآخر، وممّا جاء مصغّرا في قولهم نذكر:

1.5 تصغير الأسماء المفردة: نحو قولهم:

(لْمِيمَة) في أمّ. (اطْفَيْلْ) في طفل.

(مْوَيْهَ) في ماء. (رْوَيْجَلْ) في رجل.

(خْبَيِّزْ) في خبز. (مْرَيَّة) في امرأة.

(فْتِيتَه) في فتات. (بْنِيَة) في بنت.

---

[1] لْمَطْمَرْ: بمعنى مطمرة، والأصل المَطْمُورةُ :حفيرةٌ تَحْتَ الأَرض أَو مكانٌ تَحْتَ الأَرض قَدْ هُيِّئَ خَفيّاً يُطْمَرُ فِيهَا الطعامُ والمالُ أَي يُخْبأُ، وَقَدْطَمَرْتُها أَي مَلأْتها. غَيْرُهُ :والمطَامِيرُ حُفَرٌ تُحْفر فِي الأَرض تُوسّع أَسافِلُها تُخْبأُ فِيهَا الحبوبُ. ابن منظور: اللّسان مادة (طمر).

(نْوَيْوَة) في النّوء[1]. (طْوَيْرْ) في طائر.

(خْوَيْتَمْ) في خاتم. (كْتَيْبْ) في كتاب...

2.5 تصغير الجموع

(دْرَيْهْمَاتْ) في دراهم. (وْلِيدَاتْ) في أولاد.

(دْوِيرَاتْ) في ديار. (كْسَيْوَاتْ) في كساوي.

(تْمَيْرَاتْ) في تمور. (دْجَيْجَاتْ) في دجاجات.

(طْوَيْرَاتْ) في طيور. (ايْدِيَاتْ) في أيدي.

(خْبَيْزَاتْ) في خبزات. (نْعَيْجَاتْ) في نعاج...

(عْنَيْبَاتْ) في عنب. (صْبَيْعَات) في أصابع....

3.5 تصغير الصّفات

(كْحَيْلْ) في أكحل. (زْرَيْـــق) في أزرق.

(خْضَيْرْ) في أخضر. (عْوَيَرْ) في أعور.

(بْكَيْكِيشْ) في أبكم. (قْجَيْعْ) في أقجع.[2]....

4.5 تصغير أسماء الأعلام

(عْمَيَّرْ) في عمر. (حْمَيْدَه) في أحمد.

---

[1] يقصدون بها المطر، أمّا في الفصحى مَعْنَى النَّوْءِ سُقوطُ نَجْمٍ مِنَ المَنازِل فِي الْمَغْرِبِ مَعَ الْفَجْرِ وطُلوعُ رَقِيبِه، وَهُوَ نَجْمٌ آخَرُ يُقابِلُه، مِنْ سَاعَتِهِ فِي الْمَشْرِقِ، فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا. وَهَكَذَا كلُّ نَجْمٍ مِنْهَا إِلَى انْقِضَاءِ السَّنَةِ، مَا خَلَا الجَبْهَةَ، فَإِنَّ لَهَا أَربعة عَشَرَ يَوْمًا، فتنقضِي جميعُها مَعَ انقضاءِ السَّنَةِ. قَالَ: وَإِنَّمَا سُمِّيَ نَوْءاً لأَنَّه إِذَا سَقَطَ الغارِبُ ناءَ الطالِعُ، وَذَلِكَ الطُّلوع هُوَ النَّوْءُ. وبعضُهم يَجْعَلُ النَّوْءَ السُّقُوطَ، كأَنه مِنَ الأَضداد. قَالَ أَبو عُبَيْدٍ: وَلَمْ يُسْمع فِي النَّوْءِ أَنه السُّقوط إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تُضِيفُ الأَمْطار والرِّياح والحرَّ وَالْبَرْدَ إِلَى السَّاقِطِ مِنْهَا. وَقَالَ الأَصمعي: إِلَى الطَّالِعِ مِنْهَا فِي سُلْطَانِهِ، فَتَقُولُ مُطِرْنا بِنَوْءِ كَذَا. ينظر اللسان مادة (نوأ).

[2] بمعنى أعرج.

(حْمَيْمِيدْ) في محمد. (خْوِيرَة) في خيرة...

وفي الأسماء المركّبة يسقطون الجزء الثّاني ويصغّرون الجزء الأوّل، نحو قولهم:

(عْبَيْدَة) في عبد الله، عبد الكريم، عبد القادر...

وقد يستغنون عن الجزء الأوّل ويصغّرون الجزء الثّاني، نحو قولهم:

(كْرِيمُ) في عبد الكريم.

(قْوَيْدَرْ) في عبد القادر...

أمّا الفعل فلا يصغّر في هذه اللّهجة شأنه شأن اللغة العربية الفصحى.

5.5 تصغير ظروف الزّمان

(سْوَيْعَة) في ساعة.

(نْهَيَرْ) في نهار.

(لْوَيْلَة) في ليلة.

(قْبَيْلَ) في قبيل.

(وَيْمَاتْ) في أيّام...

- وهناك صفات نجدها تصغّر دون أن تلتزم بالقاعدة العامّة للتّصغير[1] نحو قولهم: (كْصَيَّرْ، صْغَيَّرْ، كْبَيَّرْ، حْنَيَّنْ، زْوَيّنْ...) في قصير، صغير، كبير، حنون، زّين...
- أيضا نجد في هذه اللّهجة تصغيرا لكلمة "شيء" فهم يقولون: (شْوَيّْ) وهناك من يقول:

---

[1] أن يُضم أولُ الاسمِ، ويفتحَ ثانيه، ويزادَ بعد الحرف الثاني ياءٌ ساكنةٌ تُسمّى: (ياءَ التَّصغير). فنقولُ في تصغير قلَمٍ ودِرهمٍ وعُصْفور: قُلَيمٌ ودُرَيهمٌ وعُصَيفيرٌ". والاسمُ الذي تلحقه ياءُ التَّصغيرِ يُسمى: (مصغَّرًا) ويُشترطُ فيما يُرادُ تصغيرُهُ أن يكونَ اسمًا مُعربًا، قابلا للتَّصغيرِ، خاليًا من صيَغِهِ وشِبْهها. فلا يصغر الفعل ولا الحرف. وشذ تصغير فعل التعجب. مثل: "ما أميلحه!"، ولا يصغر الاسم المبني. وشذ تصغير بعض الأسماء الموصولة، كالذي والتي: فقالوا في تصغيرهما: "اللذيا واللتيا". ولا يصغر ما ليس قابلا للتصغير: ككبير وعظيم وجسيم، ولا الأسماء المعظمة، لما بينها وبين تصغيرها من التنافي. ولا يصغر نحو الكميت، لأنه على صيغة التصغير، ولا نحو مسيطر ومهيمن، لأنه شبيه بصيغة التصغير.

(شْوِيَّة) وهذا التّصغير مخالف لقواعد الفصحى.[1] فمن الممكن جدًّا أن يكون تصغيرهم لكلمة "شيء" (شُوَيْء) -على القول الثّاني- ثم أسقطوا الهمزة تخفيفا. وربّما جاء التّصغير على القول الأوّل (شُيَيْء) فكرهوا توالي المثلين، فأبدلوا الياء الأولى واوً إتّباعا لحركة الضّمّة التي قبلها، وأسقطوا الهمزة تخفيفا طلبا للتّسهيل والتّخفيف، وهي صيغة تتوافق مع لغة العرب الذين لا يهمزون.

- كذلك صغّروا كلمة امرأة مثلما في الفصحى "مُرَيْئَةٌ"، ثم أسقطوا الهمزة كعادتهم في تجنب نطقها.
- وقالوا في تصغير رَجُل: (رْوَيْجَلْ) على غير القياس أي: رُوَيجلٌ، كأنّهم رَجعوا به إلى "الرّاجل"، لأنَّ اشتقاقه منه، بينما في الفصحى يأتي قياسا على "رُجَيْلٍ".[2]
- كلمة "ليلة" صُغِّرت في الفصحى قياسا على "لُيَيْلِيةٍ"، وقالوا: "لُيَيْلة" أيضًا على القياس، وعلى القول الثّاني جاء تصغيرها في هذه اللّهجة، إلّا أنّهم كرهوا توالي المثلين، فأبدلوا الياء الأولى واوًا تناسبا مع الحركة التي قبلها.

من خلال استقرائي لتوظيف التّصغير في لهجة بني هلال، نجد توظيفه يتوافق والفصحى من حيث الصّيغ والدّلالة، فما يصحّ تصغيره على (فْعِيعَل)، يصح تصغيره على (فْعِيعِيلْ) في المذكّر والمؤنّث على حدّ سواء، كما وجدنا أنّ الاسم يُصغَّرُ إمّا للدلالة على تقليلِه: (كدُرَيهماتٍ)، أو تصغيره، (ككُتَيِّب)، أو تحقيره أي: تصغير شأنه: (كمريّة ورويجل)، أو تقريبه مثل: "(جئْت قُبَيْلَ) أي قبل قليل، أو للتَّحببِ إليه: "كوليد، وبنية، امّيمة".

---

[1] ذُكِر أَن المازني ناظَر الأَخفش في هذا، فقطَع المازِني الأَخفشَ، وذلك أَنه سأَله كيف تُصغِّر أَشياء، فقال له أَقول: أُشَيِّاء؛ فاعلم، ولو كانت أَفعلاء لرُدَّت في التصغير إِلى واحدها فقيل: شُيَيْئات. وأَجمع البصريون أَنّ تصغير أَصْدِقاء، إِن كانت للمؤَنث: صُدَيْقات، وإِن كان للمذكرِ: صُدَيْقُون. قال أَبو منصور: وأَما الليث، فإِنه حكى عن الخليل غير ما حكى عنه الثقات، وخَلّط فيما حكى وطوّلَ تطويلًا دل عل حَيْرته، قال: فلذلك تركته، فلم أَحكه بعينه. وتصغير الشيءِ: شُيَيْءٌ وشِيَيْءٌ بكسر الشين وضمّها. قال: ولا تقل شُوَيْءٌ.

[2] ينظر الكتاب: ج3 ص426. وينظر ابن منظور: مادة (رجل).

6. الظّروف

الظّرف اسم منصوب يقع الحدَث فيه، فيكون كالوعاء له؛ ثم إن دلّ على زمان، سُمّي: "ظرف زمان"، وإن دلّ على مكان، سُمّي: "ظرف مكان."[1] والظّروف في لغة بني هلال كما هو الشّأن في اللّغة الفصحى، وأكثر الألفاظ الموجودة في الثّانية، هي موجودة في الأولى، إلّا القليل منها نجد قد ناب عنها ألفاظ أخرى، والبعض الآخر لم يعد يُتداول، والباقي اختصّت به الأولى دون الثّانية، كما سيتبيّن لنا فيما يلي:

1.6 ظروف الزّمان: يمكن حصرها فيما يأتي:

(وَقْتْ) نحو قولهم: (وَقْتْ الْخْرِيفْ يِكْثَرْ اتْمَرْ).

(الْيُومْ) نحو قولهم: (جِيتْ الْيُومْ).

(نْهَارْ) نحو قولهم: (نْهَارْ الْيُومْ بَارَدْ).

(سَاعَة) نحو قولهم: (سَاعَة عْلَى سَاعَة زُورْنَا).

(دْقِيقَة) نحو قولهم: (بَاقِي دْقْيقَة وْيْأَذَّنْ).

(اسْبُوعْ) أي أسبوع، نحو قولهم: (الصَّبِي عَنْدَهْ سْبُوعْ مَنْ جِيتْ زَادْ).

(زْمَانْ) نحو قولهم: (زْمَانْ كَانَتْ النَّاسْ تَتْعَبْ) فهم يستعملونها بمعنى: قديما أو في الزّمن القديم.

(لِيْلَة) أي اللّيلة، نحو قولهم: (لِيلَةْ الْجَمْعَة وْصَلْتْ).

(اصْبَاحْ) نحو قولهم: (صْبَاحْ السَّبْتْ يْرُوحُوا لْصُوفْ).

(لْعْشِيَّة) نحو قولهم: (فِ الْعْشِيَّة يْجُوا عَنْدْكُمْ).

(نُصّْ نْهَارْ) أي منتصف النّهار: نحو قولهم: (نُصّْ نْهَارْ نِتْلَاقُوا).

(لْمْــقْــيلْ) أي المقيل، فترة القيلولة: نحو قولهم: (الْمَا يْجِي فْ لْمْــقِــيلْ).[2]

---

[1] ينظر عباس حسن: النحو الوافي م. س، ج2 ص255.

[2] الْمْــقِيلْ: أي المقيل، من القيلولة.

(مُدَّة) نحو قولهم: (هَادِ مُدَّة وْهُوَ مْرِيضْ).

(لْعَصَرْ) نحو قولهم: (بَعْدْ الْعَصْرْ يِمْشُوا يِجِيبُوا لْعْرُوسْ).

(غَدْوَة) أي الغدوة[1] نحو قولهم: (غَدْوَة نْهَارْ التَّالِي فِ رَمْضَانْ) فهم يستعملونها بمعنى: غدا.

(بُكْرَه) أي البكرة، نحو قولهم: (نْروحْ الْبُكْرَة) فهم يستعملونها بمعنى: الصّباح الباكر أو أوّل النّهار.

(شْهَرْ-شْهُورْ) نحو قولهم: (گعَدْتْ قْرِيبْ شْهَرْ فِي دَارْهُمْ)، (فَاتَتْ شْهُورْ وْمَا بَانْ حْتَى خْبَرْ).

(عَامْ) نحو قولهم: (هَادْ اْشِّي صْرَا الْعَامْ اللِّي فَاتْ).

(قَرْنْ) نحو قولهم: (فْلَانْ عَاشْ قَرْنْ).

(ضُرْكْ) أي هذا الوقت، ويستعملونها بمعنى: الآن[2]: نحو قولهم: (ضُرْكْ يْجِي).

(بَكْرِي) نحو قولهم: بَكْرِي خِيرْ مْ الْيُومْ.

(الْبَارَحْ) أي البارحة.

(يَامَسْ) أي أمس، أبدلوا الهمزة ياءً.

(سَاعَاتْ) تستعمل بمعنى أحيانا.

(دَايْمًا) أي دائما.

(عَنْدْ) أي: عند.

2.6 ظروف المكان: يمكن حصرها فيما يأتي:

قُـــــــدَامْ = قدام

قُـــــــبَالْ = مقابل

مْـــقَـــابَلْ = مقابل

ثْمَّ = ثمّة

---

[1] بالضمِّ: البُكْرةُ، أو ما بينَ صلاةِ الفجرِ وطُلوعِ الشمسِ.

[2] سبق شرحها. ينظر ص291 من الرسالة.

جِهَة = جهة

جَمْبْ = جانب

هْنَا = هنا

حْذَا[1]: أي بجانب أو إزاءه، يقولون: قـــــْعَدْتْ حْذَاه أي: قعدت إزاءه.

الْفُوقْ = فوق

الْتَحْتْ = تحت

بِينْ = بيْن

بَعْدْ = بعد

وْرَا = وراء

الْغَرْبْ

اشَّرْقْ = الشّرق

الْجَنُوبْ

اتَّلْ = التَّلْ (المناطق التّلية)

طَرْف[2] وطَرْفَهْ = الطّرف وطرفه.

لِسْرَا = يسارا

لِيمْنَا = يمينا

جْوَايَهْ: جهات، يستعملونها بمعنى قرب، نحو قولهم: (نسكن جوايه وهران) ربّما الكلمة أصلها "جِهَاتْ" أو "جِوَارْ" وأصابها بعض التّحريف.

هناك بعض الظّروف المكانية قد تسبقها بعض حروف الجرّ، منها على سبيل المثال قولهم:

---

[1] يقال حاذَيْتُ موضعًا إذا صرْتَ بحِذائه، وحاذَى الشيءَ: وازاه. وحَذَوْتُه: قَعَدْتُ بِحِذَائه. الحَذْوُ والحِذَاء: الإزاءُ والمُقابِل أي أنها مُحاذِيَتُها. ينظر ابن منظور: مادة (حذا).

[2] طَرَفُ كل شيء مُنتهاه، وتطَرَّف الشيءُ: صار طَرَفًا. ينظر ابن منظور: مادة (طرف).

(مَمْبَعَد) أي: من بعد.

(مَنْ عَنْدْ) أي: من عند.

(من هنا) مِنْ هُنَا.

(مَ تَحْتْ) من تحت.

(مَ لْفُوقْ) من فوق.

(مَنْ وْرَا) من وراء.

وهناك بعض الظّروف مما يشترك بين الزّمان والمكان مثل: (بَعْدْ، بِينْ، وعَنْدْ)، ويبقى السّياق أو القرائن هو من يحدّد نوع الظّرف. وأمّا الظّروف المركّبة فهي قليلة الاستعمال في هذه اللّهجة نذكر منها قولهم:

(لِيلَةْ الْبَارَحْ) أي: ليلة البارحة.

(لَيلْ نْهَار) أي: ليلا ونهارا.

(عْشِيَةْ عَاشُورَا) أي: مساء عاشوراء

(نصّ انّهار التّالي) أي: نصف النّهار الثّاني، يقصدون به العشيّة.

7. المشتقّات

1.7 اسم الفاعل

هو صيغة قياسية تدلّ على مَن فَعَل الفِعل؛ تُشتقّ من الثّلاثي على وزن "فاعِل" نحو:

راكض – جالس – قاعد – قائل... ويُشتقّ اسم الفاعل من غير الثّلاثي على صورة الفعل المضارع، بإبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة، وكسر ما قبل الآخر، نحو: يتعلَّم – مُتعلِّم، يتراجَع – مُتراجِع، يستخرج – مُستخرِج، يساعد – مُساعِد...[1] والأمر نفسه بالنّسبة للغة قبائل بني هلال، فكذلك يصاغ اسم الفاعل من الثّلاثي المجرّد على وزن **"فاعل"**، لكن بفتح ما قبل الآخر نحو قولهم:

(جاهَل) في جاهِل.

[1] ينظر أحمد الحملاوي: شرح شذور الذهب م. س، ص461.

(خادَم) في خادِم.

(حامَض) في حامِض.

(ناشَف) في ناشِف.

(صامَط) في صامِط

(باطَل) في باطِل... ويستثنى من هذه الصّياغة أسماء الأفعال المصوغة من المهموز الآخر، والمعتلّ الآخر، واللّفيفيْن المقرون والمفروق، فإنّها تأتي مثلما هو في الفصحى، أي بكسر ما قبل الآخر، نحو قولهم: (عَاطِي)، (غَالِي)، (غَايِبْ) في غائب، (جَارِي)، (قَارِي) في قارئ... إلخ.

أمّا عن ميلهم إلى الفتحة، فهو ضرب من تحقيق الانسجام الصّوتي بين حركتي الفاء والعين، ذلك أنَّ المتكلم يجد صعوبة في الانتقال فجأة من المدّ بالفتح إلى الكسر.

كذلك بالنّسبة لاسم الفاعل المصاغ من غير الثّلاثي، يتمّ بقلب حرف المضارعة ميما ساكنة أو محرّكة وفتح ما قبل الآخر، باستثناء المهموز الآخر، والمعتلّ الآخر، واللفيفيّن المقرون والمفروق فإنّها تأتي مثلما هي في الفصحى، نحو قولهم:

(مْرَوَّحْ) في رائح.

(مَتْعَمَّدْ) في مُتَعَمِّد.

(مَتْحَزَّمْ) في مُتَحَزِّم.

(مَتَّكِي) في مُتَّكِئ...

2.7 صيغ المبالغة

لاسم الفاعل في الفصحى صِيَغُ مبالغة نحو: "فَعّال" مثل: سَيْفٌ بَتّار، "فَعُول" مثل: رجل أكول، "مِفْعال" مثل: وخطيب مِقْوال، "فَعِيل مثل:" أب رحيم، "فَعِل" مثل: عدوّ حَذِر.[1]

أمّا في لغة بني هلال فتأتي أوزان صيغ المبالغة قريبة من أوزان الفصحى، باستثناء بعض الاختلاف على مستوى الحركات والتي لا تؤثّر في المعنى، ويمكن حصرها فيما يلي:

[1] ينظر ابن هشام الأنصاري: شرح شذور الذهب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1965م، ص468.

- صيغة **فَعَّال**: نحو قولهم: (كَذَّابْ، طَمَّاعْ، خَدَّاعْ...).
- صيغة **فْعِيلْ**: نحو قولهم: (حْنِينْ، كْرِيمْ، رْزِينْ...).
- صيغة **فَعُولْ**: نحو قولهم: (غَفُورْ...) هذه الصّيغة قليلة الاستعمال.
- صيغة **مَفْعالْ**: نحو قولهم: (لْمَشْحَاحْ، لْمَشْتَافْ...) في الشّحيح، المشتاق.
- صيغة **فَعْلَالْ**: نحو قولهم:

(لَحْلَاحْ) في المـــُلِّحْ.

(تَفْتَافْ)[1] يطلقونها على الشّخص كثير التّفتيش.

(زَفْزَافْ)[2] يطلقونها على من يكذب كثيرا.

3.7 الصّفة المشبّهة

هي في الفصحى اسم يُشتَقّ من الفعل الثّلاثي اللّازم، للدلالة على صفة، يغلِب في كثير من الأحوال[3] أن تتطاول مع الزّمن وتستمرّ، نحو: (أخضر – سكران – عطشان – فَرِح...)، وقد تدلّ أحيانًا على صفة دائمة، نحو: (أعرج – أعمى – قصير – طويل...).[4]

وللصّفة المشبّهة صيغة قياسية واحدة هي: (أفعل)، ومؤنثها (فعلاء) تدلّ على لون أو حلية، فاللّون نحو: (أبيض – أسود – أحمر...)، والحلية نحو: (أعرج – أكحل – أحمق...).

---

[1] تَفْتَفَ الرجلُ إِذَا تَقَذَّرَ بَعْدَ تَنْظِيفٍ. فهذه اللفظة عربية فصيحة، لكن معناها يختلف عن معناها الوارد في لغة بني هلال. ابن منظور: مادة (تفف).

[2] هذه اللفظة لا تحمل المعنى نفسه في الفصحى، فالزَّفْزَافُ :النَّعام الَّذِي يُزَفْزِفُ فِي طيَرانه يُحَرِّكُ جَنَاحَيْهِ إِذَا عَدَا. م س: مادة (زفف).

[3] إنما قلنا: "يغلب في كثير من الأحوال" لأن بعض ذلك لا يستمرّ، بل يزول ببطء نحو: (غضبان، سكران...)، أو بغير بطء نحو: (فرِح، حَزِن، قَلِق...)، ولكنه يعود فيتكرّر أو يتجدّد.

[4] ينظر عباس حسن: النحو الوافي م. س، ج3 ص284.

وأمّا صيغها الأخرى فكثيرة، أشهرها:

فعلان (سكران) مؤنّثها فَعْلى (سكرى).

فَعِلَة (قلِق) مؤنّثها فَعِلَة (قلِقَة).

فَعِيل (كريم) مؤنّثها فَعِيلَة (كريمة).

أمّا أوزان الصّفة المشبّهة في لغة بني هلال فكثيرة، ويمكن حصرها فيما يأتي:

- صيغة "**أفعل**" ومؤنّثها "**فعلاء**": لكن في اللّهجة تسقط الهمزة فيصبح الوزن على صيغة "**فْعَلْ**" ومؤنّثها "**فَعْلَة**"، الذي غالبًا ما يدلّ على لون أو عيب نحو قولهم:

(اكْحَلْ-كَحْلَة) في أكحل وكحلاء.

(اعْوَرْ- عَوْرَة) في أعور وعوراء.

(اصْفَرْ- صفرة) في أصفر وصفراء.

- صيغة "**فعلان**" ومؤنّثها "**فعلانة**": نحو قولهم:

(شبعان- شبعانة).

(عطشان- عطشانة).

(غضبان- غضبانة).

بخلاف الفصحى التي يأتي مؤنّثها على وزن "فعلى" (كعطشى، شبعى...)[1] وقد اختلف اللغويون في هذه الصّيغة، فمنهم من يجيزها من أمثال الفيروزآبادي في قاموسه[2]، ومنهم من يجعلها من لحن العوام.[3]

---

[1] ينظر ابن عقيل: شرح ابن عقيل م. س، ج2 ص232.

[2] ينظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط م. س، ج3 ص44.

[3] ينظر حاتم السجستاني: ينظر كتاب الحروف أو (لحن العامة) م،س، ص273.

- صيغة "**فْعُلْ**" نحو قولهم: (حْلُوْ) أصلها "فُعْل" في الفصحى، انتقل السّكون من اللّام إلى الفاء، وفقا لقاعدة البدء بالمقطع القصير المغلق كعادة اللّهجة، وانتقلت الضمّة من الفاء إلى اللّام لمناسبتها للواو وفقا لقانون جلب الحركات.

- صيغة "**فْعَالْ**": مثل قولهم: (حْرَامْ).

- صيغة "**فَيْعَل**": مثل قولهم: (مَيَّتْ) وهي تقابل صيغة "فَيْعِل"، إلّا أنّ في اللّهجة فتحوا الياء دون كسرها، لصعوبة الانتقال من الكسر إلى السّكون.

- صيغة "**فْعِيل**": نحو قولهم: (كْبِيرْ، خْفِيفْ، مْلِيحْ، قْبِيحْ، خْشِينْ...) وهو ما يقابل صيغتيْ"فَعِل" و"فَعِيل" في الفصحى، والاختلاف بينهما يكمن في أنّ اللّهجة -كعادتها- تبتدأ بالمقطع القصير المغلق.

- صيغة "**فَعْلْ**": مثل قولهم: (زَيْنْ، شَيْنْ...) وهي تقابل صيغة "فَعْلْ" في الفصحى، تحوّلت الفتحة إلى كسرة لتناسب الياء، ثم مُطلت لصعوبة الانتقال من الكسر إلى ياء ساكنة.

- صيغة "**فْعِلْ**": نحو قولهم: (طْرِيْ) في طَرِيّ.

4.7 اسم المفعول

هو صيغة قياسيّة تدلّ على من وَقَع عليه الفعل، يصاغ من الفعل الثّلاثي على وزن "مَفْعُول" مثل: (مشروب - مكتوب - مسروق - مقطوع...). وقد يأتي على وزن "فَعِيلْ" للدّلالة على الذّات والمعنى مثل: (جريح، قتيل...). ويصاغ من غير الثّلاثي على صورة المضارع المجهول، وإبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة، كما نرى:

المضارع المجهول	اسم المفعول
يُحترَم	مُحترَم
يُقاتَل	مُقاتَل
يُستخرَج	مُستخرَج...

أمّا في لغة بني هلال فإنّه يصاغ على نحو اللّغة الفصحى، وإنّما الاختلاف يكمن في تغيير بعض حركات الكلمة فهم يقولون: (مَمْدُودْ، مَدْفُونْ، مَلْفُوفْ، مَطْحُون، مَخْدُوع، مَبْيُوعْ... إلخ).

كما يصاغ من الثّلاثي النّاقص على وزن مضارعه مع إبدال المضارعة ميما مفتوحة، وكسر ما قبل الآخر مثله في ذلك مثل الفصحى، ويستوي في هذه اللّهجة الفعل النّاقص الواوي واليائي مثل قولهم: (مَرْحِي، مَشْوِي، مَرْبِي، مَكْوِي... إلخ).

ويصاغ كذلك من غير الثّلاثي على وزن مضارعه، بإبدال حرف المضارعة ميما مسكونة أو متحركة، وفتح ما قبل الآخر باستثناء النّاقص الذي يُكسر ما قبل آخره، مثل قولهم:

(مْغَطِّي) في مُغَطَّى.

(مْعَمَّرْ) في معمور.

(مْفَرَّشْ) في مفروش.

(مْرَفَّحْ).[1] في مرفه.

كما أنَّ عين الفعل الأجوف لا يلحقها إعلال، وإنّما تبقى على أصلها، نحو قولهم:

(مَبْيُوعْ) في مبيع.

(مَدْيُونْ) في مدين ...

فمثل هذه الظّاهرة ليست بالغريبة، فقد عُرِفت في لهجة قبيلة تميم.[2]

وهناك ملاحظة لا بدّ من الإشارة إليها وهي، أنّه قد يصاغ اسم المفعول واسم الفاعل من الفعل غير الثّلاثي لفظًا واحدا، فيتعيّن هذا أو ذاك من سياق الكلام، وهذه ظاهرة ليست فقط في لغة بني هلال، وإنما ظاهرة عامّة ومنتشرة في الكثير من اللّهجات العربية الحديثة[3]، مثلما هي موجودة في العربية الفصحى نحو:

---

[1] مرفّح = مرفّه، من الرفاهية، أبدلوا الهاء حاءً.

[2] ينظر الأستراباذي: شرح الشافية م. س، ج3 ص149.

[3] ينظر أبو حاتم، حاتم السجستاني: لحن العامة م. س، ص158و282.

يناضِل أبناءُ البلد المْحَتَلّ (اسم مفعول)، لِطَرْد العدوِّ المْحَتَلّ (اسم فاعل).

5.7 صيغة التّفضيل

هو اسم مشتقّ، وزنه "أَفْعَل" ووزن مؤنّثه "فُعْلَى"، يدلّ على زيادة في صفة اشترك فيها اثنان، وزاد أحدهما فيها على الآخر، نحو: "سعيد أطول من خالد"، يصاغ من الماضي الثّلاثي المتصرّف القابل للتّفاضل، غير مبني للمجهول تامًّا مثبتًا، وألّا يكون الصّفة المشبّهة منه على وزن "أفعل الذي مؤنّثه "فعلاء" ك: "أعرج- عرجاء، أخضر-خضراء".[1]

الملاحظ في لهجة بني هلال في هذا الإقليم، أنّ هناك صورا عدّة لصيغة التّفضيل، منها ما هو مستعمل مثلما هو في الفصحى، ومنها ما يختلف عنها من حيث البناء لا المعنى نحو قولهم:

(خُبْزْ ادَّارْ بْنِينْ عْلَى خُبْزْ اسُّوقْ) بمعنى: الخبز المصنوع في البيت أطيب من الذي يباع في السّوق.

(نْسَا بَكْرِي خِيرْ مَنْ نْسَا الْيُومْ) بمعنى: نساء الماضي أفضل من نساء هذا العصر.

(فْلَانْ قَادَرْ عْلَى شْقَاهْ مَنْ غِيرَه) بمعنى: فلان أقدر على تحمّل المشاق من غيره.

(هَادْ لْكْتَّانْ ابْيَضْ وْخْشِينْ عْلَى لَاخُرْ) بمعنى: هذا القماش أشدّ بياضا وأخشن من الآخر.

من خلال هذه الأمثلة يمكن أن نستنتج ما يلي:

1. صيغة التّفضيل في هذه اللّهجة مثل صيغة التّفضيل في الفصحى، إلّا أنّ اللّهجة تتجنّب نطق الهمزة فتحذفها، فجاءت صيغة التّفضيل على وزن (فْعَلْ) التي أصلها "أفعل" في الفصحى، لأنّ كلًّا من (بْنِينْ، خِيرْ، خْشِينْ...) أصلها "أبنّ، أخير، أخشن".

2. تأتي صيغة التّفضيل أحيانا على وزن اسم الفاعل مثل قولهم: (فْلَانْ قَادَرْ مَنْ غِيرَهْ) لكن السّياق يوحي لنا أنّ المقصود هو "فلان أقدر من غيره".

3. في الفصحى إذا احتيج إلى التقييد، زِيدتْ "مِنْ"، بعد "أَفْعَل"، لكن في اللّهجة يزيدون أحيانا "مِنْ" وأحيانا "على".

[1] ينظر عباس حسن: النحو الوافي م. س، ج3 ص349.

4. في الفصحى إذا تَعَذَّر صَوْغُ "أَفْعَل" اسمًا للتّفضيل، جيء بمصدر بعد "أكثر" أو "أعظم" أو "أشدّ" أو نحوها، فيقال مثلا: فلانٌ أعْظَمُ إنسانيَّةً، وأَكْثَرُ استغفارا، وأَطْوَلُ صبرا، وأشدّ حمرة، وهكذا... أمّا في هذه اللّهجة، فإنّها تصوغ اسم التّفضيل صيغة مباشرة سواء في الألوان (ابْيَضْ، احْمَرْ...) أو في العيوب نحو قولهم: (فْلَانْ اطْرَشْ عْلَى فْلَانْ)، لكن هناك مصادر تشير أنَّ هناك من العرب من تستعمل أسماء التّفضيل، من البياض والسّواد بطريقة مباشرة خلافا للقاعدة، فتقول: "أسود من حلك الغراب" و"أبيض من اللّبن"[1] إلا أنَّ اللّهجة عمّمت هذه الصّيغة على جميع الألوان والعيوب.

8. اسم الآلة

اسمٌ يدلّ على الأداة التي بها يكون الفعل، وله في الأصل – ثلاثة أوزان هي: "مِفْعَل" مِبرد، و"مِفْعال" مثل: مِنشار، و"مِفْعَلَة" مثل مِكْنسة، لكنّ مجمع اللّغة العربية بالقاهرة أضاف إليها وزنًا رابعًا هو: "فَعَّالَة" نحو: (غسّالة)، ثمّ أضاف مِن بعدُ ثلاثة أوزان أخرى هي: "فِعال وفاعِلَة وفاعول" نحو: (رِباط وساقِيَة وساطور)، فأصبحت الصّيغ القياسية لاسم الآلة سبعَة صيَغ.[2]

أمّا في لغة بني هلال فإنّ أوزان اسم الآلة هي نفسها المستعملة في الفصحى، إنّما الاختلاف يكمن في حركات أوائل الكلمات التي يشيع فيها الفتح دون الكسر، مثلما هو شائع في كثير من اللّهجات العربية الحديثة، والسّبب في ذلك هو الجنوح نحو الانسجام بين أصوات اللّين، والاقتصاد في الجهد العضلي كما يرى العديد من الدّارسين، من أنَّ "الانتقال من الكسر أو الفتح أو العكس، يتطلّب مجهودا عضويا أكبر، ممّا لو انسجمت أصوات اللّين بعضها من بعض بأن تصبح متشابهة".[3]

ومن الأوزان الشّائعة في هذه اللّهجة نذكر:

- **مَفْعَلَة:** نحو قولهم: (مَصَلْحَة) و(مَسَلْتَة) في المكنسة.

---

[1] ينظر ابن عقيل: شرح ابن عقيل: ج2 ص175. وعباس حسن: النحو الوافي: ج3 ص398-399.

[2] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا، مصر 1984م.

[3] ينظر إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية: ص67.

- **مَفْعَلْ**: نحو قولهم: مَنْجَلْ، مَبْرَدْ...
- **مُفْعُلْ**: نحو قولهم: (مُغْرُفْ) في المغرفة.
- **مَفْعَالْ**: نحو قولهم: مفتاح، منشار...
- **فَعَّالْ**: نحو قولهم: حلّاب، وهو الإناء الذي يُحلب فيه.
- **فَعَّالَة**: نحو قولهم: طيّارة، سجّادة، شوّاية[1]، سدّادة[2]، حمّارة[3]
- **فُعّالة**: نحو قولهم: خُلّالة.[4]
- **فُعَال**: نحو قولهم: غُربال.

وتُستعمل في هذه اللهجة بعض الأسماء الجامدة مثل:

(فَـــادُومْ) في القادوم.

(فَـــصْعَة) في القصعة.

(فَاسْ) في الفأس.

(غَسَّالَة) في آلة الغسيل....فهذا الأمر نفسه وارد في كلام العرب –شذوذًا– أي أنّ هناك أسماءُ آلات على غير الأوزان المعروفة في قواعد العربية، منها: "الفأس – السكّين – المُنخُل – القَدُوم..".، فتُحفَظ وتُستعمَل ولكن لا يقاس عليها.

9. اسما الزّمان والمكان

يُشتقّ اسم الزّمان للدّلالة على زمان الحدث، نحو:

---

[1] شواية: آنية حديدية يشوى عليها قطع اللحم.

[2] السدّادة: هي آنية تستعمل لتصفية السوائل من الشوائب كالحليب والقهوة.

[3] حمّارة: وهي التي تعلّق عليها القربة.

[4] الخلالة: آلة من الحديد تستعمل للنسج.

"اقترب مَذهَبُ القطار"، أي: زمان ذهابه. ويُشتقّ اسم المكان للدّلالة على مكان الحدث، نحو:

"مَدخل المحطّة واسع"، أي: مكان دخولها واسع.

1- تصاغ أسماء الزّمان والمكان من الفعل الثّلاثي، على وزن "مَفْعِل"، إذا كان مضارعه مكسور العين، صحيحَ الآخر، نحو: "يجلِس – مجلِس، يغرِس – مغرِس، يرجِع – مرجِع". وعلى "مَفْعَل" فيما عدا ذلك، نحو: "مَذْهَب – مَدْخَل – مَرْمَى – مَلْهَى..."، وقد أدخلَت العرب تاء التّأنيث على اسم المكان، فقالت: "مَزرَعة –مَقبَرة – مَدبغَة..". لمكان: الزّرع والقبر والدّبغ...

2- ويصاغان من غير الثّلاثي على وزن المضارع، مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة، وفتح ما قبل الآخر، وذلك نحو: "يُدحرِج – مُدحرَج، يُسافر – مُسافَر، يَستخرج – مستخرَج..".[1]

3- يصاغ اسم المكان من الأسماء، على وزن "مَفْعَلة"، بفتح العين، للدّلالة على المكان الذي يكثر فيه الشّيء، نحو: "مَأْسَدة – مَسْبَعة – مَذْأَبة – مَرْمَلة – مَحْجَرة – مَقْطَنة – مَعْنَبة – مَبْطَخة..".

للمكان الذي تكثر فيه الأُسود – السّباع – الذّئاب – الرّمل – الحجر – القطن – العنب – البِطيخ...[2]

وممّا جاء في لغة بني هلال نذكر قولهم:

1.9 بالنّسبة لاسم الزّمان: يظهر في قولهم:

(لْمَغْرَبْ) في المغرب.

(لْمُوْعَدْ) في الموعد.

(لْمُولَدْ) في المولد النّبوي الشريف.

(لْمُوسَمْ) في الموسم.

2.9 بالنّسبة لاسم المكان

[1] ينظر عباس حسن: النحو الوافي م. س، ج3 ص318.

[2] ينظر عباس حسن: النحو الوافي م. س، ج3 ص318.

(لْجَامَعْ) في الجامع.

(لْمَنْسَجْ) في المنسج.

(لْمَعْصَرَة) في المِعْصَرَة.

(لْمَقَبْرَة) في المقبرة....

الملاحظ من خلال هذه العيّنة أنَّ اسمي الزّمان والمكان يصاغان من الفعل الثّلاثي على وزن (مَفْعَلْ) إذا لم يكونا معتلّي الفاء أو العين، أمّا إذا كان أحدهما معتلّ الفاء، فإنّهما يأتيان على وزن (مُفْعَلْ) وهذا يختلف مع الفصحى، ولكنّه نوع من الجنوح نحو الانسجام بين أصوات اللّين، فالضمّة أكثر مناسبة للواو في قولهم: (مُوعَد، مُولد، مُوسَم).

كما أنَّ الصّيغة لا تلتزم بحركة عين المضارعة، فهم دائما يفتحونها سواء كانت عين المضارعة مفتوحة أو مكسورة، ذلك لأنّهم ينشدون السّهولة واليسر في نطقهم.

أمّا من الفعل غير الثّلاثي فإنّني لم أعثر على أيّ كلمة، ولا شكّ أنّه توجد كلمات تستعمل ولكنّي لم أهتد إليها.

10.النّحت

هو بناء كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر أو من جملة، بحيث تكون الكلمتان أو الكلمات متباينة في المعنى والصّورة، وتكون الكلمة الجديدة آخذة منهما جميعًا بحظ في اللّفظ، دالّة عليهما جميعًا في المعنى[1]، فهو إذن لون من ألوان الاشتقاق، وقد سمّاه أحد اللّغويين بالاشتقاق الكبّار[2] ووظيفته تقوم على مبدأ الاختصار والاختزال.

---

[1] نهاد الموسى: النحت في اللغة العربية: د.، ص65-67.

[2] يعدّ عبد الله أمين هو أول من أطلق هذه التسمية على النحت، فهو يقول: "وقد أسميته الكبّار بالتثقيل، لأن الكبّار أكبر من الكُبَار بالتخفيف، والنحت أكبر أقسام الاشتقاق السابقة "انظر عبد الله أمين: الاشتقاق، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1956م، ص391.

لقد ورد النّحت في اللّغة العربية على صور عديدة، ويعدّ الخليل بن أحمد (ت 175هـــ) هو أوّل من اكتشفه كظاهرة في اللّغة العربية، حين قال: "إنّ العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما، إلّا أن يُشتَقّ "فَعِلٌ" من جمع بين كلمتين مثل (حيّ على) كقول الشّاعر:

أَقُولُ لَهَا وَدَمْعُ العَيْنِ جَارٍ *** أَلَمْ يُحْزِنْكِ حَيْعَلَة المُنَادِي

فكلمة "حَيْعَلَة" جمعت من (حيّ) ومن (على)، ونقول منه (حيعل، يحيعل، حيعل).[1]

ومن صور النّحت في اللّغة العربية الشّائعة نذكر:[2]

- تأليف كلمة من جملة لتؤدّي مؤدّاها، وتفيد مدلولها، (كبسمل) المأخوذة من "بسم الله الرحمن الرحيم"، و(حَيْعَل) المأخوذة من "حيّ على الصّلاة، حيّ على الفلاح"، وممّا ورد في كلام العرب:

لقد "بَسْمَلَتْ" لَيْلَى غَدَاةَ لَقَيْتُهَا *** فَيَا حَبَّذَا ذَات الحبيب المبسمل

- تأليف كلمة من المضاف والمضاف إليه، عند قصد النّسبة إلى المركّب الإضافي إذا كان علمًا (كعبشمي) في النّسبة إلى "عبد شمس"، و(عبدري) في النّسبة إلى "عبد الدّار".

- تأليف كلمة من كلمتين أو أكثر، تستقلّ كلّ كلمة عن الأخرى في إفادة معناها تمام الاستقلال؛ لتفيد معنًى جديدًا بصورة مختصرة، وهذا النّوع كثير الورود في اللّغات الأوربية، قليل في العربيّة وأخواتها السّامية، و لم تعرف منه إلّا بعض ألفاظ نتيجة تخريج لبعض العلماء، من ذلك "لن" النّاصبة، يرى الخليل أنّها مركبة من "لا" النّافية و"أن" النّاصبة، و"هلمّ": يرى الفرّاء أنّها من "هل" الاستفهامية، ومن فعل الأمر "أُمَّ" بمعنى اقصد وتعال، وقيل: إنّها مركّبة من هاء التّنبيه" و"لـــمَّ" بمعنى ضُمَّ، و"أيّان" الشّرطية مركّبة من "أي" و"آن" فحذفت همزة آن، وجُعلت الكلمتان كلمة واحدة متضمّنة معناهما.[3]

---

[1] انظر الخليل بن أحمد: العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، ط. دار الرشيد ببغداد، سنة 1980م، ج1 ص60.

[2] إبراهيم نجا: فقه اللغة العربية، ص56. علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة م. س، ص186-187. والاشتقاق: د. فؤاد ترزي، ص357- 358، عبد القادر المغربي: الاشتقاق والتعريب، ص 13-14.

[3] إبراهيم نجا: فقه اللغة العربية، ص56.

تقوم ظاهرة النّحت على مبدأ الاختصار والاختزال، والإيجاز والحذف والاقتصار، وهي تبدو واضحة جليّة في اللّغة العربية، فالنّحت من الأساليب الأصيلة في كلام العرب، وقد استخدموه في الألفاظ الكثيرة الورود في كلامهم ومحاوراتهم، ومردّ ذلك يعود إلى حدّة أذهان العرب القدامى وجودة أفهامهم. كما أنّه وسيلة رائعة لتنمية هذه اللّغة، وتجديد أساليبها في التّعبير والبيان من غير تحيّف لطبيعتها.[1]

لم يقتصر النّحت على اللّغة العربية فقط وعلى لهجاتها القديمة التي ساهمت في بنائها، وإنّما نجد له امتدادا في كلّ اللّهجات العربية المعاصرة، ومنها اللّهجة التي نحن بصدد دراستها، فكم هي عديدة النّماذج اللّغوية العربية التي اختصرها النّحت إلى كلمة في لهجة بني هلال، وكم يصعب إحصاؤها، وسأحاول إيراد بعض ممّا هو جار على ألسنتهم فيما يأتي:

كُلْشِي = كلّ + شيء.

مَاعْلِيشْ = ما + عليك + شيء.

أَمَّالَا = أن + ما + لا، وأصلها كما يقول الدّكتور شوقي ضيف "إن كنت لا تفعل" وقد استشهد بحديث للرّسول صلى الله عليه وسلم، قال فيه لفتية من الأنصار رآهم يتّبعون بعيرا قال: (أتبيعونه؟ قالوا: لا بل هو لك، قال: إما لا فأحسنوا إليه) ويعلّق شوقي على هذا ويقول: "أراد إن كنتم لا تبيعونه فأحسنوا إليه."[2]

ونظير هذا عند العرب شاهدهم في قول الشّاعر:[3]

---

[1] صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة م. س، ص 274.

[2] تحريفات العامية للفصحى، ص 136.

[3] ذكر بعض الدارسين أنّ البيت هو لعباس بن مرداس وقد نال منه التصحيف: أَبا خُراشَةَ أَمَّا أنتَ ذا نَفَرِ *** فإنّ قومِيَ لم تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ
وأنّ صوابه: أبا خُراشةَ أَمَّا كُنتَ ذا نفرٍ *** فإنَّ قومِيَ لم تأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ
والقدماء على اهتمامهم وعنايتهم بذكر ما ناله تحريف أو تصحيف يثبتون لبيت العباس هذين الإنشادين، وينسبون الأول إلى سيبويه؛ لأنه جاء في الكتاب ج1 ص293. وأما المحدثون فقال بالتصحيف رمضان عبد التواب رحمه الله، وهو من المشتغلين بالتحقيق، قال إن الكاف من (كنت) ظهرت في المخطوطة كالألف؛ لأن الكاتب لم يقوسها تقويسًا كافيًا، فانتصبت شيئًا فصارت كالألف وفصلت عن النون، ورسم الكاف القديمة كاللام غير أن قائمها مقوس إلى اليسار، ولذلك رسموا الكاف النهائية وفي حوضها

أَبا خُراشَةَ أَمَّا أنتَ ذا نَفَرٍ *** فإنّ قومِيَ لم تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

والتّقدير فيه: "أن كنت ذا نفر"، فحذف الفعل وزاد "ما" على "أن" عوضا عن الفعل.[1]

كَبَّرْ = الله أكبر

يْلَهْلَهْ = يُهلِّل من الهيللة، قولهم: لا إله إلا الله وهم ينطقونها بلام مفخّمة.

عَمْلَوَّلْ = عام + أوّل، أي: العام الأوّل.

فِيسَاعْ = فِي + السَّاعَة، أي: في السّاعة هذه.

مَاعْلِيهْشْ= ما + عليه + شيء، أي: ما عليه شيء.

منين؟ = حرف الجر (من) + الظرف (أين)، أي: من أين؟

وِيلْمَّهْ = وهي لفظة للتعجّب مركّبة من (وَيْلٌ + لِأُمِّه)، وأصل العبارة عند العرب دعاء، ثم وسعت دلالتها لتشمل التّعجب، وقد وردت مستعملة عند الشّاعر كعب بن زهير في قصيدته بانت سعاد، حيث يقول:[2]

ويلُمَّها خُلة لو أنّها صدقت *** بوعدها ولو أنّ النّصح مقبول.

مَاكَانْشْ = ما + كان + شيء، أي: ما كان شيء.

مَا كَانْشْ مَنْهَا: وأصلها: ما كان شيء منها.

وَاشْ؟ = و+ أي + شيء، أي: وأيُّ شيء؟

والملاحظ أنّ عامّة النّاس في منطقة الغرب الجزائري – أغلبيتهم– قد توسّعت في هذا النّحت فقالوا:

بَاشْ؟ = ب + أيّ + شيء، أي: بأيِّ شيء؟

بْلَاشْ = بلا + شيء، أي: بلا شيء.

كاف صغيرة تميزها عن اللام. ينظر عبد العزيز التويجر: محاضرة التصحيف والتحريف، مركز حمد الجاسر الثقافي، 1431/7/5هـ. موقع ضفاف لعلوم اللغة العربية.

[1] ينظر الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ليدن 1913م، ج 1، ص 74 و75.

[2] ينظر ابن عبد ربه: العقد الفريد: ج2 ص336.

اْشْكُونْ؟ = أي + شيء + يكون، أي: أيُّ شيءٍ يكون؟

وَاشْ رَايَكْ؟ = أي + شيء + رأيك؟

اشْحَالْ؟ = أي + شيء + حاله؟

مَا جَبْتْلَكْشْ = ما + جلبت + لك + شيء، أي: ما جلبت لك شيئًا.

عْلَاشْ؟ = على + أي + شيء، على أيِّ شيء.

مَانِيشْ = ما + أنا + شيء.

مَاعَنْدِيشْ = ما + عندي + شيء.

مَاعَنْدَكْشْ = ما + عندك + شيء.

مَا نقُولْشْ = ما + أقول + شيء، وهم ينطقونها بـــگـــيم قاهرية (مَا نـــْـــقُولْشْ).

مَانْقولَكْشْ = ما + أقول + لك + شيء، وهم ينطقونها بـــگـــيم قاهرية (مَانْـــقُولَكْشْ).

مَاعْلَابَالِيشْ = ما + على + بالي + شيء، يستعملونها بمعنى: لا أعلم شيئا.

فَاشْ؟ = في + أي + شيء.

جَابْ = جاء + به.[1]

مَاجَابْشْ = ما + جاء + بـــِ + شيء.

كُلَّشْ = كلّ + شيء.

مَافِيهَاشْ = ما + فيها + شيء.

عْلَاشْ؟ = على + أيّ + شيء؟

مَا مْدُّوشْ = ما + مدّوا + شيئا، والمدّ هنا بمعنى العطاء.

كِيفَاشْ = كيف + الشّيء؟

كِيفَاهْ؟ = كيف + هو؟

---

[1] أو ربما الكلمة أصلها "جلب" وحرّفت بإسقاط صوت اللام.

مَاكْلِيتْشْ: ما + أكلتُ + شيئا، تستعمل للتّعبير عن الحدث الماضي.

مَانَكُلْشْ = ما + آكل + شيء، تستعمل للتّعبير عن الزّمن الحاضر.

مَاوَرُوشْ = ما أروا شيئا.

وَقْتَاشْ؟ = في أي وقت؟

قَدَّاشْ؟ = قدر أيّ شيء؟ وهم ينطقونها بـــگـــيم قاهرية (قـــــدَاش).

وَتْرَنْتَكْ = وترى أنّك أنتَ...

من خلال هذه النّماذج يتبيّن لنا أن:

- لهجة بني هلال تميل إلى النّحت بكثرة، لكنّهم لم ينحتوا إلّا الألفاظ التي يكثر تِردادها رغبة في الاختصار، إذ يؤدّي المتكلّم غرضه بأسرع وقت وبأقلّ الأصوات، وفي ذلك اقتصاد في الجهد العضلي أيضا.
- كلّ الكلمات المنحوتة أصلها عربي فصيح، وإن أصابها بعض التّحريف قليلا.
- لا يمكن الحكم على صيغ النّحت المتداولة في هذه اللّهجة، إن كانت خاضعة لمقاييس النّحت في الفصحى أم لا؟ لأنّ هذه الظّاهرة تباينت فيها آراء علماء اللّغة قديما وحديثًا[1]، وما يمكن الجزم

---

[1] يقرّر الدكتور إبراهيم نجا -رحمه الله- أن: "النحت سماعي، وليس له قاعدة يسير وفقها القائلون، إلا في النسبة للمركب الإضافي. فقد قال العلماء إنه مبنيّ على تركيب كلمة من اللفظين على وزن (فعلل) ، بأخذ الفاء والعين من كلّ لفظ ثم ينسب للفظ الجديد كعبشميّ في عبد شمس، وعبدريّ في عبد الدار، وتيمليّ في تيم اللات، وفي غير ذلك مبني على السّماع والأخذ عن العرب". فقه اللغة العربية: للدكتور إبراهيم محمد نجا، ص 56. غير أنّ بعض الباحثين المتأخرين فهموا نصّ ابن فارس عندما قال: "...وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت" الصاحبي لابن فارس: ص271 -فهموه فهمًا مختلفًا؛ فقد استنتج بعضهم من هذا النص أنّ ابن فارس يرى أنّ النحت قياسي. يقول الدكتور =إبراهيم أنيس: "ومع وفرة ما روي من أمثلة النحت تحرج معظم اللّغويين في شأنه واعتبروه من السّماع، فلم يبيحوا لنا نحن المولدين أن ننهج نهجه أو أن ننسج على منواله. ومع هذا، فقد اعتبره ابن فارس قياسيا، وعده ابن مالك في كتابه التسهيل قياسيّا كذلك" من أسرار اللغة: د. إبراهيم أنيس، ص72 حيث يقول "ابن مالك" في التسهيل: قد يُبْنَى من جُزأي المركب فَعْلَلَ بفاء كل منهما وعينه، فإن اعتلّت عين الثاني كمل البناء بلامه أو بلام الأول ونسب

به أنّ هذه اللّهجة لم تخالف القدامى في الغاية المنشودة من النّحت، فهم لم ينحتوا إلّا الألفاظ التي

يكثر ترادها رغبةً في الاختصار، على حدّ قول ابن فارس "العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار"[1] وهو مذهب أحد المحدثين، بأنّ النّحت "نَامُوسٌ فاعل على الألفاظ، وغاية ما يفعله فيها إنّما هو الاختصار في نطقها تسهيلا للفظها، واقتصارًا في الوقت بقدر الإمكان."[2]

11.الضّمائر الشّخصية

الضّمير اسمٌ علم يدلّ على متكلِّم أو مخاطَب أو غائب، وتحتلّ الضّمائر في أيِّ لغة قسمًا مهمًّا من أقسام الكلام، وإلا ما اختصَّت بدراسات مستقلّة؛ لذا سنحاول في هذا المبحث استقراء الضّمائر المستعملة في لغة قبائل بني هلال، ومدى علاقتها بضمائر الفصحى، والتي يمكن بدايةً تقسيمها إلى ضمائر منفصلة وأخرى متّصلة.

1.11 الضّمائر المنفصلة هي كلّ ضمير ينفصل عن الكلمة ويستقلّ بذاته، وهي نوعان:

أ) **ضمائر الرّفع المنفصلة:** وهي موضّحة في الجدول كالآتي:

دلالة استعمالها	الضّمائر المستعملة في اللّهجة	الضّمائر في الفصحى
ضمير المتكلّم المفرد للمذكّر والمؤنّث	أنا – أنايَ	أنا

إليه. وقال أبو حيّان في شرحه: وهذا الحكم لا يطّرد؛ إنّما يقال منه ما قالته العرب، والمحفوظ عَبْشميّ في عبد شمس، وعبدريّ في عبد الدار، ومرقسيّ في امرئ القيس، وعَبْقَسَى في عبد القيس، وتيملي في تيم الله. ينظر المزهر للسيوطي: ج1 ص 485.

وقد علّقت لجنة النحت بمجمع اللغة العربية في القاهرة على هذا الاختلاف بالقول: "... وقد نقلنا فيما تقدّم عبارة ابن فارس في فقه اللغة، وهي لا تفيد القياسية إلا إذا نظر إلى أنّ ابن فارس ادعى أكثرية النحت فيما زاد عن ثلاثة، ومع الكثرة تصحّ القياسية والاتساع". ينظر مجلة المجمع: ع7 ص202-203، وينظر: النحت في اللغة العربية: للدكتور نهاد الموسى، ص284 -285.

[1] ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة م. س، ص461.

[2] جرجي زيدان: المهارات اللغوية، ص216-219.

ضمير جمع المتكلّم للذّكور والإناث	حنا – حنايَ	نحن
ضمير المخاطب المذكّر المفرد	انتَ – انتايَ	أنتَ
ضمير المخاطب المؤنّث المفرد	انتِ – انتِيَّ	أنتِ
ضمير المثنى للمذكّر المخاطب	انْتُومَ	أنتما
ضمير المثنى للمؤنّث المخاطب	انتومَ	أنتما
ضمير الجمع للمذكّر المخاطب	انتومَ	أنتم
ضمير الجمع للمؤنّث المخاطب	انتومَ	أنتن
ضمير الغائب المفرد المذكّر	هُوَّ	هو
ضمير الغائب المفرد المؤنّث	هِيَّ	هي
ضمير المثنى الغائب المذكّر	هُومَ	هما
ضمير المثنى الغائب المؤنّث	هُومَ	هما
ضمير الجمع الغائب المذكّر	هُومَ	هم
ضمير الجمع الغائب المؤنث	هُومَ	هن

من خلال الجدول يمكننا ملاحظة ما يلي:

– تستخدم لهجة قبائل بني هلال الضّمائر العربية، مثلها ومثل سائر اللّهجات العربية المعاصرة، إلّا أنّها عمدت إلى تغيير بعض الضّمائر فونولوجيا، بحذف بعض صوامتها وتغيير بعض صوائتها، وقد بلغ عدد الضّمائر المستخدمة في هذه اللّهجة ثمانية ضمائر فقط، في مقابل اثني عشر ضميرًا في الفصحى.

- لضمير الفرد المتكلّم "أنا" صيغتان في هذه اللّهجة، فصيغة "أنا" معروفة في الفصحى وفي العديد من اللّهجات العربية القديمة والحديثة، وقد عُزِيت قديما إلى تميم[1]، وامتدّت آثارها في اللّهجات الحديثة. أمّا صيغة (أنايَ) بإضافة الياء للضّمير "أنا" فقد رأى أحد الدّارسين أنّ "مجيء الياء مع الضّمير هو تقوية له"[2]، في حين يرى آخر أنّ "الياء حرف نداء وأصل القول هو: (أنا يا هذا...) حُذِف المنادى وبقي الحرف، والنّداء للتّقوية أي لجعل السّامع أشدَّ انتباهًا."[3]

- كذلك نجد لضمير الجمع المتكلّم صيغتين (حنا- حنايَ)، وكلاهما نطقهما يختلف عن الفصحى، فقد حُذفت النّون الأولى من "نحن" وبقيت الحاء ساكنة، وتحرّكت النّون الأخيرة بالفتح الممدود بدل الضّمّ، فنتج عنها صوت الألف، ومردُّ هذا الحذف عند النّاطقين بهذه اللّهجة يعود إلى طلب السّهولة والاختصار في الكلام بحذف أحد المتماثلين، وحذف الأوّل هو أكثر ملائمة.

أيضا وجدنا الصيغة الثانية لهذا الضمير تتبع بـِ "ياء" فيقولون: (حنايَ) فالأمر نفسه يحدث معها مثلما حدث مع الضّمير "أنا".

- بالنّسبة لضمير المخاطب، أيضًا وجدنا لكلّ من المخَاطَب والمخاطبة صيغتين اثنتين؛ صيغة موجودة في الفصحى وهي (أنتَ) للمذكّر، و(أنتِ) للمؤنّث، وصيغة أخرى تختلف مع الفصحى وهي (أنتاي) للمذكّر، و(أنتيَّ) للمؤنّث، فمع المذكّر نجد أنّ فتحة التّاء مُدَّت، فنتج عنها صوت لين طويل (الألف) ثمّ أُلحقت به ياء النّداء. أمّا مع ضمير المؤنّث، فالذي حدث أنَّ كسرة التّاء مُدَّت، فنتج عنها صوت لين طويل هو (الياء)، ثم أُلحقت بياء النّداء، فتوالى المثلان ياء المدّ وياء النّداء، فما كان منهم إلّا إدغام الصّوتين ونطقهما صوتًا واحدًا طلبًا للتّسهيل والتّخفيف.

---

[1] ينظر السيوطي: همع الهوامع م. س، ج1 ص207.

[2] ينظر بين العربية ولهجاتها والعبرية: ص88.

[3] بلقاسم بلعرج: الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، ص214.

- كما اكتشفنا اختفاء تصنيف المثنى في الضّمائر، فالنّاطقون بهذه اللّهجة لا يفرّقون فيمخاطبتهم للأفراد، إن كانوا مثنى أو كانوا ثلاث ورباع، فهم يستعملون ضميرًا واحدًا هو (أنْتُومَ) بمدِّ حركة التّـــاء، وهنا نشير إلى ما ذكره صاحب التّطـــور النّحـــوي أنّ "انتـــم" أصلـــها "انتمـــو"[1]، ممّا

- يجعلنا نعتقد أنّ (انتوم) المستعملة في هذه اللّهجة، مثلما هي مستعملة في العديد من اللّهجات العربية المعاصرة، هي "انتمو" وإنّما أصابها بعض التّحريف كالقلب المكاني بين صوتي الميم والواو، "وإما عُوِّضت الواو المحذوفة بمدّ حركة التّاء، للإبقاء على صفة المدّ الذي كان موجودًا في الأصل."[2]

والأمر نفسه بالنّسبة لضمائر الغائب، فالنّاطقون باللّهجة لا يفرّقون بين ضمائر المثنى والجمع، فهم يستعملون صيغة واحدة هي (هوما) بمطل حركة الهاء.

- فيما يخصّ ضمير الغائب والغائبة المفرد، فلا نجد أيَّ فرق بين استعمالهما في اللّهجة، وبين استعمالهما في الفصحى.

ب) **ضمائر النّصب المنفصلة:** وهي موضحة في الجدول كالآتي:

نوع الضّمير	الضّمائر المستعملة في اللّهجة	الضّمائر المستعملة في الفصحى
المتكلّم المفرد	/	إياي
جمع المتكلّم	/	إيَّانا
المخاطب، المخاطبة	وِيّاكْ وِيَّاكِ	إيَّاك إيَّاكِ
مثنى المخاطب للمذكّر	وِيَّاكُمْ	إيَّاكما

[1] برجشتراسر: التطور النحوي م. س، ص27.

[2] ينظر بلقاسم بلعرج: م. س، ص 217.

وللمؤنّث		
جمع المخاطب للمذكّر	وِيّاكُمْ	إيَّاكم
جمع المخاطب للمؤنّث	وِيَّاكُم	إيَّاكنَّ
الغائب المفرد	وِيّاهْ	إيَّاه
الغائبة المفردة	وِيّاهَ	إيَّاها
مثنى الغائب للمذكّر وللمؤنّث	وِيّاهُمْ	إيَّاهما
جمع الغائب المذكّر	وِيَّاهُمْ	إيَّاهم
جمع الغائب المؤنث	وِيَّاهُمْ	إيَّاهن

من خلال الجدول يتّضح لنا ما يلي:

- استخدمت هذه اللّهجة نفسَ ضمائر النّصب المنفصلة الموجودة في الفصحى، إلّا أنَّها عمدت إلى إبدال همزة الضّمير واوً، لكنَّها احتفظت بحركتها الأصلية وهي "الكسرة" وهذا نوع من الجنوح لتفادي نطق الهمزة.

- بالإضافة إلى اختفاء تصنيف المثنى، لاحظنا اختفاء ضميري المتكلّم المفرد والجمع، أي أنّ اللّهجة لا تستعمل إلا ستّة ضمائر، ثلاثة للدّلالة على الخطاب، وثلاثة للدّلالة على الغيبة، في مقابل اثني عشر ضميرا في الفصحى. أمّا سبب عدم استعمال ضميري المتكلّم في اللّهجة، فذلك يعود إلى كون اللّهجة لا تستعمل ضمائر النّصب المنفصلة، إلّا إذا أرادت تنبيه المخاطب إلى أمر مذموم حتّى يتوقّى الحذر ويتجنّبه، ولا أظنّ أنّ المتكلّم في حاجة إلى أن يحذِّر نفسه.

2.11 الضّمائر المتّصلة

هي كلّ ضمير لا يستقلّ بذاته ولا يقع بعد "إلّا" ويتّصل بآخر الكلمة، سواء كان فعلا أم اسما أم حرفا، وهي ثلاثة أنواع: ضمائر في محلٍّ رفع، ضمائر في محلٍّ نصب، وضمائر في محل جرٍّ.

أ) ضمائر الرّفع المتّصلة:

ضمير الرّفع في اللّهجة	ضمير الرّفع في الفصحى	نوع المتّصَل به
فْهَمْتْ / تْ	فهمت / تُ	المفرد المتكلم
فْهَمْنا / نَا	فهمنا / نا	الجمع المتكلم
فْهَمْتْ / تْ	فهمتَ / تَ	المفرد المخاطب
فْهَمْتِ / تِ	فهمتِ / تِ	المفردة المخاطبة
فْهَمْتُ / تُ	فهمتُما / تما	المثنى المخاطب المذكّر
فْهَمْتُ / تُ	فهمتُمَا / تُما	المثنى المخاطب المؤنّث
فْهَمْتُ / تُ	فهمتُمْ / تم	الجماعة المخاطبون
فْهَمْتُ / تُ	فهمتُنَ / تن	الجماعة المخاطبات
فْهَمْ / ضمير مستتر	فهم / ضمير مستتر	المفرد الغائب
فَهْمَتْ / ضمير مستتر	فهمتْ / ضمير مستتر	المفردة الغائبة

فَهْمُوا / واو الجماعة	فهما / ألف الاثنين	المثنى الغائب المذكّر
فَهْمُوا / واو الجماعة	فهمتا / ألف الاثنين	المثنى الغائب المؤنّث
فَهْمُوا / واو الجماعة	فهموا / واو الجماعة	الجمع الغائبون
فَهْمُوا / واو الجماعة	فهمنَ / نون النسوة	الجمع الغائبات

من خلال هذا الجدول يمكن استنتاج أنّ نفس الضّمائر المستعملة في الفصحى، نجدها تقريبا مستعملة في اللّهجة، مع بعض التّحريفات التي يمكن إجمالها فيما يأتي:

- ضمير المفرد المتكلّم والمخاطب في الفصحى هو "تُ" بينما في اللّهجة هو (تْ)، كذلك فاء الفعل مع كلّ ضمائر المتكلّم والمخاطب والمفرد المذكّر الغائب ساكنة، ذلك أنَّ مقاطع اللّهجة – كعادتها– أغلبها يبدأ بساكن، أي بالمقطع المغلق، وينتهي بساكن أو ساكنين. في حين نجد فاء الفعل مع ضمير المفردة الغائبة، وضمائر المثنى والجمع الغائبين بنوعيهما، محرَّكة بالفتح وعينه ساكنة، بخلاف الفصحى التي تحرِّك فاء الفعل وعينه.

- ضمير جمع المتكلّم في اللّهجة (نا) هو نفسه المستعمل في الفصحى.

- كذلك تلتقي اللّهجة والفصحى في حذف الضّمير الدّال على المفرد الغائب والغائبة، فيكون كلٌّ منهما ضميرًا مستترًا.

- غياب الضّمير المتّصل ألف الاثنين لاختفاء صيغة المثنى من اللّهجة، ممّا جعل اللّهجةتستعمل ضميرًا واحدًا لمخاطبة المثنى والجمع بنوعيهما، والأمر نفسه بالنّسبة لمثنى الغائب والجمع الغائب بنوعيّهما، فهي تستعمل (الضمَّة) لكليّهما التي تمدُّ فينتج عنها الواو، وبذلك تلتقي مع الفصحى في ضمير الجماعة الغائبين "واو الجماعة".

ب) الضّمائر المتّصلة بين الفصحى ولغة قبائل بني هلال:

في الفصحى	في لغة بني هلال
أ) ضمائر الرّفع	**أ) ضمائر الرّفع**
1. تاء الفاعل	1. تاء الفاعل
تاء المتكلّم، مثل: نزلتُ	تاء المتكلّم، مثل: نْزلتْ
أو تاء المخاطب، مثل: نزلتَ	أو تاء المخاطب، مثل: نْزلتْ
أو تاء المخاطبة، مثل: نزلتِ	أو تاء المخاطبة، مثل: نْزلتِ
2. ألف الاثنين	2. ألف الاثنين
مثل: الولدان ركبا – البنتان ركبتا	مثل: لَوْلَادْ رَكْبوا – الْبْنَاتْ رَكْبُوا
3. واو الجماعة	3. واو الجماعة
مثل: الأولاد ذهبوا إلى الجامع	مثل: لَوْلَادْ رَاحُوا لَلْجَامَعْ
4. نون النّسوة	4. نون النّسوة
مثل: النّساء يغزلن الصّوف	مثل: اْنْسَا يِغَزْلُوا الصُّوفْ
5. ياء المخاطبة	5. ياء المخاطبة
مثل: راجعي دروسك	مثل: رَاجْعِي قْرَايْتَكْ
ب)الضّمائر المشتركة بين النّصب والجرّ	**ب)الضّمائر المشتركة بين النّصب والجرّ**
وهي: ياء المتكلّم، كاف الخطاب، هاء الغيبة	وهي: ياء المتكلّم، كاف الخطاب، هاء الغيبة
1. إذا اتّصلت بفعل تكون ضميرا متّصلا في محلّ نصب	1. إذا اتصلت بفعل تكون ضميرا متصلا في محلّ نصب
إمّا ياء المتكلّم، مثل: ساعدني اليوم محمّد	إمّا ياء المتكلم، مثل: عَاوْنِي[1] الْيُوم امْحَمَّدْ
أو كاف الخطاب، مثل: رافقتك في الطريق	أو كاف الخطاب، مثل: رَافْـقْتَـكْ فْ الطْرِيـقْ
أو هاء الغيبة، مثل: رأيتُه اليوم في الجامع	أو هاء الغيبة، مثل: شْفْتَهْ[1] الْيُومْ فْ الْجَامَعْ

[1] عاوني: من الإعانة، تعاونوا واعْتَوَنوا: أعان بعضهم بعضًا. ينظر ابن منظور: مادة (عون).

1. إذا اتصلت باسم أو حرف تكون ضميرا متصلا مبني في محلّ جرّ، مثل: كْسَوْتِي نْقِيَّة.[2]	2. إذا اتصلت باسم أو حرف تكون ضميرا متصلا في محلّ جرّ، مثل: ملابسي نظيفةٌ.
جارك أحضر لنا الأكل	جَارَكْ جَابْ[3] لْنَا الْمَاكْلَه
مترلُهُ قريبٌ مِنْ المسجدِ.	دَارَهْ قْرِيبَة مَنْ جَامَعْ
أتراك خائفا منه أم منّي؟	انْتَايَ رَاكْ خَايَفْ مْنَّهْ وْلَّا مْنِّي؟

ج) ضمير في محلّ رفع أو نصب أو جرّ

مثل: ركبنا الطّائرة	مثل: رْكَبْنَا الطَّيَّارَة
أعطانا صاحب الزّرع الزّكاة	أعطانا مُولَى[4] لْفْلَاحَة الْعْشُورْ[5]
ربّنا هو الله تعالى	رَبَّنَا هُوَ اللهِ تَعَالَى

من خلال المقارنة بين الضّمائر المتّصلة في الفصحى ولغة بني هلال، نستنتج أنّه:

– تكاد تنعدم ظاهرة الإعراب في اللّهجة، فالوقوف غالبًا ما يكون على السّكون، شأنها في ذلك شأن معظم اللّهجات العربية الحديثة، أو ربّما حتّى اللّهجات العربية القديمة التي "لا نكاد نعلم عن لغة تخاطبهم شيئا، من حيث قواعد إعرابهم وعمّا التزموه في تحريك أواخر الكلمات أو إسكانها."[6] ويردف إبراهيم أنيس في هذا المقام أنّ "حتّى أنواع الاختلاف الإعرابي الذي نجده عند النّحاة، لا يمتّ للّهجات

---

(1) شفته: من الشوف، شاف الشيءَ شَوْفًا: جلاه. والشَّوْفُ: الجَلْوُ. ينظر ابن منظور: مادة (شوف).

(2) نقيّة: أصلها: نقي: يدلُّ على نظافةٍ وخلوص. ومنه نقّيت الشّيءَ: خلّصتُه ممّا يشوبُه، تنقية. ينظر ابن فارس: مقاييس اللغة مادة (نقي).

(3) جاب: أصلها جلب، أسقطوا اللام.

(4) مولى: أصلها وَلِيَ الشيءَ، وعليه وِلايَةً وَوَلايَةً، وأوْلَيْتُه الأمْرَ: وَلَّيْتُه إياهُ. والوَلاءُ: المِلْكُ. والمَوْلَى: المالِكُ. ينظر القاموس المحيط: مادة (الوَلْيُ).

(5) العشور: يقصدون بها الزكاة؛ لأن الجزائريين اعتادوا أن يخرجوا الزكاة في عاشوراء؛ لهذا سميت العشور.

(6) ينظر إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية م. س، ص84.

العربية بصلة، وإنّما هو من صناعة النّحاة عندما اشتدّ الجدل بينهم، وحاول كلّ فريق أن يأتي بجديد في تلك القواعد الإعرابية."[1]

- تبقى ظاهرة البدء بالمقطع القصير المغلق في أغلب الأحيان، السّمة الغالبة في هذه اللّهجة، سواء كانت الكلمة: فعلا أم اسما- مسندا أم غير مسند.

- عدد الضّمائر المتّصلة في اللّهجة أقلّ، بما فيهم ضمير المفرد الغائب المستتر، مقابل اثني عشر ضميرا في الفصحى، في ظلّ اختفاء ضمير المثنى والغائب بنوعيْهما.

د) ضمير جمع الغائبات والمخاطبات: وهي على التّوالي:

- **ضمائر الرّفع:**

- تاء الفاعل، لها أربع صور في اللّهجة: تاء المتكلّم (ضربتْ)، تاء المخاطب (ضربتْ)، تاء المخاطبة (ضربتِ)، تاء المخاطب المثنى بنوعيه والجمع المخاطب بنوعيه (ضربتُ).

- واو الجماعة: (ضربوا)، (تضربوا)، (يضربوا).

- ياء المخاطبة: (تضربي)، (اضربي).

- نا الفاعلين: (ضربْنا علي)

- **ضمائر النّصب:**

- ياء المتكلّم: (ضربني)

- نا الفاعلين: (ضَرَبَنا خالد)

- كاف الخطاب: ولها صورتان إذا اتّصلت بالفعل، نحو (ضربتكَ، وضربتكم).

- هاء الغيبة: ولها ثلاث صور (ضربته، ضربتها، ضربتهم).

- **ضمائر الجرّ:**

[1] إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية م. س، ص84.

- ياء المتكلّم: (كتابي)، (غار مني).

- نا الفاعلين: (كتابنا)، (فات علينا).

- كاف الخطاب: (بيك، بكم)، (كتابك، كتابكم).

- تتّفق اللّهجة مع الفصحى في إسناد الفعل إلى ضمير المفرد والجماعة المتكلّمين، وكلتاهما تستعمل "ياء المتكلّم" مع المفرد بنوعيْه، و"نا" مع الجماعة المتكلّمين بنوعيْهما أيضًا.

كما يتفقان كذلك في ضمير الخطاب "ك" بالنسبة للمفرد المخاطب والمفردة المخاطبة، إلّا أنّه في الفصحى متحرّك، وفي اللّهجة ساكن وهذا دأبها.

- كذلك نجد اللّهجة تتّفق والفصحى في الاحتفاظ بالضّمير المفرد للغائب والغائبة، سواء اتّصلا بفعل أو اسم أو حرف.

- بخلاف الفصحى التي يحتفظ فيها الفعل بصيغته الأولى أثناء إسناده، نجد أنّ أشكال مقاطع الفعل المسند إلى الضّمائر تتنوّع، فهو على شكل مقطعين:

متوسط مغلق + قصير مفتوح (س ح س + س ح) م	قصير مغلق + متوسط مغلق (س+ س ح س)
المفرد المخاطب ضَرْبَكْ المفردة المخاطبة ضَرْبَ(كْ) المفرد الغائب ضَرْبَ(ه)	ضمير المفرد المتكلم ضْرَبْ(نِي) ضمير الجمع المتكلم ضْرَبْ(نا) المثنى المخاطب ضْرَبْ(كم) الجمع المخاطب المفردة الغائبة ضْرَبْ(ها) المثنى الغائب ضْرَبْ(هم)

	الجمع الغائب

10. أسماء الإشارة

هي ما دلّت على معيّن بإشارة حسّية أو معنوية، وتختلف أسماء الإشارة باختلاف المشار إليه في القرب أو البعد، وتختلف باختلاف الجنس والعدد وهي:[1]

بالنّسبة للمذكّر: ذا، ذان، ذَيْن، أُولاءِ

بالنّسبة للمؤنّث: ذِهْ، ،تِهْ ،ذي ،تي، تان، تَيْن، أُولاءِ

بالنّسبة للمكان: هنا، ثَمَّ، ثَمَّةَ.

وتسبق هذه الأَسماء عادة "هاء التّنبيه" فنقول: هذا، هؤلاء، ها هنا.

كما تلحقها كاف الخطاب، وهي حرف تتصرّف تصرّف كاف الضّمير في الإِفراد والتّثنية والجمع والتّذكير والتّأْنيث مثل: "ذاك الجبل هناك"، "تيكم الصحيفة لنا"، "ذا كُنّ ما طلبتُنّ" و"ذاكم ما طلبتم".

وتلحقها اللام للدلالة على البعد مثل: "هنالك عند ذلك الجبل"، "تلك الصحيفة لي".

ويجوز أَن يفصل بين هاء التّنبيه واسم الإِشارة ضميرُ المشار إليه مثل: "ها أَنذا"، "ها أَنتم أُولاءِ"، وكثيرًا ما يفصلان بكاف التّشبيه: "هكذا"، وفيما يلي توضيح لأسماء الإشارة المستعملة في لغة قبائل بني هلال مع ما يقابلها في الفصحى.

1.12 أسماء الإشارة الدّالة على الاسم العاقل وغير العاقل

أ) أسماء تدلّ على القريب

[1] عباس حسن: النحو الوافي م. س، ج1 ص321- 322.

أسماء تدلّ على المذكّر		أسماء تدلّ على المؤنّث	
في اللّهجة	في الفصحى	في اللّهجة	في الفصحى
المفرد		المفرد	
هاذَ– ذَ – هاد – دَ	هذا – ذا	هاذِ – هَادِ – ذِ – دِ	هذه – هاته
المثنى		المثنى	
هَاذُو– هَادُو –ذو –دو	هذان – هذين	هَاذُو– هَادُو–ذو–دو	هاتان – هاتين
الجمع		الجمع	
هَاذُو– هَادُو –ذو – دو	هؤلاء	هَاذُو– هَادُو–ذو–دو	هؤلاء

ب) أسماء تدلّ على البعيد

أسماء تدلّ على المذكّر		أسماء تدلّ على المؤنّث	
في اللّهجة	في الفصحى	في اللّهجة	في الفصحى
المفرد		المفرد	
هذَاك– ذَاك – هداك – دَاك	ذاك – ذلك	هاذيك – هاديك – ذيك – ديك	تلك – ذيك
المثنى		المثنى	
هَاذُوك– هَادُوك –ذوك –دوك	ذلكما	هَاذُوك– هَادُوك – ذوك – –دوك	تلكما
الجمع		الجمع	
هَاذُوك– هَادُوك – ذوك – دوك	أولئك	هَاذُوك– هَادُوك – ذوك – دوك	أولئك

من خلال الجدول نستنتج ما يلي:

– لا تختلف اللّهجة عن الفصحى في توظيف أسماء الإشارة، وفي استخدامها كلّها للعاقل ولغير لعاقل، وإن أصابها بعض التّحريف بإبدال صوت الذّال دالا عند بعض النّاطقين.

– لا تختلف اللّهجة عن الفصحى في استعمالها هاء التّنبيه، وفي حذفها في المواقف التي لا يحتاج فيها المتكلّم إلى تنبيه السّامع.

– لا تختلف اللّهجة عن الفصحى في إلحاق كاف الخطاب بأسماء الإشارة الدّالة على البعد.

– لا تختلف اللّهجة عن الفصحى في استعمالها صيغة واحدة، لاسم الإشارة الدّال على الجمع المذكّر والمؤنّث.

– بخلاف الفصحى، لا تستعمل اللّهجة اللّام الدّالّة على البعد، والعلّة في ذلك ربّما "تعود إلى وجود هاء التّنبيه."[1]

2.9 أسماء الإشارة المختصّة بالمكان

المكان المشار إليه	أسماء الإشارة في الفصحى	أسماء الإشارة في اللّهجة
للقريب	هنا	هْنَا
للقريب	هنا	هْنَايَ
للقريب	من هنا	مَنَّ
للقريب	من هنا	مَنْ
للمتوسط وللبعيد	إلى هناك – هنالك	لْهِيهْ

[1] عبد العزيز مطر: لهجة البدو م. س، ص167.

للقريب والمتوسط وللبعيد	ثمَّ – ثَمَّةَ	ثَمْ – ثْمْ – ثَمَّه – تَمَّه
للقريب والمتوسط وللبعيد	من ثمّ – من ثمّة	مَنْ ثَمْ – مَنْ ثَمَّه

– من خلال الجدول، نلاحظ أنّ اللّهجة تتنوّع في استعمالها لأسماء الإشارة الدّالة على المكان، وهي صيغ ليست غريبة عن الفصحى، وإنّما أصابتها بعض التّحريفات من حذف وإسقاط أو إضافة بعض اللّواحق، مثل قولهم: (مْنَّ) في "من هنا" أسقطوا الهاء وعندما التقى المثلان أدغموهما. أمّا في قولهم: (هْنَايَ) أضافوا الياء المفتوحة "هروبا من الوقوف على المدّ"، أو ربّما هذه الياء هي للنّداء، حُذِفَ المنادى لقربه من المنادي والتّقدير هو "هنا يا فلان."[1]

– كذلك نجد أنّ اللّهجة لا ترتكز في تحديد دلالة المكان، من حيث القرب والبعد والتّوسّط على الصّيغة وحدها، وإنّما يعمل التّنغيم دورا مهمًّا في تحديد ذلك من خلال السّياق.

11. الاسم الموصول

هو اسم معرفة يستعاض به عن تكرار الأسماء الظّاهرة، لا يتمّ معناه إلا بجملة تأتي بعده، وهو صنفان:

الصّنف الأول: صنف تُفْرَد ألفاظه وتُثنى وتجمع وتذكّر وتؤنّث على حسب الحال، وهي: الذي (للمفرد المذكّر)، اللّذان – اللّذَيْن (للمثنى المذكّر)، الذِين (لجمع المذكّر العاقل)، التي (للمفردة المؤنّثة)، اللّتان – اللّتَيْن (للمثنى المؤنّث)، اللّاتي واللّواتي واللّائي (لجمع المؤنّث)، الأُلى (لجمع المذكر، عاقلًا أو غير عاقل).

الصّنف الثاني: أسماء تكون بلفظ واحد للمفرد والمثنى والجمع والمذكّر والمؤنّث، وهي: مَنْ

[1] بلقاسم بلعرج: ينظر الدارجة الجزائرية وصلتها بالفصحى، م. س، ص 228.

(للعاقل)، ما (لغير العاقل)، أَيّ (للعاقل وغيره).[1]

وبخلاف الفصحى، فإنّ لغة بني هلال لا تستعمل إلا ثلاثة أسماء من الأسماء الموصولة وهي:

1. **اللّي**: وهو يقابل "الذي" في الفصحى، نحو قولهم:

(اللّي يِزْرَعْ السَّدْرَة، يِحْصَدْ شُوكْهَا) أي: الذي يزرع السّدر، يجني شوكه.

(اللّي مَا عَنْدَهْ شَاهَدْ، يِتْسَمَّى كَذَّابْ) أي: الذي ليس له شاهدا، يسمّى كاذبا.

(اللّي ثْفَاهْمُوا فْ شْتَا، مَا يِتْخَاصْمُوا فْ الصَّيْفْ). أي: الذين يتفاهمون في الشّتاء، لا يبخاصمون في الصّيف...

فهذا الاسم يعتبر من أكثر الأسماء الموصولة استعمالا في هذه اللّهجة، وهو يعوّض كلّ الأسماء الموصولة في الفصحى، فيأتي دالّا على العاقل وعلى غير العاقل، كما يأتي دالّا على المفرد والمثنى والجمع بأنواعهم، وهو واسع الاستعمال حتّى في اللّهجات العربية المعاصرة الأخرى، ممّا جعل بعض الدّارسين ينسبه إلى لهجات العرب القديمة.[2]

2. **مَا**: تستعمل في اللّهجة تماما مثل الفصحى، إلا أنّها تستعمل للعاقل ولغير العاقل نحو قولهم:

(هادَ مَا كَانْ) أي: هذا الذي كان.

(هَادَ مَا شَفْتْ) أي: هذا الذي رأيته.

(هَادَ مَا عَنْدِي) أي: هذا الذي عندي.

3. **مَنْ**: وهي قليلة الاستعمال جدا، من ذلك قولهم:

(مَنْ خَافْ سْلَمْ).

(مَنْ كَانْ لَكْ عَبْدْ، كُونْ لَه خْدِيمْ).

---

[1] ينظر ابن عقيل: شرح ابن عقيل: ج1 ص137- 138 و142.

[2] ينظر عبد العزيز مطر: لهجة البدو م. س، ص169. وإبراهيم أنيس: في اللهجات العربية م. س، ص241.

وبحديثنا عن الأسماء الموصولة في لغة قبائل بني هلال، نكون قد أتينا على ذكر مجمل الخصائص الصّرفية الخاصّة بمنطوق هذه القبائل، التي بعد استقرائنا لها، وجدنا أنّ الاختلافات القائمة بين هذه اللّهجة واللّغة الفصحى قليلة، سواء من حيث الصّيغ والتّراكيب أو من حيث البنية، ممّا يؤكّد مدى صلتها الوثيقة بها.

الفصل الثالث الباب الثاني

الخصائص النحوية في لغة قبائل بني هلال في الغرب الجزائري

1. مفهوم الجملة عند النّحاة

الجملة هي لبنة الكلام المرسل وغير المرسل، وعنصر الكلام الأساسي، فبالجمل نتكلّم وبالجمل نفكر.[1] فهي وحدة الاتّصال الأولى بين أعضاء الجماعة اللّغوية، لها نظام تحدّده قوانين اللّغة، وأسلوب تفرضه ظروف الكلام التي تتنوّع حسب أغراض التّعبير المتعدّدة.

ومن الثّابت أنّ مفهوم الجملة عند بعض قدامى النّحويين كان ملتبسا بمفهوم الكلام، ولم يكن ثـــمّة فصل بين المفهومين، وكل راح يعرّف الجملة وفق منهجه. وقد نصّ غير واحد منهم على أنّ الكلام هو الجملة، فقد استعمل سيبويه (140هـــ) بديلا عنها لفظ الكلام، وألمح إليها في أبواب كثيرة كالمسند والمسند إليه، والفاعل واستقامة الكلام.[15]

---

[1] الكلام المرسل: هو الكلام الذي يطلق إطلاقا، ولا يقطع أجزاء من غير تقيد بقافية أو غيرها، وهو قسيم السجع. انظر محمد سمير اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص: 217 .

[15] سيبويه: الكتاب، ج 1 ص33.25.23.

وربّما كان أبو زكريا الفرّاء (207هـ) من أوائل من استعمل مصطلح الجملة صراحة في كتابه "معاني القرآن"[1]، ثم جاء بعده المبرّد (210هـ) وحذا حذوه، واستعمل مصطلح الجملة عندما قال: "وإنّما كان الفاعل رفعا؛ لأنّه والفعل جملة يحسن عليها السّكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب."[2] وذهب مذهب سيبويه العديدُ من النّحويين، في أنّ الجملة ترادف الكلام، فكلاهما يفيد معنى يمكن الوقوف عنده، من أمثال ابن جني (392هـ)[3] وعبد القاهر الجرجاني (471هـ)[4] والزّمخشري (538ه) في مفصّله: "والكلام هو المركّب من كلمتين، أسندت إحداهما إلى الأخرى، وهذا لا يتأتّى إلّا في اسمين، أو في فعل واسم، ويسمّى الجملة."[5] وذهب ابن يعيش (643هـ) في شرحه مذهب الزّمخشري في التّوحيد بين مفهومي الكلام والجملة، فقال: "وممّا يسأل عنه هنا، الفرق بين الكلام والقول والكلم، والجواب: أنّ الكلام عبارة عن الجمل المفيدة، وهو جنس لها، فكلّ واحدة من الجمل الفعلية والاسمية نوع له، يصدق إطلاقه عليها، كما أنّ الكلمة جنس للمفردات."[6] ولم يعن ابن مالك (672هـ) في ألفيته إلّا بالكلام، فقال:"كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف الكلم"، وإلى هذا المعنى ذهب شرّاح الألفية.[7]

على أنّنا لا نعدم من المتقدّمين من قال بعدم التّرادف من أمثال ابن الحاجب (570هـ-646هـ)، فهو من الأوائل الذين فرّقوا بين الجملة والكلام، وسلك ابن هشام (761ه) نهجه، فكان من أكثر النّحويين عناية بالتّفريق بين مصطلحي "الكلام والجملة" وفي ذلك يقول: "الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد: ما دلّ على معنى يحسن السّكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله،

---

(1) الفراء: معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرين، القاهرة، ج2 ص195.

(2) المبرد: المقتضب: ج1 ص8.

(3) ابن جني: الخصائص ج1 ص18.

(4) عبد القاهر الجرجاني: الجمل، حققه وقدم له: علي حيدر، دمشق، 1392هـ ـ 1972م، ص40.

(5) ابن يعيش: شرح المفصل، ج1 ص 20.

(6) ابن يعيش: شرح المفصل، ج1 ص 20.

(7) ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. ج1 ص13- 14. و ابن هشام الأنصاري: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج1 ص11.

"كقام زيد"، والمبتدأ وخبره: "كزيد قائم"، وما كان بمنزلة أحدهما، وبهذا يظهر لك أنّهما ليسا بمترادفين كما توهّم كثير من النّاس، وهو ظاهر قول صاحب المفصّل، فإنّه بعد أن فرغ من حدّ الكلام قال: ويسمّى: جملة، والصّواب: أنّها أعمّ منه، إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الشّرط، وجملة الجواب، وجملة الصّلة، وكلّ ذلك ليس مفيدًا، فليس بكلام."[1] فالجملة إذن هي ما يتركّب من كلمتين أو أكثر تفيد أو لم تفد، والكلام هو ما تركّب من كلمتين فأكثر وأفاد السّامع، لذا فكلّ كلام جملة وليس العكس.

ثمّ جاء الدّرس اللّغوي العربي الحديث، وحاول إعطاء الجملة مفهوما علميا دقيقا، وقد عبّر عنها الشّيخ مصطفى الغلاييني فقال: "فحدّ الجملة هو: قول مؤلّف من مسند ومسند إليه."[2] ويضيف تمام حسان: "وكلّ ركن من هذين الركّنين عمدة لا تقوم الجملة إلّا به، وما عدا هذين الركّنين ممّا تشتمل عليه الجملة فضلة، يمكن أن تستغني عنه تركيب الجملة، هذا هو أصل الوضع بالنّسبة إلى الجملة العربية."[3] وإلى هذا يشير إبراهيم أنيس وغيره من الدّارسين: "أنّ الجملة في أقصر صورها هي أقلّ قدر من الكلام، يفيد السّامع معنى مستقلّا بنفسه، سواء تركّب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر."[4] فقد فقد تتكوّن الجملة من كلمة واحدة مثل: "أنا" جوابا عن استفهام أحدهم: "من نظّف المكان؟" وتعني في الأصل: "أنا من نظّف المكان" ومثل هذه الأمثلة كثير في العربية ولهجاتها، ذلك أنّ اللّغة العربية لغة الإيجاز، وأنّ العرب كانوا يتخفّفون ما وجدوا السّبيل، ويحذفون الكلمة إذا فهمت، والجملة إذا ظهر الدّليل عليها، والأداة إذا لم تكن الحاجة ملحّة إليها."[5]

---

[1] ابن هشام: مغني اللبيب: ص490 .

[2] مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، ج3 ص286.

[3] ينظر أبو بكر محمد بن السراج، الأصول في النحو، ص13- 14.

[4] إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص276- 277، وينظر في النحو العربي -نقد وتوجيه-: مهدي المخزومي ص 31، وريمون طحان: الألسنية العربية ، ج2 ص44.

[5] ينظر إبراهيم السامرائي: فقه اللغة المقارن م. س، ص 12.

إنّ المتمعّن في اللّغات البشرية عموما، يرى أنّ الجملة تتكوّن من ناحية البنية من مسند ومسند إليه، وعلاقة تربط بينهما تسمّى إسنادا.[1] ولغة قبائل بني هلال لم تخرج عن هذا العرف المعروف في الفصحى في تركيب ركنيْ الإسناد، وهذا ما سنحاول الكشف عنه.

2. نظام الجملة في لغة بني هلال

1.2 أحوال المسند

قد يتقدّم المسند على المسند إليه في هذه اللّهجة، وقد يتأخّر وهو أمر يخضع للعرف الكلامي، كما يخضع للمواقف وللحالات النّفسية التي قد يمرّ بها المتكلّم، فينعكس ذلك على كلامه، وقد يأتي المسند فعلا أو اسما، أو وصفا أو ما شابه ذلك.

1.1.2 المسند فعل: ويكون إمّا فعلا ماضيا أو مضارعا أو أمرا.

أ) المسند فعل ماض، نحو قولهم:

(فَاتْ[2] الْوَقْتْ) أي: مضى الوقت.

(لْقْرَايَهْ بْدَاتْ) أي: الدّراسة بدأت.

(جَا يْسْعَى وَدَّرْ[3] تْسْعَه) أي: جاء ليسعى فضيّع تسعة، مثل شائع يضرب لمن حاول الاجتهاد لينجح، فضيّع ما كان معه، وهي كناية عن خيبة الأمل وعدم بلوغ المراد، وهو يقابل في الفصحى: ذهب الحمار يطلب قرنين، فعاد مصلوم الأذنين.

ب) المسند فعل مضارع، نحو قولهم:

---

[1] ينظر سيبويه: الكتاب م. س، ج1 ص23- 22، وينظر السيوطي: الهمع: ج2 ص3، وربمون طحان: الألسنية العربية م. س، ج2 ص54.

[2] فات: الفَوْتُ: الفَواتُ، فاتني الأَمرُ فَوْتًا وفَواتًا: ذهَب عني. ينظر ابن منظور مادة (فوت).

[3] وَدَّرَ: تَهَوَّل في الأَمر وتَورَّطَ. الرجلَ تَوْدِيرًا: أَوقعه في مَهْلَكَةٍ، وقيل: هو أَن يُغْرِيَهُ حتى يتكلف ما يقع منه في هَلَكَةٍ. ابن منظور: مادة (ودر).

(جْزَارْ وْيْتْعَشَى بْاللَّفْتْ) أي: جزّار ولكن عشاءه اللّفت، مثل شائع يضرب في ذمّ البخل.

(ادْوَامْ يْثْقُبْ ارْخَامْ) أي: الدّوام يثقب الرّخام.

(اسْبَعْ يْزْهَرْ) أي: السّبع يزأر.

(انْسَا يغزلوا) أي: النّساء يغزلن.

ج) المسند فعل أمر، نحو قولهم:

(جِيبْ الْمَا) أي: اجلب الماء.

(اخْرُجْ مْ دَّارْ) أي: اخرج من الدّار.

(اقْرَا قْرَايْتَكْ) أي: راجع دروسك.

(رْزْقَكْ زْكِّيهْ) أي: زكِّ رزقك، بمعنى: أخرج الزكاة.

(اصْبْرُوا) أي: اصبروا.

يتبيّن من هذه الأمثلة أنّ هناك حرّية في ترتيب أركان الجملة، سواء مع الماضي أو المضارع أو الأمر، تارة يكون (المسند + المسند إليه)، وتارة العكس.

2.1.2 المسند اسم: ويكون إمّا اسما مجرّدا، وإمّا وصفا مشتّقا (اسم فاعل أو اسم مفعول أو صيغة مبالغة وغير ذلك...)، وقد يحذف لدّلالة المذكور عليه.

أ) المسند اسم مجرّد، نحو قولهم:

(هَادِي كَرْمَه[1]) أي: هذه شجرة عنب.

(اعْلِي جَارْنَا) أي: عليّ هو جارنا.

(مُحَمَّد رَسُولْ الله).

(اصْبَحْ الحَالْ بَارَدْ) أي: أصبح الجوّ باردا.

---

[1] والكَرْمُ :شَجَرَةُ الْعِنَبِ، وَاحِدَتُهَا كَرْمَة؛ قَالَ الشّاعر: إِذَا مُتُّ فادْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ ... تُرَوِّي عِظامي، بَعْدَ مَوْتِي، عُرُوقُها. ابن منظور: مادة (كرم).

(بَاتْ اطْفُلْ مْرِيضْ) أي: بات الطّفل مريضا.

ب) المسند اسم فاعل، نحو قولهم:

(ظهره حَانِي، وْفُمَّهْ رَاشِي) أي: ظهره منحنٍ وفمه مهشّم، وهو تعبير يستعمل للدّلالة على الشّيخوخة.

(حْشِيشَه[1] طَالْبَه مْعِيشَه) أي: حشيش طَالِب العيش، وهو مثل يضرب لمن يقنع بالقليل والبسيط.

ج) المسند اسم مفعول، نحو قولهم:

(رْزْقْ رَبِّي مَمْدُودْ) أي: رزق الله ممدود وليس له حدود.

(لَرْضْ مَزْرُوعَه) أي: الأرض مزروعة.

(الْخِيرْ مَوْجُودْ) أي: الخير موجود.

د) المسند صيغة مبالغة، نحو قولهم:

(الخْطَّابْ رْطَّابْ[2]) ومعناه: أنّ الخاطب الذي يخطب الفتاة، يكون دائما ليّنًا مرنًا قصد الوصول إلى تحقيق مبتغاه.

(لْمْرَا اصّحراوية صبَّارَة) أي: المرأة الصّحراوية صبّارة.

ه) المسند محذوف، نحو قولهم:

(يَامَسْ) أي: أمس، جوابا عن السّؤال: (وَقْتَاشْ جيت؟) أي: متى جئت؟ فيجيب: بالأمس.

وقولهم: (هِيَ) أي: هي جلبتها، جوابا عن السّؤال: (شْكُونْ جَابْ الخُضْرَه) من جلب الخضر؟

2.2 أحوال المسند إليه

عندما نتكلّم عن المسند إليه عموما نقصد بذلك إمّا الفاعل للفعل التّام، أو نائبه في الجمل الفعلية، وإمّا المبتدأ أو ما يقوم مقامه كاسم إنّ أو كان في الجملة الاسمية، ويأتي إمّا اسما وإمّا ضميرا وإمّا وصفا مشتّقا أو تركيبا غير إسنادي.

---

[1] حشيش: ما يبس من الكلأ ولا يقال له رَطْبًا حشيش. ابن منظور: مادة (حشش).

[2] رطّاب من الرِّطب: بالفَتْحِ: ضدُّ اليابسِ. ابن منظور: مادة (رطب).

1.2.2 المسند إليه اسم، نحو قولهم:

(الجِيرَانْ طَيْبِينْ) أي: الجيران طيّبون.

(الشّْكْوَة مَمْخُوضَة) أي: الشّكوة مُخِضَتْ.

(الخُبْزْ اكْمَلْ) أي: نفذ الخبز.

2.2.2 المسند إليه ضمير، نحو قولهم:

(كُولْ أُنْتَ) أي: أنت كُلْ.

(أَنَا نْتَمْتَمْ وْأُنْتَ افْهَمْ) أي: أنا أتمتم وأنت اِفهم، وهو مثل يضرب عندما لا يريد أحدهم الإفصاح عمّا يريده، ويكتفي فقط بالتلميح.

(أَنَا نْطْلُبْ وْهِيَ تْصَدَّقْ) أي: أنا أتسوّل وهي تتصدّق.

3.2.2 المسند إليه اسم مشتقّ، نحو قولهم:

(دَخْلَتْ شُوَّافَة عْلِينَا) أي: دخلت علينا دجّالة.

(الْمَكْتُوبْ نَلْحْـــقُوهْ[1]) أي: ما كُتِب لنا سيصيبنا، بمعنى: لا مفرّ من القدر.

4.2.2 المسند والمسند إليه محذوفان

أمّا بالنّسبة للتّركيب غير الإسنادي، وهو الذي لا يشتمل على مسند ومسند إليه[2] فنجده في قولهم: (ذِيكْ اشّْكْوَة مْعَمّْرَه[1] لْبَنْ) أي: تلك الشّكوة مملوءة باللّبن.

---

[1] نلحـــقُـــوه: نلحقه، فخّموا القاف.

[2] لم يهتم علماء العربية بدراسة التراكيب غير الإسنادية، بل اكتفوا بالإشارة إلى أنها اجتماع كلمات غير مؤتلفة، ويعود السبب في ذلك إلى أن علماء العربية استخدموا في دراستهم للعربية منهجًا بنيويًّا وظيفيًّا؛ لأن دراستهم استهدفت اكتشاف القوانين التي تحكم اللغة العربية كنظام، فاستوجب ذلك منهم الانطلاق من الوحدة التي لا تنفصم بين الشكل والمضمون؛ لأن البنية اللغوية لا تستقل عن وظيفة الاتصال التي تؤديها اللغة، عدا الكوفيين وبعض المحدثين الذين يرون أن الجملة المشتملة على فعل، جملة فعلية

(اللّسَانْ مَا فِيه عْظَمْ) وهو مثل شائع عند النّاطقين بهذه اللّهجة، بمعنى: أنّ اللّسان وسيلة للفساد والشرّ، كما هو أيضا وسيلة للخير والصّلاح.

(أَنَا بْالتَّمْرَة لْفُمَّهْ، وْهُوَ بْالْعُودْ[2] لْعَيْنِي) أي: أنا أضع التّمر في فمه، وهو يرشقني بالعود في عيني، وهو مثل يضرب فيمن يقابل الإحسان بالإساءة.

(صْلَاةْ الْقِيَّادْ، غِي لْجَمْعَة وْالْعْيَادْ) بمعنى: أنّ الحكّام لا يصلّون إلّا يوم الجمعة وفي الأعياد، وهو مثل يضرب فيمن ليس منضبطا في الصّلاة.

3. الجملة المثبتة في لغة بني هلال

1.3 نظام الجملة المثبتة

وتنقسم إلى اسمية وفعلية، فالاسمية هي التي صدرها اسم، والفعلية هي التي صدرها فعل. والمراد بصدر الجملة: المسند والمسند إليه، فلا عبرة بما تقدّم عليهما من الحروف.

2.3 الإسناد الفعلي

أ) **الجملة المشتملة على فعل ماض:** يكون ترتيبها في أغلب الحالات (المسند إليه + المسند) نحو قولهم:

(ضَيْفْ جَا) في: جاء ضيف.

(الْمَا غْلَى) في: غلي الماء.

(الْبَـــقْرَة مَاتَتْ) في: ماتت البقرة.

وقد يكون التّرتيب (المسند + المسند إليه) في بعض الحالات، نتيجة مواقف أو ظروف خاصّة نحو قولهم:

ولو تأخر الفعل عن الفاعل، بينما هي اسمية عند البصريين ومن حذا حذوهم. ينظر مهدي مخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه-، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1987م، ص47.

(1) معمّرة: بمعنى معمورة، جاء في اللسان: أَعْمَرْتُ الأَرضَ: وَجَدْتُهَا عَامِرَةً .وثوبٌ عَمِيرٌ أي صَفِيق .وعَمَرْت الخَرابَ أَعْمُره عِمارةً، فَهُوَ عامِرٌ أي مَعْمورٌ. ابن منظور: مادة (عمر).

(2) العودُ: بالضم من الخشب: واحد العيدان والأعوادِ. الذي يضرَبُ به.

(دَابْ اثَّلْجْ) في: ذاب الثّلج.

(بَرْدَتْ الْمَاكْلَة) في: برد الأكل.

(شَرْبَتْ الْحْلِيبْ) في: شربت الحليب.

فالملاحظ من خلال الأمثلة أنّ هناك تبادلا حرّا لركنيْ الجملة، من دون أن يختلّ المعنى، ومثل هذا التّركيب موجود في الفصحى، نحو قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾[1] ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾[2] فهي جمل فعلية؛ لأنّ صدورها في الأصل أفعال.

ب) الجملة المشتملة على فعل مضارع: يأتي ترتيبها غالبا (المسند إليه + المسند) نحو قولهم:

(اْرْجَالْ يْحَصْدُوا) في: الرّجال يحصدون.

(لْغْلَمْ تْسْرَحْ)[3] في: الغنم تسرح.

(فْ الصّيف اْنْهَارْ يْطْوَالْ) في الصّيف يطول النّهار.

(الْخِيرْ يْوْلّي[4] هْرَاوَة[5] وْ يْصَوَّطْ[6] مُولَاهْ[7]) أي: فعل الخير يصبح هِراوة ويضرب صاحبه، هذا المثل يُضرب لمقابلة الإحسان بالإساءة، ومقابلة الخير بالشرّ، ومقابلة المعروف بالمنكر.

---

(1) سورة البقرة: الآية 87.

(2) سورة النحل: الآية 5.

(3) سرح : السَّرْحُ: المالُ السَّائِمُ. اللَّيْثُ :السَّرْحُ المالُ يُسامُ فِي الْمَرْعَى مِنَ الأَنعام .سَرَحَتِ الماشيةُ تَسْرَحُ سَرْحاً وسُرُوحاً : سامتْ يُقَالُ سَرَحْتُ الماشيةَ أَي أَخرجتها بالغَداةِ إِلَى الْمَرْعَى .وسَرَحَ المالُ نَفْسُهُ إِذا رَعَى بالغَداةِ إِلى الضُّحَى. ابن منظور: مادة (سرح).

(4) ولَّى تَوْلِيَةً:: أدبر. كتولّى عن الشيء: أعْرَضَ، أوْ نَأَى. ينظر الفيروزابادي: القاموس المحيط مادة (الوَلْيُ).

(5) الهِرَاوَةُ: العَصا، وقيل: العصا الضَّخمةُ، والجمع هَرَاوى. ينظر ابن منظور: مادة (هرا).

(6) الصّوط: أصلها السِّيوْط، الذي يُضرَب به، والجمع أسواطٌ وسِياطٌ. ينظر الجوهري: الصحاح في اللغة مادة (سوط).

(7) المولى: المالك أو الصاحب. ينظر الفيروزاباذي: القاموس المحيط مادة (الوَلْيُ).

وقد يتقدّم المسند على المسند إليه في بعض الحالات، نحو قولهم:

(يْجِيبْ الْمَا) في: يجلب الماء في سؤال أحدهم: أين ذهب فلان؟

(يْغَطِّي اشّمْس بْالْغُرْبَالْ) في: يخفي الشّمس بالغربال.

(يْرُوحْ لْلْبْحَرْ يْلْقَاهْ نَاشَفْ) أي: يذهب إلى البحر فيجده قد جفّ، مثل يضرب لقليل الحظّ كمن يغيب عن أهله أو بلده طلبا للرّزق، ثم يعود صفر اليدين خالي الوفاض.

(يْتْعَلْمُوا لْحْفَافَة فِي رِيصَانْ لِيتَامَى) أي: يتعلّمون الحلاقة في شَعر اليتامى، وهو مثل يُضرب فيمن يُقْدِم على عمل في ملك غيره، وهو لا يحسنه.[1]

ومثل هذا التّبادل في ركني الإسناد أيضا نجده في اللغة الفصحى نحو قوله تعالى ﴿ ... ﴾.[2]

﴿ ... ﴾ وقوله تعالى ﴿ ... ﴾.[3]

ج) المشتملة على فعل أمر: ويأتي ترتيبها في معظم الأحيان (المسند + المسند إليه)، ويكون المسند إليه غالبا محذوفا نحو قولهم: (اْرْقُـــدْ، تْعَالَ، رُوحْ، كُول، اسْكُتْ، اْقْرَا،...) في: اُرقُد، تعالى، رُحْ، كُلْ، اُسكُتْ، اِقْرَأ،...)

فالتّرتيب بين المسند والمسند إليه في هذه اللّهجة هو نفسه في الفصحى، وهذا النّوع من الجمل يسمّى: "الجمل ذات الطّرف الواحد؛ لأنّ كلّ كلمة منها تعدّ جملة وتعبّر عن حدث لغوي، مكوّنة من صيغة حرّة واحدة."[4]

---

[1] هذا المثل له أصول في كلام العرب من ذلك قولهم: "يتعلمون الحجامة في رؤوس اليتامى" كما ورد ضمن شعرهم نحو قول ابن أبي حجلة:

كأنهم اليتامى حيث شعري ... تعلم في رقابهم الحجامه. ينظر التكريتي: دراسات في المثل العربي المقارن، قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية، 1984م، ص282.

[2] سورة المجادلة: الآية 1.

[3] سورة البقرة: الآية 185.

[4] عوفي عبد الكريم: لهجة بريكة، ص248.

3.3 الإسناد الاسمي: ويقصد به ما كان فيه طرفا الإسناد اسمين التزما بموقعهما، أو تقدّم أحدهما على الآخر، وتعرف الجملة التي لا تشتمل على فعل عند النّحاة بالجملة الاسمية، التي قد يكون المسند إليه فيها اسما والمسند اسما مشتقّا، أو ظرفا، أو جارا ومجرورا، كما يكون المسند مفردا وإمّا جملة أو شبه جملة.

أ) **ما جاء المسند فيه مفردا**: يكون ترتيبها (المسند إليه + المسند) نحو قولهم:

(الْخِيرْ مْوْجُودْ).

(الدُّنْيَا صْعِيبَة) في الدّنيا صعبة.

(اللْسَانْ طْوِيلْ وْ اْذْرَاعْ قْصِيرْ) أي: اللّسان طويل والذّراع قصير، وهو مثل يضرب للإنسان الخامل الذي لا يحسن إنجاز أيّ عمل، ولكنّه يحسن كثرة الكلام.

ب) **ما جاء جملة**: يكون ترتيبها (المسند إليه + المسند) نحو قولهم:

(انْسَا يْغَزْلُوا الصُّوفْ) أي: النّساء يغزلن الصّوف.

(اْرْجَالْ يْدَرْسُوا ف زْرَعْ) أي: الرّجال يدرسون الزّرع.

ج) **ما جاء شبه جملة**: فالمسند إليه في هذه الحال نجده متأرجحًا بين التّقديم والتّأخير، فيكون التّرتيب على النّحو الآتي: (المسند إليه + المسند)، إذا كان المسند إليه معرفة نحو قولهم:(الْـقْرْبَة قْـــــدَامْ باب الْخَيْمَة) أي: القربة قدّام باب الخيمة.

(اسْبُوعْ[1] فْ لِيلَةْ غْدْوَة) أي: وليمة العقيقة في ليلة الغد.

أمّا إذا كان المسند إليه نكرة، فالتّرتيب يكون (مسند + المسند إليه) في أغلب الأحيان، نحو قولهم:

(جَانْنِي امْرَا) أي: جائتني امرأة.

(عَنْدَهْ رْزْق يَاسَرْ[2]) أي: عنده رزق وفير.

---

(1) يسمّون أهل المنطقة يوم العقيقة بالأسبوع، لأنه يكون في اليوم السّابع.

(2) جاء في اللّسان: يَسَّرَتِ الإِبلُ كَثُرَ لَبَنُهَا كَمَا يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْغَنَمِ .واليُسْرُ واليَسارُ والمَيْسَرَةُ والمَيْسُرَةُ، كُلُّهُ: السُّهولة والغِنى؛ قَالَ سِيبَوَيْهِ: لَيْسَتِ المَيْسُرَةُ عَلَى الْفِعْلِ وَلَكِنَّهَا كالمَسْرُبة والمَشْرُبَة فِي أَنهما لَيْسَتَا عَلَى الْفِعْلِ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ ؛

(فْيهَا اْتْمَرْ بْزَّافْ[1]) أي: فيها التّمر بكثرة.

ومثل هذا التّركيب نجده في الفصحى نحو قوله تعالى: ﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾.[3]

ممّا سبق نستنتج أنّ:

- لغة قبائل بني هلال لم تخرج عموما عن العرف المألوف في الفصحى في ترتيب ركنيْ الإسناد.

فالجملة المشتملة على فعل يكون التّرتيب فيها (المسند إليه + المسند) في أغلب الحالات، وقد يكون العكس، فهناك حريّة في ترتيب ركنيْ الإسناد، باستثناء المشتملة على فعل أمر التي يكون التّرتيب فيها (المسند + المسند إليه) في معظم الأحيان.

- هناك حالات قليلة جدًّا يأتي فيها التّرتيب (المسند إليه + المسند) مثل: (انْتَ اخْرَجْ، انت اسْكْتْ...)، كما أنّه غالبا ما يكون المسند إليه ضميرا مستترا، إلّا في حالات معيّنة كالتّوكيد مثلا فإنّهم يظهرونه، نحو قولهم:

(ارْوَاحْ انْتَ) في: تعال أنت.

(اغَسْلِي انْتِ) في: اَغسلي أنتِ.

قال ابْنُ جِنِّي: قِرَاءَةُ مُجَاهِدٍ: فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسُرِهِ: قَالَ: هُوَ مِنْ بَابِ مَعْوُنٍ ومَكْرُمٍ، وَقِيلَ: هُوَ عَلَى حَذْفِ الْهَاءِ .والمَيْسَرَةُ والمَيْسُرَةُ :السَّعَة وَالْغِنَى.

(1) بزّاف: هي انحراف نطقي للفظة بالجزاف، جَزَفَ :الجَزْفُ :الأَخذُ بِالْكَثْرَةِ .وجَزَفَ لَهُ فِي الكيْل: أَكثر. الْجَوْهَرِيُّ :الجَزْفُ أَخْذ الشَّيْءِ مُجازفةً وجِزافاً، فَارِسِيٌّ مُعَرَّب. وَفِي الْحَدِيثِ: ((ابْتاعُوا الطعامَ جِزافاً)) ؛ الجِزافُ والجَزْفُ :المَجْهولُ القَدْر. مَكِيلًا كَانَ أَو مَوْزوناً .والجُزاف والجِزاف والجُزافةُ والجِزافةُ :بَيْعُكَ الشَّيْءَ واشْتِراؤكَه بِلَا وَزْنٍ وَلَا كَيْلٍ وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى المُساهلةِ، وَهُوَ دَخِيلٌ، تَقُولُ: بِعْتُه بالجُزافِ والجُزافةِ وَالْقِيَاسُ جِزافٌ.

(2) سورة الرحمن: الآية 68.

(3) سورة الرحمن: الآية 66.

(اقْرُوا انْتُومَا) في: اِقرؤوا أنتم... ومثل هذا التّركيب نجده في الفصحى نحو قوله تعالى: ﴿ ـ نت ـ يـ ـوتى أ ـوخلاء وك ـة بِّلنِيلّسا فِيكِذِكن ـ رأى﴾[1] وقوله تعالى: ﴿جـ ءك ـ ٱلج ـ ـنـة ـ ﴾.[2]

- يجوز الفصل بين ركنيْ الجملة في هذه اللّهجة كما في الفصحى، في جمل كثيرة سواء كانت فعلية أم اِسمية، نحو قولهم:

(جَا يَامَسْ خَالِي) في: جاء خالي بالأمس.

(لَرْضْ صَبْحَتْ مَرْوِيَة) في: أصبحت الأرض مرتوية.

(بَالَاكْ[3] صَبّْ الْبَارَحْ اثّْلْجْ) في: ربّما سقط البارحة الثّلج.

- في الجملة غير المشتملة على فعل، التّرتيب غالبا يكون (المسند إليه + المسند) إذا كان المسند مفردا، أمّا إذا كان غير ذلك، فالأمر متأرجح بين التّقديم والتّأخير، ويخضع لتعريف المسند إليه وتنكيره، وهذا الأسلوب موجود في الفصحى.

4. أسلوب الاستفهام

1.4 عناصر الجملة الاستفهامية

يعدّ أسلوب الاستفهام أحد أساليب الإنشاء الطّلبي في الجملة العربية، سواء كان لهدف محدّد ومباشر، أم كان لتصوّر إيحائي جمالي غير مباشر عند المتكلّم، أي أنّ المتكلّم لا يبحث فيه عن إجابة محدّدة؛ وإنّما يهدف إلى تصوّر ما يتحدّث عنه فيخرجه عن حقيقته إلى مقاصد شتّى؛ ويكون بواسطة أدوات سمّيت بأدوات الاستفهام، تستعمل في أقسامه.

ولا مراء في أنّ أسلوب الاستفهام أسلوب لغوي -قبل كلّ شيء- أساسه طلب الفهم؛ والفَهْم صورة ذهنية تتعلّق بشخص ما أو شيء ما، أو بنسبة أو بحكم من الأحكام على جهة اليقين أو الظنّ. ويتمّ عن طريق إحدى أدواته الخاصة وهي: "الهمزة، هل، مَن، مْن ذا، ما وماذا، متى وأيّان، كيفَ، أنّى، كَمْ،

---

(1) سورة طه: الآية 42.

(2) سورة البقرة: الآية 35.

(3) (بَالَاكْ) لفظة تركية تعني "ربّما".

أيُّ"، وتختلفُ هذه الأدوات باختلافِ الأمور المُسْتَفسَرِ عنها. كما يتمّ عن طريق التّنغيم الذي يؤدّي دورا أساسيا في ذلك؛ لأنّ الاستفهام يُفهم من التّراكيب وما يصاحبها من قرائن معنوية وأدائية، لا من الأداة وحدها.

الجملة الاستفهامية في لغة بني هلال لا تختلف عن سليلتها في الفصحى، فهي تتكوّن من العناصر الآتية: "المستفهم منه، أداة الاستفهام، المستفهِم، والمستفهَم عنه". من خلال استقرائنا للمادّة اللّغوية في هذه اللّهجة، استنتجنا أنّها تستعمل نوعين من الاستفهام: الاستفهام بالأداة، والاستفهام بلا أداة وهو ما يطلق عليه "استفهام النّغمة"، إذ نغمة الكلام هي التي تحدّد ما إذا كانت الجملة تقريرية أو اِستفهامية[1]، لاسيما وأنّ دلالة التّنغيم تظهر في الجمل المنطوقة أكثر، فـــ: **"كم"** تكون استفهامية وتكون خبرية، والذي يحدّد ذلك هو النّغمات الصّوتية التي يتمّ بها الأداء، وقد أكّد تمام حسّان هذا بقوله عندما تحدّث عن الوظيفة النّحوية للتّنغيم، بأنّها تقوم على "تحديد الإثبات والنّفي في جملة لم تُستعمل فيها أداة الاستفهام، فتقول لمن يكلّمك ولا تراه: "أنتَ محمدٌ"، مقرّرًا ذلك ومستفهمًا عنه، وتختلف طريقة رفع الصّوت وخفضه في الإثبات عنها في الاستفهام[2]، إلى غير ذلك ممّا للتّنغيم من دور كبير في تغيير المعنى، وهو ما سنكتشفه في لغة قبائل بني هلال.

2.4 أنواع الاستفهام

1.2.4 الاستفهام بالأداة: تستعمل هذه اللّهجة أدوات كثيرة للاستفهام، منها البسيطة ومنها المركّبة (المنحوتة)، ومنها ما يستعمل بعدّة صيغ، لكن الشّيء المستفهم عنه واحد، وهذه الأدوات هي:(وِينْ، مْنِينْ، عْلَاهْ، عْلَاشْ، وَعْلَاهْ، كِفَاهْ، كِفَاشْ، فَاشْ، فَايْنْ، وَاشْ، بَاشْ، بَاهْ، شْحَالْ، وَقْتَاهْ، وَقْتَاشْ، اشْكُونْ، نَاهُو، نَاهِي) ويمكن تصنيفها على النّحو الآتي:

أ) الاستفهام عن العاقل: ويكون بالأدوات (مَنْ، اشْكُونْ، نَاهُو، نَاهِي)

– تعتبر **"مَنْ"** من الألفاظ الفصيحة التي حافظت عليها اللّهجة صيغةً ومعنًى، ولا فرق في هذه اللّهجة بينها وبين الأداة (**شْكُونْ**)، إذ يمكن أن تحلّ إحداهما محلّ الأخرى مع بقاء المعنى سليمًا، وتأتي في

---

[1] أحمد مختار عمر: دراسة الصّوت اللغوي م. س، ص318.

[2] إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية م. س، ص164.

أغلب الأحيان مع الفعل والضّمير، ويدخل عليهما بعض حروف الجرّ كـــ: "الباء، اللّام، على، عن، من"، ومع الظّروف المكانية كـــ: "عند، تحت، فوق"، وتأتي أولًا ووسطًا وأخيرًا نحو قولهم:

(مَنْ أعْطَاكْ الحَقّْ تْدِّيهْ؟) أي: من أعطاك الحقّ في أخذه؟

(مَنْ عَنْدْ مَنْ جَبْتْهُمْ؟) أي: مِن عند مَن جلبتهم؟

(لَمَنْ اشْرِيتْهُمْ؟) أي: لمن اشتريتهم؟

(عَنْدْ مَنْ رُحْتُوا؟) أي: ذهبتم عند من؟

– (**نَاهُو**) (**نَاهِي**) وتقابلان في الفصحى "من هو" و"من هي"، أسقطت الميم وانتقلت حركتها إلى النّون ومدّت، ولا ترد الأداتان إلّا في أوّل الكلام، وتأتيان مفردتان وإن كان يغلب مجيئهما مع اسم الإشارة "ذا"، نحو قولهم:

(نَاهُوْ دَ اللّي رَاكُمْ تْمَعْنُوا عْلِيهْ؟) أي: من هو ذا الذي تَعْنُونه؟

(نَاهِي دِ اللّي جات؟) أي: من هي ذي التي جاءتْ؟

– أمّا (**شْكُونْ**) التي تعني "أي شيء يكون؟"، وهي من أكثر الأدوات استعمالا في هذه اللّهجة بل وفي جميع اللّهجات الجزائرية، والتي يقابلها في العربية اسم الاستفهام "مَنْ"، ومن أمثلة ذلك قولهم:

(شْكُونْ الْلّي جَابَهْ؟) أي: من الذي جلبه؟

(شْكُونْ الْلّي جَا عَنْدَكْ؟) أي: من الذي جاء عندك؟

(أنْتَ شْكُونْ؟) من أنت؟

وتأتي مفردة في بعض المواقف نحو قول أحدهم:

(اشْكُونْ؟) مستفهما عن الذي يدقُّ الباب، وتقديرها: (شْكُونْ يْطَبْطَبْ؟) أي: من يدقُّ؟

ب) الاستفهام عن معرفة الشّيء: ويكون بالأداة (**وَاشْ**) المنحوتة من "أيِّ شيء" وتؤدّي معنيين اثنين:

– فقد تأتي بمعنى اسم الاستفهام "ماذا"، نحو قولهم: (وَاشْ بِيكْ؟) أي: ماذا بك؟

– كما قد تأتي بمعنى اسم الاستفهام "ما" لغير العاقل، نحو قولهم: (وَاشْ رَايْكْ؟) أي: ما هو رأيك؟

ج) الاستفهام عن العدد والزّمن وعن الكميّة: تستعمل الأداتان (**قْــدّاهْ**)، (**قْــدّاشْ**)، لهما عدّة أغراض تحدّد دلالتهم بالسّياق، وتعنيان في الفصحى "كم"، والرّاجح أنّهما منحوتتان من التّركيب الاستفهامي، "قدر أيّ شيء" وتأتيان مع الاسم، الفعل، الضّمير، الاسم المشتقّ وشبه الجملة، كما تأتيان في أوّل الكلام وفي وسطه وآخره، من ذلك قولهم:

(أَرْضَكْ قْــدَّاشْ؟) أي كم تقدير مساحة أرضك؟

(قْــدّاهْ نَشْرُوا سْمِيدْ؟) أي: كم مقدار السّميذ التي نشتريها؟

ويشيع استعمال الأداتين في اللّهجات الجزائرية عموما، بل وفي اللّهجات العربية الحديثة كذلك، وقد لا تأتيان للاستفهام وإنّما للدّلالة على الكثرة وعلى التّعجب والحسرة، ويعمل التّنغيم على تحديد الغرض المقصود، وهذا يقابل في الفصحى "كم الخبرية"، نحو قول أحدهم:

(قْــدّاشْ مَنْ سْنَه مَا تْلَاقِينَاشْ) أي: كم مدّة من الزّمن مضت، و لم نلتقِ.

(قْــدّاهْ عْيِيتْ عْلَى خَاطْرَكْ) أي: كم تعبت لأجلك.

(قْــدَاشْ كْبَرْتْ) أي: كم كبرت!

د) الاستفهام عن المكان: تستعمل اللّهجة الأدوات (**وِينْ**)– (**مْنِينْ**).

– الأداة (**وِينْ**): تقابل "أيْنَ" في الفصحى، فالهمزة في اللّهجة قُلبت واوا، ومُدّت حركتها تناسبًا مع صوت الياء، ممّا أدّى إلى تغيّر مقاطع الكلمة، فأصبحت في اللّهجة مكوّنة من مقطعين:

(ساكن + حركة طويلة + ساكن) بينما هي في الفصحى مكوّنة من مقطعين على شكل: (ساكن + حركة + ساكن + ساكن + حركة) وتأتي هذه الأداة في اللّهجة مع الاسم والضّمير والاسم المشتقّ وشبه الجملة، كما تأتي:

في أوّل الكلام، نحو قولهم: (وِينْ كُنْتْ؟) في: أين كنت؟

في وسط الكلام، نحو قولهم: (أَنْتَ وِينْ تَسْكَنْ؟) في: أنت أين تسكن؟

في آخر الكلام، نحو قولهم: (تْلَقِيتَهْ وِين؟) في: اِلتقيته أين؟

- الأداة (**مْنِينْ**): وتقابل "من أين" في الفصحى، انتقلت حركة الميم إلى النّون تناسبا مع الياء، وانتقل سكون النّون إلى الميم للبدء بالمقطع القصير المغلق، وتأتي هذه الأداة كذلك في أوّل الكلام وفي وسطه وفي آخره، ويغلب مجيئها مع الفعلين الماضي والمضارع، نحو قولهم:

(مْنِينْ شْرِيتُوا الْعَلْفْ؟) في: من أين اشتريتم العلف؟

(مْنِينْ غَادِي يْجُوا؟) في: من أين سوف يجيئون؟

كما تتنحى أحيانا عن دلالتها الاستفهامية وتأتي في مقام أدوات الشّرط، بمعنى: (لّما- عندما) نحو قولهم:

(مْنِينْ تْجِي عَنْدْنَا نْخَبْرَكْ) في: عندما تجيء عندنا، أخبرك.

ه) **الاستفهام عن السّبب**: تستعمل هذه اللّهجة الأداتين (**عْلَاشْ**)- (**عْلَاهْ**) وتعنيان في الفصحى "على أيّ شيء" و"علام" وتقابلان "لِمَا" و"لماذا". وقد تأتي الواحدة محلّ أختها دون أن يتغيّر المعنى المراد الاستفهام عنه، وترد الأداتان في أوّل الكلام وفي وسطه وفي آخره بتقدير المحذوف، ويكثر مجيئهما مع الفعل والاسم، ومن أمثلة ذلك قولهم:

(عْلَاهْ مْشِيتْ؟) أو (عْلَاشْ مْشِيتْ؟) في: لماذا ذهبت؟

(هَادْ المُنكَرْ عْلَاهْ؟) أو (عْلَاشْ هَادْ الْمُنْكَرْ؟) في: لِمَ هذا المنكر؟

و) **الاستفهام عن الوسيلة**: ويكون بالأداتين (**بَاشْ**)- (**بَاهْ**) لهما معنى واحد، ويقابلهما في الفصحى "بأي شيء؟" أو "بماذا؟" ويأتيان في أوّل الكلام ووسطه، ويكثر مجيئهما مع الفعل ويقلّ مع غيره، نحو قولهم:

(بَاشْ رَاكْ تَكْتَبْ؟) أو (بَاهْ رَاكْ تَكْتَبْ؟) في: بماذا تكتب؟

(الْقَمْحْ بَاشْ نْصَفُوهْ؟) أو (الْقَمْحْ بَاهْ نْصَفُوهْ؟) في: بأيِّ وسيلة يُصفَّى القمح؟

وقد ترد الأداتان منفردتان نيابةً عن جملة محذوفة، وردًّا عن استفسار أو طلب، نحو قولهم:

(بَاهْ؟) أو (بَاشْ؟) جوابا عن استفهام أحدهم: (عْلَاشْ مَا شْرِيتْشْ لَحْوَايَجْ الْلِّي خَاصَّتَكْ؟) أي: لماذا لم تشتر الحاجات التي تلزمك؟ فيردّ السّامع: بأيِّ شيء سأشتري؟ أو بماذا سأشتري؟

كما قد ترد الأداتان أحيانا للتّعليل بمعنى "كي" في الفصحى، نحو قولهم:

(ارْقُــدْ بَكْرِي بَاشْ تْنُوضْ بَكْرِي) في: نم باكرا كيْ تنهض باكرا.

ز) **الاستفهام عن الوسيلة وعن الشّيء والمكان:** يستعملون الأداتين (**فَاشْ**)– (**فَاهْ**) وتعنيان في الفصحى عموما "في أيّ شيء؟" وقد تأتيان بمعنى "بأيّ شيء؟"، وتحلّ الواحدة مكان الأخرى دون أن يفقد المعنى الاستفهامي غرضه الأصلي، ويطّرد مجيئها مع الفعل، نحو قولهم:

(انْتَ فَاهْ جِيتْ، رَاكَبْ ولَا تَتْمَشَى؟) أو (انْتَ فَاشْ جِيتْ، رَاكَبْ ولَا تَتْمَشَى؟)

أي: بأيّ وسيلة جئت راكبًا أو ماشيًا؟

(فَاهْ تَخْدَمْ؟) أو (فَاشْ تَخْدَمْ؟) أي: أيّ نوع من العمل تشتغل فيه؟ أو ما هي وظيفتك؟

(قُــولْ لِي فَاهْ أو فاش دْسِّيتِ ادْرَاهَمْ؟) أو (قُــولْ لِي فَاشْ دْسِّيتِ ادْرَاهَمْ؟) أي: أخبريني أين خبّأتِ الدّراهم؟

ح) **الاستفهام عن الكمية أو العدد أو الثّمن أو الزّمن:** يستعملون الأداة (**شْحَالْ**) ويظهر أنّ الأداة مركّبة من أداة الاستفهام (وَاشْ) + اللّاحقة (حَالْ) وبمرور الزّمن وكثرة الاستعمال صارت كلمة واحدة. وهي تأتي بمعنى "كم" و"بكم" في الفصحى، نجدها تتصدّر الكلام وتتوسّطه، كما تأتي في آخره، ومن أمثلة ورودها في كلامهم نذكر قولهم:

(شْحَالْ فِي عُمْرَكْ؟) أي: كم عمرك؟

(شْحَالْ مَنْ بْلَادْ زُرْتْهَا فِي حْيَاتَكْ؟) أي: كم عدد البلدان التي زرتها في حياتك؟

(شْحَالْ يْخُصَّكْ وَقْتْ بَاهْ تْكَمَّلْ خْدَمْتَكْ؟) أي: كم من الوقت يلزمك حتى تنهي عملك؟

(الْخُضْرَه شْحَالْ رَاهَا ف اصُّوقْ؟) أي: ما ثمن الخضر في السّوق؟

(هَادْ الْكَتَّانْ بشْحَالْ؟) أي: هذا القماش سعره بكم؟

(شْحَالْ رَاهَ السَّاعَه؟) كم السّاعة الآن؟

قد لا تأتي هذه الأداة للاستفهام، وإنّما للدّلالة على الكثرة فتصبح بمعنى "كم الخبرية" في الفصحى نحو قول أحدهم للآخر:

(هَادِ **شْحَالْ** مَا شَفْتْ[1] صاحبي) بنبر المقطع الثّاني، بمعنى: هذه مدّة طويلة لم أرى فيها صاحبي.

(**شْحَالْ** مَنْ مَرَّة وَصِّيتَكْ) أي: كم من مرّة أوصيتك، والتّنغيم هو من يقوم بتحديد نوع هذا الخبر، إن كان يدلّ على التّوبيخ أو التعجّب، أو الحسرة... حسب ظروف قائلها وما يحمله من شحنات نفسية.

ط) الاستفهام عن الزّمن: ويكون بالأدوات (**وَقْتَاهْ – وَقْتَاشْ – قِيسَاشْ**) ويبدو أنّ هذه الألفاظ منحوتة من التّركيب الاستفهامي "في أي وقت هو؟" و"في أي وقت هو الشّيء؟" و"قيس الشّيء؟"[2] وهي تقابل اسم الاستفهام "متى" في الفصحى، وقد تحلّ إحداهم مكان الأخرى دون أن يتغيّر المعنى، وترد في أوّل الكلام ووسطه وآخره، نحو قولهم:

(وَقْتَاشْ نْقَلْعُوا؟) أو (قِيسَاشْ نْقَلْعُوا؟) أي: متى نُقلع؟

(وَقْتَاهْ تْجُوا تْزُورُونَا؟) أي: متى تجيئون لزيارتنا؟

(الْحَرْثْ قِيسَاشْ تَبْدُوهْ؟) أي: متى تبدؤون الحرث؟

(غَدْوَة سُوقْـــنَا وَقْتَاهْ؟) أي: متى نتسوّق؟

ي) الاستفهام عن الكيفية والحال: ويكون بالأداتين (**كِيفَاهْ**)– (**كِفَاشْ**) وهما تقابلان اسم الاستفهام "كيف" في الفصحى ويؤدّيان ما يؤدّيه، ولا شكّ أن اللّفظتين منحوتتين من التّركيب الاستفهامي "كيف هو؟" و"كيف الشّيء؟" وتتصدّران الكلام كما، قد تأتيان في وسطه وآخره، كما تحلّ إحداهما محلّ الأخرى دون أن يتغيّر المعنى نحو قولهم:

(كِيفَاهْ وْصَلْتْ هْنَا؟) أي: كيف وصلت إلى هنا؟

(كِفَاشْ خْدَمْتْهَا؟) أي: كيف صنعتها؟

(كِيفَاهْ فَاتْ عْلِيكُمْ رَمْضَانْ؟) أي: كيف قضيتم شهر رمضان؟

---

(1) شفت أصلها من شوف :شافَ الشيءَ شَوْفاً: جَلَاهُ. والشَّوْفُ: الجَلْوُ. والمَشُوفُ: المَجْلُوُّ. ابن منظور: مادة (شوف).

(2) قِسْتُ الشَّيْءَ بالشَّيْءِ أقِيْسُه قَيْسًا وقِياسًا: أي قَدَّرْتُه على مثاله. ويقال: بينهما قِيسُ رمحٍ وقاسُ رمحٍ، أي قدرُ رمحٍ. وقِسْتُ الشيء بغيره وعلى غيره، أقيسُهُ قَيْسًا وقِياسًا فانْقاسَ، إذا قدَّرتَه على مثاله ينظر اللسان مادة (قيس).

وقد يختصرون الأداة –أحيانا– فينطقون المقطع الأوّل منها فقط، نحو قولهم:

(كِ سْمُّوهُمْ؟) أي: كيف يسمّونهم؟

(كِرَاكْ؟) أي: كيف أراك؟ بمعنى: كيف أنت؟

(كِ دَرْتْ[1] مْعَ اشِيخْ) أي: كيف تصرّفت مع الشيخ؟

وتستعمل أحيانا بمعنى "كذلك" و"مثل" و"كاف التشبيه" نحو قولهم:

(أنْتِ تَكْتْبِي كِ اخْتِي) أي: خطّك مثل خط أختي.

(هَادُوكْ النَّاسْ أَصَّلْهُمْ كِيفْكُمْ) أي: أصل أولئك الناس مثل أصلكم.

وأحيانا تستعمل بمعنى أداتي الشرط "لما" أو "عندما" نحو قولهم:

(كِ تُوصَلْ لْدَّارْ خَبَّرْنِي) أي: عندما تصل البيت أخبرني.

(كِ دْخَلَتْ هِيَ خَرْجَتْ) أي: لما دخلتُ أنا، هي خرجت.

وفي هذه الحالات التي تخرج فيها عن الاستفهام، يكون بعدها فعل مضارع أو ماض.

ي) الاستفهام عن وجود الشّيء: ويكون بالأداتين (**كَايَنْ**)– (**كَانْشْ**) وتعني "أكائن؟" أو "هل الشّيء كائن؟"، ويقابلهما في الفصحى "هل" و"الهمزة" هذه الأخيرة التي يتجنّبون نطقها فيحذفونها، نحو قولهم:

(كَايَنْ طْرِيـــقْ نْفُوتْ[2] مَنْهَا؟) أي: هل هناك طريق طريق أمضي عبرها؟

(كَانْشْ نَّوْ صَبَّتْ عَنْدكُمْ؟) أي: هل سقط المطر عندكم؟

– يكثر مجيئهما مع "مَنْ" إذا كانتا للعاقل، نحو قولهم:

(كَانْشْ مَنْ الْلِّي جَا عَنْدْنَا؟) أي: هل هناك مَنْ جاء عندنا؟

– أمّا إذا كانتا لغير العاقل، فيكثر مجيئها مع "ما"، نحو قولهم:

---

[1] ترد هذه اللفظة في اللهجة بمعنى: إدارة الشّيء، دَوَرَ :دَارَ الشيءُ يَدُورُ دَوْراً ودَوَرَاناً ودُؤُوراً واسْتَدَارَ وأَدَرْتُه أَنا ودَوَّرْتُه وأَدَارَه غَيْرُهُ ودَوَّرَ بِهِ ودُرْتُ بِهِ وأَدَرْت اسْتَدَرْتُ، ودَاوَرَهُ مُدَاوَرَةً ودِوَاراً: دَارَ مَعَهُ. ابن منظور: مادة (دور).

[2] نفوت وأصلها الفعل فات: بمعنى مضى.

(كَانْشْ مَا لْقِيتْ خَدْمَة؟) أي: هل وجدت عملا؟

2.2.4 الاستفهام بالتّنغيم

من المعروف أنّ للكلام أغراضًا متعدّدة يتعدّد في ضوئها طرق الأداء للجمل والعبارات، وهنا نشير إلى النبر (Accent) والتّنغيم (Intonation)، وما لهما من دور كبير في الوقوف على المعاني، إذ هما من الحديث بمثابة علامات التّرقيم من الكلام المكتوب، عونا للمستمع في فهم المراد، كما أنّ علامات التّرقيم تُعتبر عونا للقارئ في الوقوف على المعنى المراد، فالأداء الصّوتي للاستفهام، يختلف عن الأداء الصّوتي للتّعبير عن التّعجب، وهما للتّعبير عن الأداء الصّوتي غير التّعبير عن النّداء، وكذا الأمر بالنّسبة لبقية أغراض الكلام من دعاء وثناء ونقل أخبار، وغير ذلك.

وما يمكن أن نطلق عليه: التّنغيم (Intonation) أو موسيقى الكلام، هو ما يمكن أن يقال عنه "الإطار الصّوتي الذي تقال به الجملة في السّياق"[1]، بحيث يعتمده المتحدّث في حديثه مع الآخرين، وهو معروف لدى جميع اللّغات، إذ يحتاج إليه كلّ إنسان يتحدّث مع الآخرين، ولولاه لما استطاع المرء الوقوف على مراد المتكلّم، هذا النّبر هو الذي يترجم لنا المواقف الانفعالية التي تنطوي عليها نفسه، فقد قيل في تعريفه: "ارتفاع الصّوت وانخفاضه مراعاة للظّروف المؤدّى فيها."[2] وبهذا يمكن إدراك الدّور الذي يؤدّيه هذا الأداء الصّوتي، إذ لكلّ مقام مقال، وعليه يمكننا أن نفهم الوظيفة الدّلالية لهذا الأداء وهي: التّفريق بين المعاني أولًا، ثم إبراز المعاني النّفسية ثانيًا، إذ الكلمة تنطق بقالب نغمي معيّن فيكون لها معنى، وإذا ما تمّ نطقها بقالب نغمي آخر كان لها معنىً آخر، وهذا هو النّظام الشّائع في اللّغات النّغمية.

كما نجد علماء اللّغة قد أشاروا إلى أهميّة هذا التّنغيم مبينين دوره في الكلام، إذ يمكن به أن يستغنى عن الصّفة، وأحيانًا عن أدوات التّعجب وأدوات الاستفهام، فيكون الاعتماد أولًا وآخرًا على طريقة الكلام، كما أشار علماء اللّغة إلى أهميّة التّنغيم ودوره الإيقاعي، حيث قالوا بتنوّع وتعدد معاني الجمل ما بين إثبات ونفي، وتأكيد، وتعجب، واستفهام...[3] تتنوّع وتتعدّد القوالب التّنغيمية والأدائية، إذ لكلّ جملة من هذه الجمل، قالب تنغيمي ونمط أدائي خاصّ لا تشاركها جملة أخرى فيه، يقول ريمون

---

[1] عبد العزيز مطر: لهجة البدو م. س، ص211.

[2] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها م. س، ص226.

[3] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها م. س، ص226.

طحان: "تقوم الجملة بوظيفة دلالية محضة وتمدّ المخاطب بخبر أو بإعلام، وتقوم بالإضافة إلى وظيفتها السّابقة بحمل شحنة نفسية أو عاطفية انفعالية تسمّيها أسلوب الجملة، تظهر الوظيفة الانفعالية حتّى في الكلمات المنفردة، وفق ظروف من يلفظها على التّعجب والنّفي والاستفهام والإنكار والتّبكيت والتّحضيض والتّمني."[1]

فيمكن إذن أن نحدّد مفهوم الاستفهام بالنّغمة في اللّهجة المدروسة، أنّه هو الذي يستنتج من نغمة الكلام، وهو شبيه باستفهام الأداة، ويمكن تقسيمه –مثل الفصحى– إلى قسمين: الاستفهام الحقيقي والاستفهام المجازي.

أ) **الاستفهام الحقيقيّ**: هو سؤال يراد به جواب ويُقسّم إلى:

– **الاستفهام التّصديقي**: هو إثبات النّسبة بين شيئين أو نفيهما، ويجاب عنه ب (لا) أو نعم أو ما يقوم مقامها في اللّهجة مثل (نْعَام – هِيه) وأدواته: (أ) و(هل) المحذوفتان، نحو قولهم:

(هَاذْ الْكْلَامْ صَّحْ؟)أي: هل الكلام صحيح؟

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى بعض الملاحظات:

– يُجاب بـــ (نعم) إذا كانت الجملة مثبتة لتبقى جملة الجواب مثبتة، وإذا كانت منفية تبقى منفية، مثل:

(تْبْغِي لْقْرَايَة؟) الجواب: (نْعَامْ نْبْغِيهَا) أي: هل تحبُّ الدّراسة؟ نعم أحبّها (صدّق إثبات الجملة).

(مَا كْتَبْتَشْ اسُّورَة؟) (نْعَامْ مَا كْتَبْتْهَاشْ) أي: ألم تكتب السّورة؟ نعم لم أكتب السّورة (صدّق نفي الجملة).

– يُجاب بـــ (لا) لنفي الجملة المثبتة مثل: (قْرِيت لْمَكْتُوبْ؟) يجاب بـــ (لا مَا قْرِيتَهْشْ) أي:

هل قرأت الرّسالة؟ لا لم أقرأها (نفي الجملة المثبتة).

– في الاستفهام المقرون بالنّفي، هناك نوعان من الإجابة؛ وذلك لانعدام صيغة الإيجاب "بلى" في هذه اللّهجة، نحو قولهم: (مَا أَمَّنْتْنِيشْ؟) أي: أو لم تصدّقني؟

---

[1] ريمون طحان: الألسنية العربية م. س، ج2 ص84– 85.

- إذا كان المقصود هو الإثبات: يُجاب بـــ (لا) مع ذكر الفعل بعدها -وجوبا- مجرّدًا من أداة النّفي واللّاحقة (ش) لإثبات الجملة المنفية، فالجواب يكون: (الَّا، أَمَّنْتَكْ).
- إذا كان المقصود هو النّفي: يجاب بـــ (نعم) أو ما يقوم مقامها في اللّهجة مثل (نْعَامْ – هِيهْ)، وقد يجوز ذكر الفعل بعد الجواب، فالجواب يكون بإحدى الصّيغتين: (هْيهْ مَا أَمَّنْتَكْشْ) أو (هِيهْ).
- إذا كان المقصود النّفي بـــ "لا"، فالجواب يكون بذكرها مع الفعل غير مجرّد من أداة النّفي واللّاحقة (ش)، أي بهذه الصّيغة: (الَّا مَا أَمَّنْتَكْشْ)، وقد يُكتفى بها تعويضا عن الجملة المحذوفة، فيكون الجواب بـــ (الَّا) اختصارا.

– **الاستفهام التّصويري**: هو الذي يُطلب به تعيين أحد الشّيئين، وفي هذه الحالة يأتي أحد هذين الشّيئين بعد همزة الاستفهام -المحذوفة- مباشرة، ثم يأتي بعده لفظة (وْلَّا) التي تقابل حرف العطف (أمْ) في الفصحى، وتسمّى "أم المعادلة"؛ لأنّ ما بعدها يعادل ما قبلها في ذهن السّائل، نحو قولهم:

(رَاكْ تَقْرَا وَلَّا تَلْعَبْ؟) أي: أ تراك تقرأ أم تلعب؟

والجواب يكون بالإثبات بـــ (نْعَامْ أو هِيهْ) أو يكون الجواب بالنّفي (الَّا) مع ذكر اللّفظة المستفهم عنها بعد الجواب في كلتا الإجابتين. وقد يحلّ أحد الجوابين محلّ الآخر حسب ما يعنيه المجيب، فالجواب في المثال الأوّل يكون إمّا: (هِيهْ نَقْرَا) أو (هِيهْ نَلْعَبْ) أو (لَا نَقْرَا) أو (لَا نَلْعَبْ).

ب) الاستفهام المجازي: هو خروج الاستفهام عن معناه الحقيقيّ إلى معنى مجازي، ليفيد النّفي أو التعجّب أو الإنكار أو التّوبيخ،... وما إلى ذلك، ومن نماذجه في اللّهجة المدروسة نذكر:[1]

– **الاستفهام الذي يفيد معنى النّفي**: إذا حلّت أداة النّفي محلّ أداة الاستفهام وصحّ المعنى، نحو قولهم: (وَاشْ مَنْ فَايْدَه إِذَا كُنْتْ نَبْنِي وْهِيَ اتْهَدَّم؟) أي: ما الفائدة إذا كنتُ أبني وهي تَهدمُ؟ وتقديره: لا فائدة.

---

[1] للاستفهام معاني كثيرة، وقد أطال ابن فارس في استقصائها حتى أوصلها إلى (15) معنى. ينظر ابن فارس: الصاحبي م. س، ص289 و292- 295.

(أَنَا نَشْكِي عْلِيه؟) أي: أنا أشتكي أعليه؟ وتقديره: أنا لا أشتكي.

(عْلَاهْ اشَّجْرَه بْلَا عْرُوقْ؟) أي: هل الشّجرة بلا عروق؟ وتقديره: لا يوجد شجرة بلا عروق.

– **الاستفهام الذي يفيد معنى الإنكار**: إذا كان الاستفهام عن شيء لا يصحّ، نحو قولهم: (أَنْتَ تَاكُلْ وْتَلْعَبْ؟) أي: أنت تأكل وتلعب ؟

– **الاستفهام الذي يفيد معنى التّمني**: إذا قدّرت مكان أداة الاستفهام أداة التّمني (ليت) واستفهام المعنى، نحو قولهم:

(كَايَنْ الْلِّي يَقْدَرْ يْجِيب ادْوَا؟) أي: هل ممّن يقدر على جلب الدّواء؟ وتقديره: ليت هناك من بإمكانه جلب الدّواء.

– **الاستفهام الذي يفيد التّشويق والإغراء**: إذا كان الكلام فيه ما يغري ويثير الانتباه، نحو قولهم: (نْوَرِيكُمْ وَاحَدْ اطْرِيـــقْ مْلِيحَة؟) أي: هل أدلّكم على طريق جيّدة؟

– **الاستفهام الذي يفيد التّقرير والتّأكيد**: إذا كان الاستفهام منفيا، نحو قولهم:

(عْلَاهْ، أَنَا مَا خَبَرْتَكْشْ؟) أي: ألم أخبرك؟ وتقديره: لقد أخبرتك.

– **الاستفهام التّعجبي**: نحو قولهم: (انْتَ الْلِّي خْوَنْتْهَا؟) أي: أأنت من سرقها؟

3.4 نظام الجملة الاستفهامية

لقد مرّ بنا أنّ نظام الجملة المثبتة في اللّهجة لا يختلف عن الفصحى، وعليه فإنّ نظام الجملة الاستفهامية في اللّهجة لا يختلف عن الفصحى كذلك، إذا كان نظام هذه الأخيرة، لا يختلف عن الجملة الأساس إلّا بدخول أداة الاستفهام عليها، هذا ما سنحاول تبيانه فيما يأتي من خلال عرض نماذج من الجمل الاستفهامية في اللّهجة، مع ما يقابلها في الفصحى:

1.3.4 الجملة الاستفهامية المشتملة على فعل:

أ) **الجملة الاستفهامية المشتملة على فعل ماض**: يكون ترتيبها (المسند إليه + المسند) إذا كان الاستفهام منصبًّا على المسند إليه، نحو قولهم:

(أمَّ جَاتْ؟) أي: أجاءت أمّي؟

- أمّا إذا كان مع الاستفهام نفي، فالتّركيب يكون: (المسند إليه + أداة النّفي + المسند) نحو قولهم: (اخْتَكْ مَا جَاتْشْ مْعَاكْ؟) أي: ألم تَأْتِ مَعَكَ أختك؟

- إذا لم يكن الاستفهام منصبًّا على المسند إليه، فالتّرتيب يكون -غالبا- كالآتي: (المسند + المسند إليه) نحو قولهم: (جَبْتْ الْمَا؟) أي: أ جلبت الماء؟ (عَلَّفْتْ اشّْياه[1]؟) أي: هل علّفت الشّياه؟

- أمّا إذا كان معه نفي فيبقى على ترتيبه السّابق، نحو قولهم:

(مَا جَابْشْ الْمَا؟) أي: ألم يجلب الماء؟

ب) الجملة الاستفهامية المشتملة على الفعل المضارع: يكون التّركيب (المسند إليه + المسند) أو العكس، سواء اقترن الاستفهام بنفي أم لم يقترن، نحو قولهم: (احمد يْجِي الْيُومْ؟) أو (يْجِي احمد اليوم؟) أي: أ يأتي أحمد اليوم؟

(احمد مَا يْجِيشْ الْيُومْ؟) أو (مَا يْجِيشْ احمد الْيُومْ؟) أي: ألم يأت أحمد اليوم؟

في حين يكون التّرتيب في الفصحى غالبا (مسند + مسند إليه) سواء صاحب الاستفهام نفي أو لم يصاحبه، مثل قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝٤﴾[2] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾.[3]

- أمّا إذا كان المسند إليه ضميرا متّصلا أو منفصلا، فالتّرتيب يكون (المسند + المسند إليه) نحو قولهم:

(تَحْصْدُوا انْتُومَا الْيُومْ؟) أي: أتحصدون أنتم اليوم؟

أو قولهم: (تُضرُبَهْ؟) أي: أ تضربه؟

2.3.4 الجملة الاستفهامية غير المشتملة على فعل:

---

(1) الشّياه: جمع شاة.

(2) سورة القيامة: الآية 36 و37.

(3) سورة الحديد: الآية 16.

- يغلب ترتيبها (المسند إليه + المسند)، إذا كان المسند إليه معرّفا والمسند نكرة، والاستفهام منصبًّا على المسند إليه نحو قولهم: (هُوَ أَعْزَبْ وْلَّا مَتْزَوَّج؟) أي: أ هو أعزب أم متزوّج؟

- أمّا إذا كان الاستفهام منصبًّا على المسند، فيكون التّرتيب: (مسند + مسند إليه) نحو قولهم: (كَذَّابْ أُنْتَايَ؟) أكاذب أنت؟

- إذا كان المسند إليه معرفة والخبر شبه جملة، وكان الاستفهام منصبًّا على المسند إليه، يكون التّرتيب: (مسند إليه + مسند) نحو قولهم: (جْدَّكْ رَاهْ فْ الْخَيْمَة؟) أي: أجدك في الخيمة؟ أمّا إذا كان الاستفهام منصبًّا على المسند، فالتّرتيب يكون: (مسند + مسند إليه) نحو قولهم:

(لِيكُمْ انُصّْ ولِيهُمْ ارْبُعْ؟) أي: أ لكم النّصف ولهم الرّبع؟

وقولهم: (عَنْدْكُمْ الْمَا؟) أي: أ عِندكم الماء؟

وقولهم: (غَدْوَه الْعِيدْ؟) أي: أ غدا العيد؟

- إذا كان المسند إليه نكرة والمسند شبه جملة، فيكون ترتيب الجملة متأرجحًا بين التّقديم والتّأخير، نحو قولهم: (مَشْكُوكْ فِي هَدَرْتَهْ؟) أو (هَدَرْتَهْ مَشْكُوكْ فْيهَا؟) أي: أ في كلامه شكّ؟

ومثل هذه الحالات لترتيب الجملة الاستفهامية في اللّهجة، نجد له ما يقابله في الفصحى.

- فبالنسبة للجملة الاستفهامية المشتملة على فعل ماض: يكون ترتيبها (أداة الاستفهام + المسند إليه+ المسند) إذا كان الاستفهام منصبًّا على المسند إليه، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَأَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.[2]

- إذا لم يكن الاستفهام منصبًّا على المسند إليه، فالتّرتيب يكون غالبا كالآتي: (أداة الاستفهام +

---

[1] سورة الأنبياء: الآية 62.

[2] سورة المائدة: الآية 116.

ن يترك والمسند أداة الاستفهام + المسند إليه نحو قوله تعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾.[1]

- ويكون تركيب الجملة المشتملة على الفعل المضارع: غالبا (أداة الاستفهام + مسند + مسند إليه) إذا لم يكن الاستفهام منصبًّا على المسند إليه، سواء صاحب الاستفهام نفي أو لم يصاحبه، أيحسب الإنسان ألا نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾[3] وقوله تعالى: ﴿أم أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾.[4]

- أمّا إذا كان المسند إليه ضميرا متّصلا أو منفصلا، فالتّرتيب يكون (أداة الاستفهام + المسند + المسند إليه) نحو قوله تعالى:

﴿هل تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾[5] ومنه قوله تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾.[6]

- أمّا فيما يخصّ الجملة الاستفهامية غير المشتملة على فعل، فلها عدّة حالات:

– يغلب ترتيبها (أداة الاستفهام + المسند إليه + المسند)، إذا كان المسند إليه معرفة والمسند نكرة، والاستفهام منصبًّا على المسند إليه، نحو قوله تعالى: ﴿أنتم مسلمون﴾.[7]

- أمّا إذا كان الاستفهام منصبا على المسند، فيكون الترتيب: (أداة الاستفهام + مسند + مسند

---

(1) سورة العنكبوت: الآية 2.

(2) سورة القيامة: الآية 36 و37.

(3) سورة الفرقان: الآية 45.

(4) سورة الحديد: الآية 16.

(5) سورة الصف: الآية 10

(6) سورة البقرة: الآية 85.

(7) سورة المائدة: الآية 91.

ي ءَاٰزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1] نحو قوله تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ

- إذا كان المسند إليه معرفة والخبر شبه جملة، فالتّركيب متأرجح بين التّقديم والتّأخير بحسب ما ينصبّ عليه الاستفهام، فإذا كان منصبًّا على المسند إليه، يكون التّرتيب: (أداة الاستفهام + مسند إليه + مسند) أمّا إذا كان الاستفهام منصبًّا على المسند، فالتّرتيب يكون: (مسند + مسند إليه) نحو قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾.[2]

- إذا كان المسند إليه نكرة، والمسند شبه جملة، فيكون ترتيب ركنيْ الجملة حرًّا، نحو قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾.[4]

- أن يكون كلّ منهما نكرة والمسند إليه مخصوص بوصف يخصّصه أو يعمّمه، فالتّرتيب يكون (أداة الاستفهام+ المسند+ المسند إليه) نحو قوله تعالى: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.[5]

- أمّا إذا كان مع الاستفهام نفي، فالتّركيب يكون: (أداة الاستفهام + المسند + أداة النّفي+ المسند إليه) نحو قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾.[7]

5. أسلوب النّداء في لغة بني هلال

---

(1) سورة مريم: الآية 46.

(2) سورة النجم: الآية 21.

(3) سورة الزخرف: الآية 58.

(4) سورة الفجر: الآية 5.

(5) سورة يوسف: الآية 39.

(6) سورة التين: الآية 8.

(7) سورة الأعراف: الآية 172.

1.5 عناصر جملة النّداء

النّداء في الفصحى هو أحد الأساليب الإنشائية الطّلبية، وهو توجيه دعوة إلى المخاطب بأداة نابت مناب الفعل "أدعو" قصد تنبيهه أو طلب منه، وهو يستدعي مطلوبا غير حاصل في ذهن المتكلّم.[1] وأدوات النّداء عند علماء اللّغة ثمان هي: همزة القطع "أ"، الهمزة الممدودة "آ"، "يا"، "أيا"، "هيا"، "أي"، "آي"، "وا".[2]

وعدّت "الهمزة، يا، أيا، هيا، أي" لتّنبيه الاسم غير المندوب.[3]

تختصّ الهمزة بنوعيها (أ و آ) و"أي" بنداء القريب قربا حسّيا ومعنويا، وباقي الأدوات تكون لنداء البعيد، ويمكن أن ينادى البعيد بأداتيْ النّداء القريب، وذلك لإعلاء منزلته أو الحطّ منها، أو لغفلته وشروده. واتّفق النّحاة على أنّ "يا" أصل أدوات النّداء، تستعمل لنداء القريب والبعيد، والمستيقظ والنّائم والغافل والمقبل، كما قد تأتي للاستغاثة والتّعجب والنّدبة.[4] ولذلك لم يستعمل القرآن الكريم في في النّداء غيرها. ولكنّهم اختلفوا في شأن المنادى[5]، إلّا أنّ الخلاف الذي شبّ بينهم لم تدع إليه الضّرورة اللّفظية ولا المعنوية، إنّما دعت إليه الصّناعة النّحوية في تفسير (العامل) عامل المنادى، وقد وقف منه المحدثون مواقف متباينة، فمنهم من اعتبره حالة من الحالات للتّنبيه، ومنه من أطلق عليه اسم "جملة غير إسنادية"، ومنهم من سمّاه شبه جملة.[6] لكن هذا الاختلاف لم يؤثّر في إجماعهم على بنية الجملة النّدائية، فهي تتكوّن من أربعة عناصر:

---

[1] ينظر ابن يعيش: شرح المفصل م. س، ج8 ص118 وسيبويه: الكتاب م. س، ج2 ص329.

[2] م. س.ص. وينظر الإستراباذي: شرح الكافية م. س، ج2 ص381.

[3] ينظر سيبويه: الكتاب م. س، ج2 ص329.

[4] ينظر ابن يعيش: شرح المفصّل م. س، ج8 ص118.

[5] يرى سيبويه أن المنادى منصوب، وما بني على الضمّ فهو في محلّ نصب، وأنّ أدوات النداء صارت بدلا من التلفظ بالفعل المتروك إظهاره، وتبعه البصريون في اعتبار المنادى مفعولا به لفعل واجب الحذف، وخالفهم الكوفيون فرأوا أن المنادى المعرفي المفرد معرب بلا تنوين ليخالف المرفوع برافع، أي: (بعامل) وذهب الفراء إلى أن المنادى مبني على الضم، وليس بفاعل ولا مفعول. ينظر برجشتراسر: ص152.

[6] ينظر برجشتراسر: التطور النحوي م. س، ص152. وريمون طحان: الألسنية العربية م. س، ج2 ص82- 83.

1- المنادي: وهو المتكلّم الذي يرسل النّداء، وقد لا يظهر في التّركيب السّطحي للجملة.

2- المنادى: وهو المخاطب أو (المتلقي)، واللّفظ الدّال عليه ينصب أو يرفع لأجل الفرق بين أنواع المنادى.

3- أداة النّداء: وهي الأداة الموضوعة لغرض النّداء، وقد لا تظهر في التّركيب فيدلّ عليها الموقف اللّغوي.

4- جواب النّداء (أو المنادى به): وهو المضمون المراد تبليغه إلى المنادى، وقد يكون جملة خبرية أو طلبية أو شرطية.

من هنا نحاول الكشف عن هذا الأسلوب في لغة بني هلال، وتبيان نظام الجملة التي تحمله إن كانت توافق نظام الجملة النّدائية في الفصحى أم لا، ومبدئيا يمكن القول: إنّ هذه اللّهجة لا تختلف عن الفصحى من حيث عناصر الجملة النّدائية، فهي تتكوّن من العناصر الأربعة المذكورة (المنادي + المنادى + أداة النّداء + جواب النّداء)، وأدوات النّداء هي نفسها تقريبًا في الفصحى، والتي يمكن إجمالها في (يا، آي، هاي، آو، الهمزة) وإنّما الاختلاف يكمن كونها تُستعمل للقريب وللبعيد، ويعمل التّنغيم الدّور الأساسي في تحديد ذلك.

كما تتّفق هذه اللّهجة مع الفصحى في الحالات التي يجيء فيها المنادى، وفي التّغيّرات التي تطرأ على عناصر الجملة النّدائية، وهذا ما سنوضّحه فيما سيأتي.

2.5 نظام الجملة النّدائية في لغة بني هلال

1.2.5 الجملة النّدائية المشتملة على الأداة (يا)

تتعدّد وتتنوّع أشكالها، فنجدها تتكوّن من:

- أداة النّداء + منادى (اسم مشتق مضاف) + جواب النّداء محذوف نحو قولهم: (يَا مُولْ ادَّارْ) أي: يا مالك الدّار، أو يا صاحب الدّار.

المتأمّل في هذا المثال يلاحظ أنّ جواب النّداء محذوف، يمكن أن يقدّر بتركيب طلبي ك: "أَجِبْ" أو "أنا أناديك".

- أداة النّداء + منادى معرف بأل + جواب النّداء (جملة خبرية):

نحو قولهم: (يَا لُمِّيمَة[1] ثْوَحَشْتَكْ) أي: يا أميمة اشتقت إليك.

جاء المنادى محلّى بـــ "أل" وهو أمر لا تجيزه الفصحى كم سبق وأن بيّنا ذلك.

- أداة النّداء+ منادى (مضاف وموصوف) + جواب النّداء (جملة استفهامية)

نحو قولهم: (يَا خُويَ لَحْنِينْ وَاشْ نْدِيرْ؟) أي: يا أخي الحنون ماذا أفعل؟

اتّصل المنادى بياء المتكلّم الذي حلّت فتحة في آخره لتأكّيد مشاعر الأخوّة، وجاء المنادى جملة اِستفهامية مكوّنة من أداة الاستفهام والمستفهم عنه.

- جواب نداء مقدم (جملة فعلية منفية) + أداة النّداء + منادى مضاف

نحو قولهم: (مَا يْكُونْ غِي خَاطْرَكْ يَا صَاحْبِي) أي: لن يكون إلّا ما تريده يا صاحبي.

في هذا المثال جاء جواب النّداء مقدّم على المنادى لأهمّيته، حتّى يضع المتكلّم حدًّا لكلام قد يطول مع السّامع، وتقديم جواب النّداء ليس غريبا على الفصحى وإنّما مطّرد فيها، نحو قوله تعالى: ﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ﴾.[2]

وقوله تعالى: ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ﴾[3] وقوله: ﴿ يا أيها الثقلان ﴾.[4]

- جواب نداء (جملة شرطية) + أداة النّداء + منادى + جواب الشّرط

نحو قولهم: (ادْهَنْ اسِّيرْ يَا خُويَا يْسِيرْ)[5] هذا مثل شائع بالمنطقة يضرب للحثّ على الرّشوة، بتقديم الهدايا لتحقيق المبتغى، فالسّير: بفتح السين وإسكان الياء، شريط من الجلد عرضه قرابة المليمتر الواحد

---

(1) لميمة تصغير لكلمة أمّ.

(2) سورة طه: آية 17.

(3) سورة النور: الآية 31.

(4) سورة الرحمن: الآية 31.

(5) معنى السَّيْرُ في الشطر الأول: ما يُقَدُّ من الجلد، والجمع السُّيُورُ.. ومعنى السَّيْرُ في الشطر الثاني: الذهاب. سارَ القومُ يَسِيرُون سَيْرًا ومَسِيرًا إذا امتدّ بهم السَّيْرُ في جهة توجهوا لها.

أو ملليمترين، يصلح لترقيع الأحذية الجلدية وغيرها، يوضع في ثقب إبرة غليظة للخياطة به، ولكنه لا يمرّ من الثّقب بسهولة إلا بقدر ما يكون مدهونا بمادّة دهنية كالشّمع أو الزّيت... ولذلك يقال: "السّير لا يسير إلا إذا دُهِن." هذا مثل يضرب -بصورة عامّة- للحثّ على توفير الشّروط اللّازمة لعمل ما، لكي يُنجز على أكمل وجه. ولكنّه يستعمل -بصفة خاصّة- من قبل المكلّفين بتسيير أمور العباد، لتنبيه كلّ من يسعى للحصول على حقّ من حقوقه في الإدارات، بأنّه لا يمكن أن يحصل على هذا الحقّ، إلّا بعد أن "يدهن السّير" وإلا فلن "تسير" الأمور... بل ستتوقّف، كما يتوقّف السّير غير المدهون، يعني عليك بدفع مقابل للحصول على حقّك، وإلّا فإنّ هذا الحقّ سيحوزه آخرون لمجرد أنّهم مستعدّون للدّهن.. أي أنّ الذي يُدهن ستسير سيوره... سواء كان صاحب حقّ أم لا، أمّا الذي لا يُدهِن؛ لأنّه لا يستطيع أو لأنّه لا يريد، فلا حظّ له ولا حقّ.

في هذا المثل جاء جواب النّداء جملة شرطية (مكوّنة من فعل الطّلب + فاعل محذوف تقديره أنت + مفعول به) + أداة النّداء + منادى + جملة جواب الشّرط، والتّقدير يمكن أن يكون: (يا خويا لو تُدهِن اسّير يسير).

- جواب نداء (جملة طلبية) + أداة النّداء + منادى مضاف

نحو قولهم: (زِيدْ يَا بُوزِيدْ) أي: زد يا أبا زيد، هذه العبارة تتردّد كثيرا على ألسنة النّاطقين بهذه اللّهجة، وهم لا يستعملونها بمعنى النّداء الحقيقي، وإنّما يستعملونها في مواقف التحسّر، فالمقام هو من يستدعي هذه العبارة، كأن يكون أحدهم في مصيبة أو ورطة، ويأتي شخص لينبّئه بأمر آخر يسوؤه، فيجيب صاحب المصيبة: (زِيدْ يَا بُوزِيدْ) أي هات ما عندك من أخبار أخرى سيّئة.

وهنا تتّفق هذه اللّهجة مع الفصحى مرّة أخرى في خروج النّداء عن معناه الحقيقي، إلى معان أخرى تُفهَم من السِّياق والقرائن كالحثِّ والتّنبيه والتّحسر والزّجر وهلمّ جرًّا... كما سنرى لاحقا.

- أداة النّداء + منادى مصغّر مضاف + جواب نداء (جملة شرطية)

نحو قولهم: (يَا لَخْوِيلَة[1] لُو كَانْ بْغَى رَبِّي، مَا نِيشْ فِي هَادْ الْحَالَة) أي: يا خويّلة، لو أراد الله ما كنت في أسوأ حال.

- أداة النّداء + منادى مضاف (متّصل بياء المتكلّم) + جواب نداء (جملة دعائية) + جملة توكيديّة:

[1] خويّلة: تصغير لكلمة خالة.

نحو قولهم: (يَا رَبِّ اتّكُلْ عْلِيكْ، وْالكَمَالْ عْلِيكْ) أي: يا ربّي الاتكال عليك واكتمال الأمور عليك.

فالتّركيب النّدائي الذي أمامنا لا يختلف عن سابقيه، وإنّما الاختلاف يكمن في خروجه عن معناه الحقيقي إلى معنى الدّعاء، وللتّنغيم دور في إبراز هذا المقام وتأكّيده، أمّا جواب النّداء فقد جيء بالمصدر للدّلالة على إطلاق الحدث غير مقيّد بزمن، وأكّد بجملة أخرى تصلح أن تكون جوابا كذلك، فكلمة (اتّكُل) تعني التّوكّل على الله في كلّ الأمور، وكلمة (لْكَمَال) تعني أن اكتمال الأمور وإنهائها، لا يكون إلا بعون الله عزّ وجلّ، أمّا لفظة (عليك) فتعني التّخصيص والتّوحيد بأنّ الله هو الواحد الذي يتوكّل عليه الإنسان دون سواه.

- أداة النّداء + منادى + جواب نداء (جملة طلبية + جملة تعليلية خبرية)

نحو قولهم: (يَا لْمَسْكْ مَا نْشَمَّكْ وَأنَا مْيَّتْ مَنْ هَمَّكْ) أي: لا أشّمك أيّها المسك وأنا مستاء منك.

هذا مثل شائع بالمنطقة يضرب لتوقّي الحذر ممّا هو مرغوب فيه، فالنّداء هنا خرج من معناه الحقيقي إلى معنى التّنبيه والتّحذير، ولهذا جواب النّداء "ما نشمّك" هو نفي يفيد النّهي، كما أنّ الإتيان بجملة تعليلية، هو تعليل للنّهي وتأكّيد على ترك كلّ مرغوب يجلب مضرّة.

- أداة نداء محذوفة + منادى (اسم علم) + جواب نداء (جملة خبرية مؤكّدة)

نحو قولهم: (احْمَدْ حَلّ الْبَابْ أَنَا جَارْكُمْ) أي: يا أحمد افتح الباب فأنا جاركم.

- كما يمكن أن يكون التّركيب مكوّن من: أداة نداء محذوفة + منادى (اسم علم) + جواب نداء (جملة طلبية) نحو قولهم:

(احْمَدْ نُوضْ) أي: يا أحمد انهض.

(فَاطِمَة مَا تْرُوحِيشْ) أي: يا فاطمة لا تروحي.

في هذه التّراكيب نجد أنّه قد حذفت منهم أداة النّداء؛ لأنّ المقام يتطلّب ذلك وهو قرب المنادى من المنادي، ولهذا فلا مجال لذكر أداة النّداء، فيجوز إذن حذف أداة النّداء إذا فُهِم من السّياق، لغرض القرب أو الإيجاز أو السّرعة، بينما لا يجوز حذف سائر أدوات النّداء؛ لذا وجب تقديرها في المنادى

المحذوف. وفي الفصحى الكثير من النّماذج التي تؤكّد خلوّ التركّيب من أداة النّداء نحو قوله تعالى: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿رب ارني كيف تحيي الموتى﴾.[2]

- جواب نداء مقدّم (جملة استفهامية) + أداة نداء + منادى مرخّم

نحو قولهم: (وَاشْ بِيكْ يَا حَمُّو) أي: ماذا بك يا محمّد؟

ففي هذا المثال تظهر إحدى صور النّداء التي يمكن أن نسمعها في هذه اللّهجة، المتمثّل في نداء التّرخيم وهو "حذف حرف أو أكثر من آخر الاسم المبني، تخفيفًا على وجه الاعتباط واختصّ بالنّداء: إمّا لأنّه لمـــّا كثر استعماله أُحتيج إلى التّخفيف، أو لأنّه لمـــّا كان مشاهدا مخاطبا جاز حذف شيء من حروفه لدّلالة الحال عليه."[3] أمّا التّرخيم في اللّهجة فيردّ من باب التّخفيف والاختصار، فقد يؤدّي بهم الأمر أحيانا، إلى الاكتفاء بصوت واحد من الكلمة ما دام يؤدّي المعنى، فهو لا يخضع لقاعدة تضبطه مثلما هو الأمر في الفصحى[4]، وإنّما يرجع إلى العادات اللّغوية لأهل المنطقة، وحسب الظّروف النّفسية للمنادى.

2.2.5 الجملة النّدائية المشتملة على الأداة (آو)

تستعمل هذه الأداة للتّنبيه أكثر ممّا تستعمل للنّداء، وهي للقريب وللبعيد، والموقف والتّنغيم هما اللّذان يحدّدان مدلول العبارة، نحو قولهم:

---

[1] سورة يوسف: الآية 29.

[2] سورة البقرة: الآية 260.

[3] سيبويه: الكتاب م. س، ج2 ص239.

[4] إنما يُرَخَّم في الفصحى:

· الاسم المختوم بتاء التأنيث مطلقًا، نحو: حمزة وفاطمة، فإذا رخّمتَ قلت: يا حمز ويا فاطم.

· والعلم الزائد على ثلاثة أحرف نحو: جعفر ومالك، فإذا رخّمتَ قلت: يا جعف ويا مال.

=يمكن أن يحذف من الاسم الذي يرخّم حرفان، شريطة أن يبقى منه بعد الترخيم ثلاثة أحرف. نحو: (يا منصُور) ثم (يا منصُ)

ويجوز في العلم المرخّم وجهان:

- الأول: أن تنطق آخره، كما كنت تنطقه قبل ترخيمه، فتقول في ترخيم (فاطمة ومالِك) مثلًا: (يا فاطمَ ويا مالِ...).

- والثاني: أن تضمّ آخره، كما كنت تضمّ آخره قبل ترخيمه، فتقول: يا فاطمُ ويا جعفُ...).

(آوْ وَاشْ رَاك ادِّيرْ) أي: آي ماذا تفعل؟ هذا تركيب ندائي مكوّن من:

- أداة النّداء + منادى غير مصرّح به + جواب النّداء (جملة استفهامية) فقد تكون هذه العبارة تنبيها لشخص بعيد أو قريب، كما قد تكون تنبيها له إذا كان يقوم بعمل غير لائق، فتفيد التّعجب والاستهجان. والملاحظ أنّ المنادى محذوف، ذلك أنّ (آو) في هذا التّركيب حرف تنبيه للمخاطب لا حرف نداء، فهي تجيء عبارة عن "مدّ طويل + واو منبورة"؛ لأنّ المواقف التي ترد فيها تتطلّب تنبيها مسموعا وواضحا.

3.2.5 الجملة النّدائية المشتملة على الأداة (آيْ)

تستعمل هذه الأداة لنداء القريب والبعيد، وللمبالغ في ندائه، كما تستعمل للتّنبيه كذلك، وهي تقابل الأداة "أيا" في الفصحى نحو قولهم:

(آيْ مُحَمَّدْ أَرْوَاحْ) أي: أيا محمد تعال، فالتّركيب مكوّن من:

- أداة النّداء + المنادى (اسم علم) + جواب النّداء (جملة طلبية) والسّياق والتّنغيم هما من يحدّدان إن كان للقريب أو للبعيد.

4.2.5 الجملة النّدائية المشتملة على الأداة (هَايْ)

تستعمل هذه الأداة للتّنبيه وينادى بها البعيد والقريب، فمجراها مجرى (أيا) في الفصحى ويمكن القول: إنّها بدل من همزتها، أُبدِلت الهمزة هاءً لمقاربة الصّوتين، بدليل أنّه يمكن أن تحلّ إحداهما في التّركيب النّدائي، دون أن يختلّ المعنى أو يفقد غرضه البلاغي.

5.2.5 الجملة النّدائية المشتملة على الأداة (أ)

تكون في هذه اللّهجة للتّنبيه، وينادى بها للقريب خاصّة؛ لأنّ مناداة البعيد تحتاج إلى مدّ الصّوت، من ذلك قولهم:

(أَ خْدِيجَة) وقولهم: (أَ مُولْ لَحْمَارْ شُوفْ ڤُـــــدَّامَكْ) أي: أصاحب الحمار أُنظر أمامك.

- فالتّركيب النّدائي الأوّل مكوّن من: أداة النّداء + المنادى (اسم علم) + جواب النّداء محذوف، يمكن تقديره بتركيب طلبي ك: "تعالي أو انتبهي أو احذري".

- أمّا التّركيب الثّاني فهو مكوّن من: أداة النّداء + المنادى (وصف مشتقّ مضاف)+ جواب النّداء (جملة طلبية) والغرض الأساس هو لفت الانتباه.

بهذا نكون قد أتينا على ذكر معظم أوجه الجملة النّدائية في هذه اللّهجة، التي لا نجدها تختلف عن الفصحى كثيرا، اللهمّ إلّا في المنادى المحلّى بـــ "أل" فالمقرّر في الفصحى أنّه لا يجمع بين أداة النّداء وأداة التّعريف "أل"، وإن كان فهو مخصوص بالضّرورة، إلّا في موضعين: اسم الجلالة الأعظم "الله"، والمنادى إذا كان جملة محكية، نحو: "يا المنطلقُ زيد"، لذا يُؤتى بـــ "أي" أو "أية" كوسائط للنّطق بـــ "يا" وما فيه "أل"[1]، والسّبب صوتي، وهو تلاقي ساكنين ألف (يا) والحرف السّاكن في الاسم المعرّف "بأل"، بينما لا تجد اللّهجة حرجا في ذلك، فالمنادى المعرف بـــ "أل" يُنادى كما لو كان مجرّدا منها.

6. أسلوب النّفي في لغة قبائل بني هلال

النّفي هو أسلوب خبري ننفي به حكمًا إيجابيًّا، يراد به نقض فكرة وإنكارها، وهو ضدّ الإثبات ويقسّم إلى قسمين: النّفي الصّريح والنّفي الضّمني.

1.6 أنواع النّفي:

1.1.6 النّفي الصّريح: ويسمّى الظّاهر، ننفي به حُكمًا إيجابيًّا باستخدام إحدى أدوات النّفي الآتية: "لم، لمـــّا، لا، لن، ليس، إن، لات، ما"، من هذه الأدوات ما يختصّ بالجملة الاسمية، ومنها ما يختصّ بالجملة الفعلية.[2] والأمر نفسه نجده في اللّهجة، إلّا أنّ أدوات النّفي في لغة بني هلال تنحصر في (ما، لا) اللّتين قد تقترنان مع اللاحقة (ش) التي نراها تحريفا لكلمة (شيء).

وفيما يلي بيان موقع كلّ أداة واستعمالاتها المختلفة:

- **(مَا)**: وهي أكثر أدوات النّفي شيوعًا في هذه اللّهجة، ويتنوّع دخولها على معظم الألفاظ المستعملة في اللّهجة، فتأتي مع الفعل والاسم والضّمير والظّرف والجار والمجرور والاسم المشتقّ.

أ) مجيئها مع الفعل: وتأتي مع الفعل النّاقص والتّام على حدّ سواء، نحو قولهم:

---

[1] ينظر سيبويه: الكتاب: ج2 ص195.

[2] ينظر سيبويه: الكتاب م. س، ج3 ص117.

(مَا يَعْرَفْشْ) أي: لا يعرف.

وقولهم: (اللِّي مَا جَاشْ مْعَ لَعْرُوسْ، مَا يْجِي مْعَ امّْهَا) أي: الذي لم يجئ مع العروس، لن يجئ مع أمّها. هذا مثل شائع في المنطقة، يضرب في التّحذير من الأماني الفارغة، والمراد به أنّ ما لا يأتي مع العظيم في وقته، لا يمكن له أن يأتي مع غيره في غير وقته.

الملاحظ في هذين المثالين:

- أنّ الفعل المنفي لحقته الشّين، التي يمكن اعتبارها إمّا تعويضا لكلمة (شيء) فيصبح المعنى: (مَا جِيءَ بِشَيْء) و(مَا يَعْرِفُ شَيئا)، وإمّا أنّها صوت جيء به لتوكّيد النّفي.

والّنفي مع الشّين ليس وقفا على هذه اللّهجة، وإنّما هو ظاهرة معروفة في كثير من اللّهجات العربية الحديثة، ممّا يوحي بأنّها ظاهرة قديمة انحدرت مع مرور الزّمن إلى لهجاتنا.[1]

- تتكرّر الأداة في السّياقات عند إرادة التّوكيد كما في قولهم:

(مَا خْدَمْ مَا نَالْ) أي: لم يعمل و لم يجنِ.

(مَا يِصُّكْ[2] مَا يِفَكّْ) أي: لا يضرب ولا يفكّ بين المتضاربين.

(مَا نَاكُلْ مَلْفُوفْ، مَا نَدْخُلْ كْلُوفْ)[3] يضرب هذا المثل للشّخص الذي لا يريد أن يتدخّل فيما لا يعنيه، أو في أمور تجلب له مشاكل هو في غنى عنها.

(مَا سْمَعْتَشْ ومَا شَفْتَشْ) أي: لم أسمع و لم أرَ.

(مَا يَكُلْشْ وْمَا يِشْرُبْشْ) أي: لا يأكل ولا يشرب.

---

[1] ينظر إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية م. س، ص242.

[2] الصَّكُّ: الضرب الشديد بالشيء العريض، وقيل: هو الضرب عامة بأيّ شيء كان، صَكَّه يَصُكُّه صَكًّا. الأصمعي: صَكَمْته ولكَمْتُه وصَكَكْتُه ودَكَكْتُه ولكَكْتُه، كأنه إذا دفعته. وصَكَّه أي ضربه.

[3] لفظة (ملفوف) هي عبارة عن قطع كبد مطهوة، تلف بالشحم ثم تشوى، فهذه اللفظة لها علاقة منطقية بالمسمى من حيث الاشتقاق اللغوي. وأمّا لفظة (كلوف) فهي لفظة تدل على الجمع مشتقة من المفردة الصحيحة "الكلفة" التي تعني: ما يتكلفه الإنسان وما يتجشّمه من مشقة في نائبة أو حقّ.

– نلاحظ من خلال الأمثلة السّابقة، أنّ أيّ فعلين منفيين إذا تتابعا في تركيب ما، و لم يُفصل بينهما بواو، تُحذف الشّين من كلّ منهما؛ لأنّ النّفي الثّاني توكيد للأوّل فكرهوا توالي توكيدين فحذفوا الشّين، أمّا إذا لم يكن كذلك أو فصل بينهما بواو، فالشّين تبقى لإمكانية الاكتفاء بنفي واحد، بحيث يمكن استقلال أحد التّركيبين عن الآخر، فيُقال: (مَا سْمَعْتَشْ – مَا شَفْتَش، مَا يَكُلْشْ – مَا يِشْرُبْشْ).

– أحيانًا قد تصحب الشّين الكلمة التي دخلت عليها (ما) وقد لا تصحبها، وكلّ ذلك خاضع لظروف الكلام ومناسباته، وللحالات النّفسية لكلّ من المتكلّم والمخاطب.

– قد تأتي (ما) مع المضارع فتصبح بمعنى لا النّاهية في الفصحى نحو قولهم:

(غِيرْ وْلَا تَحْسَدْشْ) أي: نافس الآخرين ولا تحسدهم.

– قد تدلّ "كان" إذا اُقترنت بالنّفي على الزّمن الماضي المتّصل بالحاضر، نحو قولهم:

(مَا كَانْ حْتَى وَاحَدْ جَا) أي: لم يأت أحد، فنفي قدوم الشّخص كان في الماضي واستمرّ إلى ساعة التكلّم، ومثل هذا في الفصحى قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَد مِّن رِّجَالِكُمْ﴾.[1]

ب) مجيئها مع الضّمير: نحو قولهم:

(مَا أَنَا، مَا هُوَ الْلِّي ادَّهَا) أي: لست أنا، وليس هو من أخذها.

(مَا هُو كَذَّابْ، مَا هُو خَوَّانْ) ليس هو بالكاذب ولا بالسّارق.

ج) مجيئها مع الظّرف والجار والمجرور: من ذلك قولهم:

(مَا فِيهُمْ خِيرْ) أي: لا خير فيهم.

(مَا عْلِيهُمْشْ) أي: ما عليهم شيء.

(مَا عَنْدَهْ حْتَى شِي) أي: ليس عنده شيء.

[1] سورة الأحزاب: الآية 40.

د) مجيئها مع الاسم المشتّق: سواء أكان اسم فاعل أم اسم مفعول، أم صيغة مبالغة وما شابه ذلك نحو قولهم:(مَا مَالَحْ، مَا مَسُّوسْ)[1] أي: ليس مالحا وليس عذبا.

(مَا مَجْنُونَة مَا وَالُو) أي: ليست مجنونة ولا أي شيء، جيء في هذا المثال بلفظة (والو) للدّلالة على توكيد النّفي، وقطع أدنى شكّ قد يراود السّامع، فهي للنّفي المطلق وتعبّر عن محذوف، والتّقدير لا شيء ولو كان قليلا، ولذا يمكن عدّها من أدوات النّفي اللّغوي.

ملاحظة: قد تفيد (ما) النّفي والاستفهام في آن واحد، ولا يعرف ذلك إلا بالنّبر والتّنغيم نحو قولهم: (مَا سْرَحْتَشْ[2] لَغْلَمْ[3] الْيُومْ؟) فهذه العبارة تحمل معنييْن اثنيْن:

الأوّل يقصد به الإستفهام: أ لم ترعَ الغنم اليوم؟

الثّاني يقصد به النّفي: لم أرعَ الغنم اليوم.

- **(مَاشِ):** هي إحدى أوجه أداة النّفي (ما) تُستعمل هذه الأداة في اللّهجة بمعنى "ليس" و"لا"، ويبدو أنّها تعني "ما شيء"[4] وتأتي على عدّة صور، منها صورتها الأصلية "مَاشِ" وهي الأكثر شيوعا واستعمالا مع كلا الجنسين في كلّ الحالات، وتأتي مع الاسم والفعل والضّمير والجار والمجرور ونحو ذلك.

أ) مجيئها مع الاسم، مثل قولهم:

(مَاشِ اْنْتَ اللّي فُتْ[5] عْلِينَا الْبَارَحْ؟) أي: لست من مرّ علينا البارحة؟

---

[1] مسوس: كلمة فصيحة، المَسوسُ من الماء: الذي بين العذب والملح. قال الشاعر: عَذْبَ المذاق ولا مَسوسا ... لو كنتَ ماءً كـــنـــتَ لا. ينظر ابن فارس: مقاييس اللغة مادة (مس).

[2] يقال: سَرَحْتُ الماشيةَ أَي أَخرجتها بالغَداةِ إلى المرعى.

[3] لَغْلَمْ: الغنم، أبدلوا النون لاما.

[4] ينظر جرجي زيدان: الفلسفة اللغوية م. س، ص73.

[5] فُتْ: أصلها من الفعل فات.

(مَاشِ هَادْ لْهَدْرَة[1] اللّي تْفَاهَمْنَا عْلِيهَا) أي: ليس هذا هو القول الذي اتّفقنا عليه.

(الْحْسَابْ عَنْدْ رَبِّ مَاشِ عَنْدْ الْعَبْدْ) أي: الحساب عند الله وليس عند عباده.

ب) **صورها عند اتّصالها بضمائر الغائب**، نحو قولهم:

(مَا هُوشْ هْنَا) أي: هو ليس هنا.

(مَا هُمْشْ اللّي نَعْرَفْهُمْ) أي: ليسوا هم من أعرفهم.

(مَا هِيشْ تَقْرَا) أي: هي لا تقرأ.

(مَاشِ انْتُومَا اللّي كُنْتْ عْلِيهُمْ) أي: لستم أنتم من كنت أقصدهم.

(مَاشِ أَنْتَ كْلِيتْهَا) أي: لستَ أنت من أكلها.

(مَا نِيشْ مْرِيضَة) أي: أنا لست مريضة.

(مَا نَاشْ هْنَا) أي: نحن لسنا هنا.

(مَا هُو، لَا هُو) أي: لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

ج) **صورها عند اتّصالها بالفعل النّاقص "كان"** فهم يقولون: (مَا كَانْشْ) و(مَا كَانَتْشْ) و(مَا كُنْتُوشْ) و(مَا كَانوشْ) فكلّ صورة تختصّ بضمير معيّن، نحو قولهم:

(مَا كَانْشْ الْخِيرْ فْ هَادْ الزّْمَانْ) أي: لم يعُدْ الخير كائن في هذا الزّمان.

(مَاكُنْتُوشْ خِيرْ مَنْ انَّاسْ لُخْرَى) أي: لستم أحسن من أناس آخرين.

- **(لَا)**: تأتي هذه الأداة لنفي الحدث وغيره، وتستعمل مع الفعل -لاسيما المضارع- أكثر ممّا تستعمل مع الاسم، وتأتي في المرتبة الثّانية بعد (ما) من حيث نسبة شيوعها في اللّهجة، ولها صور عدّة منها:

أ) **تأتي جوابا لسؤال مثبت**: وتُردَف بجملة منفية بالأداة (ما) غالبا لتوكّيد مضمون النّفي نحو قولهم:

---

[1] الهَدْرَة أصلها من الفعل "هذر" أبدلوا الذال دالا :الهَذَرُ :الْكَلَامُ الَّذِي لَا يُعْبَأُ بِهِ .هَذرَ كلامُه هَذَراً :كَثُرَ فِي الخطإِ وَالْبَاطِلِ .والهَذَرُ :الْكَثِيرُ الرَّدِيءُ، وَقِيلَ: هُوَ سَقَطُ الْكَلَامِ. ابن منظور: مادة (هذر).

(لَا مَا مْشِيتْشْ لَلْحَمَّامْ) أي: لم أمشي إلى الحمّام، في سؤال أحدهم: هل ذهبت إلى الحمام؟

ب) تأتي مكرّرة: إمّا للتّوكيد، نحو قولهم:

(لَا لَا) إذا سأل أحدهم: هل ضربته؟

وإمّا لنفي تكرار الحدث وتأكّيده، نحو قولهم:

(مَا كَانْ لَا خَدْمَة، لَا زَدْمَة) أي: ليس هناك لا عمل ولا أيّ شيء.

ج) تأتي مع الأفعال: يغلب دخولها على الفعل المضارع، فتنفي زمنه في الحاضر نحو قولهم:

(اللّه لَا تْرَبْحَّهْ) أي: اللهمّ لا تكسبه ربحًا.

(لَا يوَرِيكْ بَاسْ) أي: لا أراك الله بأسا.

(اللّه لَا يْجِيبَه) أي: اللهمّ لا تجلِبه.

د) تجيء مع الأسماء: كأسماء الأعلام وأسماء الإشارة والضّمائر وما إلى ذلك، نحو قولهم:

- مع الأسماء المجرّدة: مثل: (لَا مَاكْلَة، لَا شْرَابْ) أي: لا أكل ولا شرب.
- مع أسماء الإشارة مثل: (نْمُوتْ وْلَا هَادْ الْعِيشَة) أي: أموت ولا أعيش هذه المعيشة.
- مع الضّمائر مثل: (لَا أَنَا لَا هُوَ) أي: لا أنا ولا هو.
- مع الاسم المشتقّ مثل: (لَا ضَارَبْ لَا مَضْرُوبْ).

ه) مع شبه الجمل: سواء كان ظرفا أو جارا أو مجرورا مثل قولهم:

(مَا دُّورْ لَا عْلَى لِيمْنَى، وْلَا عْلَى لِيسْرَى) أي: لا تستدير لا لليمين ولا لليسار.

وقولهم: (مَا شَفْتَهْ لَا صْبَاحْ لَا عْشِيَّة) أي: لم أره لا صباحا ولا مساء.

الملاحظ من خلال هذه الأمثلة أن (لا) كثيرا ما تصاحبها (ما) في تراكيب النّفي، لاسيما عند التّأكيد، ويمكن أن تحلّ إحداهما مكان الأخرى -أحيانا- في بعض التّراكيب مثل:

(لَا أَنَا، لَا هُو) = (مَا أَنَا، مَا هُوَ).

كما نلاحظ أنّ دخول (لا) على الفعل الماضي قليل، ولا يلحق منفيها بالشّين.

كذلك الأداة (لا) في الفصحى تنفي حدوث الفعل مع المضارع، أمّا مع الماضي فلها حالتان:

- إذا أردنا بها النّفي، يجب أن تكرّر: مثل: لا أكلتُ ولا شربتُ.

- وإذا لم تكرّر قُصِد بها الدّعاء: مثل: لا وفّق الله المعتدي.

أمّا في اللّهجة فـــــــ (لا) يُطّرد دخولها على الفعل المضارع، إذا أردنا بها النّفي يجب أن تُكرّر نحو قولهم: (مَا رَاهْ لَا يَاكُلْ، لَا يِشْرَبْ) أي: أراه لا يأكل ولا يشرب.

وإذا لم تكرّر فقصد بها الدّعاء، سواء مع الماضي أو المضارع نحو قولهم:

(الله لَا جَابَهْ) أي: اللهمّ لا جيء به، (الله لَا يْجِيبَهْ) أي: اللهمّ لا تأت به.

وهناك ألفاظ تأتي تعويضا لتركيب منفي وتوكيدا له مثل:

- **لفظة (وَالُو)**: ولهذه اللّفظة دلالتان:

الدّلالة الأولى: تُستعمل إمّا للدّلالة على توكيد النّفي، نحو قولهم:

(مَا كْتَبْتْ وَالُو) أي: لم أكتب أي شيء.

(مَا كْلِيتْ وَالُو) أي: لم آكل ولا شيء.

في هذا المقام أكّد القائل نفي الكتابة والأكل نفيا مطلقًا، من شأنه أن يقطع الشكّ المطلق من ذهن السّائل. فلو كان الردّ – فرضا– (مَا كْتَبْتَشْ) و(مَا كْلِيَتشْ) لظنّ المستفهم أنّه ممكن أن يكون كتب أو أكل شيئا ولو قليلا، وفي هذه الحالة يطّرد مجيء (والو) مع الأفعال دون سواهم.

الدّلالة الثّانية: تستعمل للإجابة عن سؤال أو استفهام من دون أن يسبقه كلام منفي، نحو قولهم:

(وَالُو) إجابة عن سؤال أحدهم: (كَانْشْ خَدْمَة لْقِيتْهَا؟) أي: هل وجدت عملا؟

فلفظة (وَالُو) تعوّض كلاما محذوفا تقديره: "لم أجد أيّ عمل"، فهي ضرب من الاختصار في الإجابة الذي يجنح إليه النّاطقون بهذه اللّهجة.

- **لفظة (مُحَالْ)**[1]: أي مستحيل، تفيد النّفي القطعيّ وتستعمل في ظروف لغوية خاصّة، غالبًا ما

---

[1] **مُحَال**: عربية فصيحة، أصلها من الحِوَال: كلُّ شَيْءٍ حَالَ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ هَذَا حِوَال بَيْنَهُمَا أَي حَائِلٌ بَيْنَهُمَا كَالْحَاجِزِ والحِجاز. أَبو زَيْدٍ: حُلْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّرِّ أَحُولُ أَشَدَّ الْحَوْلِ والمَحالة. قَالَ اللَّيْثُ: يُقَالُ حَالَ الشيءُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ يَحُولُ حَوْلًا وتَحْوِيلًا أَي

تكون في المواقف الانفعالية الحادّة، أو في موقف قطع حبائل الآمال، نحو قولهم:

(مُحَالْ لَنَشْهَدْ) نفيًا لسؤال أحدهم: (تْرُوحْ تَشْهَدْ مْعَاهُمْ فِي دَارْ اشْرَعْ[1]؟) أي: هل ستكون شاهدا في مجلس القضاء؟ فيكون ذلك الجواب نفيّا قطعيّا.

وبهذه اللّفظة نكون قد أتينا على ذكر مجمل أدوات النّفي في لغة بني هلال، وما يمكن استنتاجه أنّه اُستعملت عدّة أدوات نفي خاصّة بها، زيادة على احتفاظها ببعض ما هو مستعمل في الفصحى مثل (مَا، لَا) وتنوُّع هذه الأدوات دليلٌ على ثراء هذه اللّهجة، وقدرتها على التّعبير عن كثير من المواقف اللّغوية المختلفة بألفاظ أصولها عربية.

2.1.6 النّفي الضّمني (غير الصّريح): هو ضرب من ضروب النّفي، يكون بغير أدوات النّفي ويحدث في الفصحى بأحد الأساليب الآتية: أسلوب الاستفهام، أسلوب الشّرط المتضمّن معنى النّفي أو التّمني، والأمر نفسه نجده في اللّهجة إلا أنّنا نميزه إمّا بالنّبر، أو التّنغيم الذي يؤدّي دورا أساسيا في كافّة الأساليب الجملية، بحيث "أكثر ما يُستخدم في اللّغات للدّلالة على المعاني الإضافية كالاستفهام والنّفي والتّأكيد،...[2] من ذلك قولهم في:

أ) **أسلوب الاستفهام المتضمّن معنى النّفي**: هو أسلوب لا يراد به طلب الفهم وإنّما يُراد النّفي، وقد سبق الكلام عليه في موضوع الاستفهام المجازي، يطّرد في اللّهجة إذا ورد في سياق الجملة الاستفهامية الألفاظ التّالية: (غير) و(سوى) فهو يفيد النّفي الضّمني، من ذلك قولهم:

(اشْكُونْ مَنْ غِيرَكْ يَقْدَرْ يِعَاوْنِي) أي: ومن غيرك بإمكانه معاونتي؟ والمعنى: لا أحد يساعدني.

(اشْكُونْ اللّي نَلْقَاهْ فِي كْتَافِي مَنْ سِوَى خُويَا) أي: من سيكون سندي إلا أخي؟ والمعنى: لا سند لي.

(عْلَاهْ يِلْقَى الْخَدْمَة غِيرْ اللّي عَنْدَهْ الْعَرْفْ) أي: مَنْ بإمكانه الحصول على وظيفة من دون وساطة؟ والمعنى: لن يتحصل على وظيفة.

حَجَز. وَيُقَالُ: حُلْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُ حَوْلًا وحُؤولًا. ابْنُ سِيدَهْ: وَكُلُّ مَا حَجَز بَيْنَ اثْنَيْنِ فَقَدْ حَالَ بَيْنَهُمَا حَوْلًا، وَاسْمُ ذَلِكَ الشَّيْءِ الحِوَال، والحَوَل كالحِوَال.

(1) دَارْ اشْرَعْ: يقصدون بها دار القضاء.

(2) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي م. س، ص315. وينظر ريمون طحان: الألسنية العربية م. س: ج2 ص89.

ب) أسلوب الشّرط المتضمّن معنى النّفي: ويكون بأدوات الشّرط المعروفة في اللّهجة نحو قولهم:

(لُكَانْ جَانِي، كُنْتْ نْضَيّْفَهْ[1]) أي: لو زارني لأكرمته، والمعنى: لم تحصل الزيارة لذلك لم يحصل الإكرام.

(لُو كَانْ مَا الحَشْمَة، كُنْتْ نَعْرَفْ كِي نْرُدْ عْلِيهْ) أي: لولا الحياء لأسمعته الردّ الجميل، والمعنى: لم يكن هناك ردّ.

ج) التّمني المتضمّن معنى النّفي: ويتضمّن هذا الأسلوب معنى النّفي؛ لأنّ التّمني هو طلب شيء لا يمكن حصوله، نحو قولهم:

(لُو كَانْ[2] غِي نَقْدَرْ نْوَلّي[3] رَايَسْ) أي: ليتني أصبح رئيسًا.

(لُو كَانْ جَا الصُّغْر يْوَلِي، عَنْدِي وَاشْ نْدِيرْ) أي: ليت الطّفولة تعود يومًا، فأستدرك ما فاتني.

2.6 نظام الجملة المنفية

من خلال الأمثلة التي مرّت بنا، يمكن أن نستنتج أنّ:

– نظام الجملة المنفية السّائد في هذه اللّهجة لا يخضع لقاعدة تضبطه، فالأدوات التي تنفي الجملة الفعلية هي نفسها التي تنفي الجملة الاسمية، ما عدا لفظة (مُحَالْ) التي تأتي لتأكّيد النّفي القطعيّ، تتفرّد بدخولها على الجملة الفعلية.

– هناك حرّية في ترتيب أركان الجملة، وأداة النّفي قد تتصدّر الجملة كما قد تتوسّطها، في حين أدوات النّفي لها الصّدارة في الفصحى.[4] غالبًا ما يتقدّم المسند إليه على المسند في التّراكيب مع جميع الأدوات.

---

(1) نْضَيّْفَهْ أصلها من الضّيافة.

(2) لُو كان: أداة شرط مكوّنة من (لَوْ+ كان) تأتي بمعان كثيرة في اللهجة سنأتي على ذكرها.

(3) نْوَلّي: الكلمة عربية فصيحة، جاء في اللّسان: وَقَدْ وَلَّى الشّيءُ وتَوَلَّى إذا ذَهَبَ هارِباً ومُدْبراً، وتَوَلَّى عَنْهُ إذا أَعْرَضَ، والتَّوَلِّي يَكُونُ بِمَعْنَى الإِعْراضِ. والمعنى واضح في اِستعمال هذه اللفظة في لهجة بني هلال.

(4) ينظر إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص312.

– تعتبر الجملة المنفية المشتملة على فعل ماض ذات التّركيب (المسند إليه + أداة النّفي + المسند) من الأساليب النّادرة في الفصحى[1]، في حين هو من الأساليب الشّائعة في هذه اللّهجة، نحو قولهم: (أَنَا مَا شْرَبْتَشْ الْمَا) أي: أنا ما شربت الماء.

– يقلّ التّركيب (أداة النّفي + المسند + المسند إليه) في اللّهجة إذا كان المسند فعلا ماضيا تماما مثل الفصحى.[2]

– تتّفق هذه اللّهجة مع الفصحى في شيوع التّركيب (أداة النّفي + المسند + المسند إليه) إذا كان الفعل لا مضارعًا، نحو قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾[3] وقوله عليه الصّلاة والسّلام: ((لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه)).[4]

أمّا قولهم مثل: (مَا يِبْغِيشْ[5] أُبَّا الْحُـــقْـــرَة[6] أي: لا يحبّ أبي احتقار النّاس.

– يتّفقان كذلك في ندرة التّركيب (أداة النّفي + المسند إليه + المسند) إذا كان الفعل مضارعا.[7]

ومثل قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾[8] أمّا في اللّهجة، قولهم:

---

(1) إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص312.

(2) م س ص.

(3) سورة النساء: الآية 148.

(4) أخرجه البخاري – كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، (13). ومسلم – كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، (45)، (71)

(5) يِبْغِيشْ: يبغي+ اللاحقة (ش). يبغي كلمة عربية فصيحة.

(6) الْحُـــقْـــرَة: أصلها الحقر، فخّموا القاف. حَقِرَ إذا صَارَ حَقِيرًا أَي ذَلِيلًا. وتَحاقَرَتْ إِليه نَفْسُهُ؛ تَصاغَرَتْ .والتَّحْقِيرُ : التصغيرُ .والمُحَقَّراتُ :الصَّغَائِرُ. وَيُقَالُ: هَذَا الأَمر مَحْقَرَةٌ بِكَ أَي حَقارَةٌ . وحَقَرَ الشيءَ يَحْقِرُهُ حَقْراً مَحْقَرَةً وحَقارَةً وحَقَّرَهُ واحْتَقَرَهُ واسْتَحقَرهُ: اسْتَصْغَرَه وَرَآهُ حقِيراً .وحَقَّرَهُ :صَيَّرَهُ حَقِيراً.

(7) إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة: ص317.

(8) سورة غافر: الآية 31.

(لَا لَطْرَشْ[1] يِسْمَعْ لَكْلَامْ، ولَا لْبَكُوشْ[2] يِعَاوَدْ لَخْبَارْ) أي: لا الأصمّ يسمع الخبر ولا الأبكم ينقل الخبر، مثل هذا التّرتيب قليل في اللّهجة، ولا يحدث إلا إذا تكرّرت أداة النّفي في التّركيب.

– تتّفق اللّهجة مع الفصحى إذا كان التّرتيب على شكل: (المسند إليه + أداة النّفي + المسند) نحو قوله تعالى: ﴿ لا يهدي القوم الظالمين ﴾[3] أمّا في اللّهجة نحو قولهم:

(ارَّاعِي مَا يِغْضَبْ، والذِّيبْ مَا يْجُوعْ) أي: لا الرّاعي يغضب ولا الذّئب يجوع.[4]

– تتّفق هذه اللّهجة مع الفصحى إذا كان المسند في كلّ منهما شبه جملة، فلا فرق إن تقدّم المسند أو تأخّر نحو قوله تعالى: ﴿ لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ﴾[5]، أمّا في اللّهجة كقولهم: (ادَّارْ مَا فِيهَا ضَوْ، مَا فِيهَا مَا) أو قولهم: (ادَّارْ لَا ضَوْ فيها، لَا مَا فِيهَا) أي: الدّار لا ماء فيها ولا ضوء.

7. الجملة الشّرطية في لغة قبائل بني هلال

نحاول في هذه الدّراسة، تناول أدوات الشّرط في هذه اللّهجة بالدّرس والتّحليل، وتبيان مواضعها وتحديد خصائصها في الجملة، وقبل ذلك لا بأس من التّعريج على هذا الأسلوب في الفصحى، حتّى نتمكّن من الحكم على هذه اللّهجة، إن كانت سايرت الفصحى في الاحتفاظ بخصائصه أم لا؟

الشّرط في اللّغة: إلزام الشّيء والتزامه في البيّع ونحوه.[6]

أمّا اصطلاحا: فهو أسلوب لغوي يدلّ على تلازم جملتين، وارتباطهما بواسطة أداة تسمّى أداة شرط، ويتألّف من ثلاثة أركان:[1]

---

(1) طرش :الطَّرَشُ :الصَّمَمُ، وَقِيلَ: هُوَ أَهْوَنُ الصَّمَمِ، وَقِيلَ: هُوَ مُوَلَّدٌ، الأُطْرُشُ والأُطْرُوشُ الأَصمُّ. ابن منظور: مادة (طرش).

(2) بكوش: كلمة تركية تعني: أبكم.

(3) سورة الجمعة: الآية 5.

(4) هذا المثل شائع بالمنطقة، يضرب في حالة إرضاء جميع الأطراف.

(5) سورة الطور: الآية 23.

(6) ينظر ابن منظور: مادة (شرط).

- أداة الشّرط
- جملة الشّرط
- جملة جواب الشّرط

والغالب في الأمر أنّ تحقّق جواب الشّرط، مشروط بحصول فعل الشّرط، جاء في شرح الكافية الشّافية: "ولا بدّ لأداة المجازاة من فعل يليها يُسمّى شرطًا، وفعل بعده، أو ما يقوم مقامه يُسمّى جوابًا وجزاءً"[2] وقال في شرح التّسهيل بعد كلامه على أدوات الشّرط: "وكلّها تقتضي جملتين أولاها شرط تصدر بفعل ظاهر، أو مضمر مفسر بعد معموله بفعل."[3]

لقد عَرَضَ كلٌّ من كتب عن أسلوب الشّرط –من قدامى ومحدثين– إلى الأدوات، قسّمها معظمهم إلى أسماء وحروف وظروف؛ لاشتمال هذا المعنى على جميعها، في حين عدّدها كثيرون مع شواهد عليها تكرّرت عند معظمهم وهي: "إذ – إذ ما – إذا – إذا ما – أمّا – إن – أنّى – أيّ – أيّان – أين – حيثما – كلما – كيف – لما – لو – لولا – لوما – ما – متى – مَنْ – مهما". [4]

أمّا الآن ستكون وقفتنا مع أسلوب الشّرط في لغة بني هلال الذي نراه –مبدئيًا– لا يختلف عن الفصحى، فهو يقوم على ركنين متلازمين لا يتحقّق الأوّل إلّا بوجود الثّاني، ذكرًا أو تقديرًا، وهما فعل الشّرط وجوابه، بينهما أداة الشّرط التي كثيرا ما تلازمهما، ونجدها إمّا خاصّة باللّهجة أو أداة فصيحة

---

[1] ينظر ابن هشام: مغني اللبيب م. س، ص492.

[2] ينظر ابن مالك: شرح الكافية الشافية م. س، ج3 ص1584.

[3] ينظر ابن مالك: شرح التسهيل م. س، ج4 ص73 و90، السيوطي: همع الهوامع م. س، ج2 ص58– 59.

[4] ينظر ابن بعيش: شرح المفصل م. س، ج7 ص40– 42، وابن مالك: شرح الكافية الشافية م. س، ج3 ص1582، وابن مالك: شرح التسهيل م. س، ج4 ص66– 72، وابن هشام: أوضح المسالك م. س، ج4 ص203– 204، وابن عقيل: شرح ابن عقيل م. س، ج2 ص271– 275، والسيوطي: همع الهوامع م. س ج2 ص57– 58. وينظر عند المحدثين: مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية م. س، ج2 ص186، وعباس حسن: =النحو الوافي م. س، ج4 ص421، وعبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية م. س، ص188، ومهدي المخزومي: في النحو العربي ص290– 291 وشوقي ضيف: تجديد النحو م. س، ص119.

أصابها تحريف، كما يمثّل التّركيب الإسنادي ركنيْن أساسييْن، ويكونان إمّا جملتيْن فعليتيْن أو اسميتيْن أو مختلفتيْن.

1.7 أدوات الشّرط

يمكن إحصاؤها فيما يأتي: (لُكَانْ – حتَّى – كُونْ – مْنِينْ – كِ – كِيمَ – كُلْمَا – يْدَا – اللِّي – وَقْتْمَا – بَاهْ – بَاشْ).

2.7 نظام الجملة الشّرطية

نحاول تبيان تركيب الجملة الشّرطية في اللّهجة استنادا لقواعد وأحكام الشّرط في الفصحى، حتى نتمكّن من تبيان مدى اتّفاق اللّهجة أو اختلافها معها.

1.2.7 ترتيب أسلوب الشّرط: يتألّف أسلوب الشّرط من الأداة ففعل الشّرط فجوابه، ولأداة الشّرط صدر الكلام، فإن تقدّم عليها شبيه بالجواب معنى، فهو دليل عليه وليس إياه[1]، وأجاز الكوفيون تقديم المفعول بالجزاء على حرف الشّرط، ولم يجوّزه البصريون؛ لأنّ الشّرط بمنزلة الاستفهام، والاستفهام له صدر الكلام.[2]

أمّا عن فعل الشّرط وجوابه، جاء في شرح الكافية الشّافية: "ولا بدّ لأداة المجازاة من فعل يليها يُسمّى شرطًا، وفعل بعده، أو ما يقوم مقامه يُسمّى جوابًا وجزاءً."[3] وقال في شرح التّسهيل بعد كلامه على أدوات الشّرط: "وكلّها تقتضي جملتيْن أولاها شرط تصدّر بفعل ظاهر، أو مضمر مفسّر بعد معموله بفعل يشذّ كونه مضارعًا دون (لم) ولا يتقدّم فيها الاسم مع غير (إن) إلّا اضطرارًا، وتسمّى

---

[1] ينظر ابن مالك: شرح التسهيل م. س، ج4 ص85.

[2] ينظر الأنباري: الإنصاف م. س – المسألة 87، ج2 ص627.

[3] ابن مالك: شرح الكافية الشافية م. س، ج3 ص1584.

الجملة الثّانية جزاءً وجوابًا وتلزم الفاء في غير الضّرورة"[1]، ثمّ حدّد الفعلين ماضيين أو مضارعين أو مختلفين، وقد رتّبهما الرّضي[2] بحسب أهمّيتهما كما يلي:

1- الفعلان مضارعان 2- ماضيان لفظًا 3- ماض مضارع 4- مضارع ماض

إنّ المستقرئ لأسلوب الشّرط في لهجة بني هلال، يكتشف أنّ صور الجملة الشّرطية متنوّعة، فقد يأتي الفعل والجواب جملتين فعليتيْن، فعلاهما إمّا مضارعين وإمّا ماضيين، أو أحدهما ماض والآخر مضارع، وفيما يلي نماذج من كلامهم تبيّن ذلك:

– الأداة + جملة الشّرط فعلها مضارع + جملة الجواب فعلها مضارع، نحو قولهم:

(**اللّي** يِزْرَعْ السَّدْرَة يِحْصَدْ شُوكْهَا) أي: من يزرع السّدر يحصد شوكه، و(**اللّي**) تقابل "من" في الفصحى.

(**وِينْ مَا** تْكُونْ نْكُونْ) أي: حيثما تكون سأكون، فـــ (**وِينْ مَا**) تقابل "حيثما" و"أين ما" في الفصحى.

(مْنِينْ يْزِيدْ[3] يِسَمُّوهْ سْعِيدْ) أي: لمـــّا يولد يسمّونه سعيدا، فـــ (**مْنِينْ**) تقابل "لمـــّا" في الفصحى.

– الأداة + جملة الشّرط فعلها ماض + جملة الجواب فعلها ماض، نحو قولهم:

(**يْذَا** فَاتَكْ اُلطّعَامْ، قـــُولْ شْبَعْتْ، وْيدا فَاتِكْ اُلْكْلامْ، قـــُولْ سْمَعْتْ) أي: إذا تخلّفت عن موعد الطّعام فقل شبعت، وإذا فاتك سماع الحديث فقل سمعت. و(**يْذَا**) تقابل "إذا" في الفصحى، أبدلت همزتها ياءً تخفيفًا، وأبدلت الذّال دالا وهو إبدال جائز، وهناك من ينطقها "اِلَا" بإبدال الذال لاما.

(**وَقْتْمَا** وَجْدَتْ وَجْدَتْ) أي: حيثما وُجِدَت جُهِّزَت. فـــ (**وَقْتْمَا**) تقابل "حيثما" في الفصحى.

(**مَنْ** خَافْ سْلَمْ) أي: من خاف أدلج.[1]

---

[1] ابن مالك: شرح التسهيل م. س، ج4 ص73 و90، وانظر السيوطي: الهمع م. س، ج2 ص58– 59.

[2] الإستراباذي: شرح الرضي م. س، ج4 ص105.

[3] يزيد: يقصدون بها المولود لما يزداد.

– الأداة + جملة الشّرط فعلها ماض + جملة الجواب فعلها مضارع، نحو قولهم:

(**يْذَا** جَا الضِّيقْ، يِجِي لَوْسَعْ وْرَاهْ) أي: إذا ضاق أمر، فانتظر سعة بعده، و(يْذَا) تقابل "إذا" الفصيحة، قلبت همزتها ياءً تخفيفًا. (وْرَاهْ) يقصدون بها: وراءه.

(**كُلْمَا** صَبَرْتْ إلَّا ودِّيتْ حَقَّكْ بْالْكَامَلْ) أي: كلّما صبرت إلا وأخذت حقّك كاملا.

– الأداة + جملة الشّرط فعلها مضارع + جملة الجواب فعلها ماض، نحو قولهم:

(**الّلِّي** يِفْوتَكْ بْلِيلَة، رَاهْ فَاتَكْ بْحِيلَة) أي: من كان يكبرك سنّا فهو أكثر منك خبرة. و(**الّلِّي**) هنا تقابل "من" في الفصحى.

(**الّلِّي** يْـــــقُولْ حَقِّي مَا قَــالْ عَيْبْ) أي: من قال هذا حقّي، لم يقل عيبًا.

2.2.7 جواز تقديم الشّرط على فعله كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا﴾[3] وقوله تعالى: ﴿مَا أَشْرَكْنَا﴾.[4]

وفي هذا تتّفق اللّهجة مع الفصحى، فهم يقولون:

(خْفِيفْ لَـــــقْدَامْ يِنْمَلْ **ولُوكَانْ** وَجْهَهْ مْرَايَا) أي: يُملّ من كثرت زياراته حتّى ولو كان جميلا، والأصل: من كثرت زياراته ملّه خلّانه، يضرب هذا المثل للنّهي عن كثرة الزّيارات غير المرغوب فيها.

(قْلِيلْ لَكْتَافْ يِنْذَلْ **ولُوكَانْ** فْ رَاصَهْ عْمَامَة) أي: يُذلّ من لا سند له ولو كان مظهره مثيرا، والأصل: من لا سند له يذلّ.

---

(1) المعنى اللغوي: من خاف يعني من خاف أن يدرك في الطريق وأن يلحقه قطاع الطريق أدلج في السير، يعني سار بالدجى بغاية النشاط والقوة حتى يقطع السير بسرعة وحتى يسلم من خطر قطاع الطريق، والدلجة السير في أول الليل، وقيل: في آخره؛ لأن السير في أول الليل وفي آخره يكون فيه نشاط وقوة على السير. ينظر ابن منظور: مادة (دلج).

(2) سورة الأعلى: الآية: 9.

(3) سورة الحشر: الآية 21.

(4) سورة الأنعام: الآية 148.

3.2.7 جواز ووجوب الحذف في فعل الشّرط وجوابه

أ) **جواز حذف فعل الشّرط**: أصلُ الجزاء أن تكون أفعاله مضارعة، واسم الشّرط يدخل على الفعل لا على الاسم، ويجوز حذف فعل الشّرط في المواضع التّالية:

- يطّرد حذفه في جواب الطّلب نحو: "اجتهد تنجح" وأَن الأَصل "اجتهد، فإِن تجتهد تنجحْ"، ومثل هذا الحذف وارد في هذه اللّهجة نحو قولهم: (شُوفْ امّْهَا واخْطُبْ بَنْتْهَا) أي: انظر إلى الأمّ واخطب ابنتها، والأصل: انظر إلى خصال الأمّ فإن استحسنتها، فاخطب ابنتها.

(اخْدَمْ ورَبّي يِعَاوْنَكْ) أي: اعمل والله يوفقّك، والأصل: "اعمل وإن تعمل يوفقك الله".

(اذْكرْ اسْبَعْ يِهْدَفْ[1])

أي: اذكر السّبع يحضر، والأصل: "اذكر السّبع، فإن ذكرته يحضر."[2]

- إن كانت الأداة (إن) مقرونة بـــ "لا" كقول الشّاعر:

فطلِّقْها فلستَ لها بكُفْءٍ *** وإلّا يَعْلُ مَفْرِقَكَ الحُسَامُ

والتّقدير: وإن لا تطلّقها يعلُ مَفْرِقَكَ الحُسَامُ.[3]

ومثل هذه الصّورة لها وجود في اللّهجة، من ذلك قولهم:

(كُونْ مَحْضَرْ[4] خِيرْ ولَّا اسْكُتْ) أي: قل خيرا وإلّا فاصمت.

---

(1) يهدف: الإِهْدَافُ الدُّنو مِنْكَ وَالْاسْتِقْبَالُ لَكَ وَالْانْتِصَابُ. يُقَالُ :أَهْدَفَ لِي الشيءُ، فَهُوَ مُهْدِفٌ،وأَهْدَفَ لَكَ السحابُ وَالشَّيْءُ إِذَا انْتَصَبَ؛ وَقِيلَ :الإِهْدَافُ الدُّنُوُّ .أَهْدَفَ الْقَوْمُ أَي قَرُبوا. وَقَالَ ابْنُ شُمَيْلٍ وَالْفَرَّاءُ: يُقَالُ لَمَّا أَهْدَفَتْ لِي الكُوفة نزلْت، لَمَّا أَهْدَفَتْ لَهُمْ تقَرَّبوا. =وَكُلُّ شَيْءٍ رأَيته قَدِ استقْبلك اسْتِقْبَالًا، فَهُوَ مُهْدِفٌ ومُسْتَهْدِفٌ. وَقَدِ اسْتَهْدَفَ أَي انْتَصَبَ، وَمِنْ ذَلِكَ أُخذ الهَدَفُ لِانْتِصَابِهِ لِمَنْ يَرْمِيه. ابن منظور: مادة (هدف).

(2) هذا مثل شعبي يقال في سياق المدح للرجل يتعلق به الحديث في غيابه، فإذا هو يحضر فجأة. وأصل هذا المثل في الفصيح: اذكر غائبا يقترب. ينظر التكريتي: دراسات في المثل العربي المقارن م. س، ص276.

(3) ينظر المبرد: المقتضب م. س، ج2 ص49 و60 وابن هشام: أوضح المسالك م. س، ج4 ص214، والسيوطي: الهمع م. س، ج2 ص59- 62. وابن مالك: شرح الكافية الشافية م. س، ج3 ص1609، وابن مالك: شرح التسهيل م. س، ج2 ص74.

(4) محضر: أصلها من الحضور.

والتّقدير: قل خيرا وإن لا تقل، فاصمت.

ب) جواز حذف فعل الشّرط وأداته إذا دلّ عليه دليل: قال ابن مالك: إنّ الاستغناء عن الشّرط وحده أقلّ من الاستغناء عن الجواب، وأكثر ما يضمر إذا فسرّ بعد معموله بفعل مذكور، والغالب كونه ماضيًا أو مضارعًا منفيًّا بـــ (لم) ومجيئه مضارعًا بدون (لم) تشاقّ كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾[1]

والتّقدير: إن افتخرتم (أو ما في معناه) بقتلهم فلم تقتلوهم، وقوله: ﴿وَلَكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ يستدلّ به على المحذوف، ومن أمثلة هذا الحذف في اللّهجة، نذكر قولهم:

(مَشِي انْتُومَا جَبْتُوا الْعلْفْ أحْنَا جَبْنَاهْ) أي: لستم أنتم من أحضر العلف للدّواب نحن من جلبه، والتّقدير: إن تمنوا علينا بتعليف المواشي، فنحن من جلب لها العلف.

ج) جواز حذف الشّرط بدون الأداة إذا وقع بعد "من" المتلوة بـــ "لا" النّافية: نحو: "من أكرمك فأكرمه ومن لا فدعه" والتّقدير: ومن لا يكرمك فدعه، ومن ذلك في اللّهجة قولهم:

(اللّي يْقَادْرَكْ قَادْرَهْ، واللّي لَا، فُوتَهْ) أي: من احترمك احترمه ومن لا يحترمك فتجاوزه.

د) جواز حذف جواب الشّرط: جواب الشّرط إمّا أن يكون فعلًا، وإمّا جملة مقترنة بالفاء وجوبا؛ لأنّ معنى الفعل فيها، أو بـــ "إذا" الفجائية.[2]

يجوز حذف جواب الشّرط إذا وجد ما يحلّ محلّه وإن دلّ عليه نحو قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾.[3]

والتّقدير: فابتغ، أو افعل.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1] حذف جواب الشّرط في أسلوب الشّرط الثّاني، من الجزء الثّاني من الآية وهو قوله: ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ والتّقدير:

---

(1) سورة الأنفال: الآية 17.

(2) ابن هشام: شذور الذهب م. س، ص413.

(3) سورة الأنعام: الآية 35.

يدرككّم الموتأ، ودليّ عليه جواب الشّرط في قوله تعالى ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ فكان حذف جواب الشّرط في الجزء الثّاني من الآية، لدّلالة جواب الشّرط في الجزء الأوّل من الآية عليه.

مثل هذه الصّورة كثيرة الورود في حديث النّاطقين بهذه اللّهجة، من ذلك قولهم:

(وِينْ مَا تْرُوحُوا نَلَحْـــقْـــــوكُمْ، حتّى ولُو كَانْ فْ اتّلْتْ الْخَالِي) أي: أينما ترحلوا نلحق بكم، ولو رحلتم إلى الرّبع الخالي.

- كذلك إذا لم يكن في الكلام ما يصلح للجواب وأَمكن فهمه من فعل الشّرط، جاز حذفه جوازًا مثل:

(إنْ نجح) جوابًا لمن سأَل: (أَتكافئُ خالدًا؟). ومثل هذا يرد كثيرا في كلام النّاطقين بهذه اللّهجة.

هـــ) وجوب حذف جواب الشّرط: يجب حذف جواب الشّرط في المواضع التّالية:

- إذا كان جواب الشّرط ماضيا واكتنفه ما يدلّ على الجواب المحذوف.[2]

نحو: أنت -إن كتبت الدّرس- مجتهد.

التّقدير: إن كتبت الدّرس فأنت مجتهد.

فوجب حذف جواب الشّرط لدلالة الضّمير المنفصل "أنت" عليه، ولكونه جاء سابقا لفعل الشّرط الدّال على الزّمن الماضي. أيضا مثل هذه الصّورة الشّرطية نجدها بكثرة في هذه اللّهجة نحو قولهم:

(انْتُومَا -لُو كَانْ تَقَطْعُوا الْوَادْ- ارْجَالْ) التّقدير: لو تجتازون الوادي بسلام فأنتم رجال.

- إذا تقدّم جواب الشّرط قسم دال عليه: حدّد سيبويه هذه المسألة تحديدًا في باب سمّاه «هذا باب الجزاء إذا كان القسم في أوّله» فأجاز أن تقول: "والله إن أتيتني لا أفعل" ولم يُجوِّز: "والله إن تأتني

---

[1] سورة النساء: الآية 78.

[2] ابن مالك: شرح الكافية الشافية م. س، ج 3 ص1610، وانظر ابن هشام: أوضح المسالك م. س، ج 4 ص217، وابن يعيش: شرح المفصل م. س، ج 4 ص95– 98، وابن مالك: شرح التسهيل م. س، ج 4 ص 77– 76، والسيوطي: الهمع م. س، ج2 ص62.

آتِك" ومحالٌ أن تقول: "والله من يأتني آتهِ" لأنّ اليمين لا يكون لغوًا، ويجوز أن تقول: "أنا والله إن تأتني لا آتِك" لأنّ الكلام مبني على (أنا) فالقسم هنا لغو.[1]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ءَ ـَك ـَ مِن ـَ ٱل ـ عِل ـ م إِذ ـَك ـَ إذا ل ـَ مِن ـَ ٱلظ لِمِين ـَ ﴾.[2]

تمّ حذف جواب الشّرط من الآية؛ لأنّ القسم أحقّ بالجواب منه، فالقسم إذا سبق الشّرط كان الجواب له دون الشّرط؛ لأنّ جواب الشّرط خبر يجوز فيه التّصديق والتّكذيب، في حين جواب القسم لا يحتمل إلا الصّدق؛ لذلك كان أولى من الشّرط بالجواب، والتّقدير: إن اتّبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم، إنّك إذن لمن الظّالمين، فيكون حينئذ الجواب للشّرط.

والدّليل على أنّ الآية قد سبق فيها القسم الشّرط، أنّ اللّام المتّصلة بأداة الشّرط لام القسم الموطّئة له، والتّقدير: والله لئن اتبعت... إلخ الآية.

ومن أمثلة ذلك في هذه اللّهجة قولهم:

(حَقٌّ اللهِ تَعَالَى لُو كَانْ تْزِيدْ تْخَالَطْهُمْ[3] غِي تَلْقَى رُوحَكْ خَاسَرْ) أي: والله إن بقيت على اتّصال بهم سوف تخسر لا محالة.

- يجب حذف جواب الشّرط إذا كان فعل الشّرط ماضيا، وتقدّم ما يدلّ على الجواب المحذوف، ومنه قول الرّسول صلى الله عليه وسلم؛ عن أبي قتادة الحارث بن ربعي عن الرّسول الكريم... الحديث: "أنّ رجلا قال: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ الله تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله: نَعَمْ. إنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ الله، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ."[4] والتّقدير: تكفّر عنك خطاياك. فحذف الجواب لوجود القرينة الدّالة عليه، والتي سبقت فعل الشّرط الماضي الزّمن.

أمّا في هذه اللّهجة فقولهم:

---

[1] ينظر سيبويه: الكتاب م. س، ج 3 ص 82.

[2] سورة البقرة: الآية 145.

[3] تخالطهم: مخالطتهم.

[4] رواه مسلم برقم: 1885.

(نْعَامْ، يْدَا اخْذِيتْ بْرَايِي) أي: نعم إذا أخذت برأيي، والتّقدير: أنت ستنجح إن أخذت برأيي.

و) جواز حذف فعل الشّرط وجواب الشّرط معا

يجوز حذف فعل الشّرط وجوابه معا، وإبقاء الأداة فقط إذا دلّ عليه دليل.

نحو: من ساعدك فساعده وإلّا فلا. فقد حذف فعل الشّرط وجوابه.

والتّقدير: وإن لم يساعدك فلا تساعده.

ومنه قول الشّاعر: قالَتْ بناتُ العَمِّ يا سَلْمى وإنْ... كان فقيرًا مُعْدَمًا قالت: وإنْ[1]

الشّاهد قوله: وإن كان فقيرا معدما أرتضي به، فحذف الفعل والجواب معا.

من نماذج ذلك في هذه اللّهجة قولهم:

(إِلَا وْفَى أَعْطِيهْ حَقَّهْ، وإِلَا كَانْ لَّا، لّا) أي: إن وفى فأَعطه حقّه وإلّا فلا، الأَصل: وإن لم يفِ فلا تعطه.

4.2.7 اجتماع الشّرط والقسم في جملة واحدة

لقد أفاض العلماء القدامى في هذا الجانب، وكان ملخّص كلامهم:

- أنّ القسم والشّرط إذا اجتمعا، اُستُغني بجواب ما سبق منهما عن جواب الآخر، وفي ذلك تفصيل[2]، ولا فرق إذا كانت الأداة (إن) أو (لو) أو (لولا) أو أسماء الشّرط، وأمّا إذا تقدّم (لو) و(لولا) على القسم، فالواجب إلغاء القسم؛ لأنّ جوابهما لا يكون إلا جملة فعلية خبرية، ولا يصحّ أن يكون جملة قَسميّة، تقول: "لو جئتني والله لأكرمنّك"، "ولولا زيدٌ والله لضربتك."[3]

---

[1] البيت لعمر بن أبي ربيعة.

[2] ينظر ابن مالك: شرح الكافية الشافية م. س، ج 3 ص1635، وابن مالك: أوضح المسالك م. س، ج 4 ص 218.

[3] ملاحظة: اختلف العلماء في إعطاء الجواب لأحدهما، ومن قراءة آرائهم وأحكامهم يبدو لنا أن معظمهم يؤيد أن يعطى الجواب للسابق منهما، وعدّ البغدادي هذا قاعدة عامة. ينظر البغدادي: الخزانة م. س، ج11 ص317- 338.

- إذا تقدّم الشّرط على القسم في جملة واحدة، فالجواب للشّرط من باب أولى، وهذا هو الصّحيح، نحو: "إن تحضر إلينا -والله- نكرمك." فالجواب: نكرمك، يكون للشّرط مجزوما.[1]

أمّا في اللّهجة، قولهم: (وتزورزنا-والله- نْضَيّْفُوكُمْ) أي: لو زرتمونا -والله- نكرمكم.

- ويكون الجواب للشّرط إذا تأخّر عن القسم، ولكن تقدّم عليها مبتدأ، يكون الشّرط والقسم خبرا له، نحو: أنت والله إن تجتهد تتفوّق.[2]

فالجواب: تتفوّق، جاء جوابا للشّرط رغم تقدّم القسم عليه، والدّليل على مجيئه جوابا للشّرط جزمه بأداة الشّرط، والعلّة في مجيئه جوابا للشّرط دون القسم، تقدّم المبتدأ "أنت" على القسم والشّرط، والجملة من القسم والشّرط في محلّ رفع خبر.

أمّا في اللّهجة، قولهم: (أنْتَ والله تْزَيَّرْ[3] رُوحَكْ تَرْبَحْ) أي: أنت والله إن تجتهد تنجح.

- إذا تقدّم القسم على الشّرط و لم يسبقهما مبتدأ، يخبر عنه بجملتيْ القسم والشّرط معا، كان الجواب للقسم، نحو: والله إن تدرس لتنجحنّ إن شاء الله.[4]

الجواب: لتنجحن، جاء جوابا للقسم دون الشّرط، والدّليل اتّصال الفعل بلام القسم، وتوكيده بالنّون، ولو كان جوابا للشّرط لكان مجزوما.

ومثل ذلك في اللّهجة، قولهم:

(والله العَظِيمْ لُو كَانْ عَاوَنْتْنِي، لَكُنْتْ كَمَّلْتْ هَادْ الْبَنْيَانْ) أي: والله لو ساعدتني لأتممت هذا البناء.

---

[1] ينظر: م. س.ص.

[2] ينظر الرضي: ج 4 ص457- 460.

[3] الزِّيرُ: الدَّنُّ، والجمع أَزْيار. وفي حديث الشافعي: كنت أَكتب العلم وأُلقيه في زيرٍ لنا؛ الزِّيرُ: الحُبُّ الذي يعمل فيه الماء والزِّيارُ: ما يُزَيِّرُ به البَيْطارُ الدابة، وهو شِناقٌ يَشُدُّ به البيطارُ جَحْفَلَةَ الدابة أَي يلوي جَحْفَلَتَهُ، وهو أَيضًا شِناقٌ يُشَدُّ به الرَّحْلُ إِلى صُدْرَةِ البعير كاللَّبَب للدابة. وزَيَّرَ الدابةَ: جعل الزِّيارَ في حَنَكِها. والمعنى هنا أنك إذا شددت العزم وأخذت بزمام الأمور ستنجح. ينظر ابن منظور: مادة (زير).

[4] ينظر الرضي م. س: ج 4 ص457- 460.

فالجواب: (لكنت كمّلت) جاء جوابا للقسم دون الشّرط، والدّليل اتّصال الفعل بلام القسم وتوكّيده.

5.2.7 اقتران جواب الشّرط بالفاء

ذكر القدماء مواضع وقوع الفاء الرّابطة، وأشار المبرّد إلى أنّها "لا تقع إلّا ومعنى الجزاء فيها موجود، فهما يسدّان مسدّ جواب (إنْ)، وجاز حذفها."[1] معنى ذلك أنّ الشّرط -كما ذكرنا سابقا- هو تعليق لفعل الشّرط، وجملة جوابه، كما يتوقّف الجواب على الشّرط، وأنّ فعل الشّرط أساس في وجود الجواب؛ لذلك لا بدّ أن يتوفّر في الجملة الشّرطية ركنان أساسيان هامّان هما: "فعل الشّرط"، و"جواب الشّرط"، ولكلّ منهما صور قد تأتي مختلفة في الجملة الشّرطية، ولكن مع اختلاف الصّور ينبغي أن يكون فيها الجواب بصورة خاصّة صالحا لأن يكون جوابا للشّرط، وهذه الصّور هي:

1- فعلان مضارعان 2- ماضيان لفظًا 3- ماض مضارع 4- مضارع ماض.

وجواب الشّرط -وهو موضع حديثنا- قد جاء أفعالا، إمّا مضارعة، وإمّا ماضية، وأنّ هذه الأفعال تصلح دائما أن تكون جوابا للشّرط، للأسباب الآتية:

- أنّها أفعال مشتقّة غير جامدة.
- لم تكن أفعالا طلبية، أمرا، أو نهيا، أو استفهاما.
- لم تكن أفعالا منفية ب "ما" أو "لن".
- لم تكن أفعالا مسبوقة ببعض الحروف التي تخرجها عن مجال عملها الصّحيح، ك "السّين، وسوف، ولن".
- لم تكن جملا اسمية.

---

[1] ينظر المبرد: المقتضب م. س، ج2 ص59 و72، وابن مالك: شرح الكافية الشافية م. س، ج3 ص1579. وسيبويه: الكتاب م. س، ج3 ص67 وابن يعيش: شرح المفصل م. س، ج8 ص158، وابن الأنباري: الإنصاف م. س، ج2 ص623، وابن هشام: المغني م. س، ص610. والبغدادي: الخزانة م. س، ج11 ص364.

بعد هذه التّوطئة الضّرورية نعود إلى موضوعنا الأساس، وهو اقتران جواب الشّرط بالفاء، بعد أن عرفنا متى يكون جواب الشّرط صالحا للشّرط، ومتى لا يكون صالحا له، وعندما لا يكون جواب الشّرط صالحا لأن يكون جوابا للشّرط، وتدخل عليه الأداة وتجزمه يجب اقترانه بالفاء، ما عدا الأفعال الماضية التي لم يرد ذكرها في القائمة السّابقة، وحينئذ تكون جملة جواب الشّرط بما فيها الفاء، في محلّ جزم بأداة الشّرط الجازمة، والفاء حرف يدلّ على السّببية، ووظيفتها الرّبط بين الشّرط وجوابه. أمّا اللّهجة فإنّها تخلو من اقتران جواب الشّرط بالفاء، ولكنّها تستعيض عن ذلك باللّفظ (رَا) الذي يعتبر في اللّهجة رابطة، ولا يأتي إلا متبوعا بالضّمائر المتّصلة مثل (رَانِي، رَاكْ، رَاكُمْ، رَاهْ، رَاهَ، رَاهُمْ) وأحسب أنّ هذه الرّابطة أصلها "أراك".

وفيما يلي بعض الأمثلة والشّواهد على اقتران جواب الشّرط بالفاء في الفصحى، مع ما يقابلها في هذه اللّهجة:

- وجوب اقتران جواب الشّرط بالفاء إذا كان جواب الشّرط جملة اسمية، نحو قوله تعالى:

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[2]. ومن نماذج ذلك في اللّهجة قولهم:

(اللّي بْغَاهَا[3] رَبِّي، رَاهِ هَانْيَة[4] فِ دَارْهَا) أي: من أحبّها الله، فهي مرتاحة في دارها.

وقولهم: (يْدَا جَاوا اضّْيَافْ رَاهْ عْشَاهُمْ وَاجَدْ) أي: إذا جاء الضّيوف فعشاءهم موجود.

- إذا كان الجواب جملة فعلية فعلها جامد، والفعل الجامد هو ما كان دائما على صورة الماضي فلا يؤخذ منه مضارع، ولا أمر، ومنه: "نعم، وبئس، وعسى، وليس، حبّذا... ". نحو قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿صَٰلِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ

---

(1) سورة الأعراف: الآية 178.

(2) سورة النحل: الآية 37.

(3) بغاها: أصلها ابتغاها، وهي تستعمل بمعنى أحبّ.

(4) هانئ: اسم فاعل من هنأ. هانئ في بيته: مستريحٌ، سعيدٌ، مطمئنٌّ. هانئ البال: مسرور مرتاح البال.

(5) سورة البقرة: الآية 271.

مِن ۦ ٱلۡ ۦ مۡ ۥ فۡ ۦ لِحِين ۦ ﴾.[1] أمّا في اللّهجة فتعتبر اللّفظتان (مَادَامْ) و(بَالَكْ) التي تقابل -أحيانا- "عسى" في الفصحى، من أكثر الأفعال الجامدة التي يمكن أن نجدها في هذه اللّهجة، ومن نماذج توظيفهما في جواب الشّرط قولهم:

(اللّي بْغَى يِحَوَّسْ[2] يِرُوحْ الْيُومْ، **مَادَامْ** رَاهْ الْحَالْ زِينْ[3]) أي: من أراد التّجوال اليوم، فليفعل، مادام الجوّ جميلا.

وقولهم: (خَلُّوهُمْ[4] ايْدِيرُوا كِي بْغَاوْا، **بَالَكْ** رَاهُمْ يِقَنْعُوا) أي: اتركوهم يفعلون ما يبتغون، فربّما يرضون.

الملاحظ أن (رَا) التي نحسبها تعوّض "فاء الرّبط" في الفصحى، غالبا ما تقترن بالأفعال الجامدة لكنّها تأتي بعدها.

- إذا كان الجواب جملة فعلية طلبية، أمرا، أو نهيا، أو استفهاما:

ع ۦ تۡ ۦ مۡ ۦ فِ ۦ شنحو قوله تعالى:ر﴿د ۥ وۡ ۦ إلى ۦ ٱلله ۦ وَ ۦ ٱلرَّسۡ ۦ ول ﴾.[5] أمّا في اللّهجة قولهم:

(بَاشْ جُرْحَكْ يِبْرَا[6]، يِخُصَّكْ رَاكْ تَصْبُرْ) أي: من أراد جرحه أن يبرأ، فليصبر.

---

(1) سورة النساء: الآية 67.

(2) يحوس: يستعملونها بمعنى التّجوال والتّطواف. جاء في اللسان حوس: حاسَه حَوْساً: كحَساه. والحَوْسُ: انْتِشَارُ الغارةِ والقتلُ وَالتَّحَرُّكُ فِي ذَلِكَ، وَقِيلَ: هُوَ الضربُ فِي الْحَرْب، وَالْمَعَانِي مُقْتَرِبَةٌ. وَقُرِئَ: (فحاسُوا خلالَ الدِّيارِ): (فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ) ؛ أَي تَرَدَّدُوا بَيْنَهَا لِلْغَارَةِ، وَهُوَ الجَوَسانُ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: قَتَلُوكُمْ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ، قَالَ: وجاسُوا وحاسُوا بِمَعْنًى واحد يذهبون ويجيئون؛ وَقَالَ الزَّجَّاجُ: فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ أَي فَطَافُوا فِي خِلَالِ الدِّيَارِ يَنْظُرُونَ هَلْ بَقِيَ أَحد لَمْ يَقْتُلُوهُ. ابن منظور مادة (حوس).

(3) الحال زين: الحال يقصدون به حال الطقس، وزيْن: عكس شينْ.

(4) خلّ: أصلها تخلّى، بمعنى ترك.

(5) سورة النساء: الآية 59.

(6) يبرا أي: يبرأ، بمعنى يُشفى.

ومثله قوله تعالى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾[1].

أمّا في اللّهجة قولهم: (اِلَا عَاوْدُوا[2] جَاوْ، رَاكْ مَا تْرُوحَشْ مَعَاهُمْ) أي: إذا جاءوا مرّة أخرى، فلا ترُح معهم. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾[3].

أمّا في اللّهجة قولهم: (مْنِينْ تَتْلَاحَـــق عْلِيكْ لْمْحَايَنْ، شْكُونْ الْلِّي رَاهْ غَادِي يِرْفْدَكْ)[4] أي: لمـــــّا تشتدّ بك المحن فمن ذا الذي يساندك؟

- إذا كان جواب الشّرط جملة فعلية فعلها منفي بـــ "ما"، أو "لن"، أو "لا".

نحو قوله تعالى: ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[7].

ومن أمثلة ذلك في لهجة بني هلال قولهم:

(يْذَا دَرْتْ عْلِيَّ، رَاكْ مَا تْخِيبْ مَا تَنْدَمْ) أي: إذا أخذت برأيي فإنك لن تندم.

(الْلِّي بِغَى الجْبَحْ[1]، رَاهْ مَا يـــقُول أَحْ) أي: من أراد خلية العسل فلا يتوجّع من لسعة النّحل.

---

(1) سورة الكهف: الآية 76.

(2) عاودوا: أصلها من المعاودة، أي تكرار الشيء.

(3) سورة آل عمران: الآية 160.

(4) (مْنِينْ تَتْلَاحَـــق عْلِيكْ لْمْحَايَنْ، شْكُونْ الْلِّي رَاهْ غَادِي يِرْفْدَكْ): تَتْلَاحَـــقْ: تتلاحق، فخّموا القاف. (غَادِي) غدا، يغدو. يِرْفْدَكْ: الرِّفْد، بِالْكَسْرِ: الْعَطَاءُ وَالصِّلَةُ .والرَّفْد، بِالْفَتْحِ: الْمَصْدَرُ .رَفَدَه يَرْفِدُه رَفْداً :أَعطاه، ورَفَدَه وأَرْفَده :أَعانه، وَالِاسْمُ مِنْهُمَا الرِّفْد .وتَرَافَدُوا: أَعان بَعْضُهُمْ بَعْضًا .والمَرْفَدُ والمُرْفَدُ :الْمَعُونَةُ. ابن منظور: مادة (رفد).

(5) سورة النساء: الآية 80.

(6) سورة التوبة: الآية 80.

(7) سورة طه: الآية 123.

(اللّي مَا يْدِيرْشْ الْخِيرْ فِي مّالِيهْ، رَاكْ مَا تشوف مْنّهْ وَالُوا) أي: من لا يفعل الخير في أهاليه، فلا تنتظر منه أي شيء.

- إذا كان الجواب جملة فعلية مسبوقة ب "قد"، أو "السّين"، أو "سوف".

ﺸﺮ ﻙ ﻳﺎﻟﻠﻪ ﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ: ﴿ ﺃﻓ ﺗﺮ ﻯ ﺇﺛ ﻣﺎ ﻋ ﻈﻴﻤﺎ ﴾.[2]

ﻫ ﺪ ﻋ ﻟﻮﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ: ﴿ ﺳ ﻓ ﺳ ﻳﺆ ﺗﻴﻪ ﺃ ﺟ ﺮﺍ ﻋ ﻈﻴﻤﺎ ﴾.[3]

ﻟﻚ ﻋ ﺪ ﻭﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ: ﴿ ﻟ ﻣﺎ ﻓ ﺳ ﻭ ﻑ ﺫ ﺼ ﻟﻴﻪ ﺫ ﺎﺭﺍ ﴾[4]

- لا وجود لحروف الاستقبال في اللّهجة، وإنّما يُستعاض عنها بلفظة (غادي) التي تدلّ على الاستقبال، وأصلها "سأغدو" من ذلك قولهم:

(إلَا مَا عَرْفَكْشْ مْلِيحْ، رَاهْ غَادِي يخَسْرَكْ) أي: إذا لم يتعرّف عليك جيّدا، فسوف يخسرك.

(اللّي يِتْغَدَى بَالْكَذْبْ، بَاشْ رَاهْ غَادِي يِتْعَشَى؟) أي: من كثر كذبه، فسوف يفتضح أمره.

ملاحظة: يمكن في اللّهجة حذف اللفظة (رَاه) من الشّرط دون أن يختلّ المعنى.

- اقتران جواب الشّرط بـــ "إذا" الفجائية: يجوز أن تحلَّ "إذا" الفجائية محلّ "فاء" السّببية في الرّبط بين جملتي فعل الشّرط وجوابه، ولا يتأتّى ذلك إلّا حين تكون أَداة الشّرط "إِنْ" أَو "إِذا"، على

---

(1) الجبح: جبح :جَبَحُوا بِكِعَابِهِمْ وجَبَخُوا بِهَا: رَمَوْا بِهَا لِيَنْظُرُوا أَيها يَخْرُجُ فَائِزًا .والجَبْحُ والجُبْحُ والجِبْحُ :حَيْثُ تُعَسِّلُ النحلُ إِذا كَانَ غَيْرَ مَصْنُوعٍ، وَالْجَمْعُ أَجْبُحٌ وجُبُوحٌ وجِباحٌ، وَفِي التَّهْذِيبِ :وأَجْباحٌ كَثِيرَةٌ، وَقِيلَ: هِيَ مَوَاضِعُ النَّحْلِ فِي الْجَبَلِ وَفِيهَا تُعَسِّلُ. ابن منظور: مادة (جبح). أمّا (أحّ): تُسمع عند التوجّع.

(2) سورة النساء: الآية 48 .

(3) سورة الفتح: الآية 10.

(4) سورة النساء: الآية 30.

وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾.[1]

أمّا اللّهجة، فإنّها تخلو من هذه الأداة ولكن تستعيض عنها بلفظة (حْتَى) كقولهم:

(كُنْتْ نَمْشِي فِ أَمَانْ الله، حْتَى اطْفُلْ طَاحْ قْــدَامِي) أي: كنت أمشي مطمئنًّا، إذا بطفل يسقط قدامي. أمّا عن اقتران هذه اللّفظة (حْتَى) بجواب الشّرط فهو قليل في هذه اللّهجة.

6.2.7 دخول الشّرط على الشّرط

يجوز أن يدخل شرط على شرط، وفي ذلك أحكام هي:[2]

– إذا جاء فعلا شرط متواليان بأداتيْهما وبدون عاطف للثّاني على الأوّل، فإنّ جواب الشّرط للأداة الأولى كقوله تعالى: ﴿إِن أَرَادَ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ﴾.[3]

من مظاهر دخول الشّرط على الشّرط في هذه اللّهجة قولهم:

(إِلَا بْغِيتُوا تْرَافْقُونِي، إِلَا الْوَقْتْ سَاعَدْكُمْ خَبْرُونِي) أي: إن أردتم مرافقتي إن سمح وقتكم أعلموني.

فالجواب "أخبروني"، وهو جواب للشّرط الأوّل: "أن ترافقوني"؛ لأنّه صاحب الصّدارة في الكلام، وهو أولى بالجواب من الشّرط الثّاني؛ ولأنّ الشّرط الثّاني جيء به للتّوكيد.

– إذا عطف فعل شرط بأداة "الواو" على فعل شرط آخر، يكون الجواب للفعلين معا؛ لأنّ الواو تفيد الجمع، نحو: "من يستيقظ مبكرا، ومن يؤدّ واجبه بنشاط يفز بالأجر".

أمّا في هذه اللّهجة نجد قولهم:

(اللّي بْغَى الدُّنْيَا واللّي بْغَى الأَخِرَة يِبَكَّرْ) أي: من ابتغى فوز الدّنيا والآخرة فليبكر.[1]

---

[1] سورة الروم: الآية 36.

[2] الرضي: ج 4 ص465، وقد أشار إلى هذا المبرد في المقتضب: ج 2 ص63. وانظر الأنباري: الخزانة: ج 9 ص61.

[3] سورة هود: الآية 34 .

- إذا كان العطف بينهما ب "أو"، الجواب لأحدهما؛ لأن أو تفيد التخيير.

نحو: "إن تشترك في إعداد الصحيفة، أو إن تتفوّق في الامتحان تنل جائزة."

فالجواب: "تنل جائزةّ"، يكون لأيّ الفعلين شئت، أمّا في اللّهجة فأداة التّخيير هي (إِمَّا) أو(وْلَّا) من ذلك قولهم:

(الْلِّي مَا عَنْدَهْ شَاهَدْ وْلَّا الْلِّي مَا شَافَهْ احَدْ، يِتْسَمَّى كَذَّابْ) أي: من ليس له شاهد أو لم يره أحد فهو كاذب.

7.2.7 الشّرط بالتّنغيم

قد تحذف أداة الشّرط ويستعاض عنها بالتّنغيم، ويرد هذا كثيرا في اللّهجة، من ذلك قولهم:

(اصْرَفْ مَا فْ الْجِيبْ، وْرَبِّي يْجِيبْ) أي: أنفق ما في جيبك، والله سيجلب لك، والأصل: لو أنفت ما عندك فإن الله سيعوّضك.

وقولهم: (الْعُودْ الْلِّي تَحَــقْ رَهْ[2] يِعْمِيكْ) أي: الإنسان الذي تحتقره، سيتغلّب عليك، والأصل: إن تحتقر إنسانا اليوم، قد يسود عليك غدا.[3]

8.2.7 الاعتراض بين الشّرط وجوابه

---

[1] أي أنّ نجاز الأعمال يكون في أوّل النهار؛ التماسا لدعاء النبي -صلى الله عليه وسلم -، فقد دعا عليه الصلاة والسلام بالبركة في ذلك: فعن صخر الغامدي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها» رواه أحمد.

[2] تَحَــقْــرَه: تحتقره، فخموا القاف.

[3] هذا مثل شائع بالمنطقة ومعناه أن من طبيعة البعض احتقار الناس واستصغار شأنهم، يأتي هذا المثل ليردّ على مثل هؤلاء بأن من تحقرونهم سيصبحون في يوم سادة عليكم.

جاز اعتراض القسم والدعاء والنداء والاسمية والاعتراضية بين الشّرط والجزاء[1]، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾.[2]

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ لا محلّ لها من الإعراب، جملة معترضة بين فعل الشّرط "لم تفعلوا" وجوابه: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾، والأمر نفسه نجده في اللّهجة نحو قولهم:

(كِي يِكْثُرُوا الْيِدِينْ –ان شا الله– مَا رَاهُمْ خَادْمِينْ حَاجَة) أي: إذا أسند الأمر إلى أكثر من واحد – والله– لن ينجز.

(كِي نَرْبَحْ –ويَا رَبِّ نَرْبَحْ– نْدِيرْ زَرْدَة كْبِيرَه) أي: إذا نجحت –ويا ربّ أنجح– سأقيم وليمة كبيرة.

(اللّي ضَرْبَاتَهْ يْدَهْ – يَا احْمَدْ وَلْدِي– يْدَهْ مَا تُوجْعَهْ) أي: من جلب لنفسه مضرّة – يا ولدي أحمد– فلا داعي لأن يشتكي.

بهذا نكون قد أتينا على ذكر مختلف صور أسلوب الشّرط في لهجة بني هلال، والذي وجدناه يتّفق مع الفصحى في العديد من الأمور، منها:

– أنّ جملة الشّرط تقوم على ركنيْن متلازميْن، لا يتحقّق الأوّل إلّا بوجود الثّاني، سواء كان مذكورا أو محذوفا، هما فعل الشّرط وجوابه، تربطهما أداة، إلّا أنّها انفردت بأدوات شرطية، منها ما حافظت على فصاحتها، ومنها ما هي خاصّة بها ولكنّها تحمل معناها.

– التّركيب الإسنادي يتكوّن من جملتيْن فعليتيْن أو اسميتيْن أو مختلفتيْن، ولا يختلف عن الفصحى من حيث تعدّد صوره واختلافها من ذكر وحذف، واجتماع واعتراض.

أخيرا، وبعد هذا التّجوال والتّطواف بين ثنايا الجمل في لغة بني هلال، وبناءً على ما تقدّم يمكن القول: إنّ هناك توافقا كبيرا بين نظام الجمل بأنواعها، في لغة بني هلال في منطقة الغرب الجزائري وبين سليلتها الفصحى، وهذا من شأنه تأكّيد أنّ هذه اللّهجة جرت عليها سنّة التغيّر، وكلّ انحراف بدا عليها، هو نتيجة حتمية للنّاموس الطّبيعي الذي يتحكّم في كلّ تطوّر وتبدّل، ورغم ذلك ما زالت وثيقة النّسب باللّغة العربية الفصحى. فاللّهجة ليست حديثة النّشأة، بل هي قديمة قدم التّاريخ وموصولة

---

[1] الرضي: ج4 ص95 وشرح التسهيل: ج4 ص73

[2] سورة البقرة: الآية 24.

النّسب بفصاحتنا، قويّة الوشائج بلغة القرآن والأدب، وإن كان التطوّر قد أصاب اللّهجات، فقد أصاب الفصحى هذا التطوّر وذلك التصرّف في بعض جوانبها، ولا سيما الجانب التّركيبي، وحريّ بعد هذا أن يَجِدَّ الباحث في الكشف عن العلائق بين اللّهجات العربية الحديثة والعربية الفصحى، وهذا ما كنّا نسعى إليه.

خاتمة:

اشتمل هذا البحث على بابين اثنين سبقتهما مقدّمة وتلتهما هذه الخاتمة.

النّتائج الخاصة بالباب الأوّل:

– كان الباب الأوّل تمهيديا تناولتُ فيه المسار التّاريخي لقبائل بني هلال الفاعلة التي شكّلت إمدادا حضاريًّا لمنطقة المغرب العربي، فوصفتُ فيه بصورة تفصيلية رحلتهم وحلفاءهم من بني سليم والمعقل من موطنهم بنجد، ومكوثهم الطّويل بصعيد مصر، ثم هجرتهم إلى بلاد المغرب العربي واستقرارهم في الجزائر. فوجدنا أنّ رحلتهم أهمّ حدث عرفته بلاد المغرب، فهي نقطة تحوّل عميقة في البنية الاجتماعية المغاربية بصفة عامّة، والجزائر بصفة خاصّة، امتدّت آثارها إلى اليوم، وشملت مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثّقافية واللّغوية والجسدية والدّينية. فأثرها كان أكثر من الفتح الإسلامي؛ فقد طبعت البلاد بطابع لم تمحه القرون، وبفضلهم تعرّب البربر تعريبا لغويا واجتماعيا ذاتيا، وأصبح هذا الجزء الإفريقي مرتبطا بالمشرق ارتباطا عرقيا بعد استقرارهم واندماجهم فيه، بعد أن كان ارتباطا دينيا وسياسيا ليس أكثر.

– وفي تلخيصي عن بحث دراسة أنثروبولوجية عن الإنسان الهلالي والبيئة المحيطة به، إنّما كنت أبحث عن كنه الإنسان الجزائري، باعتبار أنّ هذه القبائل تمثّل السّواد الأعظم في تكوين المجتمع، فكشفنا عن ثقافته الشّعبية الغزيرة والمتنوّعة بمركّباتها المختلفة، من تراث شعبي وقيّم وأخلاق وعادات وتقاليد وأنماط سلوكية ورموز وإبداع، يعملون بعفوية تامّة على ترسيخها وتأصيلها في نفوس الأجيال وعقولهم. ولا أعتقد أنّني أبالغ إن قلت إنّ التّراث الهلالي تراث غنيّ من حيث الكيف والكمّ، فمن حيث

الكمّ لديهم ذخيرة هائلة من الأمثال والحكم والأزجال والحكايات وأنواع الفنون الشّعبية، وفي مجالات عديدة مثل: الرّقص والغناء واللّباس والطّعام والصّناعات اليدويّة وغيرها، وهي عصارة فكر وتجربة، وحصيلة تاريخ طويل من التّفاعل بين الإنسان الهلالي وبيئته الجغرافية، وكلّها موروثات معظمها لا يزال حيّا ومتداولا حتّى اليوم، وهذا يدلّ على أنّ التّراث والتّاريخ قادران على الحفاظ على شخصية وهوية الإنسان العربي، رغم متغيّرات العصر. أمّا من حيث الكيف، فهو يتميّز بما يتميز به التّراث العربي عموما من أصالة وذوق متلوّن، وحسّ إنساني عالٍ، ومشاعر غزيرة، والتّأقلم مع الظّروف والانفتاح على الآخر.

لكن الافتخار بهذا التّراث الزّاخر والمتميّز لا يمنعني أن أبرز سلبياته، التي يمكن أن أجملها في نقطة سوداء واحدة، وهي أنّ هناك نزعة نحو المعتقدات الخرافية تهيمن على العقلية الهلالية؛ فالخرافة تلعب دورا كبيرا في حياة المجتمع الهلالي بشكل كبير، ليس فقط باعتبارها جزءاً من الموروث الشّعبي، وإنما لتحكّمها وسيطرتها أيضا على نمط تفكيرهم وتعاملهم مع البيئة والظّواهر المحيطة بهم. وأنا هنا لا أقصد الخرافة كعالم خيالي أو أسطوري الذي تنسجه حكايات وقصص الجدّات في ليالي السّهر والسّمر، وإنّما الخرافة المعطِّلة للعقل والعقلية العلمية، التي تشمل ممارسات الشّعوذة والدّجل والتّنجيم وتعاطي السّحر والتّطير والإيمان بالأشباح، والاعتقاد في الأموات والأولياء والتّواصل مع الجنّ. فحياتهم اليومية لا زالت تعجّ بهذه المعتقدات، على الرّغم من التّحوّل الكبير الذي تشهده المجتمعات العربية على الصّعيد الثّقافي والاقتصادي والاجتماعي، حتّى إنّ هناك عادات وتقاليد وأعرافا لها من القداسة في نفوس النّاس ما ليس للحكم الشّرعي الربّاني، ممّا يدلّ على أنّ الرّواسب الوثنية لا زالت قائمة في نفوسهم ومتغلغلة في سلوكهم، وأنّ هذا المجتمع تتنازعه ثقافتان متضادتان، الأولى ثقافة دينية محبّة لدين الله ورسوله، وثقافة وثنية تغرق في وثنيتها تتنافى مع هذا الدين، ولا نستثني هنا فئة المتعلمين من الأمّيين ولا البيئة الحضرية دون البيئة الرّيفية، ولا الذّكور دون الإناث، ولا الأوساط الشّعبية الغنية دون الفقيرة، فهم في هذا سواء، لأنّ الرّواسب الخرافية ماثلة فيهم ومتغلغلة في أغوارهم، حتّى إنّ تفكيرهم وسلوكهم المصقول بالخرافة يظهر عفويا، وينتقل إلى الأجيال في إطار ترسيخ الموروث الشّعبي، ولا ننسى دور الأم اللّاواعي والسّلبي في دعم هذا التّفكير وتثبيته في الطّفل، من خلال ممارساتها للعادات والتّقاليد الخرافية، ومن خلال إجابتها غير العقلانية واللامنطقية عن أسئلة أطفالها العشوائية، وهذا من شأنه تأكيد التّباعد القائم بين الثّقافة الشّعبية والدّين في المجتمع الهلالي، أو أنّ الدّين تحوّل لديهم إلى عادة فانصهر في جملة الموروثات والمعتقدات الشّعبية.

إنّ مثل هذه العقلية تُسهِم في تبلّد التّفكير، وتُعطّل العقل، وتكبّل الجهود والأعمال للانطلاق واللّحاق بالرّكب الحضاري، وهو ما يفسّر ما نعاني منه اليوم من التخلّف المطلق في مجتمعنا. ونحن عندما نتحدّث عن المجتمع الهلالي، فنحن نتحدّث عن المجتمع الجزائري عموما باعتبار أنّ القبائل الهلالية وأحلافها تمثّل السّواد الأعظم في تكوين مجتمعنا -كما سبق الذكر-.

وانطلاقا من الدّور الفعال الذي يلعبه التّراث في صياغة الشّخصية الوطنية، وصقل الهوية وبلورتها لأيّ شعب من الشّعوب، وجب علينا نَخْلُ هذا التّراث وتصفيته من الأساطير والخرافات المثقل بها، حتّى نتمكّن من توظيفه لتعزيز الهوية الوطنية والعربية الإسلامية.

النّتائج الخاصّة بالباب الثّاني:

إنّ الدراسة التي قمنا بها حول لغة بني هلال التي تمثّـــل إحدى اللّهجات العربية المعاصرة، أفضَتْ بنا إلى استنتاج ما يلي:

1. فيما يتّصل بالمستوى الصّوتي:

- تميل اللّغة إلى التّغير والتّطوّر بشكل لا يمكن إيقافه ولا التّنبؤ به، وهي شأن كلّ ظاهرة إنسانية تميل إلى الاقتصاد في الجهد بإبدال أو قلب صوت مكلّف بآخر أسهل منه، وأنّها تجنح دومًا في نظامها الصّوتي نحو الانسجام والتجانس وبعث نوع من الانسياب بين الأصوات.

- الدّواعي والعوامل التي تحكم الظواهر الصّوتية في الفصحى هي نفسها التي تحكمهما في لغة قبائل بني هلال، لا سيما قوانين تفاعل الأصوات فيما بينها التي أيّـــدتها الدّراسات الصّوتية القديمة والحديثة، وكذلك عاملَا السّهولة والاقتصاد في الجهد العضلي اللّذَين يميل إليهما الإنسان في حياته التّعاملية، فالنّاطقون بهذه اللّهجة يجنحون دومًا نحو الأصوات السّهلة المخرج والأكثر خفّة على اللّسان.

- البداوة طَبْع ظاهر على قبائل بني هلال، وإلّا ما اختاروا الأصوات المفخّمة والمجهورة دون الأصوات المرقّقة والمهموسة، وما كانوا ليُلْحِقوا الأصوات الرّخوة بالشّديدة والضّعيفة بالقوّية، فأبدلوا القاف "گافا" هذا الصّوت الذي آثرته القبيلة البدوية تميم، كما أبدلوا التّاء دالا أو طاء، والسّين زايا.

- اختفاء صوت الهمزة الذي لم يكن موجودا في العديد من اللّهجات القديمة، إمّا بحذفه أو بإبداله أو بتسهيله، اللهمّ إلا في أسماء بعض الأعلام، شأنها في ذلك شأن العديد من اللّهجات العربية الحديثة.

– الأصوات بين الأسنانية "الثّاء، الذّال، الظّاء" اختفت في المناطق الحضرية، واستعيض عنها بأصوات تقاربها في المخرج أو الصّفة وهي "التاء، الدال، الضاد" على التّرتيب، بينما بقيت محافظة على خصائصها في المناطق البدوية.

– اندمج صوتا "الضّاد"و"الظّاء" في الفصحى في صوت الضّاد في المناطق الحضرية، وبقي فونيم "الظّاء" في اللّهجات البدوية مستعملا على نحو كامل.

– يمكننا أن ننسب بعض صور الإبدال في لغة بني هلال إلى قبيلة معيّنة، أو بالأحرى إلى لهجة من لهجات الجزيرة العربية، ممّا يؤكّد أنّه انحدرت إلى هذه المنطقة لهجات عربية قديمة مختلفة، وأنّ القبائل التي نزحت إلى هذه المنطقة لم تكن ذات لهجة واحدة، بل لقد وفدت إليها ومعها لهجات مختلفة وأقامت بها، وكلٌّ منها يحتفظ بخصائصه وعوائده في لهجات التّخاطب، التي تأثّر بها أهل البلاد المفتوحة، وبدأوا يحذُون حذوها في لهجات كلامهم وفي تخاطبهم، بدليل وجود بعض الألفاظ الفارسية مثلا، فمِن أين أتت إذا لم تطأ أرضَ الجزائر أقدامُ الفرس؟ فما من شكّ أنّها أتت مع لهجات الفاتحين الذين جُبِلوا على إبقائها، وكانوا قد اختلطوا بغيرهم من أبناء الأمم الأخرى التي دخلت الإسلام، الأمر الذي أدّى إلى امتزاج الألسن، هذا ما يعلّل سبب وجود تلك المظاهر اللّهجية القديمة، التي لا تزال سائدة حتّى يومنا هذا في لغة بني هلال مثل: العنعنة والفحفحة والتّلتلة وغيرها... التي وقفنا عندها، ويؤكّد إلى حدّ ما أنّ لغتهم لا زالت قوّية الوشيجة بعربيتنا الفصحى.

– حافظت على أصوات اللّين الثّلاثة الأصلية ونظائرها الطّوال، ويمكن أن نردّ عمومًا كثرة تقلّبها وعدم استقرارها إلى تلك القرابة بين الأصوات الثّلاثة من النّاحية الصّوتية، من تقارب عدد الذّبذبات بين هذه الأصوات الثّلاثة تقاربًا شديدا، ممّا قد يجعل وقعها على أذن السّامع واحدًا في بعض الظّروف، هذا إلى جانب عدم استقرارها وقدرتها العالية على التغيّر.

– عُدّ الضمّ صفة من صفات الخشونة التي يحرص عليها البدويّ، لهذا كنّا نتوقّع بعد أن تأكّدت لنا بداوة بني هلال، من خلال عرضنا واستقصائنا لصور الإبدال في لهجتهم، أن يشيع الضمّ بها، مثلما شاعت الأصوات المفخّمة والشّديدة، لكن ما حدث ووجـــدناه كان عكس ما توقعناه، والذي حـــدث أنّ قبائل بني هلال ينطقون على سجيّتهم، فنطقوا بالكسرة حيث كنّا نتوقّع منهم الضمّ، ونطقوا بالفتح حيث كنّا نتوقّع منهم الكسر أو الضمّ. فشاع الفتح لأنّه الأخفّ، وتلاه الكسر الذي هو أخفّ من الضمّ، والحقيقة أنّ الأمر يبدو منطقيًّا لأنّ البيئة البدوية تميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، وتنتهج أيسر السّبل في بذل أقلّ جهد ممكن أثناء النّطق، فليس بالغريب إذن أن يشيع الفتح. وفي مثل

هذه الحال، لا يمكننا أن نحكّم عامل البيئة في تحديد عوامل اختيار الأصوات، لأنّ ناموس الاقتصاد في الجهد، وقانون السّهولة اللّذين يعدّان مبدأين ثابتين في اللّغة ينشدهما كلّ متكلم، قد بسطا نفوذهما على ألسنة قبائل بني هلال.

– تعليل قصر المصوّتات الطّويلة يعود إلى سرعة الأداء في الكلام، فبعض اللّهجات تميل إلى الإسراع في الكلام أكثر من غيرها، فيؤدّي إلى سقوط بعض أصوات المدّ من كلامها، وتعتبر هذه الظّاهرة من ميزات البدو خاصّة، فالقبائل البدويّة قديمًا كتميم وغيرها مالت إلى السّرعة في الكلام وتلمّس أيسر السّبل، فكانت تحذف أو تسقط ما يمكن الاستغناء عنه، من المصوّتات طلبًا للتّخفيف، فحذا النّاطقون باللّهجة الهلالية حذوهم في ذلك.

– الحرف المشدّد بعد اللّام الشّمسية يسكّن ويفقِد خاصية التّشديد، بخلاف اللغة العربية الفصحى حيث يكون الحرف الموالي لأداة التّعريف متحركًا، ويكون الحرف الموالي للّام الشّمسية مشدّدا دائمًا كما هو معلوم.

– من خصائص هذه اللّغة التّنوع في التّراكيب المقطعية المختلفة، منها ما يتّفق مع الفصحى ومنها ما يختلف معها، كما تتميّز بالبدء بالمقطع القصير المغلق في معظم الأحيان، وبشدّة النّبر الذي يخضع لأحوال المتكلّم. كما أنّها تلتجئ إلى حذف بعض أصوات الكلمة تسهيلا للنّطق وتوفيرا للجهد.

(ب) فيما يتّصل بالمستوى الصّرفي:

– لا تختلف لغة بني هلال عن الفصحى في عدد أزمنة الأفعال وصياغتها؛ إذ تحتوي على ثلاثة أزمنة: ماضٍ ومضارع وأمر، للثّلاثي الصّحيح ثلاث صيغ كما للمعتلّ، وللمجرّد الرّباعي صيغة واحدة، وتتفرّع عن هذه الصّيغ، صيغ أخرى مزيدة ثلاثية ورباعية، وحروف الزّيادة هي نفسها الموجودة في الفصحى.

– حافظت على أحرف المضارعة الموجودة في الفصحى، إلّا الهمزة التي يتفادون نطقها، فاستعيض عنها بحرف النّون للدلالة على المتكلّم المفرد والجمع.

– يُكسر حرف المضارعة بدل أن يفتح، وهو تغيّر حدث بالفعل في اللّهجات العربية القديمة وعرف بتلتلة بهراء.

– حركة عين الأفعال –غالبًا– غير ثابتة على أصلها، فهي كثيرة التغيّر والتقلّب، وأكثر ما نجدها منقلبة عن الكسرة والضّمّة اللّتين تطوّرتا إلى فتحة، وهو أمر ليس بالغريب، فقد اختلفت اللّهجات

العربية القديمة كذلك في حركة عين الفعل، ماضيًا كان أو مضارعًا في مجموعة من الأفعال، مثلما اختلف بعض القرّاء في ذلك.

– بالنّسبة لصيغة المبني للمجهول، اختفت صيغة المجهول المصاغة بصيغة "فُعِلَ"و"يُفْعَلُ" في الفصحى وحلّ محلّها صيغتا "انفَعَل"و"افتَعَل".

– لا تختلف هذه اللّهجة مع الفصحى في صياغة المشتّقات من حيث البناء، وإنّما الاختلاف يكمن فقط في الحركات، أضف إلى ذلك أنّها ابتكرت صيغا جديدة أثْرَتْ بها قاموسها اللّغوي.

– معظم صيغ اسم المصدر فصيحة، إنما الاختلاف يكمن في حركة فاء الكلمة أو عينها.

– معظم صيغ التّصغير فصيحة كذلك، إنما الاختلاف يكمن في حركة فاء الكلمة التي تبدأ بساكن دائما.

– اختفاء تصنيف المثنى في الضّمائر والأفعال وفي الأسماء، واحتفظت أعضاء الجسم المزدوجة بلاحقة المثنى التي استخدمت بعد ذلك كلاحقة جمع لتلك الأسماء. كما نجد هذه اللّهجة كثيرا ما تستعمل لفظة "زوج" متبوعة بالجمع للدّلالة على التّثنية.

– ينتهي جمع المذكر السّالم في جميع حالاته بالياء والنون، وهو في ذلك يشبه المثنى ولا يفرّق بينهما إلا السّياق.

– يضاف لجمع المؤنّث السّالم ألف وتاء في آخره، وهي صيغة عامة تشمل العاقل وغير العاقل.

– جمع التّكسير له صيغ عديدة ولا يخضع لقياس مطّرد أو لقاعدة ثابتة.

– في النّسبة تستعمل "ياء النّسبة" أحيانا، لكن في الغالب يكتفون باستخدام صوت اللّين "الكسرة" بدلا من الياء.

– احتفظت بالفرق في التّأنيث والتّذكير إلى حدٍّ كبير، وما استوى فيه التّذكير والتّأنيث في الفصحى تميل هذه اللّهجة إلى تذكيره، وللتّأنيث علامة واحدة هي التّاء المربوطة.

– تستعمل ثلاثة أنواع من الضّمائر: ضمائر الشّخص وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، ويرجع قلّة عددها عما هو في الفصحى إلى اختفاء صيغة المثنى، كما نسجلّ خلوّ ضمائر الشّخص من ضمير جمع المؤنّث المخاطب والغائب كذلك.

– استعمالات أسماء الإشارة الدّالة على المفرد القريب والبعيد لا تختلف مع الفصحى، أمّا الدّالة على الجمع فلها صيغة واحدة تدلّ على القريب والبعيد سواء كان مذكّرا أو مؤنّثا. وفيما يخصّ الإشارة إلى المكان فهم يستعملون صيغا عديدة، يعمل السّياق على تحديد نوعها إن كانت للقريب أو البعيد.

– تشترك مع الفصحى في معظم الأسماء الموصولة، وإن أصابها بعض التّحريف الصّوتي وفقدت تصرفها، حيث تعوّض بلفظ (إللّي) وحينما ننظر إلى تركيبة هذا اللّفظ، نجده يأخذ القسم الأوّل من تلك الأسماء (ال) بالإضافة إلى الحرف الأخير أحيانا، وعلى رأي الكوفيون إنّ: الألف واللّام قد تقام مقام (الذي) لكثرة الاستعمال طلبا للتّخفيف.

– لا تلتزم هذه اللّهجة بقاعدة الأسماء الخمسة بل تأتي بالاسم "أخ" مرفوعا في كلّ الحالات، في حين تأتي "أب، حم، فو" منصوبة في كلّ الحالات.

– تستعمل عددا كبيرا من ظروف المكان والزمان جلّها موجود في الفصحى، ويعمل السّياق على تحديد دلالة بعض الظّروف المشتركة بين الدّالة على المكان والدّالة على الزّمان.

– تزخر هذه اللّهجة بالكلمات المنحوتة التي تقوم وظيفتها على مبدأ الاختصار والاختزال، وهو ظاهرة لغوية معروفة في اللّغة العربية منذ القديم.

3. فيما يتّصل بالمستوى النّحوي:

– لم تخرج هذه اللّهجة عن عرف اللّغة الفصحى في تركيب الجملة، فهي تتكوّن من ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه، تربطهما علاقة معنوية تسمّى الإسناد. وهي نوعان فعلية واسمية.

– الجملة الفعلية يكون ترتيبها في معظم الأحيان (المسند إليه + المسند) إذا كان فعلها ماضٍ أو مضارع، أمّا إذا كان فعل أمر فترتيبها يكون (المسند + المسند إليه) في الأعمّ.

– الجملة الاسمية يكون ترتيبها (المسند إليه + المسند) إذا كان هذا الأخير مفردا أو جملة، أمّا إذا كان شبه جملة فترتيبه متأرجح بين التّقديم والتّأخير.

– المسند قد يأتي فعلا أو اسما مجردا أو ضميرا، أو اسما مشتّقا، أما المسند إليه فيأتي إمّا ضميرا أو اسما أو اسما مشتّقا.

– قد يفصل بين المسند والمسند إليه أحيانا بفاصل يكون كلمة أو أكثر، وهو ما يعرف بالتّركيب غير الإسنادي في الفصحى.

– يتمّ الاستفهام في هذه اللّهجة بطريقتين: الاستفهام بالأداة والاستفهام بالتّنغيم، فالأخير يقابل الاستفهام بـــ"الهمزة" أو "هل" في الفصحى، ولا يختلف نظام الجملة فيه عن الفصحى من حيث ترتيب المسند والمسند إليه، وله أغراض عديدة ومتنوّعة.

– الاستفهام بالأداة، أدواته كثيرة ومتنوّعة، منها البسيطة ومنها المركّبة، ومنها ما حافظت على صيغتها كما في الفصحى، ومنها ما أصابها انحراف فزيد فيها أو أنقص منها، ومنها ما هو مبتكر.

– على غرار الفصحى لا تحتلّ أدوات الاستفهام الصّدارة دائما في الكلام، فقد تتوسّطه وقد تتطرّف، كما يمكن لبعض الأدوات أن تحلّ مكان بعضها البعض دون أن يتغيّر المعنى. ولا يختلف نظام الجملة فيه عن الفصحى، بحيث يتقدّم المسند إليه على المسند في الجملة غير المشتملة على فعل، سواء كان معرفة أو نكرة. أمّا إذا اشتملت على فعل فالتّرتيب يكون بحسب أهميّة كلّ منهما.

– لا تختلف عناصر النّداء في هذه اللّهجة عن الفصحى، فهي أربعة: منادٍ، منادى، أداة النّداء وجواب النداء. ويعمل السّياق والتّنغيم في تحديد قرب وبعد المنادى، بخلاف الفصحى التي تستعمل أدوات لنداء القريب وأدوات أخرى لنداء البعيد، كما أنّها تختلف عنها في استعمال أدوات النّداء أحيانا دون ذكر المنادى.

– عادة ما تستعمل ترخيم المنادى؛ تودّدا لهذا الأخير وطلبا للتّخفيف في الكلام، وهو أمر وارد في الفصحى. كما أنّها تشترك مع الفصحى في جواز حذف أداة النّداء أو جواب النّداء أو تقديم الجواب.

– غالبا ما يأتي المنادى معرفا بـــ"أل" وهو ما لا تجيزه الفصحى.

– لا تختلف وظيفة النّفي في هذه اللّهجة عن الفصحى، وهي تستعمل عدّة أدوات منها ما هو موجود في الفصحى ومنها ما هو مبتكر، ومنها البسيط ومنها المركب، وأكثر أدوات النّفي استعمالا في هذه اللّهجة "ما"، التي غالبا ما تلحق بها اللاحقة "ش" دون غيرها من الأدوات الأخرى، وتعتبر اللاحقة "ش" من الظواهر البارزة في هذه اللّهجة.

– ترتيب أدوات النّفي غير مقيّد ولا يخضع لأيّ قواعد ضابطة، فقد تتصدّر المسند والمسند إليه، وقد تتوسّطهما كما قد تتأخّر عنهما، سواء مع الجملة الفعلية وغير الفعلية.

– قد تتكرّر أداة النّفي في التّركيب من أجل التّوكيد فقط.

– قد يخرج النّفي عن دلالته الأساسية ليؤدّي أغراضا أخرى وردت في الفصحى.

– لا يختلف أسلوب الشّرط في اللّهجة عن الفصحى فهو يقوم على ركنين أساسيين: جملة الشّرط وجواب الشّرط تربطهما في معظم الأحيان أداة الشّرط.

– اختصّت هذه اللّهجة ببعض أدوات ليست موجودة في الفصحى لكنها تحمل معناها وتؤدّي غرضها، وقد تحلّ محلّ بعضها البعض دون أن يتغيّر المعنى.

– قد يأتي ركنَا الشّرط إمّا جملتين فعليتين أو اسميتين أو مختلفتين، كم قد يأتيان مثبتين أو منفيين، أو أحدهما منفي والآخر مثبت.

– قد يتعدّد جواب الشّرط للتوكيد وقد تحذف أداته، كما قد يتقدّم على فعله أو يحذف إذا وجد ما يدلّ عليه وهو أمر يَرِدُ في الفصحى.

– قد يجتمع القَسَمُ مع الشّرط مثلما يحدث في الفصحى.

– أسلوب الشّرط الخالي من الأداة يتكوّن غالبا من فعلي الأمر والمضارع.

نتائج عامّة:

– إنّ ما جمعتُهُ في رسالتي ليس كافيا لتقصّي حقيقة لسان قبائل مترامية الأطراف هنا وهناك، لأنّ الأمر صعب ويطول، ولا أظن أنّ هناك واحدا قادرا على الإلمام والإحاطة بلغتهم جميعا، كما أنّني أسقطت في هذه الدّراسة رصيدا لغويا لا بأس به، من خلال مجاوزتي كلّ الألفاظ والعبارات التي يتحرّج منها النّاس عامّة، وكذلك الألفاظ التي لا يتحرّجون منها في استعمالاتهم اليومية، ولكنّنا نتحرّج نحن من إيرادها في الفصيح، حتّى ولو كانت حسنة في صيغتها، جميلة في معناها، وذات أصل لغوي فصيح.

– إنّ ما تتّفق فيه لغة قبائل بني هلال في منطقة الغرب الجزائري والفصحى أكبر ممّا تختلفا فيه، فمعظم ألفاظ هذه اللّهجة فصيحة وإن اختلفت دلالتها مع الفصحى، ومَرَدُّ ذلك إلى الاشتراك اللّفظي والمعنوي.

– لا زالت المفردات الفصيحة هي السّائدة في المناطق البدوية، بدلا من الألفاظ الأجنبية ومن العامية المشوّهة التي نجدها تغزو ألسنة المناطق الحضرية، خاصّة فئة الشّباب.

– هناك ألفاظ يظنّ أنّها ليست من العربية لأنّها لم تعد تستخدم في الفصحى، وهي في الحقيقة من الفصيح العريق، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ عن جهلنا بالعربية الفصحى، التي ينبغي –ضرورة– العناية بها، والاهتمام بإحياء الفصيح الذي لا يزال يعيش في الدّارج.

– إنّ العديد من الألفاظ والعبارات العامية التي يمكن أن نردّها إلى الفصحى، أكثر من أن تحصى في هذه اللّهجة، منها ما هو باق محافظ على سلامته اللّغوية ودقّة تعبيره، وإنّما يحتاج لمن ينفض عنه غبار الدّهر، وينقّيه من شوائب الغزو اللّغوي والانفتاح الثّقافي والإعلامي، وينخله من الألفاظ الأعجمية والغريبة العالقة به، ويردّه إلى أسرته العربية.

– المقاصد البلاغية المدسوسة في الأدب الهلالي، لاسيما الأمثال والحكم والكنايات وغيرها من أساليب التّعبير الشائعة وما تهدف إليه، كلّها تسير على نسق الفصحى ونهجها وترتقي إليها، من حيث إيفاء الغرض ولطافة التّعبير وصياغة اللّغة.

– لغة قبائل بني هلال جرت عليها سنّة التغيّر، وكلّ انحراف بدا عليها هو نتيجة حتمية للنّاموس الطّبيعي الذي يتحكّم في كلّ تطوّر وتبدّل، ورغم ذلك ما زالت وثيقة النّسب باللّهجات العربية القديمة، التي اشتركت في تشكيل أصول العربية الفصحى وتثبيت مقاييسها، وممّا يعزّز القول بأنّ هذه اللّهجة الجارية على ألسن العامّة قد احتفظت في تطورّها ببعض الميزات، التي لم تحتفظ بها اللّهجات الأخرى كاستعمالها للألفاظ البدوية العربية القحّة، ونطقها السّليم لبعض الأصوات التي تحرّفت في بعض اللّهجات العربية الشّقيقة، كاللّهجة المصرية واللّهجات الشّامية مثلا، نحو الثّاء والذّال والظّاء.

– تعدّ لغة قبائل بني هلال في منطقة الغرب الجزائري، امتدادًا للهجات العربية القديمة، وما زال كثير من الظّواهر اللّغوية الفصحى كامنة فيها، فشيوع العديد من الظّواهر اللّغوية في هذه اللّهجة، يوحي بأنّها انحدرت من قبائل عربية قحّة، ولكن المصادر لم تذكرها لاعتماد اللّغويين على قبائل معينة (قيس، تميم، أسد، هذيل، بعض الطائيين وبعض كنانة). واكتفاؤهم بعبارة :"وهي لغة"، لباقي لهجات القبائل الأخرى.

– يظهر أنّ لغة بني هلال قد سلكت مسلك التّميميين، لأنّ لغتهم أكثر شيوعًا في الاستعمال، ولعلّ ذلك يرجع إلى تأثير القبائل العربية –ومنها التّميمية–، التي نزلت عقب الفتح الإسلامي في مناطق مختلفة من الجزائر، أو إلى عامل التّجاور، وهذا ما يعلّل أنّ اللّهجات البدوية واحدة أو تكاد.

– إنّ اللّهجة الجزائرية الحاضرة، ما هي سوى سلالة صافية من لهجات العرب الذين حلّوا في أرض الجزائر في القرن الخامس الهجري. وإنّ الحشد الذي صادفناه من الألفاظ الدّخيلة أمر طبيعي، فالأراضي الجزائرية كانت مسرحًا رحبًا لأقدام كثيرة من أجناس مختلفة، واللّغة النّواة الأولى التي من شأنها أن تحمل أثر هذا الاحتكاك في هيكلها، وإن كان هذا يقرّر أنّ اللّغة العربية في الجزائر ككلّ –دون تحيّز عاطفي– استطاعت أن تَثْبُتَ وتكون هي اللّهجة العربية التي تمشي جنبًا إلى جنب مع الفصحى التي تعدّ اللغة الرّسمية، وهذا من شأنه نفي قول كل من يدّعي أنّ اللّهجة الجزائرية أبعد اللّهجات العامية العربية جميعًا عن العربية الفصحى، وقول كلّ من يشكّك في أصالة لهجتنا، التي هي وثيقة الصّلة والوشيجة بالفصحى، فقط جهْلنا لها، يجعلنا ننحاز عنها ونبحث عن ألفاظ بديلة لها في لغات أجنبية بعيدة عنّا، ولا نُوْلِيها أي اهتمام ونتفادى النّطق بها.

إنّ الرؤية التي نستنتجها من خلال فصول هذا البحث، وما استقصيناه لظّواهر هذه اللّهجة وفي اللّغة العربية الفصحى على حدٍّ سواء، قوامها أنّ اللّهجة لا تشكّل وحدة مستقلّة لها مقاييسها المحدّدة التي لا تُخترق، ولها معجم ألفاظ خاصّ، بل تظهر اللّهجة من خلال ما رأينا، بمثابة الصورة

للأصل، والصورة قد تظهر في أكثر من شكل تبعًا لطبيعة المرآة التي تصنعها الخصائص الجغرافية والتاريخية والاجتماعية.

وبَعْدُ على الرّغم من اجتهادي وحرصي البليغ على الإلمام بشتّى جوانب هذا الموضوع، تبقى هناك جوانب أخرى فاتتني؛ وذلك لشساعة مادّته، وكذلك لانعدام الوسائل المخبرية التي من شأنها أن تعمّق الدّراسة، وتعطي نتائج أكثر دقّة وعلمية. وعليه فإنّ ما أرجوه، أن تكون رسالتي منطلقًا آخر لدراسات أخرى في حقل اللّهجات، تطمح إلى المقاربة بين لهجاتنا العربية وبين اللّغة العربية الفصحى، والسّعي للارتقاء بها حتى نردم الهوة بينهما ردما مطبقا، وتثبيت هذه الأخيرة على ألسنتنا كي لا نلجأ إلى غيرها، وتبقى هي تنعى حظّها بيننا، وإني لآمل -بعد هذا الجهد- أن أكون قد وُفِّقْتُ فيما صبوت إليه.

- **القرآن الكريم**

المصادر: (أ)

- **إبراهيم أنيس:**
. الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة - ط3، 1971المصرية.
. في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط،1990م.
. من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط: 6، 1978م
– **إبراهيم بن أحمد المقحفي:** معجم البلدان والقبائل اليمنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 2004، ط4.
– **إبراهيم الحربي:** كتاب "المناسك" وأماكن طرق الحجّ ومعالم الجزيرة: ، تحقيق: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، المملكة العربية السعودية، 1389ه-1969م.
–**إبراهيم زكي خورشيد:** الأغنية الشّعبية والمسرح الغنائي، المكتبة الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985م.
– **إبراهيم السّامرائي:**
التطوّر اللغوي التاريخي، دار الأندلس، ط2، 1981م.
دراسات في اللغة، مطبعة العاني بغداد، دط، 1961م.
– **ابراهيم نجا:** اللهجات العربية، طبعة السعادة.
– **ابن أبي دينار:** المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1286ه.
– **ابن الأثير:**
. النهاية في غريب الحديث، تحقيق: الزاوي والطناحي القاهرة، ط1، 1383هـ-1923م.
. اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر للطباعة والنشر، 1980، ط1.
. أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، القاهرة: مكتبة الشعب، 1970م.
– **ابن الأنباري أبو البركات:** البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب، مطبعة دار الكتب، 1970م.
– **ابن بري أبو الحسن سيدي علي الرباطي:** النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرء الإمام نافع، شرح سيدي إبراهيم المارغي، دط، دت.
– **يوسف بن تغري:** النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، 1348ه-1929م.
– **ابن الجزري أبو الخير محمد:** النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه ومراجعته علي محمد الصباغ، دط، دت-.

– ابن جني أبو الفتح عثمان:

. الخصائص، حققه محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت، لبنان، دط، دت.

. سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق د/حسن هنداوي، دار القلم دمشق،ط1، 1405هـ - 1985م.

. المحتسب دار التحرير، دط، 1389هـ-1986م.

– ابن حبيب أبو جعفر محمد: مختلف القبائل ومؤتلفها، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.

– ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت 1412هـ – 1992م.

– ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، مطبعة دار المعارف، 1948م.

– ابن خالويه: الحسين بن أحمد، الحجّة في قراءات الأئمة السبعة، مخطوطة بدار الكتب برقم 19523، دت.

– ابن خلدون:كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1959م.

– المقريزي تقي الدين أحمد بن علي:

. إغاثة الأمة بكشف الغمة "تاريخ المجاعات في مصر" مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م.

. لمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار -المعروف بالخطط المقريزية- مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 1987م.

. رسائل المقريزي، تحقيق: رمضان البدري-أحمد مصطفى قاسم، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1419ه-1998م.

. لبيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تولى مراجعته ونشره، ابراهيم رمزي، مطبعة الغابق، مصر، 1334ه-1916م.

– ابن دريد الأزدي:

. جمهرة اللغة، مطبعة المعارف بحيد آباد، ط1، 1344هـ.

. الاشتقاق، تحقيق العلامة عبد السلام هارون، طبعة دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى:1991م.

– ابن سعد الزهري: الطبقات الكبرى مع الفهارس، دار الكتب العلمية، ط2، ، 1997م.

– ابن سيدة: المخصص، طبعة الأميرية ببولاق طبعة بيروت، دط، 1320هـ.

– ابن عبد البر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1912م.

– ابن عذاري: البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان – إليـــقـــي بروڤنسال، دار الثقافة، بيروت-لبنان .

– ابن فارس أحمد:

. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: تحقيق مصطفى الشويمي، بيروت، دط، 1964م.

. معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1989م.
– **ابن القيم**: زاد المعاد في هدي خير العباد، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1424ه-2003م.
– **ابن مالك الأندلسي**: شرح التسهيل: تحقيق: الدكتور عبد الرحمن السيد – الدكتور محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1410م-1990م.
- **ابن هشام الأنصاري**:
. محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1411ه-1991م.
. شرح شذور الذهب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1965م.
– **ابن هشام**: السيرة النبوية، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط1.
– **ابن هشام اللخمي**: المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان، 1995م.
– **ابن منطور**: لسان العرب، 1955م: دار الصادر، بيروت، دط.
– **ابن يعيش**: شرح المفصل، طبعة المنيرية، دط، دت.
– **أبو بكر عبد الله**: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، طبعة القاهرة، 1951م.
– **أبو حيان الأندلسي**: البحر المحيط، القاهرة: د ط، 1329 هـــ.
– **أبو زيد الأنصاري**: النوادر في اللغة، بيروت، دط، 1894م.
– **أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي**: الإبدال، تحقيق عز الدين التنوخي مطبوعاتالمجمع العلمي العربي دمشق، د ط، 1960 –1961.
–**أبو العباس أحمد القلقشندي**:
. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط بغداد.
. صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، 1959م.
. قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، الطبعة رقم 1، دار الكتب الحديثة 1963م.
– **أبو العباس بن يحي ثعلب**: مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة القاهرة، دار المعارف، دط 1960م.
– **أبو عمر الداني**: المحكم في نقط المصاحف: تحقيق: د/عزة حسن دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية، ط2، 1418هـــ-1997م.
– **أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، ود. عبد الحليم عويس الرياض**: بنو هلال أصحاب التغريبة في التاريخ والأدب، دار العلوم، شارع الستين 1981م.
–**أبو العرب الخشني**: كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس، ط 1914، الجزائر.
–**أبو الفرج الأصفهاني**: الأغاني، طبعة القاهرة، 1904م.

– **أحمد توفيق المدني**: كتاب الجزائر، المؤسَّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984م

– **أحمد عبد الرحمن حماد**: الخصائص الصوتية في لهجة الإمارات العربية (دراسة لغوية ميدانية): . دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط.

– **أحمد علم الدين الجندي**: اللهجات العربية في التراث القسم الأول في النظامين الصوتي والصرفي، الدار العربية للكتاب،دط، 1978م.

– **أحمد حسن شرف الدين**: لهجات اليمن قديما وحديثا، مطبعة الجبلاوي، دط،1970م.

– **أحمد رضا**: متن اللغة، دار الحياة، بيروت، ط1، 1378هـ-1959م.

– **أحمد صالح العلي**: محاضرات في تاريخ العرب، دار الكتب للطباعة والنشر، 1981م.

– **أحمد مختار عمر**: دراسة الصوت اللغوي، توزيع عالم الكتب، ط3. 1405هـ-1985م.

– **أحمد فارس الشدياق**: سر الليالي في القلب والإبدال، مطبعة العامرة السلطانية، الأستانة العلية، 1284م.

– **الأزهري أبو منصور**: تهذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، دط،دت.

– **الاستربادي رضى الدين**: شرح شافية ابن الحاجب: تحقيق: محمد نور الحسين، محمد الزقران، محي الدين عبد الحميد، دار الفكر – بيروت – 1975م.

– **إسطنبولي رابح والمنصف عاشور**: الجزائريون الماضي والحاضر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م.

– **إسماعيل العربي**: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982م

– **أنيس فريحة**: اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل بيروت، ط11409هـ-1989م.

(ب)

– **براجشتراسر جوتهلف**: التطور النحوي للغة العربية، إخراج وتصحيح رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، دط، 1402هـ - 1963م.

– **البكري الأندلسي**: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م.

– **البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر**:

. فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، بيروت: دار الكتب العلمية، 1978م.

. أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف: القاهرة، 1939م.

– **البلانسي الكيلاعي**: تاريخ الردة، اقتبسه وهذبه حور رشيد أحمد فاروق، الهند: مطبعة أميرة وشركائها، 1982م.

– **بنت الشّاطئ عائشة عبد الرحمن** :سيدات بيت النبوة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م.

(ت)

– **التّجاني أبو محمد**: رحلة التيجاني، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، تونس، المطبعة الرسمية، 1958م
– **التّلي بن الشيخ**: دراسات في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ت
– **تمام حسان**:
. اللغة بين المعيارية والوصفية، مطبعة الرسالة، دط، دت.
. اللغة العربية معناها ومبناها: دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، دط، دت.
(ث)
– **الثعالبي أبو منصور**: فقه اللغة وأسرار العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان. دت.
(ج)
– **الجاحظ أبو عثمان**: البيان والتبيين، طبعة القاهرة د ط، 1311 هـــ.
– **جان كانتينو**: دروس في علم الأصوات العربية، ترجمة: صالح القوماوي، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1966م.
– **جرجي زيدان**: مقدمة كتاب اللغة كائن حي، ط2، دار الهلال
– **جورج مارسي**: دول المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة: مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأةالمعارف، الإسكندرية، 1991م
– **جوزيف فندريس**: اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، دط، دت.
– **جواد علي**: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية 1980م.
(ح)
– **حاتم عبد الهادي السيد**: سيناء في تراث العالم القديم، مجلة أفق الثقافية، عدد 26 مارس 2005م.
– **حسن إبراهيم**: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط3، 1964م.
– **حسن أحمد محمود**: تاريخ المغرب الكبير، بيروت، دار النهضة، 1981م.
– **حسن حسني عبد الوهاب**: ورقات تونسية، تونس، المطبعة الرسمية، 1960م.
– **حسن ظاظا**: تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، 1964م.

(خ)
- الخليل ابن أحمد الفراهيدي: العين، تحقيق د/ عبد الله درويش مطبعة العاني، ببغداد، دط، 1967م.
(د)
دروزة محمد عزة: تاريخ العرب في الاسلام تحت راية الخلفاء الراشدين، بيروت: المكتبة العصرية، دت، دط.
(ذ)
الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ط9- 1413هـ 1993م.
(ر)
– **راضي دغفوس**: دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1425هـ/ 2005م
– **الرّضى**:
. شواهد الشافية، طبعة صبيح، دط، 1345هـ.
. الرافعي مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ط4.
. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي علله وقوانينه ومظاهره، مكتبة الخانجي، القاهرة – دار الرفاعي بالرياض – ط1، 1404هـ - 1983م.
– **رمضان عبد التّواب**:
. مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي دار الرفاعي بالرياض، ط1، 1403هـ-1983م.
. فصول في فقه العربية، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ-1987م.
(ز)
– **الزركشي بدر الدين محمد عبدالله**: البرهان في علوم القرآن، دار الفكر، ط3، 1400 هـ - 1980م.
(س)
- **السّلاوي أحمد بن خالد**: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتب، المغرب، 1954م.
– **سيبويه أبو بشر عثمان بن قنبر**: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون دار الجيل، بيروت، د ط، 1411هـ- 1991م.
– **السّيد عبد العزيز سالم**: المغرب الكبير، طبعة القاهرة، 1966م.
– **السّيوطي جلال الدين**:

. **الإتقان في علوم القرآن:** حققه: عصام فارس الحرشاني، حقق أحاديثه محمد أبو صعيليك، دار الجيل – بيروت – ط 1، 1419 هـ-1998م.

. **المزهر في علوم اللغة وأنواعها:** شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته محمد أحمد جاد المولي، علي محمد البحاوي، محمدأبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع دار الجيل –بيروت– لبنان، دط، دت.

(ش)

– شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: قدم له وضبطه وعلقّ حواشيه وأعرب شواهده وفهرسه د/أحمد سليم الحمصي، د/محمد أحمد قاسم.، منشورات دار جروس طرابلس، لبنان، ط1.

– **شهاب الدّين النويري:** نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان، ط1، 1424هـ - 2004م.

– **الشّيخ حمزة بو بكر:** ثلاثة شعراء جزائريون، صدر بباريس سنة:1990م.

(ص)

– **صالح المهدي:** الموسيقى العربية تاريخها وآدابها، الدار التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية تونس/ الجزائر، 1986م.

(ط)

– **الطّاهر الزاوي:** تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المدار الاسلامي، ط1، 2004م.

– **الطبري محمد بن جرير:** تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، دار الكتاب العربي، 2005م، ط1.

(ع)

– **عبّاس حسن:** النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجدّدة، دار المعارف، ط3، د ت.

– **عبد الرحمن الجيلالي:** تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

– **عبد الرحمن قيقة:** من أقاصيص بني هلال، رواية شفوية نقلها الطاهر قيقة، الدار التونسية للنشر، ط4.

– **عبد الحفيظ البناني:** مدخل إلى تاريخ التشيّع في تونس، طباعة وإخراج: ضياء الخفّاف، مركز الأبحاث العقائدية، 1532ه، العراق.

– **عبد الحميد الخالدي:** الوجود الهلالي السّليمي في الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003م.

– **عبد الحليم عويس:**

– بنو هلال أصحاب التغريبة في التاريخ والأدب، النادي الأدبي الرياضي السعودي، 1401هـ-1981م.

- دولة بني حماد – صفحة رائعة من تاريخ الجزائر- دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط2، 1411ه-1991م.

عبد العزيز مطر: لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربي –دراسة لغوية، دار المعارف، مصر، 1981م

- **عبدالغفار حامد هلال:**

. اللّهجات العربية نشأة وتطوّرا: مكتبة وهبة، ط2، 1993م.

. أصوات اللغة العربية ، مطبعة الجبلاوي، ط2، 1988م.

– **عبد القادر عبد الجليل:**

. الأصوات اللغوية، دار الصّفاء للنشر والتوزيع، ط1، 1998م

. التنوعات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1417هـ-1997م.

– **عبد القادر عزة:** مصطفى بن براهيم، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1975م.

– **عبد الملك مرتاض:** العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

– **عبد الواحد وافي:**

. فقه اللغة، لجنة البيان العربي، 1381هـ- 1963م.

. علم اللغة، دار النهضة، القاهرة، دط، 1945م.

– **صبحي صالح:** دراسات في فقه اللغة، ط9، بيروت – لبنان-.

– **عبد الصبور شاهين:**

. في التطور اللغوي، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط2، 1405هـ-1985م.

. القراءات القرآنية في ضوء علم اللّغة الحديث، دار القلم، دط، 1966م.

. المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.

– **عبده الرّاجحي:** اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعارف،دط، 1969م.

– **عبد القاهر الجرجاني:** الجمل، حققه وقدم له: علي حيدر، دمشق، 1392هـ ـ 1972م.

– **عبد المجيد عابدين:** من أصول اللهجات العربية، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، 1989م.

– **عبد الواحد وافي:** نشأة اللغة عند الانسان والطفل ، مطبعة العالم العربي – القاهرة –.

– **عبد القادر عبد الجليل:** الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، سلسلة الدراسات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عَمَّان –الأردن- ط1، 1417هـ، 1997م.

– **عبده الرّاجحي**: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مكتبة المعارف – الرياض – ط1، 1420هـ.
– **عثمان سعدي**: عروبة الجزائر عبر التاريخ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م.
– **عز الدين عمر موسى**:
. النّشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشرق، بيروت، 1983م.
. الموحّدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ-1991م.
– **عشراتي سليمان**: الشخصية الجزائرية -الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية-، ديوان المطبوعات الجامعية 07-2002م.
– **علي محمد الصلابي**: الدولة الفاطمية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ط1، 1427هـ-2006م.
– **عمر كحالة**: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة -بيروت- ط3، 1402هـ-1982م،
– **عوض السيد حنفي**: قرية بني هلال بين المسار التاريخي والواقع الاجتماعي، القاهرة، دار المعارف، 1977م

(غ)

– **غالب فاضل المطلبي**: في الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المد العربية-، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية، ط1، 1984م.
– **غوتييه فيلكس إرنست**: ماضي شمال إفريقية، ترجمة: هاشم الحسيني، طرابلس: دار فرجاني، 1970م.

(ف)

– **فاروق عمر: تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1979م.**
– **الفيروز آبادي مجد الدين**: القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت.
– **الفراء يحي بن زياد**: معاني القرآن، تحقيق الأستاذين محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية، دط، 1955م.

(ك)

– **كارل بروكلمان**: فقه اللغات السامية، تعريب: د/ رمضان عبد التواب، بيروت، لبنان، ط2، 1405هـ-1985م.
– **الكلبي هشام أبي المنذر**: جمهرة النسب، تحقيق: د. ناجي حسن، ط1، 1407هـ- 1981، ط1.

-**كمال ربحي**: الإبدال في ضوء اللغات السامية – دراسة مقارنة ، جامعة بيروت العربية، ط1، 1980م.

– **الكندي أبي عمر بحمد بن يوسف**: كتاب الولاة، وكتاب القضاة، تحقيق: رفن كَست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م.

– **كيس فرستيغ**: العربية (تاريخها مستوياتها وتأثيرها) ترجمة: محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003م.

(ل)

لسان الدّين بن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق: أحمد المختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م.

(م)

ماجد الصّايغ: لأخطاء الشائعة وأثرها في تطور اللغة العربية، إشراف د. عفيف دمشقية، دار الفكر اللبناني، ط1، 1990م.

– **ماريو باي**: أسس علم اللغة، ترجمة د. أحمد مختار عمر، القاهرة، دط، 1983م.

– **مجمع اللغة العربية**، القاهرة، مجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا، مصر 1984م.

– **محمد أمين البغدادي السّويدي**: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار الكتب العلمية، ط1، 1995م.

–**محمد الأنطاكي**: الوجيز في اللغة، مكتبة دار الشرق، ط3، دت.

– **محمد رشاد الحمزاوي**: المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م.

–**محمد الهادي الشريف**: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، دار صرصار للنشر، تونس، 1980م

– **محمود السعران**: علم اللّغة – مقدمة للقارئ العربي- القاهرة 1962م.

– **محمد علي دبوز**: المغرب الكبير، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، القاهرة 1964،

– **مبارك الميلي**:

. تاريخ الجزائر القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، انتاج: دار الغرب الإسلامي، بيروت –لبنان-.

. الشّرك ومظاهره، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م.

– **محمد بن علي يوسف الجزري**: تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1404هـ-1983م.

– **محمد بن موسى الحازمي**: عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النّسب، تحقيق وتعليق: عبد الله كنون، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط2، 1393ه-1973م.

– **محمد مالكي**: الحركات الوطنية والاستعمارية في المغرب العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1993م.

– **محمد خليفة التونسي**: أضواء على لغتنا السمحة "سلسلة كتاب العربي": مطبعة حكومة الكويت، 1985م.

– **محمود إسماعيل**: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، المغرب، ط2، 1406هـ-1985م.

– **محمود الربداوي**: دراسات في اللغة والأدب والحضارة، القسم1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.

– **المبرّد أبو العبّاس**:

. المقتضب، تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمه، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دط، 1388هـ-1963م.

. الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف، بيروت، د ط، د ت.

. نسب عدنان وقحطان، القاهرة، 1936م.

– **المسعودي**: مروج الذهب، القاهرة، 1283هـ.

– **المراكشي عبد الواحد بن علي**: المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م.

– **مصطفى أبو ضيف أحمد عمر**: القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

– **مصطفى غالب**: الحركات الباطنية في الإسلام، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1980م.

– **مصطفى الغلاييني**: جامع الدروس العربية،

– **المقريزي تقي الدّين**:

– رسائل المقريزي، دراسة وتحقيق: رمضان البدري-أحمد مصطفى قاسم، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1419ه-1998م.

– إغاثة الأمة بكشف الغمة "تاريخ المجاعات في مصر" مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م.

(هـ)

- **الحسن الهمذاني:** الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير- الجزء العاشر، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط2، 1987م.

الدوريات:

- أعمال الملتقى الدولي حول بني هلال سيرتهم وتاريخهم: المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ والأنثروبولوجية والتاريخ، الجزائر، 1990م.
- المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون: جلول يلس- أمقران الحفناوي، يأتي هذا العمل الثقافي في إطار "الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007".

المراجع الأجنبية:

Paris 1937، Histoire de la nation Egyptienne:Gaston Wie -

- E.F Gautier: le passé de l'afrique du nord. les siecles obseures paris. poyet 1952.

mohamed belkhir:

étendard interdit –poème de guerre et d'amour– recueillis ،présentés et traduits de l'arabe (Algérie) par Boualem Bessaih édition bilingue ،sindbad paris 1976